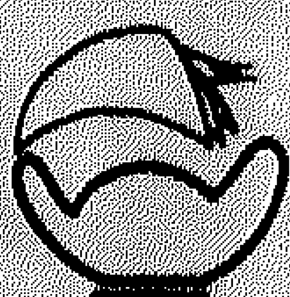
فضل عبد الله الجثام

الحضور اليماني في تاريخ الشرق الأدنى

/سبر في التاريخ القديم/

قبر النبي هود



منشورات دار علاء الدين

الحضور اليماني في تاريخ الشرق الأدنى

/ سبر في التاريخ القديم/

فضل عبد الله الجثام
(اليافعي)

الحضور اليماني في تاريخ الشرق الأدنى

/سبر في التاريخ القديم/



منشورات دار علاء الدين

دمشق – الطبعة الأولى ١٩٩٩

١٠٠٠ نسخة

التنضيد الضوئي والإخراج الفني : دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة

يطلب الكتاب على العنوان التالي :

دمشق ص.ب – ٣٠٥٩٨

هاتف : ٢٣١٧١٥٨ – ٥٦١٧٠٧١

فاكس : ٥٦١٣٢٤١ – ٢٣١٧١٥٩

- جميع الأفكار والآراء الواردة في الكتاب تُعبر عن وجهة نظر المؤلف.
- في حال أخذ أية مادة من الكتاب يرجى التنويه إلى المصدر.

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى ذات النطاق التي تجتر في الظل زاد التقوى وتبتهل من أجلي في صلاتها إلى الله، وتحمل عني أعباءً وأرزاء... إليها وهي تتعهد أضواء حمير بالعناية والصقل، أهدي هذا السفر.

وللرجال الذين تسكن ذواتهم لفعل المحامد ويأبون الوقوف دون مستوى:

"أنجد رجال حمير في اليمن" همداني.

فضل الجثام

دمشق – ١٩٩٩/٥/٢٦

المقدمة

الحمد لله الذي أسبغ عليّ من نعمائه ما ألهمني لاستهداء السبل إلى مجاهل وخبايا التاريخ العتيق لإقليم الشرق الأدنى، فكان هذا الكتاب الذي قصرت عليه عشر سنوات من العمر هي التي أعقبت تخرجي من جامعة ويلز بريطانية ١٩٨٩.

وعلى الرغم من حيازتي الشهادة الجامعية بمرتبة الشرف في الاقتصاد والسياسية الدولية من (U. C. W. Aberystwyth) حيث تشمخ على ما سواها من الجامعات بقسم السياسة الدولية لأقدميته وتفرده في حقل السياسة الدولية_ فإني لم آنس في نفسي منذئذٍ الرغبة في دراسة وبحث الحالة الراهنة للعرب المصابة بداء الضعف والخذلان.

فأخذت عوضاً عن ذلك أخبت بحثاً عن مواطن القوة والعزم في تاريخ قدماء العرب فنجم عن سفري إلى الجذور هذا السفر التاريخي الذي ما كان لمداد المطابع تحبيره دون إفراغ الوسع في تحصيله وتدوينه. معتمداً على مصادر شتى تبدأ بالنقوش المسندية (الحميرية) فالقصص التوراتي فمرويات الإخباريين العرب وتنتهي عند الآثار الحية التي مازالت تروى شفاهاً في أرياف اليمن وعلى وجه التحديد في سرو حمير (يافع) ميدان البحث –.

وقد وظفنا في المقابلة اللغوية أسماء الأماكن الواردة في النقوش المسندية مع نظائرها في النص التوراتي ومن هذا المنطلق بالذات كانت إطلالتنا على جغرافية التوراة.

ودون ذلك فإن هذا العمل لم يسلم من العيوب نحو افتقاره للخرائط التوضيحية وصور المواقع التاريخية والنقوش المسندية التي لم ننقلها بحرف المسند الأمر الذي سنعمل على تداركه في الطبعات اللاحقة إن شاء الله.

وبعد فإن أصبت فيه فمن الله عز وجل وإن عدلت فمن قريني، فله الحمد والمنة.

والصلاة على نبيه الأمين محمد صلى الله عليه وسلم

فضل الجثام

دمشق ١٩٩٩/٥/٢٦.

مدخل في
الاختراق اليماني للتاريخ
السامي

ما زال (علم نقد التوراة) يجتذب أفئدة الباحثين حتى اليوم وتغطي دراسات الباحثين في هذا الحقل موضوعات شتى من نقد النصوص التوراتية لغوياً إلى معالجة (جغرافية التوراة) وتاريخيتها ودراسة ميثولوجيتها بالمقارنة مع معطيات الكشوف الآثارية لا في البلاد الواقعة ما بين نهر النيل والفرات فحسب، بل وما تقدمه الكشوف الأريكلوجية في (شبه جزيرة العرب) وبالذات في إقليمها الكبير المعروف ب(اليمن) الذي آثرناه بدراسات هذا الكتاب التي أردنا بها دراسة تاريخه في العهود التوراتية العتيقة، واضعين نصب أعيننا ما عني به أساطين هذا الحقل من الباحثين العرب وفي طليعتهم صاحب كتاب(التوراة جاءت من جزيرة العرب) [د/كمال الصليبي] ومن سلك على محجته أمثال[د/زياد منى] مؤلف (جغرافية التوراة: **مصر وإسرائيل في جزيرة العرب)- الذي وضعه في الأساس كأطروحة دكتوراه أكاديمية باللغة الألمانية نالت امتيازاً جيداً من جامعة برلين. وصدرت طبعته العربية عن دار رياض الريس للكتب والنشر/ لندن- قبرص .**[1]

ويأتي على نفس الدرب (الأستاذ/فرج الله صالح ديب) و(د/سيد محمود القمني)، وغيرهم ممن عنوا بدراسة جغرافية التوراة- وتاريخها وميثولوجيتها ولغتها....الخ.

ومائدة البحث كفيلة بأن تجمعنا على صفحات كتابنا هذا مع هؤلاء وغيرهم في هذا الحقل الواسع الأرجاء المحفوف بالمخاطرة التي تفرضها طبيعة الدراسة نفسها خاصة وقد ضربت في مجاهله أقدام كبار المستشرقين الآتية من منطلقات الاستشراق وظروفه الغير مواتية لنا نحن أبناء الشرق الذين ليس لنا من أوضية نظعن منها في الشرق سوى ذات الشرق المثقلة بهموم العالم وأسراره وتراثه المحموض بآثار العهود العتيقة... ولعل بوابة الدخول التي ينبغي لنا أن نعرج عليها تكمن في معرفة بعض الأصول والمفاهيم التي لا غنى للدارس عنها وهو يتناول أي فرع من تفرعات هذا العلم المعروف ب(علم نقد التوراة) :

- **التوراة في العهد القديم:**

لا يجهل المسلمون أمر(التوراة) فهي الكتاب الذي أنزله الله على (بني إسرائيل) لهدايتهم إلى الحق.... **وقد وردت هذه المفردة (التوراة) في ثمانية عشر موضعاً في القرآن الكريم، منها سبع مرات في (المائدة) وست مرات في(آل عمران)...** [2]. ومعنى (التوراة) في العبرية(تعاليم) وفي معاجم اللغة العربية، وردت بمعنى يشير إلى تعاليم(الطهارة) فنقرأ تحت مادة (ترئية):

ترية: قال ابن بري: الأصل في تريّة ترئية... وفي حديث أم عطية: كنا لا نعد الكدرة والصفرة والتريّة شيئاً، وقد جمع ابن الأثير في تفسيره فقال: التريّة، بالتشديد، ما تراه المرأة بعد الحيض والاغتسال منه من كدره أو صفره، وقيل: هي البياض الذي تراه عند الطهر...

[ابن منظور/لسان العرب/١٤/ مادة رأى]

نعم فالتريه (من ترئية/توراة) تشير هنا إلى (علامة /تعاليم) في كتاب الطهارة عند العرب... وفي موضع آخر من لسان العرب نقرأ:

تور: التور من الأواني....

الأزهري: التور إناء معروف تذكره العرب تشرب فيه....

التور: الرسول بين القوم، عربي صحيح؛

قال:

والتور فيما بيننا معمل يرضى به الآتي والمرسل

وفي الصحاح: يرضى به المأتيّ والمرسل. [لسان العرب/٤/ مادة تور]

وإذا كانت (التوراة/ تعاليم) ينهل منها الظامئ إلى معرفة أصول الدين(اليهودي)، فإن العربي العاطش يرنو إلى (التور/التوراة) ليشرب منها فالمعنى واحد. هذا وحيث أن العرب كانت تسمي الرسول بين القوم (توراً) فيمكن القول أن الرسالة التي أنيطت به " تورة / أو توراة " والمقابلة هنا في غاية الوضوح فتوراة بني إسرائيل هي الرسالة التي بعثها الله إليهم مع أنبيائهم (ذوي العزم). وما زالت هذه المعاني شائعة الاستخدام في لهجات بعض قبائل اليمن حتى اليوم. ففي لهجة قبائل (سرو حمير/يافع) الذين ذكر(لسان اليمن/الهمداني) لغتهم:

سرو حمير وجعده ليسوا بفصحاء وفي كلامهم شيء من التحمير– أي اللغة الحميرية– ويجرون في كلامهم ويحذفون فيقولون يابن معم في يابن العم وسِمَع في اسمع.[٣]

نعم ففي لهجة أبناء (سرو حمير/يافع) يقولون:

- **تورة:** محفظة تصنع من الخوص(سعف النخل) يودع فيها أهم وثائق الأسرة أو العشيرة كعقود بيع وشراء الأراضي الزراعية وغيرها ومراسلات القبائل ومعاهداتها.... وتعرف هذه الوثائق بالأسجال أو المحمرات؛
- **التوراة:** الرحلة أو السفر إلى مكان ما. إذن فالتوراة هي حافظة الأسجال(الرقوم) أو اللفائف تماماً مثل (التوراة) الحافظة لألواح الوعد وتعاليم وتاريخ الدين اليهودي. والتوراة(بتشديد الواو) في لغة

حمير كما لاحظنا تشير إلى رحلة (المتوّر/التور = الرسول) سعياً إلى نشر الدعوة(الرسالة/التوراة)

هذا الاستطراد اللغوي لاسم أقدم مجموعة من أسفار العهد القديم الكتاب المقدس عند اليهود وهو (التوراة) يرشدنا إلى حقيقة مفادها أن(جزيرة العرب) هي الموطن الأصلي لهذا الاسم ومسماه ومهد القبائل الإسرائيلية المترحلة عبر شبه جزيرة العرب.

وتضم(التوراة) في الأصل الأسفار الخمسة الرئيسية الأولى من (العهد القديم) ويصنفها بعض الباحثين على أنها:

(كتب موسى الخمسة) وهي :

١. **التكوين.**
٢. **الخروج.**
٣. **اللاويون.**
٤. **العدد**
٥. **التثنية.** [٤]

وإذ يتكون(العهد القديم) من ثلاثة أجزاء رئيسية فإن الجزء الأول منه هو (التوراة) بأسفارها الخمسة، ويشار إليها باللاتينية باسم(Pentateuch) أي الخماسية وكذلك في غيرها من اللغات نحو (الإنكليزية/ واليونانية....الخ)

أما الجزء الثاني من(العهد القديم) باسم الأنبياء (نبي ءيم/عبرياً) ويضم ثمانية أسفار منه أسفار الأنبياء الكبار وقد خلدت بأسمائهم وعددها ستة وهي:

١. **يشوع.**
٢. **القضاه.**
٣. **صمويل الأول.**
٤. **صمويل الثاني.**
٥. **الملوك الأول.**
٦. **الملوك الثاني.**

ويطلق على هذا القسم بالعبرية(نبيءيم هرعش ونيم). أما القسم الثاني من جزء الأنبياء المتأخرين المعروفين عبرياً ب(نبيء يم هـــء هرونيم) وهم:

إشعياء/ وإرمياء/ وحزقيال. ويضمهم سفر واحد.

والسفر الثامن يضم فيه الأنبياء الثانويين وهم:

هوشع/ ويوئيل/ وعاموس/ وعبوديا/ ويونان/ وميخا/ وناحوم/ وحبقوق/ وصفنيا/ وحجاي/ وزكريا/ وملاخي. أما الجزء الثالث من العهد القديم فيعرف عبرياً باسم(كتوبيم) أي الكتب وتتألف من القصائد الدينية وكتب الحكمة وهي:

المزامير/ والأمثال/ وأيوب/ وأنشودة الأناشيد/ وراعوت/ والمراثي/ والجامعة/ وإستير/

ودانيال/ وعزرا/ ونحميا/ وسفر الأيام الأول والثاني.

ويرمز للعهد القديم هذا بتسمية شاملة هي :

(تنــك/ أوتانــاخ= **Tanakh**) منحوتــة مــن الأحــرف الأولى لأجزائــه الثلاثــة (توراة/وأنبياء/وكتب). [٥]

- ## قصة الأسفار المستورة:-

قصة الأسفار التوراتية(المستورة) أو المحجوبة عن العامة ترجع في المقام الأول إلى مصدرين :

i. وردت هذه القصة أولاً في سفر(إسدارس/٢)- وإسدارس/٢ واحــد مــن هــذه الأســفار المستورة- المنسوب لعزرا أيام السبي البابلي، ومفادها أن صاحب الرؤيا (عزرا) قد عرضت عليه أسفار التوراة (العهد القديم)، وبلغت أربعة وتسعين سفراً وأمر أن يحجب منها سبعين سفراً عن العامة. بحيث تظل مقصورة على حكماء اليهود فحسب، أما الأربعة والعشرون الباقية فهي أسفار (العهد القــديم) التي يضمها النص العبري(اليوم). [إســـدارس/٢) ليــس لــه أي ذكــر لــدى المــورخ اليــهودي الشهير(**جوزيفوس فلافيوس**) المتوفي حوالي(٧٠ للميلاد)، فجعل أهل الاختصاص يرجعــون تــاريخ تأليفه إلى مؤلف يهودي أو مسيحي وضعه في نهاية القرن الأول للميلاد. [٦]

ii. يطلق اليوم أهل الاختصاص على عدد من الأسفار التوراتية الغير معتمدة في أي مــن نســخ المرجعيــات الدينيــة الثــلاث(**اليهوديــة/ الكاثوليكيــة/ البروتســتانية**) بالســرية أو المخفيــة (أبوكرافيا/**Apocrapha** باليونانية) وهي ليست سرية البتة ولا محظورة ومنــها(إســدارس/٢). وكان أول من أطلق هذا المصطلح (**أبوكرافيا**) لأول مرة القديس(**إيروليموس**) مترجم النص اللاتيــني المعروف ب(**الفولغاتا/ أي الشائعة أو الشعبية**) وهي المعتمدة من الكنيسة الكاثوليكية حــتى أيامنــا هذه... فقــد أطلــق هــذه التســمية أثنــاء الترجمــة علــى الأســفار التوراتيــة الــواردة في الترجمة(**السبعونية/اليونانية**) والغير واردة فيما لديه من النصــوص (**العبريــة والأراميــة**) فحســبها القديس(**إيروليموس**) أسفاراً محظورة التداول على العامة بعد الترجمة السبعونية وفقاً لقــول(**إســحاق عصيموف**). [٧]

وقد عرض لنا الأستاذ(سهيل ديب) قائمة بأسماء الأسفار السرية نوجزها فيما يلي:

- ## الأسفار المستورة المعتمدة من الكنيسة الكاثوليكية:

سفر طوبيا/ سفر يهوديت/ إضافات سفر أستير/ سفر حكمة سليمان(الحكمة)/ سفر يشــوع بن شيراخ(سيراخ) واسمه باللاتينية **Ecclesiasticus**/ سفر باروك أو باروخ/ ســفر عزريــا

ونشيد الشباب الثلاث/ سفر سوسانا/ سفر بعل التنين/ سفر المكابين-١و٢/.[٨]

- **الأسفار المستورة غير المعتمدة:**

سفر رسالة إرميا/ سفر صلاة منسي.... هذان السفران غير مقبولين لا في النص العبري ولا عند المسيحيين بشكل عام.

هذا ويأتي في رأس قائمة الأسفار المستورة سفر(إسدارس/١+٢) وإذا كان (إسدارس/٢) هو الذي ذكرت فيه قصة الأسفار المستورة ولم يذكره (جوزيفوس فلافيوس) فإن هذا المؤرخ قد ذكر السفر الأول من(إسداريس) وأعرض عن ذكر سفري(عزرا ونحميا) اللذين يحكيان نفس الرواية... ولهذا فمن المرجح أن محرر سفر (إسداريس/١) قد أعاد كتابة سفري(عزرا ونحميا) على طريقته الخاصة، وذلك بعد العام/١٥٠ قبل الميلاد.[٩]

وحيث أن مغاور وادي قمران(لفائف البحر الميت) التي تم اكتشاف مخطوطاتها عبر فترة تمتد من(١٩٤٥-١٩٥٦م) أظهرت أن الأسفار القانونية تشكل عددياً ربع الوثائق الموجودة بينما الثلاثة أرباع الباقية تتألف من دراسات وتعليقات وأهمها وأكملها من ناحية الحفظ هو التعليق على (التعليق على سفر حبقوق).[١٠] على الرغم من هذه النسبة الكبيرة للمخطوطات دون القانونية في(لفائف البحر الميت) إلاّ أن عدم وجود أي من الأسفار المستورة بينها يثير العجب لدى الباحثين التوراتيين عن حقيقة وأهلية هذه الأسفار التي تجذب الباحثين إليها أكثر من غيرها وهي إذ أصبحت غير محجوبة بل ومتداولة ومعتمدة لدى الكاثوليك مازالت تثير التساؤل عن حقيقة وجود أسفار محجوبة لدى حكماء أتباع الديانة اليهودية ومقصورة على كبار الأحبار ليس إلاّ ؟!

- **أثر التقاليد الأربعة في تحرير التوراة:**

نحن هنا مثل (د/كمال الصليبي) نوظف مصطلح (التوراة) ليشمل أرضية أوسع لا تخص الخماسية المعروفة بكتب موسى الخمسة أي:

١. سفر التكوين: برشيت(عبرياً) أي في البدء.
٢. سفر الخروج.
٣. سفر اللاويين.
٤. سفر العدد: في(البرية):
وكلم الله موسى في برية سيناً....   [سفر العدد/١/١]
٥. سفر تثنية الاشتراع: ديفاريم(عبريا) أي(الكلام).[١١]

بل وليشمل ما يسميه المسيحيون العهد القديم من الكتاب المقدس بأقسامه الثلاثة (توراة/أنبياء/كتب).[١٢]

فكيف وصلت إلينا هذه المجموعة جملة ؟

يرى أهل الاختصاص أن أسفار موسى الخمسة وسفري يشوع والقضاة وغيرها من الأسفار القديمة قد حصلت على الشكل الذي وصلتنا فيه بعد عملية طويلة جداً من تجمع وامتزاج المرويات الشفوية القبلية وعمليات التأليف والكتابة. [١٣]

ومن المتعارف عليه أن (خماسية موسى) أي الأسفار الأولى قد اكتست صيغتها النهائية عبر اشتراك أربعة تقاليد هي:

I. **التقليد ال/يهوي: نسبة إلى إله الشعب المختار (يهوه/Yahveh) ويرمز له بالحرف(J) وتاريخه يرجع إلى عهد سليمان في منتصف القرن العاشر قبل الميلاد واهتماماته تتركز في نطاق المملكة الجنوبية... ويظهر أنها من صنع مؤلف واحد استعمل التقاليد الموروثة التي جمعها ولا يوجد قبل هذا دليل على مصدر مكتوب أقدم منه وقد خمن بعضهم أن المؤلف كان من سلالة(يهوذا) وعاش في الحاشية الملكية.** [١٤] وإلى جانب انشغال هذا التقليد بمقولات مركزية نحو (أرض الميعاد) المقصورة من(يهوه) لشعبه المختار تجنح تخريجات التقليد (ال/يهوي) إلى التلغائية والمباشرة على مستوى اللغة التي تبدو(**فجة وواقعية غير منمقة تسمي الأشياء بأسمائها ولا ترتبك أو تستعمل اللف والدوران عند وصف بعض الأعمال أو الوقائع التي أضفت على التوراة صفة الوصف الجنسي الفج (أنظر تكوين ٣٨/٩-١٥-١٦).** [١٥]

II. **التقليد اللأيلوهي:** نسبة إلى (أيلوهيم)، إله إسرائيل الثاني ويرمز لهذا التقليد بحرف (E) ومساحته في التوراة محوضة ب:

(التقاليد المروية في شمالي البلاد، ولهذا السبب فمعظم العلماء يرجعونها إلى القرن الثامن قبل الميلاد بعد انفصال مملكة إسرائيل في الشمال عن مملكة (يهوذا) في الجنوب... ومن المحتمل أن مؤلف هذا التقليد (E) قد استقى معلوماته من مصدر مشترك مع ذلك الذي استقى منه مؤلف نصوص التقليد (ال/يهوي/J). [١٦] هذا وتغلب على التقليد (الألوهي) في لغته الصبغة الأدبية الرفيعة فلغته:

(أكثر تنميقاً وتهذيباً من لغة المدرسة(التقليد) (ال/يهوي) وهي أكثر عمقاً وتعتمد على التشبيه والتورية لتوجيه رسالتها. ويعود للمدرستين(التقليديتين) (ال/يهوية) و(الإيلوهية) تحرير معظم سفري التكوين والخروج. [١٧]

III. التقليد الكهنوتي: يرمز له بحرف(P) من (Priests) أي الكهنة ويعود إلى فترة (ما بعد

انتهاء السبي البابلي/٥٣٠ قبل الميلاد. فقد عمد كهنة معبد(القدس) إلى تأليفه في تلك الفترة وقد حدثت عملية الإندماج لكل هذه العناصر(التقاليد) بعد ذلك .[١٨] وقد تميزت هذه المدرسة (التقليد) بطابعها التلقيني القائم على:

(إعطاء التعاليم (الطقسية) وكيفية تطبيقها ولغتها جافة، ولعل ذلك عائد للموضوع أو المواضيع التي تتطرق إليها مثل تحديد الأنساب والأصول. ويعود إلى هذه المدرسة تحرير (سفر العدد) وبعضاً من السفرين السابقين.[١٩]

IV. تقليد الشريعة: يشار إليه بحرف(D) من(Deuteronomy/ بمعنى الشريعة) أي (التثنية) ويمتاز هذا التقليد بلهجته الخطابية التي يدعو فيها اليهود إلى اتباع الشريعة وتطبيق العهد.[٢٠]

هكذا فالتوراة بأرضيتها الموسعة كتاب يعكس المراحل والمؤثرات التاريخية التي أسهمت في إخراجه على الصورة التي عالجناها (آنفاً) غير أن مسألة تأليفه في واقع الحال ترجع إلى الثلاثة قرون الأولى قبل الميلاد في نظر بعض أهل الاختصاص ومنهم د/أنيس فريحة:

إن هذا التأليف لم يستمر سوى ثلاثمائة سنة، أي منذ تاريخ العودة من بابل عام/ ٤٤٠ ق.م/ إلى عهد دانيال (١٣٠ ق.م) بينما جرى وضع أسفار الشريعة الخمس الأولى دفعة واحدة بالاستناد إلى أصول الشريعة التي وضعت المحاولة الأولى لها في القرن الثامن قبل الميلاد.[٢١]

- التوراة واللغة العبرية:

لم ترد في أي سفر من الأسفار التوراتية لفظة العبرية(أو العبرانية) إشارة إلى لغة القبائل الإسرائيلية، غير أن بعض أهل الاختصاص يرون فيما ورد في أحد نصوص (سفر أشعيا) الماعاً إلى مثل هذا[٢٢] والنص في الترجمة العربية يرد على هذا النحو:

في ذلك اليوم يكون في أرض مصر خمس مدن تتكلم بلغة كنعان(سفت كنعن/عبرياً) وتحلف لرب الجنود يقال لإحداها مدينة الشمس في ذلك اليوم يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر، وعمود للرب عند تخمها. [سفر أشعيا/١٩/١٨]

وفي هذا السياق يذهب د/ انيس فريحة:

(اعتبرنا اللغة العبرية لهجة كنعانية وذلك بشهادة العبران في سفر أشعيا. وأن العبرانيين قبائل ارامية... وإذا نحن اعتمدنا العبرية في تحقيق المعنى الأصلي، فإنما نعني أن هذا الجذر الذي نحسبه الآن عبرياً ليس سوى جذر كنعاني. والكنعاني هو الفينيقي. ولكن بما أن الكنعانيين وأخوانهم

الفينيقيين لم يتركوا لنا آثاراً كتابية كما ترك لنا العبران... فإننا بطبيعة الحال نعتمد العبرية، في التعرف على لغة البلاد الأصلية الكنعانية- الفينيقية. [٢٣]

وفي حقيقة الأمر أننا لا نرى أي إلماع في نص (سفر أشعياء) إلى اللغة العبرية فقد بنى فريحة رأيه على التأويل وخالفه الأستاذ/فرج الله صالح ديب لأسباب منها عدم الورود الصريح للفظة(العبرية) في نص (سفر أشعياء) ويرى في فريحة:

(**أكثر الكتاب تزويراً**) [٢٤] لهذا التأويل ولما ذهب غليه فريحة في القول أن:

(**اللسان الكنعاني(شفة كنعان) لغة تشمل العبراني والفينيقي والمؤابي- شرق الأردن**). [٢٥]

وإذا كان د/ أنيس فريحة قد انطلق في طرحه ثنائية (كنعان/فينيقياً) أو الترادف بين الكنعانيين والفينيقيين من مصدر توراتي معين فإن صاحب(اليمن هي الأصل) يرتل هذا النص الوارد في (سفر زكريا/٢١/١٤) فلا يجد فيه أي مرادفة بين الكنعاني والفينيقي:

(**وكل قدر في أورشليم وفي يهوذا تكون قدساً لرب الجنود. وكل الذابحين يأتون ويأخذون منها ويطبخون فيها. وفي ذلك اليوم لا يكون بعد كنعاني في بيت رب الجنود**).

[سفر زكريا/٢١/١٤] [٢٦]

هذا الترادف الحاصل بين الكناعنة أصحاب(شفة كنعان) والفينيقيين يرجع في المقام الأول إلى أصولهم الواحدة في نظر د/أنيس فريحة:

(**والغريب في أمر هذا الشعب الكنعاني الفينيقي الذي قدم البلاد مع الموجه الأمورية والذي أنشأ حضارة أرقى... لم يترك لنا آثار كتابية كثيرة يعتمد عليها في كتابة تاريخ مفصل.** [٢٧]

وإذ يذهب في قوله السابق إلى أن (العبرانيين) قبائل أرامية، وحيث أن القبائل الأرامية هي بعض الزخم والاجتياح (الأموري) لبلاد ما بين نهري النيل والفرات، فأهل الاختصاص يعزون الاضطرابات التي شملت المراكز الحضرية شرقي حوض المتوسط في سوريا وبلاد ما بين النهرين ومصر الفرعونية في نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد إلى :

قدوم قوم يسمون العموريين(الأموريين/Amurru)، وفقاً للسجلات التاريخية بلاد ما بين النهرين وهم قوم كانوا يتكلمون اللغة السامية الغربية، أما السجلات المصرية فتذكر أن الاضطرابات التي حدثت في فترة تقع ما بين مملكة مصر القديمة المزدهرة وما بين إعادة تأسيس سلطة السلالة الثانية عشرة المتوسطة، كانت أسبابها الهجمات الأسيوية المتكررة. [٢٨]

ومن هذا الاجتياح (الأموري) يعزو المؤرخون انبثاق السلالات القبلية لأحداد اليهود القدماء

المعروفين ب(الآباء/Patriachs) الذين تدل أسمائهم:

(أنهم عاشوا في القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد وفقاً لرأي بعض العلماء). [٢٩]

ولاشك أن هذا المورد الديموجرافي الأثني المعروف ب(الأموري) هو الأساس الذي شيد عليه علماء اللسانيات تصنيفهم لمجموعة اللغات السامية التي تدعى أحياناً (الساماحامية) لأنها تضم بعض اللغات الأفريقية...

غير أن ما يهمنا هنا هو عائلة اللغة ،السامية الغربية) التي تضم في كنفها: **الكنعانية، الفينيقية، العبرية القديمة، الأرامية، السريانية، التدمرية،النبطية، وغيرها.** [٣٠] **(واللغة العبرية)** هذه التي يركن إليها في:

(التعرف على لغات البلاد الأصلية، الكنعانية-الفينيقية. حسب تعبير د/ أنيس فريحة، لم تذكر قط يالاسم في النصوص التوراتية- كما أسلفنا- وقد نعتت في نص توراتي ورد في سفر الملوك٢/١٨/ ٢٦) وورد نفس النص في سفر أشعيا بحذافيره نعتت ب**(يهوديت)**:

فقال الياقيم بن حلقيا وشبنه ويواخ لربشاقي كلم عبيدك بالأرامي، لأننا نفهمه ولا تكلمنا (باليهودي/يهوديت[عبرياً]) في مسامع الشعب الذي على السور. [سفر أشعيا/٣٦/ ١١]

وإذ أهل الاختصاص يرجعون (سفر أشعيا) إلى القرن الثامنة قبل الميلاد، فإن النعت(يهوديت) قد استمر إلى القرن الرابع قبل الميلاد-أي إلى ما بعد الفترة السبي البابلي ففي (سفر أخبار الأيام الثاني) الذي يرى أهل الاختصاص أنه اكتسب شكله النهائي الحالي في القرن الرابع قبل الميلاد، **يصف العهد القديم لغة بني إسرائيل بأنها يهوديت/أي يهوذية- نسبة إلى يهوذا- عاكساً بذلك حقيقة سيادة القبائل والعشائر (اليهوذية) علىالحياة الدينية ليهوذيي السبي وتغلب لهجتهم على غيرها.** [٣١]

لكن هذه السيادة للهجة(يهوديت) في فترة ما بعد السبي لم تؤخر من اندثار اللغة العبرية فقد أصبحت في:

القرن الثالث قبل الميلاد مندثرة وحلت مكانها اللغة اليونانية إلى جانب الأرامية. [٣٢] و لم يظهر النص الرسمي للتوراة باللغة العبرية إلا بعد أن ذوت هذه اللغة بقرابة أربعة قرون: **لكنه لم ينته إلى شكله النهائي المعروف اليوم إلا في أواخر القرن الثامن للميلاد وأقدم مخطوط بالنص الماسوري(التقليدي) مؤرخ في/٨٩٥ للميلاد وهو المكتشف في كنيس (المستودع) اليهودي بالقاهرة.** [٣٣]

غير أن لفائف (وادي قمران/البحر الميت) قدمت نصاً عبرياً أقدم من النص العبري الذي ظهر بعد خمسة قرون مضت بالتمام والكمال على نص (السبعونية/الترجمة اليونانية)- في القرن الثالثة قبل

الميلاد- لكن صاحب هذه الترجمة المعروفة (بالسداسية/Hexapla) هو عالم اللاهوت اليوناني(أورجين الاسكندري) حوالي (٢٣٠ للميلاد) **الذي عمد إلى ترجمة العهد القديم ترجمة مزدوجة بحيث تظهر في ستة أعمدة متقابلة النص العبري يقابله النص العبري بالأحرف اليونانية محاولة منه المحافظة على طريقة النطق بالعبرية، ثم ترجمتان معمول بهما في ذلك الزمان، ثم الترجمة السبعينية(السبعونية) ثم ترجمة أخرى من وضعه. ولا يعلم أحد من أين أتى(أورجين) بالنص العبري.** [٣٤]

- ## الأرامية وترجوم التوراة:

قدم لنا النص التوراتي المزدوج التواجد في سفري **(الملوك الثاني/٢٦/١٨ وأشعيا/١١/٣٦)** شهادة مزدوجة الدلالة أيضاً فهو يخبرنا عن لسان سامي أو لهجة ما سماها يهوديت(يهوذية) ورأى فيها بعض الباحثين إشارة إلى اللسان العبري الذي تغلبت فيه لهجة القبائل الإثنية الإسرائيلية المنسبة إلى السبط(يهوذا) لكنها في ذلك العهد العائد تحديداً إلى مطلع القرن الثامنة قبل الميلاد كانت تتعايش مع لغة سامية أخرى أخذت تعرف طريقها إلى بيوت الخاصة من بني إسرائيل، وهي (اللغة الأرامية) التي خلدها هذا النص العائد إلى:

سنة ٧٠١ قبل الميلاد لما حاصر سنحاريب بيت المقدس في عهد (حزقيا) حيث كان الشعب يتكلم الأرامية، وكان موظفوا سنحاريب يعرفونها أيضاً. [٣٥]

ومن هذا النص نفسه يخلص د/أنيس فريحه إلى القول أن: **(الأرامية كانت لغة دولية في القرن الثامن قبل الميلاد).** [٣٦]

وتحت الضغط والتوسع الجغرافي للأراميين في القرن الخامس أو الرابع قبل الميلاد أخذت الأرامية قصب السبق وعايشت عصر اندثار العبرية كلغة حية ينطق بها كلغة(محكية) وإن بقيت تؤدي بعض الدور في أعمال أدبية محدودة منها كانت الضرورة لظهور ترجمة أرامية للتوراة في القرن الرابع قبل الميلاد. أما النسخة الأرامية الأقدم والتي عثر عليها من العهد القديم فيطلق عليها اسم(الترجوم) وتتمثل في (لفائف البحر الميت). [٣٧]

وقد تركت اللهجة الأرامية وبصماتها وأثارها عبر الأسفار التوراتية والتراث الثيولوجي اليهودي، فمن الآثار الكتابية التوراتية المسجلة بالأرامية:

أسفار(دانيال ٢/٤-٢٨/٤٧-٦) الذي يعود إلى ثورة الحشمونيين عام ١٧٦-١٦٤ قبل الميلاد، (عزرا ٨: ٤-١٨/٦ و ١١/٧-٢٦) ويضاف إلى ذلك (إرميا ١١/١٠) و(التكوين ٤٧/٣١). [٣٨]

وكذلك كتب باللهجة الأرامية المدراشيم والتلمود الفلسطيني أو المقدسي. وتحتوي هذه الكتب على شرائع اليهود ونبذ عن أحبارهم المشهورين. [٣٩]

- **اليونانية وسبعونية التوراة:**

إذا كانت الترجمة الأرامية (الترحوم) قد وضعت في الأصل لتلبي **حاجات الجماعات التي اعتنقت اليهودية من غير المتكلمين العبرية.** [٤٠] فقد ظهرت ترجمة يونانية (للتوراة) اكتملت عبر القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد وذلك في الاسكندرية لفائدة الطوائف اليهودية في مصر. وقد استقى هذا الاسم (**السبعونية**) (**Septuagint**)- **باليونانية**- من الأسطورة التي أحاطت بها والقائلة أن انجازها تم بتكليف من امبراطور مصر(**بطليموس/٢ فلاديلفيوس/٢٨٥-٢٤٦ ق.م) لإثنين وسبعين معمراً يهودياً- أي ستة من كل سبط**- لكن أهل الاختصاص لاحظوا وجود تباينات كثيرة في أسلوبها من اختلاف في توظيف المصطلحات وسلاسة اللغة....الخ. وصلوا إلى قناعة أن عملية الترجمة قد تمت عبر مدة تمتد حوالي قرنين من الزمن. [٤١]

ويوجد اليوم من الترجمة(السبعونية)- التي يرجح أهل الاختصاص أنها ما كانت لتنجز إلا عبر ترجمة من أصل عبري لم يعثر له على أثر- يوجد اليوم منها (**أجزاء تبلغ/٢٠٠ مخطوطة في مختلف متاحف العالم**). [٤٢]

وفي العام ٤٠٦ م تولى **القديس(ايرونيموس)** ترجمة التوراة عن الترجمة (السبعونية) اليونانية إلى اللغة اللاتينية وقد اشتهرت هذه الترجمة ب(**الفولغاتا**) (**Vulgate باللاتينية) أي الشعبية الشائعة** وهي المعتمدة اليوم من قبل الكنيسة الكاثوليكية وتشتمل على ما يعرف بالأسفار (المستورة)- أبوكرافيا- خاصة وهذا القديس هو أول من أطلق على هذه الأسفار الغير معترف بها من قبل يهود اليوم والكنيسة البروتستانية(ابوكرافيا) أي المخفية أو السرية.[٤٣]

لقد أسهب الباحثون في دراسة النصوص التوراتية ونقدها على ضوء معطيات الكشوف الآثارية في بلاد ما بين النهرين ومصر وغيرها وعلى هدى علم الألسنيات وفقه اللغة المقارن كما تصدى أهل الاختصاص لدراسة التراث التوراتي بالمقارنة مع تراث المنطقة شرقي المتوسط، وتوصلوا إلى قناعات منها ما ذهب إليه البعض أنه أثناء عملية السبي البابلي لليهود (٥٧٦ ق.م) وضعت أسفار التوراة (العهد القديم) :

وأدخل عليها(الأنبياء الأولون) التجميلات والأساطير المختلفة، وخلطوا بين أحداث وأخرى عن عمد مثل جعل الخروج تحت إمرة موسى وغير ذلك كما أخذوا عن آسريهم الكثير من

الأساطير، وكل فئة شاركت بهذا الوضع أطلقت على الإله الجديد اسم إلاهها المفضل ومعظم هذه التسميات أتت من شمالي سورية على الأغلب: مثل(ياهو) الذي أصبح (يهوه) من عند الحثيين و(أدوناي) من تسمية إله السومريين (تموز) إذا أخذه عنهم الكنعانيون وأطلقوا عليه(أدوني تموز/سيدي تموز) فأخذ اليونانيون الشق الأول من التسمية، أي (أدوناي) وأضافوا إليها اللاحقة اليونانية التقليدية(س) فأصبح عندهم يعرف باسم(أدونيس/إله الجمال) وفقاً لرأي (فريزر) صاحب كتاب(الغصن الذهبي) و(د/أنيس فريحة) في كتابه(دراسات في التاريخ). [٤٤]

وبعد فإن معظم الباحثين كما ذكرنا (آنفا) يرون أن (العبرانية) قد صارت في القرن الثالثة قبل الميلاد في عداد اللغات الميتة... وتركت لنا نصوص(التوراة) بأحرف ساكنة تشترك فيها جميع اللغات السامية وهي أبجدية تشتمل على:

ءب ج د/ه و ز/ح ط ي/ ك ل م ن/ س/ سامك ع ف ص/ ق ر ش(حرفا السين والشين)ت.

لقد قيض لهذه اللغة بعد ألف سنة تقريبا من أندثارها أن تنفخ فيها الروح أو إعادة الأحياء من قبل فئة من أحبار اليهود يعرفون(**بالمصوريتيين)– أي أهل التقليد– إبتداء بالقرن الميلادي السادس. وقد استمر المصوريتيون في عملهم هذا حتى القرن العاشر.** [٤٥] **وفيهم يقول الله عز وجل(في إشارة واضحة وبالغة الدقة) أنهم:**

((يحرفون الكلم عن مواضعه)) . وأنهم يفعلون ذلك ((ليا بألسنتهم)) سورة النساء٤٦

﴿يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه ﴾ المائدة/ ٤١

وفي هذا الشأن يؤكد(د/كمال الصليبي) :

وبالفعل فقد قام هؤلاء بتحريف النصوص التوراتية عن طريق إدخال الحركات والضوابط عليها بصورة إعتباطية في أحيان كثيرة مما غير إعراب الجمل وحور المعاني. ولم يرق عمل المصوريتيين هذا لغيرهم من أحبار اليهود المعروفين (بالربانيين) في البداية، لكن الربانيين هؤلاء قبلوا ما عمله المصوريتيون مع الوقت، بحيث أصبح النص المصوريتي المضبوط من التوراة هو النص المعتمد من اليهود. [٤٦]

وإذ يحفل النص المصوريتي هذا بالتحريف والزلات العديدة والمتناقضات اللغوية والتاريخية **فقد قامت عدة محاولات لإعادة النظر في هذا الضبط من قبل العلماء الذين حاولوا ومازالوا يحاولون تصحيح ترجمة الأسفار التوراتية. لكن هذه المحاولات لم تف بالمطلوب حتى الآن، لأن التحريف**

الذي أدخله الضبط المصوريقي على النص التوراتي هو أضخم بكثير مما يتصوره علماء التوراة. [47]

ولعله من المفيد الإشارة أن عملية بعث (العبرانية) من رفاتها قد حدثت تحت رعاية خاصة أو في كنف الإرتقاء اللغوي للعربية الفصحى التي:

بدأت بتثبيت موقعها القيادي بعد الفتح الإسلامي لبلاد الشام في القرن السابع للميلاد. [48]

غير أن هذا الرأي الذي يحصر تأثير(اللغة العربية) وإزدهارها في القرن السادس والسابع للميلاد فيه الكثير من التجني أو لعله يرجع من مقولات جاهزة ذاعت لدى المستشرقين و(علم الاستشراق) الذي يعد علم (نقد التوراة) بتفرعاته فرع فيه. فهل كان للعربية تواجد قبل فترة ازدهارها مع موجات الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام في القرن السابع للميلاد ؟

• اللغة العربية أم اللغات السامية:-

قسم علماء اللسانيات اللغة- أو بحموعة اللغات السامية إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي القسم الشرقي والقسم الغربي والقسم الجنوبي، ويضم هذا القسم أي الجنوبي في فرعه العربي: **العربية القديمة، القحطانية، الحميرية المعينية، السبئية العدنانية المغربية أو القرشية(اللغة العربية الفصحى).**

أما الفرع الحبشي من القسم الجنوبي فيضم:

الإثيوبية والنيجيرية والجفرية والهررية.

في حين يضم القسم الشرقي من المجموعة السامية:

البابلية والأشورية(الكلدنية).

وكما ذكرنا آنفا أن القسم الغربي يضم فيه:

الكنعانية والفينيقية والعبرية القديمة والأرامية والسريانية والتدمرية والنبطية وغيرها. [49]

فمن أين أتت جميع هذه الساميات وأين جذورها يا ترى ؟!

جميع هذه اللغات المسماة بالسامية تستند إلى أساس لغوي هو اللغة الأم أو اللغة العربية الأولى التي نشأت في شبه جزيرة العرب والتي انقسمت في المدى التاريخي البعيد إلى بضع لهجات، ثم تكونت هذه اللهجات على شكل لغات مستقلة، سرعان ما تفرعت عنها أيضا لهجات جديدة ، ومن ثم تحولت إلى لغات مستقلة من جديد، وهكذا استقر الوضع اللغوي على الحال القائم اليوم. [50]

هذا الطرح فيه شيء من الاضطراب وتسري بين كلماته درجة كبيرة من اللاموثوقية/Uncertainty وهذا الحال لا يتعلق بصاحب الابحاث (قدوح) بل يرجع إلى طريقة

التصنيف الذي اعتمد عليه علماء اللغة في طرقهم لتاريخ المجموعة السامية، وهي طريقة فيها إعتساف وعجرفة في مسألة الإقتراب من تاريخ المنطقة العربية ككل وشبه جزيرة العرب على وجه خاص. فقد أثبتت الأبحاث الجادة من بعض الباحثين العرب في تاريخ الطوائف أو القبائل السامية ولغاتها أن:

التصنيف الجغرافي للغات السامية الثلاث ليس صحيحا. [٥١]

ولا غرابة فالمصدر الوحيد للمجموعة السامية هذه هو (العربية الأم) – لغة الجزيرة العربية– والجزيرة العربية هي موطن الهجرات العربية المعروفة بهجرة الأقوام السامية. وفي هذا يقول المؤرخ العالمي اللبناني الأصل (فيليب حتي):

النظرية المحتملة لموطن هذه الجماعات هي الجزيرة العربية، وأنه بعد الهجرات الأولى للسومريين باتجاه الشمال(٣٥٠٠ ق.م) حصلت هجرة أخرى من البادية وأتت بالأموريين، وشملت الشعب الذي أحتل السهل الساحلي الذي سمى نفسه بالكنعانيين الذين أطلق عليهم اليونان الذين تاجروا معهم اسم فينيقية. [٥٢]

نعم فإلى جانب القرابة الشديدة في(مورفولوجية)- أي نحو وصرف- المجموعات السامية اللهجوية المنطلقة في الأساس من المنبع الأحادي المصدر وهو جزيرة العرب، وواقع الكشوف الآثارية في بلاد الرافدين وسوريا أثبتت وفقا لقول أنيس فريحة أن في:

لهجة أوغاريت عناصر لغوية تشبه البابلية–الأشورية–الأرامية–العبرية–العربية. ومن يحسن العربية والعبرية والسريانية يستطيع بيسر أن يفهم النصوص الواضحة. [٥٣]

وقد توصل صاحب(اليمن هي الأصل) في مساجلاته ودراسته للآثار الكتابية لمجموعة اللغات السامية هذه إلى نتيجة دامغة فحواها أن:

- **هناك أموريين وليس من نصوص أمورية!**
- **الكنعانيون أموريون، ولكن ليس من لغة كنعانية!**
- **الفينيقيون كنعانيون، ولكن ليس من لغة كنعانية!**
- **الأراميون فينيقيون كنعانيون أموريون، ولكن ليس من لغة أرامية!** [٥٤]

وفي إشارة من(د/كمال الصليبي) لجهود الأستاذ/ فرج الله صالح ديب اللغوية المؤدية إلى حقيقة أنه بقدر ما كانت (اللغة العربية الأم الأولى) مصدر هذه التفرعات اللهجوية(المجموعة السامية) فإن أي معضلات تبرز أو تعترض فهم أي آثار كتابية في حدود الشرق الأدنى يمكن ببساطة التغلب عليها من خلال الإستعانة باللغة العربية:

بما تعنيه كل لهجاتها، إلا ان الفصحى ليست إلا لهجة قرشية سادت مع الدولة. [٥٥]

وفي هذا السياق يقول الصليبي:

وهناك نقش بالحرف الفينيقي وجد في جوار بلدة جبيل بلبنان... قد احتار الباحثون في أمره لأن اللغة السامية التي كتب فيها هذا النقش ليست الفينيقية (الكنعانية). وأخبرني أحدهم وهو من المختصين في الموضوع، أنه كتب بلغة سامية غير الكنعانية، فلم يستقم فيه التركيب والمعنى إلا عندما قرأه كنص عربي(......). [٥٦]

لقد انتهج الأستاذ/فرج الله صالح ديب طريقة المطابقة المباشرة بين أشكال الأبجدية الفينيقية التي كتب بها نقش جبيل وأبجدية لغة المسند(الحميرية/العربية الجنوبية)، فوجد أن النقش يمكن قراءته(باللغة العربية) دون أي لبس في فهم مفرداته فتحقق عنده:

أن الفينيقية ذات أحرف ثمانية متطابقة مع الحرف اليمني الحميري، وأنها لغة عربية. [٥٧]

وقد دعمنا طرح الأستاذ(ديب) هذا بفك ما انغلق من معاني بضع كلمات وردت في نقش جبيل وما كان لنا أن نهتدي إليها لولا استعانتنا بإحدى اللهجات اليمنية وهي لهجة(سرو حمير/يافع) الغنية بالمفردات الحميرية العتيقة، فاكتملت (رؤية ديب) لنقش جبيل ب(**ملاحظات يافعية على نقش جبيل**)-أوردناها في صدر كتابنا هذا.

ولا عجب في تطابق هيئة الحرف الفينيقي بالحرف المسندي وقدرة لهجة القبائل اليافعية الحميرية المتداولة اليوم على تطعيم(نقش جبيل) اللبناني بمعاني عريب اللفظ فيه، فالعربية الجنوبية ذات الأبجدية المسندية الرائعة كانت المعين الثر الذي استقت منه لا اللغات السامية نظام أبجدياتها فحسب، بل لإن معظم أبجديات اللغات الأوروبية اليوم المنتسبة إلى المجموعة- عند علماء الألسنيات- الهندوأوروبية فقد صرح المستشرق البريطاني(عبد الله فلبي) في محاضرة له أمام الجمعية الملكية الجغرافية بلندن كرسها لعرض نتائج اكتشافاته الأثرية عند منتصف العقد الخامس من القرن الحالي لبعض المناطق الأثرية من حضرموت القديمة، قال في إشارة منه لليمنيين أصحاب الخط المسند:

لا أعتقد بأنني أبالغ عندما أذكر بأن هؤلاء الناس- بعض قبائل المناطق الجنوبية الشرقية من اليمن- الذين شاهدتم صورهم... هذه الليلة ينتسبون إلى ذلك الشعب الذي اخترع الأحرف التي تستخدمونها اليوم والتي ترتكز عليها حضارتكم. [٥٨]

لهذا السبب ف:

لا عجب في أن اللغة العربية كانت معاصرة للكنعانية والأرامية في الأزمنة التوراتية. فالعربية

سواء من ناحية تصويتها (أي فونولوجيتها) أو من ناحية صرفها ونحوها(أي مورفولوجيتها)، تعتبر أقدم اللغات الثلاث من قبل أهل الاختصاص. [٥٩]

ولعل صدق هذا القول في أقدمية (اللغة العربية) وقدرتها على اختراق طبقات التاريخ وأدواره تكمن في مقدرتها على تفسير الآثار الكتابية والملحمية لحضارة(أوغاريت) السورية:

فالأوغاريتية شديدة القرب للغة العربي. ولعل ايراد بعض المقاطع من اللغة الأوغاريتية مكتوبة بالحروف العربية، ومقارنتها بترجمتها العربية، يعطينا فكرة عن هذا القرب ونوعه. وإليكم مقطعا من ملحمة كرت(كارت) :

ـ يعرب بحدره ويبكي/ أي يدخل حذره ويبكي.

ـ بتن رجم ويدمع/ أي يثني الكلام ويدمع.

ـ تنكتن أدمعته/ أي ودموعه تنكت.

ـ كم شقلم أرصه/ أي كما المثاقيل على الأرض.

ـ تمنح مصت مطته/ أي تبلل غطاء سريره.

ـ ايل يرد بظهرته/ ويرد ايل بظهوره.

ـ أب آدم ويقرب/ أي ويقترب أبو البشر.

ـ يسأل كرت/ أي يسأل كارت.

ـ يدمع نعمن غلم ايل؟/ أي أيدمع الجميل غلام ايل؟

ـ عل لظهر مجدل/ أعلى ظهر القلعة.

ـ ركب شكم صمت/ أي اركب شكائم الجدار.

ـ سأيدك شم/ أي ارفع يدك نحو السماء.

ـ دبح لثورابك ايل/ أي اذبح للثور ابيك ايل. [٦٠]

وفي هذه المقاطع الأوغاريتية المصدر الكثير من العناصر اللهجوية التي مازالت دارجة الإستعمال في أرياف اليمن وبالذات في(سرو حمير/يافع) نحو:

ـ بثن رجم: مازالت قبائل يافع الحميرية تستخدم حتى اليوم باء المضارعة المصطلح عليها عند علماء الآثار بباء المضارعة القتبانية- لوردودها في النقوش القتبانية مثل:

بيشرب ـ بياكل ـ بنحفظ ـ بيعمل ـ بتكتسب ـ **بيوثن:أي يصر ويلح في كلامه لاحظ(بثن) = يثني.**

أما المتحدث الكيس فهوز فهو في لهجة يافع(المرجمة ~ قارن – رجم = كلام.

ــ **بظهرته**: نفس الصيغة مازالت دارجة في يافع.

ــ **ذبح**: هكذا ينطق فعل الأمر في مرتفعات (سرو حمير/يافع) فهم عادة يختلسون الألف من صيغة (أفعل).

لاشك عندنا أن هذه السمات اللهجوية المشتركة بين(لغة أوغاريت) واللغة العربية ولهجة سرو حمير منها تبين بطلان التصنيف الجغرافي لمجموعة اللغات السامية، فحتى أسماء أبطال (ملاحم أوغلويت) ما برحت شائعة الاستعمال في جنوب الجزيرة وشمالها على السواء. فهذا **قادش رسول (الآلهة عشيرة)**.[61] مازال اسمه شائع الاستعمال في (سرو حمير/يافع) **ومنهم عيال قادش رأس وادي ضول في ناحية هشألة اليافعية**.[62] **وكذا (القدفشة) تسمية من نفس الجذر تدل على السعي والطلب عند ذات القبائل اليافعية في(سرو حمير/يافع)** الأمر الذي يبرر تسمية مبعوث عشيرة الأوغاريتية بـ**(قادش) : أما اسماء بنات بعل فمثال أخر على قرب الأوغاريتية للعربية، فبدرية اسم مازال شائعا في سورية والنسبة هنا للبدر وهو القمر الكامل. وطليه هنا هي الطل أو الندى وأرصيه هي الأرض والتربة الخصبة**.[63]

أما المقطع الأوغاريتي : **(ركب شكم صمت/أركب شكائم الجوار)** فيشير إلى نفس التقليد المتبع في أعمال البناء في سوريا القديمة واليمن القديمة أيضا، فحتى اليوم مازالت **(المعاليق/ الشكائم) خشبية أو معدنية تثبت في جدران البيوت معظم القبائل اليمنية القاطنة (هضبة اليمن) وجدران البيوت في(سرو حمير/يافع) تسمى هنالك ب(صلاوي) واحدها (صلوة) قارن صمت(صموة بالتصويت) في(لغة أوغاريت) والإبدال هنا بين (اللام والميم) لقرب مخرجي الصوت. والفعل(صلل) ورد في نقوش المساند اليمنية القديمة مثل(ربرتوار/٣٥٥٠) بمعنى (كسا بحجارة)**.[64]

وهذه قرائن دامغة على وحدة الثقافة واللغة والعادات والتقاليد عند قدماء العرب قاطبة. وسنفيض في الفقرة اللاحقة في تفنيد المزاعم والفرضيات التي أقامت الموانع والحواجز بين حضارات الأقوام والتجمعات الحضرية التي قامت في الشرق الأدنى سعيا لطمس القناعات بوحدة الجذور وتهميش الوعي بتاريخنا العربي التليد بغرض ترسيخ (قطيعة معرفية) تفصلنا كعرب اليوم بماضينا العتيق.

وتنسجم هذه الرؤية المعاصرة والخارقة لطبقات التاريخ مع مرويات الإخباريين واللغويين العرب الذين أكدوا فضيلة اللغة العربية ووحدة كيانها، وأقدميتها في اللغات العالمية عموما، والمنتمية إلى حضارات الشرق الأدنى على وجه الخصوص... ويأتي **(رأي ابن قتيبة)** في طليعة الآراء وأجلها شأنا

عند (أبي حاتم الرازي) صاحب(كتاب الزينة) حيث يقدمها لنا على هذا النحو:

- **تعلم إسماعيل العربية من اليمن–رأي ابن قتيبة:**

قال عدة من العلماء أحدهم عبد الله بن مسلم بن قتيبة(واللفظ له):

تعلم إسماعيل العربية من اليمن من ولد يعرب بن قحطان. وكان يعرب أول من تكلم بالعربية حين تبلبلت الألسن ببابل، وسار حتى نزل اليمن في ولده ومن اتبعه من أهل بيته. ثم نطق بعده عاد بلسانه، وشخص حتى نزل الشحر، ثم جديس ثم عمليق ثم طسم ثم جرهم. قال: وحدثني أبو حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال: تسع قبائل قديمة، طسم وجديس وجهينة وحجم(بالحاء والجيم) والخثعم والعماليق وقحطان وجرهم وثمود فهؤلاء قدماء العرب الذين فتق الله ألسنتهم بهذا اللسان. وكانت أنبياؤهم عربا، هود وصالح وشعيب عليهما السلام. قال وهب بن منبه: هود أخو اليمن في التوراة. فلما وقعت العصبية بين العرب وفخرت ربيعة ومضر بأبيها إسماعيل ادعت اليمن هودا ليكون لها والد من الأنبياء، قال: ولما بوأ الله لإسماعيل الحرم وهو طفل، وانبط له زمزم مرت به رفقة من جرهم، فرأوا ما لم يكونوا يعهدونه، وأخبرتهم هاجر بنسب الصبي وحاله، وما أمر الله عز وجل أباه فيه وفيها، فتبركوا بالمكان فنزلوه وضموا إليهم إسماعيل فنشأ معهم، وتبع ولدانهم، ثم أنكحوه، فتكلم بلسانهم؛ فقيل : نطق بالعربية أي بلسان العرب. [٦٥]

وقد أنكر(أبو حاتم الرازي) رواية ابن سلام التي تذهب إلى أن إسماعيل أول من نطق بالعربية:

وهذا الذي رواه محمد بن سلام عن محمد بن علي عليه السلام أن إسماعيل أول من تكلم بالعربية ونسي لسان أبيه، خلاف ما رواه بن قتيبة أن يعرب بن قحطان أول من تكلم العربية– وهو أولى بالصدق والصحة منه–. [٦٦]

وقد ذهب بعض أهل الاختصاص قديما وحديثا زاعمين أن الشعر لم يعرف لدى قدماء العرب في غابر عهودهم وأن صناعته أمر يتعلق فقط بالبيئة التي ينتمي إليها الشعر الجاهلي الشهير بمعلقاته وفحولها الذين أناروا (ديوان العرب) إثر الإرهاصات الأولى للشعر العربي الذي:

لاح أول ما لاح على لسان المهلل، فالجليلة، ثم استوى مشرقا على لسان أمرئ القيس، وترنم به أوس بن حجر، وعلقمة، وعمرو، والحارث وعبيد وزهير وعنترة وحاتم وغيرهم، فكان من رجاله أصحاب معلقات، ومراث، وملحمات، كما كان منه أصحاب نتف وأبيات. [٦٧]

ولمثل هذا القول ذهب(ابن سلام) في روايته التي نقلها لنا صاحب(كتاب الزينة) :

قال: ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته، وإنما قصدت

القصائد، وطول الشعر على عهد عبد المطلب أو على عهد هاشم بن عبد مناف. وهذا دليل على إسقاط ما روي من الشعر القديم لعاد وثمود وتبع وحمير. [٦٨]

وعلى هذا المنوال نسج أساطين الأدب العربي الحديث رؤآهم عن الآثار الأدبية لقدماء العرب وأنكروا أن يكون لهم نصيب منها، واستكثر عميد الأدب العربي (د/طه حسين) على اليمن سبك الشعر في العهود التي تولت قبل مبعث النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) :

لقد ظل ولفترة قريبة احتمال وجود أي نوع من الأدب لقدماء اليمنيين مستحيلا عند كثير من العلماء، وقد تفاقمت الجرأة عند البعض لأن يرفض رفضا باتا وجود شيء اسمه أدب جاهلي للعرب بشكل عام. [٦٩]

غير أن نقوش المساند اليمنية القديمة المنبوشة من خرائب اليمن العادية قدمت الدليل القاطع على بطلان القول بعدم وجود آثار أدبية عند قدماء اليمنيين، فقد تكللت جهود علماء الآثار اليمنيين بالنجاح عام(١٩٧٧) حيث تمكن الدكتور(يوسف محمد عبد الله) من كشف نقش مسندي عجيب في:

وادي قانية بناحية السوادية، حوالي/٢٥٠ كم جنوب شرق صنعاء على سفح مثل السوادي على جبل عال يسمى(فحمان)، في سفح هذا الجبل تقع ضاحية هذه المنطقة (الجذمة) ومن خلال المعطيات الآثارية نجد لها تاريخ حضاري كبير، فهناك أقامت آل معاهر(أقيال قبائل ردمان وذي خولان) قصورهم ومعابدهم وقبورهم. وفي ذلك الموقع نشاهد صخرتين نقش عليهما كتابات ومخربشات بخط المسند ورسوم حيوانية وآدمية كصور الوعل، وهيئة شخص يحمل رمحا. واللافت للنظر أنه في خاتمة كل سطر حرفان مكرران هما(الحاء والكاف/ح ك). [٧٠]

العثور على هذا النقش أعقبته جهود مضنية من قبل عالم الآثار اليمني(د/يوسف محمد عبد الله) لغرض الإحاطة به والكشف عن غريب اللفظ فيه.. و لم تجد نفعا مراسلاته مع زملاء المهنة غير أن عودته إلى ناحية(السوادية) بدافع دراسة البيئةالمحيطة بالنقش ولهجة سكانها قد مكنته من تفسير النقش الذي يتكون من (سبعة وعشرين سطرا) هي أبيات أنشودة دينية تقرب بها صاحبها إلى (إلهة الشمس) ربة الخصب والحياة. إذا فنحن أمام نقش القصيدة الحميرية أو ترنيمة الشمس ونصها بالحرف العربي (نقل المبنى) :

نشترن/ خير/ كمهد/ هقحك

بصيد/ خنون/ مأتم/ نسحك

وقرنو/ شعب/ ذقسد/ قسحك
ولب/ علهن/ ذيحر/ فقحك
وعيلت/ أأدب/ صلع/ فذحك
وعين/ مشقر/ هنبجر/ وصحك
ومن/ ضرم/ وتدأ/ هسلحك
ومهسع/ نحن/ أحجي/ كشحك
ونوي/ تفض/ ذكن/ ربحك
وصرف/ ألغذ/ دأم/ ذو ضحك
وجهنللت/ هنصنق/ فتحك
وذي/ تصخب/ هعسمك/ برحك
وين/ مزر/ كن/ كشقحك
ورسل/ لثم/ ورم/ فسحك
وسن/ صحح/ دأم/ هصححك
وكل/ يرس/ عرب/ فشحك
وكل/ أخوت/ ذقسد/ هبصحك
اليت/ شظم/ دأم/ تصبحك
وكل/ عدو/ عبرن/ نوحك
وكل/ هنحظي/ أملك/ ربحك
وأك/ ذتعكد/ أرأ/ كفقحك
ومن/ شعيب/ عرأن/ هلجحك
وجب/ يذكر/ كلن/ ميحك
حمدن/ خير/ عسيك/ توحك
هنشمك/ هندأم/ وأك/ صلحك
هردأكن/شمس/ وأك/ تنضحك
تبهل/ عد/ أيسي/ مشحك. [٧١]

وفيما يلي (معنى النقش) وفقاً لقراءة(د/يوسف محمد عبد الله):

نستجير بك يا خير فكل ما يحدث هو مما صنعت
بموسم صيد (خِنوان) مائة أضحية سفحتِ
ورأس قبيلة (ذي قسد) رفعت
وصدر علهان ذي يحير شرحت
والفقراء في المآدب خبزاً أطعمت
والعين من أعلى الوادي أجريت
وفي الحرب والشدة قويت
ومن يحكم بالباطل محقت
وغدير(تفيض) لما نقص زيدت
ولبان(العز) دائماً ما بيّضت
وسحر اللات إن اشتد ظلامه بلجت
ومن يجأر ذاكراً نعمك رزقت
والكروم صار خمراً لما أن سطعت .
وللإبل المراعي الوافرة وسعت
والشرع القويم صحيحاً أبقيت
وكل من يحفظ العهد أسعدت
وكل أحلاف ذي قسد أبرمت
والليالي الغدر بالإصباح جليت
وكل من اعتدى علينا أهلكت
وكل من يطلب الحظ مالاً كسبت
ورضي من تعثر حظه بما قسمت
وفي (الشعيب) الخصب أزجيت
وبئر(يذكر) حتى الجمام ملأت
الحمد يا خير على نعمالك التي قدرت
وعدك الذي وعدت به أصلحت
اعنتنا يا شمس إن أنت امطرت

نتضرع إليك فحق بالناس ضحيت. [٧٢]

لقد أشرقت (بقصيدة النقش الحميرية) وجوه أولئك العلماء الذين ظلوا يعتقدون بوجود ألـــوان أدبية عديدة عند قدماء اليمنيين ومنها نظم الشعر خاصة عند ملوك حمير وأقيالها وأذوائها كما أكـــدت ذلك مرويات (وهب بن منبه) و(عبيد بن الشريه) المعروفة وكتابات لسان اليمن(الهمداني) التي ذكـرت بإلحاح شعراء حميريين بعضهم لم تصلنا من آثارهم باقية ومازالت أسمائهم حتى اليوم يصعب التحقـــق منه نحو:

أبو العلاء الحيفاني الشاعر، صاحب الأشعار الحميرية، وله افتخارات حسنة. [٧٣]

نعم فقد قطعت قصيدة النقش المسندية الحميرية (قول كل خطيب) خاصة وقد ظـــهرت لتعـــزز بارقة الأمل الذي أحدثها النقش المسندي الذي نشره المؤرخ اليمني(زيد عنان) في كتابـــه: (حضـــارة اليمن القديم)، الذي تعذرت قراءته لغرابته واضطراب نصه حتى:

حاول(بافقيه وروبان) إعادة تركيبه استناداً إلى نسخة (زيد عنان) على أساس أنـــه أنشـــودة دينية واقترحا تقسيماً محتملاً لمقاطع النقش وقافية لأواخر الكلمات التي أعتبرت روياً. [٧٤]

وقد تمخضت جهود هذين الباحثين (بافقيه وروبان) عن قراءة جزئية للنص هي:

وكل الأعداء أذل وأرعب

قوتك أيها المولى تنال

كل الذي من علي وسفل

أعن مَن مِن العطش هزل

المقه ذا بسكر ادفع

تحتك جيوش تخضع. [٧٥]

وهب عالم الآثار اليمني(د/يوسف محمد عبد الله) فأدخل تحسينات على قراءة (بافقيه وروبـــــان) منطلقاً من إعادة قراءة ثلاثة مقاطع هي:

همسك مرأن بلل

كل ذ على وسفل

هرد أذ ملوب رزح [٧٦]

هذه الثلاثة مقاطع تظهر في قراءة (بافقيه وروبان) :

قوتك أيها المولى تنال

كل الذي من علا وسفل

أعن مَن مِن العطش هزل وسفل [77]

في حين كانت قراءة (د/يوسف) لهذه الثلاثة مقاطع:

أمسكت يا مولانا البلل

في كل ما علا وسفل

أعن مَن مِن العطش هزل [78]

ويعلق(د/يوسف) الذي قيض له فيما بعد العثور على نقش القصيدة الحميرية ذاكراً الدلالة التي أحدثها(نقش عنان):

أجل قد يكون النص أنشودة دينية على طريقة أناشيد بابل وتراتيلها إلى الآلهة، كمثل تلك التي نشرها(زمرن) في (ليبزج) بين عام ١٩٠٥ و١٩١١ بعنوان :

(أناشيد بابل الدينية وأدعيتها). [79]

وهكذا فالعربية الجنوبية صاحبة الخط المسند المعروفة لدى الإخباريين الحميرية تجود علينا بقصيدة حميرية لا تقل أهمية عن نشيد (**أخناتون المصري**)- مع الاحتفاظ بالفارق- وتدلي بشهادة لصالح وحدة الوشائج والروابط العضوية بين مجموعة اللغات السامية وتسقط في ذات الوقت (**التصنيف الجغرافي**) للغات السامية المصطلح عليه اليوم عند علماء الألسنيات. فلاشك أن الشعيرة والتعويذة والنشيد والإبتهالات المسجوعة عند البابليين لها ما يضارعها عند قدماء اليمنيين، وأن الشعر العربي لم يكن ظاهرة تتعلق بالبيداء العربية وفيها كانت ولادته التي يعزوها البعض إلى النصف الثاني من القرن السادس الميلادي. كلا (**فالقصيدة الحميرية**) تبرهن على إنتماء الشعر العربي إلى عصور تاريخية أقدم بكثير من إرهاصات الشعر الجاهلي إلى عهود غابرة من تاريخ اليمن العتيق التي نعقد على مطمور آثارها كبير من الأمل في أن تجود علينا بالمزيد من النقوش التي تضرب على وتيرة نقش القصيدة الحميرية حتى تتعزز قناعتنا بضرورة إعادة الإعتبار لماضي أسلافنا والإحاطة بوقائع تاريخنا بشكل ألصق بها وأبعد عن التخريجات المتعسفة المفروضة على وعينا من خارجه.

إعادة الاعتبار للتاريخ

إذا كنا في الفقرة السابقة قد ذهبنا في اتجاه تصويب المفاهيم القائمة عن التاريخ العتيـــق لمنطقـــة الشرق الأدنى والشعوب الناطقة بالسامية التي لا تحتمل منهجية (التصنيف الجغرافي) إلى ثلاثة أقســـام والمتّبعة عند علماء الألسنيات اليوم فما بين هذه اللهجات العربية(السامية) القديمة أكبر مـــن وشـــائج القربى بين عائلة لغوية واحدة أو تنتمي إلى أصل واحد. فالواضح أن تلك التركيبة اللغويـــة العجيبـــة المعروفة (بالسامية) لم تنشأ من طينة واحدة هي (العربية الأولى) على شكل لهجات أخذت تميل علـــى مدارج الزمن إلى الاستقلالية التي تمخضت عنها مجموعة اللغات السامية وأنها استمرت لبعض الوقـــت حيّة (محكية) ثم اختفت من خارطة اللغات الحية بعد أجل مـــا لتبقـــى منـــها(العربيـــة الفصحـــى) والسريانية(على نحو محدود)، فهذه تعليلات يحسن اللجوء إليها ،علم الألسنيات) الذي يعجـــز عـــن تفسير ظاهرة تشكل نصف مفردات معجم أحد اللغات الأوروبية الشهيرة وهي(اليونانية) مـــن اللغـــة السامية وبالتحديد من:

(القبطية ــ المصرية القديمة ــ واللغات السامية).[٨٠]

وفقاً لكشوف العالم الأمريكي المعاصر البروفيسور/ مارتن بيرنال Martin Bernal أســـتاذ الشؤون الحكومية بجامعة كورنيل الأمريكية/ Cornell University.

ترى كيف تسنى لواحدة من أشهر اللغات الحية الأوروبية(اليونانية/Greek) وهي لغة الفلســـفة والأدب والفنون والعلوم التي يشمخ بها الجنس (الآري) كيف حصل في غفلة من التاريخ أن تقـــترض اليونانية- اللغة العضو في عائلة اللغات المعروفة لدى علم الألسنيات ب(الهندو أوروبية)- من أم اللغات السامية (العربية) ومن أختها القبطية القديمة نصف مفرداتها؟؟!

الإجابة نعرفها من الجهود البحثية للبروفيسور اليهودي الأصل(مارتن بيرنال) فما هي قصته ؟

في العام ١٩٧٠ للميلاد أجبرت أزمة عائلية الأستاذ بيرنال أن يغادر وهو في شـــرخ شـــبابه وطنه باحثاً في الغربة عن جذوره اليهودية الناجعة والنائية.

وقد جنحت به دراسته للآثار واللغة (العبرانية) إلى اليونان ومن ثم إلى مصر... حيث أسفرت

دراسته عن طبع المجلد الأول– ضمن مشروع أربعة مجلدات– في عـــام ١٩٨٧ للميـــلاد تحـت عنوان: (أثينا السوداء)

وكان الكتاب الفائز بميدالية الكتاب الأمريكي لعام ١٩٩٠ للميـــلاد. وفي هــذا الكتــاب يكشف (البروفيسور/بيرنال) الأستاذ العارف بعدة لغات منها:

اليونانية/ العبرية/ القبطية/ الصينية/ الفرنسية/ الألمانية/ اليابانية/ الفيتنامية.

عن حقيقة الينبوع الذي اشتقت منه الشعوب(الأيجية) عماد ثقافتها وأسس حضارتها اليونانيـة العظيمة.

حيث يحاجج (بيرنال) متسلحاً بجملة من الشواهد اللغوية والكشوف الآثاريـــة إلى الوثـائق العتيقة أن ما بين الفترة ٢١٠٠–١١٠٠ قبل الميلاد التي ولدت فيها الحضارة اليونانيـــة كـانت الشعوب الأيجية تغترف وتحور... أو تقحم نفسها (باللاهوت) واللغة والفنون المعمارية والهندسـية وقيم العدل ونظم المدن المسورة. فمن أي معين كان لهم كل هذا ؟

يقول بيرنال:

(لقد وفد إليهم كل هذا من المصريين والفينيقيين الكناعنة....).[٨١]

نعم فقد كتب اليونان أن بشائر التطور الفكري عندهم ظهرت حوالي ١٥٠٠ قبل الميـــلاد، عندما أقدم قدماء المصريين والفينيقيين على استعمار وتمدين السكان الأيجيــين. وتقــول نصــوص أخرى أن المصريين هم الذين أسسوا (أثينا) حيث كتب (هيرودوتس) أن أسماء جميع آلهة اليونــان تقريباً قد أتت إليها من مصر.

كما تخبرنا الأساطير الإغريقية أن الفاتحين (المصريين) و(الفينيقيين) قد حكموا كل اليونــان أو أجزاء كبيرة منها حتى القرن الرابع عشر قبل الميلاد. وتتحدث وثائق أخرى عن عملية(التبـــني) في القرن الخامسة قبل الميلاد للطقوس والشعائر الدينية المصرية وكذا أسماء الآلهة فيما يشبه العـودة إلى (تعاليم الدين الأصولية القديمة). كما دون المؤرخون اليونانيون أن واضعي القوانين والنظم العظماء أمثال (ليكورغس/**Lykourgos**) قد تعلموا في مصر وأحضروا معهم عند عودتهـــم الأســـس التشريعية والسياسية لآداب الغرب وأخلاقه.[٨٢]

لم يكن (بيرنال) أول من أحاط بالأصول (السامحامية) للحضارة الأوروبية... فقد كان من قبلـه المفكرون الأوروبيون يعلمون الحقيقة غير أنهـم آثـروا إخفـاء معرفتـهم هــذه تلبيــة لشــيء في نفس(يعقوب)... وهم زيادة على ذلك لم يكتفوا في القرن الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد بإهمـــال

الوقائع التاريخية التي كشف عنها صاحب كتاب (أثينا السوداء) بل عمدوا إلى:

اجتثاث مصر وكنعان من عائلة الحضارة الغربية بداية من القرن الثامن عشر للميلاد. [٨٣]

فما الذي حدى بهم إلى ارتكاب مثل هذه العملية القيصرية ؟

يجيب بيرنال:

(لأنهم لم يتقبلوا الفكرة التي تجعل من [يونان....هم] المتيمن حباً بها منجسة بالمؤثرات السامحامية الأمر الذي دفعهم إلى نبذ تلك المؤثرات– واعتبار ما ورد في تاريخ اليونانيين الذي سجلوه بأنفسهم– مجرد أساطير خرافية عن أثر التقنية والفلسفة والنظرية السياسية المصرية الكنعانية في تشكيل معالم الحضارة الأيجية). [٨٤]

بعد هذا البتر المتعمد للغرب عن الشرق عمد الكلاسيكيون إلى تقديم مسخ أفكارهم كنموذج بديل حددوه اصطلاحاً ب(**النموذج الآري**) الواقف على رجل واحدة الذي يذهب إلى أن:

بشائر الحضارة الإغريقية قد بدأت مع اجتياح قبائل(الهندو أوروبية/ I ndo European) البيضاء القادمة من الشمال فيما بين الألف الرابعة والثالثة قبل الميلاد مكتسحة لمواطني ما قبل العصر الهيليني(pre.Hellenes). [٨٥]

لهذا السبب فإن معظم الباحثين يرون في أكاديميي القرن التاسع عشر للميلاد عنصريين وأعداء للسامية وفقاً لتعبير(جرجوري كران/Gregory Crane)أستاذ الدراسات الكلاسيكية بجامعة هارفارد . [٨٦]

إذن فالدوائر البحثية الأوروبية هي المسئولة منذ القرن الثامن عشر للميلاد على ترسيخ الحواجز المانعة لإقامة رؤية معرفية لتاريخ شعوب حوض المتوسط وشبه جزيرة العرب تكون أكثر انسجاماً مع الوقائع التاريخية التي لم يستنكف عن ذكرها المؤرخون الإغريق وأسقطها المفكرون الأوروبيون من حسابهم الذي كان يؤسس لقطيعة أبيستمولوجية (معرفية) مع التاريخ القديم ويؤسس للنموذج (الآري) المبني على تأسيس هذه القطيعة المعرفية في الأصل.

والواقع أن أسلوب (البتر المعرفي) هذا الذي انتهجه مفكرو القرن الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد في أوروبا المتقدمة عن الشرق المتخلف كان ضرورة يقتضيها النموذج (الآري) الذي يبدأ (**أولاً**) بمحو ذاكرة (**اثينا**) الحالمة من أي ذكرى لها مع الحبيب السامي الدافئ(**كنعان/مصر**) (**وثانياً**) تهيئتها لمطارحة الغرام مع رجل (**الثلج الآري**) لأن أي تنازل منهم عن (احتثاث مصر وكنعان بمهارة عن شجرة العائلة الحضارة الغربية) كان سيؤدي في النهاية إلى (إعادة الاعتبار للتاريخ) أو:

(إعادة عقلنة الماضي الأمر الذي يمدنا بمشروعية دراسة التاريخ وهو عين ما كان في نظر المؤرخين الأوائل شاذاً عن مجرى الأحداث وشواهدها). [87]

لقد انطلى هذه المشروع على الفكر الغربي بحيث أضحى على بعض مفكري اليوم في أوروبا أن يصرفوا أسنانهم غيظاً مما ذهب إليه بيرنال:

إن المفردة(التسمية) اليونانية (أثينا) اشتقت من المصرية القبطية. [88]

في حين يدركون إلى مدى كان الحضور العربي في الميثولوجيا الإغريقية:

ومن ذلك أن(أرابيوس/أي العربي) كان والد (كسيوبيا/Kassiopeia) زوجة ملك الحبشة. وفي مؤلف (المكتبة) الذي يعتبر مشابهاً (لسفر التكوين) من العهد القديم، أو(سفر التكوين) للديانة الإغريقية، والمنسوب (لأبولودوروس) هناك إشارة إلى أن العربية Arabia أي (جزيرة العرب) كانت زوجة مصر، أي Aigyptos ، وإلى إقامة الأخيرة في هذا الإقليم.

كما أن الجغرافي (سترابون/Strabon/ ٦٤-٢٠ ق.م) نقل في مؤلفه المسمى(الجغرافيا) علمه بأن عرباً اصطحبوا (قدمس) الفينيقي في رحلته إلى بلاد الإغريق بحثاً عن أخته(أوروبا) وهو الاسم الفينيقي للقارة الأوروبية والذي يعني(غرب) التي اختطفها زيوس كبير آلهة الإغريق. [89]

نعم فقد فضل رجال الفكر الأوروبي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد التعامل لا مع وقائع الميثولوجيا الإغريقية فحسب، بل ومع ما قطع به مؤرخو اليونان بشأن جذور الإغريق على أنه ضرباً من الفنتازيا الأسطورية والشطحات الخرافية اليونانية المتأثرة بالشرق الأدنى ليس إلاّ. فعلى نفس المنوال الذي به رفضت أقوال المؤرخين الإغريق عن مسألة تمدين العالم (الأيجي) من قبل المصريين والفينيقيين أهمل رجال الفكر الأوروبي الحديث النظر في قول كبير المؤرخين اليونان(هيرودتس) :

إن هؤلاء الناس واستناداً إلى روايتهم لنفسها (الفينيقيون) قطنوا في القديم على البحر الأحمر وبعبورهم من ذلك المكان، استقروا على ساحل البحر في سوريا حيث مازالوا يقيمون. [90]

أليست (الجزيرة العربية) زوجة مصر الذي يترل بعض نواحيها- وفقاً للميثولوجيا اليونانية- هي نفسها موطن القوم الذين سماهم الإغريق ب(الفينيقيون) وهم نفسهم الكناعنة (أصحاب سفت كنعن نوراتيا) وهم في نفس الوقت بعض الأراميين القادمين مع موجة الهجرة الأمورية من جزيرة العرب نحو الشمال... هولاء الذين نقل أو اقترض عنهم الإغريق القدماء نصف مفردات المعجم اللغوي اليوناني وعن قدماء المصريين أيضاً وفقاً لمعطيات الأبحاث اللغوية التي توصل إليها صاحب كتاب(أثينا السوداء). ألا تتطابق هذه المعطيات مع آثار الماضي البعيد وشواهد الحاضر الذي نعيشه... أما

اليونانيون القدماء في آثارهم الأسطورية فقد ذكروا عن (قدمس) الفينيقي- الذي ذكره المؤرخ سترابون- أنه بعد أن حطّ عصا الترحال على تراب الأرخبيل اليوناني أخذ :

(يعلم اليونانيين الأبجدية). [٩١]

لقد برهنا فيما سبق أن الأبجدية الفينيقية ذات الثمانية أحرف ليست إلاّ وجه آخر من وجوه العربية الجنوبية ذات الخط المسند وأن حروفها الثمانية تضارع قريناتها في الأبجدية المسندية التي أخذت منها الشعوب الأوروبية أبجدياتها كما ذهب إلى هذا المستشرق البريطاني (عبد الله فليبي) في شهادته الآنفة الذكر. أي أن الأبجدية الحميرية المسندية التي كشفت عن نفسها للمستشرق البريطاني (عبد الله فليبي) في الموقع الأثري المجاور لشبوة عاصمة حضرموت القديمة الشهير ب(تل العقلة/ أنودم في النقوش) :

حيث وقع صدفة على مجموعة كبيرة من النقوش هي أهم مجموعة من النقوش الحضرمية القديمة تصل إلينا حتى اليوم. [٩٢]

فدراسته لخط هذه النقوش جعلته يجزم بأن أصحاب الأبجدية المسندية هم :

الشعب الذي اخترع الأحرف التي تستخدمونها(أي الأوروبيين) اليوم والتي ترتكز عليها حضارتكم. [٩٣]

ولعل أكثر الشعوب انتفاعاً بالأبجدية (الحميرية = الفينيقية) هم الإغريق الذين أخذوها من(قدمس) العربي الفينيقي الحميري كما تقول الأسطورة.

- **قدمس اليماني:-**

(قدمس/باليونانية) هو(قدم) بدون لاحقة التصريف اليونانية (س)، و(ذو يقدم) هو أحد ملوك حمير الجوّابة ينحدر كما يقول الإخباريين العرب إلى (الهميسع بن حمير) وقد ورد نسبه عند (الهمداني) على هذا النحو:

(ذو يقدم) بن الصوار ابن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير. [٩٤]

وفي(ذو يقدم) ينقل لنا(الهمداني) :

(آل الصوار) وفيهم الملك والسياسة والرياسة:

فاولد الصوار بن عبد شمس (ذا يقدم) مثل يعمر ويخففه بعض العرب فيقول: (قدم) معدول من (يقدم) و(قادم) كما(عمر) معدول من عامر ويعمر. قال عبد المطل بأو غيره:

قلت والأسود تردى خيله **يابن مصفود غدرتم بالحرم**
رامه تبع في من جندت **حمير والحي من آل قدم** [٩٥]

إذن فـ(قدمس) المعلم الأسطوري للإغريق ليس إلاّ واحد من قادة الملك الحميري(ذي يقـــدم) أو واحد من سلالة (ذي يقدم/آل قدم) وصل إلى اليونان في طليعة جيش:

(**الفاتحين المصريين والفينيقيين....**)[٩٦] وأظهر لهم أي للسكان الأيجيين من العلوم والفنـــون مـــا أبهرهم وبالذات (**أبجدية المسند**) وبعد موته تحول إلى شخصية أسطورية قدمـــت إلى بـــلاد الإغريـــق بصحبة عصبة من العرب بحثاً عن أخته(أوروبا) المخطوفة من قبل (زيوس) كبير آلهة اليونان الذي أنجب ربة الحكمة (ميرفا/الشهيرة بأثينا). هكذا دخل رائد الحرف العربي القديم(قدمـــس/ذو يقـــدم) بيـــت الأساطير اليونانية وفي يمناه يرعف القلم بأبجدية المسند المتألقة. وغدت مزاراً:

أجمة البطل المؤلة(أكاديموس/Akademos)، في واحد من أحياء (أثينا) حيث كان أفلاطون وحواريوه يجتمعون في القرن الرابـــع قبـــل الميـــلاد ليتذاكـــروا منـــهج ســـقراط، أو المحـــاورة السقراطية(......).[٩٧]

ومن تسمية بطل التسطير(قدمس = أقاديموس/أكاديموس)- بالتصويت- تنفست أبلغ الكلمـــات دلالة عن التحصيل المعرفي في عا لم اليوم وهي:

(أكاديمية/Academe) إذ الواقع أن هذه الكلمة المشتقة عن أصل يوناني، كان يقصد بهـــا في البداية أجمة البطل المؤلة(أكاديموس/Akademos). [٩٨]

وفي إطار الدراسات والتاريخ التوراتي يرى أهل الاختصاص الفضل في تسمية **الأسفار التوراتيـــة** المعتمدة ب(**القانونية**) للغة (**اليونانية**) وفي ذلك يغمطون اللغة العربية حقها وهي صاحبة الفضـــل في المقام الأول، فهذا (**وليام هاللو**) أستاذ الأدب الأشوري والبابلي في جامعة(ييل) الأمريكيـــة يعـــرض لأصل كلمة (قانون) وهو يمهد لتوسيع مفهومها بحيث تشمل (الكتابات العبريـــة والمســـمارية ســـواء بسواء):

إن هذا المفهوم يتفق مع المعنى الأصلي للكلمة التي نديـــن بهـــا(مـــرة أخـــرى) لليونـــانيين، فكلمة(Kanon) اليونانية(التي تعني أصلاً [عصا] أو قضيب ومـــن ثم قـــاعدة) تـــرددت بـــين المفردات الرفيعة لمراجع مكتبة الإسكندرية الكبرى ومتحفها، واللذين أنشئا قبل الحقبة المســـيحية بحوالي ثلاثمائة عام. [٩٩]

هكذا فالفضل يكال لغير ذي الفضل فإن ثمة من فضل لقدماء الإغريق في هـــذا الســـياق فـــهو

يتلخص في اقتباسهم هذه الكلمة (قانون) في مبناها ومعناها من اللغة العربية ففي معاجم العربية تحت مادة(قنا/قنن) من المعاني ما يضيق الباحث في سرده ومما ورد في (لسان العرب) :

القناة: الرمح،... وقيل: كل عصا مستوية فهي قناة.

التهذيب: أبو بكر وكل خشبة عند العرب قناة وعصا. [١٠٠]

قون: ابن الإعرابي : القونة القطعة من الحديد أو الصفر يرقع بها الإناء.

قين: القين الحداد، وقيل كل صانع قين، والجمع أقيان وقيون. [١٠١]

وهكذا فاللفظ والمعنى واحد في (لغة العرب) و(لغة الإغريق) وإذا كان المستشرق (هاللو) قد ذكر (مكتبة الإسكندرية) وتردد المفردة هذه فيها للدلالة على أصالتها عند اليونان فإننا ندل هذا الباحث على أحد الأسفار التوراتية لنقرأ فيه جميعاً:

حُرّان وكِنّه(قنا) وعدن تجار شَبَا وأشور وكلمِد تجارك. [سفر حزقيال/٢٧/٢٣]

ناهيك عن (**حُرّان**) العربية الشمالية وميناء(**عدن**) الجنوبي ذات الشهرة الدولية فإن (**قنا**) كانت ميناء حضرموت القديمة وقد ذكرها صاحب الطواف حول البحر الأحمر الشهير ب(**البريبلوس**)- العائد إلى مطلع القرن الثالث للميلاد حسب أحدث التقديرات- حيث يصفها:

بأنها مدينة تجارية على الساحل تابعة لأليازوس(العذيلط) ملك بلاد اللبان. [١٠٢]

وذكرت مدينة(قنا) في نقوش المساند اليمنية القديمة منها (هاملتون/٨) و(جام/٦٤٠) العائدة إلى عهد الملك الحضرمي (العذيلط بن يدع) المعاصر للملك السبئي (شعرم أوتر بن علهان نهفان). [١٠٣]

وهكذا فأي تجنيات في الأحكام التاريخية التي تطلق على تاريخ منطقة(الشرق الأدنى).. إنما يعود في الأصل إلى الأسلوب الذي اتبعه علماء القرن(١٨-١٩) للميلاد القائم على تخليص (اليونان) من جلدها السامي تماماً كما تخلص الأفعى من خلضيتها(جلدها), ولعل بعض الأسى يمكن أن نجده لتاريخنا المخطوف! في أقوال بعض الغربيين الذين يتكرمون برد أبي الهول إلى أنفه في حين أن الفضيلة تكمن في العكس وعلى هذا المنوال يقول(هاللو) :

فالشرق الأدنى ينتمي إلى التراث الغربي، بل أنه يمثل السلف القديم لذلك التراث، ومع هذا فباستثناء الكتاب المقدس، يحذف الشرق الأدنى بطريقة آلية من أي عمليات مسح دراسي للحضارة الغربية، أو في أحسن الأحوال، يمر عليه مروراً عابراً متعجلاً في الصفحات الأولى لأية دراسة شاملة... [١٠٤]

فهكذا يعمد الغرب إلى ضم الكتاب المقدس فقط إلى تراثه وأحسب أنه لا يكتفي بنبذ التراث العربي/بالعين المهملة/ عن التراث الغربي بل ويمعن أيضاً في تجزئة الشرق الأدنى كما لاحظنا في قضية مجموعة (اللغات السامية) المقسمة إلى ثلاث مجموعات فهم يصنفون على سبيل المثال (**اللغة الأكدية**) في القسم الشرقي، **والعبرانية** في القسم الغربي بينما يضعون العربية في القسم الجنوبي من التفرعات السامية.. وقد تعرضنا في الدراسة هذه إلى تهافت هذا التصنيف ويكفي الإشارة هنا لقول المستشرق (**هاللو**) في الثلاث اللغات الأكدية/ العبرية/ العربية:

اللغة الأكدية وهي لغة وثيقة الصلة باللغتين العربية والعبرية. [١٠٥]

وإذا كانت معالم الحضارة الإغريقية قد أسست وفقاً لأطروحات (بيرنال) على أيدي فيالق التمدين والاستعمار المصري الفينيقي... وعلى اعتبار أن الكناعنة الفينيقيين عرب من غرب شبه الجزيرة العربية وفقاً لروايات المؤرخين الإغريق وأثبتنا- فيما سلف- أن لغتهم لهجة عربية ذات أبجدية مكونة من ثمانية أحرف لها ما يناظرها تماماً في لغة المساند الحميرية التي علمها الرحالة أو الفاتح اليمني الحميري(**ذو يقدم**) من سلالة ملوك حمير.- حيث يرتقي في نسبه إلى الهميسع بن حمير- (علمها) لليونانيين القدماء بحيث عرف عندهم بالصيغة الإغريقية (**يقديموس/يكديموس = أكاديموس**) وقد خلده قدماء اليونان بجعله في مصاف البشر الآلهة. كل هذه المعطيات تحفزنا إلى الإلماع هنا إلى ضرب من المؤثرات اليمنية الحميرية في التراث الملحمي الإغريقي وعلى وجه التحديد في ثاني ملاحم شاعر الإغريق الضرير(**هوميروس**) ونقصد بها (**الأوذيسة**):

التي تصف لنا وصفاً رائعاً جذاباً عادات الإغريق في تلك الأيام، وتتناول طرق عيشهم، وآداب سلوكهم وتعاملهم في أيام سلمهم، كما وصفت(الألياذة) حالة الإغريق هؤلاء في أيام حربهم وقتالهم. [١٠٦]

• لمن لحمة الصلب في ولائم إسبارطة وسرو حمير أيافع؟!

جرت العادة في مرتفعات (**يافع**) وهي: **البلدة الواقعة في الشمال الشرقي من(عدن) في المنطقة المعروفة ب(سرو حمير)** [١٠٧] على إيثار عرفاء الناس وكرام الضيوف في الولائم ب(**لحمة الصلب**) إذا كانت الذبيحة بدينة أي سمينة وهي لهذا السبب تُعرف لدى القبائل اليافعية ب(**المخصَّة**) لأنها مخصوصة ومقصورة على شيوخ القوم ومقادمتهم(**الأذواء والأقيال/ تاريخياً**) في الولائم العامة ويؤثر بها أهل الرأي وكبير العائلة...الخ. في المآدب الخاصة... ويبدو أن هذه السابلة(التقليد) قد عرفت طريقها إلى بلاد الإغريق عندما حكم تلكم البلاد الحميريون حتى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد، في إطار الصيغة

التي نقلها لنا مؤرخهم باسم (**الكناعنة/ الفينيقيين والمصريين**) ونبهنا إليها البروفيسور (**مارتن بيرنال**)... فقد ترددت نفس هذه العادة في مقاطع من (**الأوذيسة**)، فعندما آنس(**هانيلا**) ملك(**إسبارطة**) في ضيفه الغريبين طيب الأصل وكرم المحتد قدم لهما:

(لحم الصلب وهو ما خص به من الوليمة). [١٠٨]

ولم يكن ضيفه سوى(**تليماخ ابن أوذيس- بطل الأوذيسة**) **وصاحب فكرة حصان طروادة- ومرافقة (ابن نسطور) ملك(فيلوس)**. وعندما نزل (**أوذييس**) في هيئة شيخ يدعي معرفته بملك(**أثبالة**) الذي لم يعد إلى الديار بعد أن فتحت على يديه(**طروادة**) عندما نزل على هذا النحو(**أوذيس**) ملك(**أثبالة**) على ضيافة راعي قطعانه الشيخ (**عموس**) الذي أكرم ضيفه المتنكر حيث عمد إلى إشعال النار:

وبعد أن ألقى فيها شيئاً من شعر الخنزير تكريماً للآلهة ذبح الحيوان وهيّأ اللحم فجعله سبعة أقسام، وضع إحداها جانباً لحوريات الماء و(هرمس)- ابن(زفس) رسول الآلهة- وأعطى قسماً من الباقي لكل واحد. وأما (أوذيس) فنال أفضلها وهو لحم الصلب! [١٠٩]

أما تقسيم الذبيحة إلى (**سبعة أقسام**) الواردة في هذا النص فهي طريقة مازالت متبعة في(سرو حمير/يافع) حيث تقسم الذبيحة من الثيران إلى ستة أسداس(واحدها سديس) رئيسة والحصة السابعة هي ما فضل من الذبيحة مثل لحمة(**المذبح أو المنحع أي رقبة الذبيحة**) وبعض ما التصق بعظم الذيل جرت العادة أن تكون من نصيب (الجزار) ويأنف أن يأكل منها غيره من الشركاء في الذبيحة ممن يعدون أنفسهم في درجة أعلى من حيث الانتماء القبلي... هذه هي الحال اليوم في (يافع) ويحتمل أنه في الحقب ما (قبل الإسلام) كانت تخصص الحصة أو السهم السابع من الذبائح لإله ما نحو(**حوريات الماء وهرمس في هذا النص الإغريقي**). وتزخر (الأوذيسة) بعادات تضارع عادات يمنية نحو عادات المصارعة التي كانت مألوفة ومنتشرة في أرياف اليمن مثل لعبة (**الهام**) الخشنة التي كانت تقتضي في(سرو حمير/يافع) **أن يمارسها فريقين يتبارزان برجز الشعر لينتهي بهم المطاف إلى الالتحام في معركة حقيقية يمارس فيها العنف وفنون المصارعة بكل حيلها وخشية من تحول هذه اللعبة إلى حمام دم فإن المشتركين بها كانوا يعمدون إلى التخلي عن جنابيهم (الجنبية/هي الداجر Dagger اليمنية الشهيرة) ونصالهم وطرحها بأيدي كبار السن الذين كانوا يشرفون على هذه اللعبة ويكبحون وتيرة انتقالها إلى حد الهلاك. وهنالك كانت عادة استنفار الأقران من الصبية الصغار للتعارك فيما بينهم عادة يومية تجري في القرى اليافعية.. ومثلها لعبة (مصارعة الديوك)....الخ.**

وفي (الأوذيسة) حفز (أنطينوس) شحاذاً يُعرف ب(أيروس) على منازلة (أوذيس) الـذي عـاد متنكراً في هيئة شيخ هرم إلى بيته الذي كان يئن بالخطاب لزوجته المخلصة وكانت الجائزة الموعـودة للغالب من (أنطينوس) هي ما نص عليه:

(أصغوا إليّ يا خطاب الملكة. إننا جعلنا أحشاء المعز جانباً لعشائنا، فلنقف إذاً على أن نـترك الغالب من هذين الاثنين يختار منها ما يحلو له وأن يكون له الحق بعد ذلك في أن يأكل معنـا وأن لا يجلس غيره على المائدة في مكانه). ١١٠

نعم فهذا ضرب من العادات المشتركة بين اليمن واليونان ولانشك في الالتفـات إلى القواسـم المشتركة بين اليمن واليونان يرفد طرح(بيرنال) بأدلة وشواهد إضافية لابد منها، فدراسة الآثار الحية لا تقل أهمية عن الحفريات الأثرية والدراسات اللغوية المقارنة. بل هي روافد تصب في مجرى واحد يوسـع من أرضية المؤرخ فهذا المؤرخ العربي المغربي/محمد أركون، أسـتاذ التـاريخ الإسـلامي في (جامعـة السربون) يقول:

أركز على أهمية الخيال المتخيل والأسطورة والوعي الجمـاعي كعـامل أساسـي ومحـرك في التاريخ.. بالإضافة إلى الاقتصاد والماديات. ١١١

وإذا كان (للمصريين) الفضل الأكبر في تمدين العالم الأيجي حسب أقـوال المؤرخـين الإغريـق وأطروحات(بيرنال) فإننا نود أن نلفت الانتباه إلى احتمال أن المقصود بالمصريين هؤلاء هـم أهـالي (مصر جزيرة العرب) خاصة و(مصر) في الميثولوجيا اليونانية يحتل دور زوج (شبه جزيـرة العـرب) ويحتل إقليماً فيها وهو ما سنفيض فيه في مطارحتنا التوراتية (لاحقاً) . أما إذا صدق أن المعني بـأقوال المورخين الإغريق هو (مصر النيل) فإننا نستشير المورخين الإغريق أنفسهم عن العلاقة بـين سـكان القطاع الجنوبي من(شبه جزيرة العرب) وقدماء المصريين، فنجد:

أن المصريين في جميع عصورهم كانوا يظهرون احتراماً كبيراً لذكرى ال(شمسـو-حـور) أي اتباع حور أو حورس. وروى قدماء المصريين في العصر المتأخر لبعض الرحالة من اليونـانيين أنهـم جاءوا من الشرق ومن الجنوب وأن أجدادهم الوافدين علموا المصريين الحضارة وأخضعوا البـلاد لسلطانهم. ١١٢

ويرى أهل الاختصاص أن(حورس) **قدم مع هؤلاء الفاتحين الذين شرعوا بتعليم مستوطني(دلتـا النيل) لنواميس الحضارة التي كانوا يعيشونها في بلادهم(بونت) التي ذكرت صلتها بمصر السـجلات المصرية منذ منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد، في عهد الملك(ساحورع) مـن الأسـرة الخامسـة**

حوالي(٢٥٥٠ ق.م) وتركت البعثة المصرية هذه إلى بلاد(بونت) أثار هذه الرحلة مصورة على جدران معبد (أبو صير) ولعل أبلغ أثر مصري عن تلك البلاد هو ما نقلته عنها بعثة الملكة(حتشبسوت) من الأسرة الثامنة عشرة حوالي(١٤٩٠ ق.م) ونقشت مناظرها على جدران معبد الدير البحري في (طيبة) ومناظر (الجزيه) في بعض المقابر حيث نرى بعض الأهالي يرتدون ملابسهم التقليدية، ونرى فيها شبهاً كبيراً بين الإزار الذي كان (البونتيون) القدماء يلفونه حول وسطهم وبين ذلك الإزار نفسه الذي ما زال يستخدمه حتى يومنا هذا بعض رجال القبائل في جنوبي اليمن وعلى الأخص في مناطق الساحل الجنوبي.[١١٣]

هذه الشواهد وأخرى يسوقها أهل الاختصاص تجعل الغالبية منهم يرى:

أن بلاد (بونت) هي بلاد اليمن الجنوبية.[١١٤]

ومن الآثار الاسمية التي تشير إلى (بونت) ثلاثة مواضع كبرى في اليمن هي:

I. تبنو: بونت(بالقلب) من أعظم أودية اليمن يقع في(لحج) ومأتيه من جبلة وباب ميتم وجنوبي (إب) وبعدان والشعر والعود ويمر من سفح جبل الحشا ويجتمع بأودية الجند وما إليها في رأس وادي لحج.[١١٥] يُعرف اليوم بصيغة(تُبن) غير أن الصيغة (تبنو) عُرفت في أقدم نقوش المساند اليمنية القديمة العائدة إلى عهد مكاربة سبأ كما في نقش النصر الكبير(ربرتوار/٣٩٤٥) العائد إلى القرون الأولى من الألف الأولى قبل الميلاد. كما ذكرت (تبنو) في نقوش مكاربة قتبان كما في نقش (ربرتوار/٣٥٥٠) في إطار التحالف القبلي المنضوي تحت رعاية الإله (عم/القمر) المعبود الرئيسي في دولة (قتبان).[١١٦]

II. الاحتمال الأخر يشير إلى تسمية أشهر أودية اليمن:

بنا: بإهمال التاء من (بُنت/ بدون تصوّيت)، من أشهر أودية اليمن لكثرة الغيول فيه ولخصب تربته، وهو في الجنوب الشرقي لمدينة(يريم) بمسافة ٤٥ كم.[١١٧] مآتيه كثيرة أهمها مرتفعات سرو حمير/يافع عبر وادي (حطيب) ووادي (يهر) يصب على ساحل (أبين) في المحيط الهندي.

I. البون: (بون=بونت) بإهمال التاء من(بونت) : ذكره لسان اليمن (الهمداني) في عداد حدود قبيلة(حاشد) اليمنية الأصلية وذكر عشرات القرى فيه وقد وصفه بأنه:

(من أوسع قيعان نجد اليمن...).[١١٨]

أما الإله (حور/حورس) :

لم تكن له في الأصل أية صلة بعبادة الشمس وأنه اتخذته أحد القبائل كمعبود لها على هيئة الصقر.[١١٩]

غير أن اقترانه (بالشمس) جاء من أحد نعوته التي ذكرها قدماء المصريين حيث تكشف نصوص الأهرام وصفهم (لحورس) ب(أختي-ابت-ابتي)، ومعنى أختي (أفق الشمس) وابت/ابتي تعني الشرق وكلا الكلمتين تشير إلى المشرق. [١٢٠]

وحيث أن(حورس) غريب عن اللغة المصرية ولكنه موجود في اللغة السامية وبعبارة أدق في اللغة العربية. وقد نقل(الدميري) عن ابن سيده بأن:

الحر طائر صغير أنمر أصقع قصير الذنب عظيم المنكبين والرأس وقيل أنه يضرب إلى الخضرة وهو يصيد. [١٢١]

فإن هذا الأمر يدل على أن الموطن الأول (لحورس) هو (الجزيرة العربية) لأن تسمية حورس ونعته الواردة في النصوص المصرية القديمة تؤكد ما ذهب إليه المؤرخ المصري(د/أحمد فخري) (**فمازالت كلمة(حر) مستعملة إلى الآن في كثير من جهات الجزيرة العربية وشمال أفريقيا لهذا الطير.** [١٢٢] **أما في (سرو حمير/يافع) فتطلق التسمية(وحر) (وزان قمر) على (الحدأ) والباز على السواء عندما يكون أحدهم في حالة انقضاض على فريسته.** إذاً ف(وحر=حور/بالقلب) وكذلك تبرهن العربية أن نعت(حورس) ب(ختي) يشير لا إلى المشرق- وفقاً للقبطية- بل إلى هذه الجارحة من الطير:

والخاتية: من العقبان: التي تختات، وهو صوت جناحيها وانقضاضها. [١٢٣]

هذا و لم تقتصر تأثيرات بلاد (حورس) أو(بونت) على مصر القديمة عند هذا الحد، فإلى جانب الإله(حورس) :

الذي قال المصريون بأن أصله من بلاد العرب.. هناك آلهة أخرى منها الإله(بس). [١٢٤]

والإله (بس=أوبس) هو الإله (هوبس) الذي يظهر في أقدم النقوش المساند اليمنية القديمة- منها(جام/٥٦٣) العائد إلى فترة ملوك سبأ-ثنائية تجمعه مع (عثتر) الإله الوطني لليمن القديمة:

فلعل (عثتر) يعني كوكب(الزهرة) المطير، بينما (هوبس) يعني كوكب الزهرة الجديب. [١٢٥]

هذا وقد بينّا في بحث كرسناه في كتابنا هذا أن الموطن الأول في الشرق الأدنى للإله(عثتر=عشتار=عشتروت) هو اليمن-وهذا رأي المستشرق(نيلسن).

وإذا كانت اللغة المصرية القديمة (القبطية) ذات أثر بالغ وشامل على الثقافة اليونانية واللغة الإغريقية وفقاً لأطروحات (بيرنال) الذي:

اقتفى أثر مجموعة من المفردات إلى مصدرها المصري ومنها:
سيف/ وحكمه/ وشرف/ وملك...الخ. [١٢٦]

فإن د/ عبد العزيز صالح:

يؤكد خمساً وعشرين خاصة لغوية بين العربية والمصرية القديمة، ويرصد حوالي مائة وخمسين لفظاً واحداً(مشتركاً) بين كلمات وأفعال. [١٢٧]

ولعل من أهم الكلمات التي اقترضها قدماء المصريين من (اليمن)-بلاد البخور والطيب- هي تسمية (النار):

النار عند قدماء المصريين(أخ) أو (هوت). [١٢٨]

ففي (**سرو حمير/يافع**) مازالت صيغة (**هوت**) تستخدم في الإشارة إلى (فعل) من النار أو أي مشروب شديد السخونة. فإذا قلت مثلاً:- اشرب الشاي/القهوة، كان الجواب:

ـ عاده بي/هُت= مازال ساخناً جداً.

ـ عادها بت/هُت= مازالت ساخنة جداً.

(والباء) في أول الفعل هي (باء المضارعة) **المذكورة في النقوش** (القتبانية) **مازالت سارية في اللهجة اليافعية.**

فالظاهر أن قدماء المصريين قد اقتبسوا تسمية النار هذه من التجار الحميريين التي كانت **بلادهم** (سرو حمير) **تُعرف بأنها المصدر الوحيد للمر الأبيض وفقاً لما ذكر المؤرخ اليوناني**(بلينوس) [١٢٩] وكانت تعرف (سرو حمير) **حينها بأنها أرض(دهسم/أي دهس)- الميم لاحقة التمييم**= التنوين الحميرية-ونصت على ذكرها نقوش المساند الحميرية منها(ربرتوار/٣٩٤٥-٣٥٠٠).

هذا وقد تطرقت الآثار المصرية القديمة في(تل العمارنة) إلى العلاقة التاريخية التجارية مع الكنعانيين في شبه جزيرة العرب. فالمناطق المذكورة في رسائل (تل العمارنة) هي:

مناطق يمنية ف(بوينه) **هي (البون) من مناطق اليمن-انظر البون(٣) في الآثار الاسمية ل بونت**(آنفاً)**—و**(حقاو) **هي** (الحقة): **قرية أثرية من همدان كان بها معبد الشمس المسمى (وينان) ومعبد تالب ريام وذات بعدان. أما (دشرة) فهي(داشر) : حصن يطل على مدينة زبيد الساحلية.** [١٣٠]

لاشك أننا قد بلغنا في هذا المدخل درجة ذات حساسية عالية بالنسبة لقضية إعادة الاعتبار للتاريخ أو إعادة عقلنة الماضي(Rethinking the past) أي لماضينا واتاريخ شعوب منطقة الجزيرة العربية وحوض المتوسط.

ونحن كما تبين لنا نسير في بلاقع مسكونة بالمفاجآت وحقول شائكة ومفاهيم تاريخية

متناقضة... بيد أن (إعادة عقلنة الماضي) وما يترتب عليها من تأسيس تواصل معرفي (أبستمولوجي) بماضي وتراث المنطقة العظيم يدفعنا لبذل أقصى الجهود في هذا الشأن الذي يقتضي أن نطرق أوسع السبل بحثاً عن قراءة أكثر إيجابية للوقائع التاريخية وآثار الماضي وتراثه ككل ف:

منتهى الحقيقة بالنسبة لواقعة ما قد لا يتأتى الوقوف عليها(حقاً) إلاّ فيما بعد، وفي بعض الأحيان قطعاً بعد آماد طويلة من تمخض الواقعة نفسها. [١٣١]

من هنا فإعادة بناء (ذاكرتنا التاريخية) تجعل مهمة المؤرخ أكثر تعقيداً خاصة في حقل(نقد التوراة) ومعضلة جغرافيتها التاريخية على وجه الخصوص التي تستحوذ على جُلّ اهتمامنا

والباحثون في هذا الحقل ينطلقون من تخوم تبرر عملهم وتذكي همتهم وفتح قضية ما أو إعادة النظر فيها- يبدأ في المقام الأول من لحظة الوقوف على بعض المفارقات ومواطن اللبس في حيثيات تلك القضية... وعليه فأهل الاختصاص في ميدان الدراسات التوراتية يضعون أيديهم في المقام الأول على ثنائيات متناقضة في أبعادها التاريخية وأحداثياتها الجغرافية وبيت الداء يكمن في عدم انسجام الطرح التوراتي المحوّر بفعل عوامل تضافرت على إخراجه بالنعفة (المنكرة) (المحرفة) التي ما برح النابهون من أهل الاختصاص يرشدون إليها. فتدوين النصوص التوراتية حصلت في ظل ظروف أسهبنا في التعرض لها(آنفاً) وقد أجملها الباحث العربي البارز(د/كمال الصليبي):

ألهم لما دونوها بعد الهجرات والسبي، وجدوا التوراة مليئة بأسماء أماكن لا يعرفونها ولا يعرفون اللهجة الأصلية، فراحوا يصوغون الإشارات الصوتية بالأرامية التي يتكلمونها، لأن العبرية الأساسية كانت تكتب غير منقطة وبأحرف ساكنة، كما كانت العربية. [١٣٢]

ولعل أهم ثنائية يعتصم بها الباحثون المعاصرون تكمن في التناقض بين جغرافية التوراة وغياب الأدلة الآثارية في الحدود الجغرافية المحتوية لما بين النيل والفرات. فكيف حصل هذا الأمر؟ الإجابة في الفقرة التالية:

- **غياب الأدلة الآثارية:-**

يقول الصليبي في هذا الشأن:

إن علماء البحث والآثار ظلوا في جدل حول روايات التوراة، فيما اعتبروا جغرافيتها من المسلمات، علماً أن الأبحاث الأثرية التي مسحت المنطقة لم تعثر على أثر يصنف جدياً بتعلقه بالتاريخ التوراتيّ. فالآلاف من الأسماء التوراتية لم يعثر عليها في فلسطين إلاّ قلة قليلة. [١٣٣]

هكذا فنتائج الكشوف الآثارية أتت بثمرات مرة لا تؤيد الجغرافيا التاريخية للتوراة. ورغم الجهود

المكثفة والمضنية من قبل علماء الآثار في مصر وبلاد الشام والعراق فإنه كما يقول الصليبي:

لم يعثر إطلاقاً على آثار لأصول العبران في العراق ولا هجرتهم المفترضة إلى فلسطين عبر شمال الشام، أو مسألة الأسر في مصر والخروج منها. ١٣٤

وحتى آثار(أوغاريت/رأس شمرا) التي تم اكتشافها صدفة عام ١٩٢٨م وتحمس لآثارها كبار أهل الاختصاص على اعتبار أن موقعها على مقربة من ميناء(اللاذقية) يجعلها في صميم أرض الميعاد(كنعان) ..... وسارع أهل الاختصاص إلى دراسة نصوص(أوغاريت) وربطها بالنصوص التوراتية بيد أن العروة التي ما كادت تنعقد سرعان ما انحلت وتبين أن ما ذهب إليه أحد العلماء أن النصوص(الأوغارتية) لها صلة بالنصوص التوراتية ليس له ما يدعمه على أرض الواقع وهكذا وفقاً ل(أنيس فريحة) :

فإن العالم (فيرلو)، العالم الأوغاريتي الكبير الذي يعترف بفضله كل من عانى دراسة أوغاريت وأدبها،رأى في بعض الألفاظ التي وردت في الملحمة (ملحمة [كارت] ملك الصيدونيين، من لوحات أوغاريت المشهورة) أسماء أشخاص تاريخيين وأسماء أسباط اليهود مثل: تارح أبي إبراهيم وزبلون وأدوم في شرقي الأردن، والنقب الجزء الجنوبي الصحراوي من أرض كنعان القديمة. وظن أن القصة تدور حول البطل الفينيقي كارت ملك الصيدونيين ومحاربته لطلائع الغزو العبراني لأرض الميعاد، أولاً في النقب، ثم في شرقي الأردن، في أدوم. وكان الجيش يتألف من ثلاثة ملايين. ولكن ثبت فيما بعد أن هذه الكلمات لها معان أخرى، وأن القضية ليست تاريخية بقدر ما هي أسطورة أدبية دينية. ١٣٥

نعم فقد تبين أن(ملحمة كارت) لا تتحدث عن أية استعدادات حربية لصد الزحف الإسرائيلي على أرض كنعان بقدر ما سجلت واقعة(محلية) هي من الظرافة فيما بينت أن ثمة:

حملة جردت لإختطاف عروس للملك(كارت) الذي ماتت زوجاته السبعة الواحدة تلو الأخرى، كما هو مذكور في مطلع القصيدة. ١٣٦

إذن فالملك المنحوس الحظ(كارت) قد رماه الدهر بموت زوجاته السبع... ونحدس أنه أمام هذه الفاجعة قد أحجم عن الاقتران بزوجة ثامنة وربما لامتناع عليه القوم ورغبتهم عن تزويج الملك المشؤوم من إحدى بناتهم خشية من أن تنالها نازلة الموت... ففي مثل هذه الظروف يعمد ملك الصيدونيين إتباعا لفتوى كهنته وعرافيه إلى (خيار الاختطاف) لتسلم زوجته هذه من مصير سابقاتها وينعم منها بالخلف إن لم يكن له خلف قبل ذلك. هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد دللنا سابقا أن الكناعنة

الفينيقيين كانوا في الأصل من عرب الجزيرة العربية ومن غربها بالذات– وفقاً لأقوال المؤرخين الإغريق– وأن لغتهم لم تكن سوى لهجة عربية فسّرنا غريب ألفاظها الواردة في نقش(جبيل لبنان) بلهجة(سرو حمير/يافع) هذه المعطيات تشير إلى أن (ملحمة كارت) هذه لا ينبغي الالتفات إلى المعنى الحرفي لكلمة (حملة) على أنها حملة اختطاف بالفعل فالأمر يتعلق بطقوس زواج أوغاريتية تضارع عادات الزواج اليمنية عموماً وعادات الزواج في(سرو حمير/يافع) على وجه اليقين وتحديداً في طقس زفّ العروس إلى بيت زوجها:

- **طقس زفاف الحريوة:–**

الحريوة والحريو في اليمن هما العروس والعريس في البلاد العربية الأخرى. (وفي الحديث):
(إن هذا لحريٌّ إن خطب أن ينكح). ١٣٧

فقد قضت العادة في(سرو حمير/يافع) أن يرافق (الحريو) زمرة من الرجال يحملون أسلحتهم ويهتفون بالزوامل وكأنهم في ذهابهم إلى بيت (الحريوة) في هيئة المحاربين ينشدون الغزو والإغارة وهم الذين يتعهدون بزفاف (الحريوة) إلى بيت الزوجية في حين لا يلحق بها أهلها عادة إلاّ في اليوم التالي. وتسمى هذه المجموعة المرافقة للحريو(**بالشواعة/واحدهم شويع**)، وقد وردت هذه التسمية في معظم نقوش المساند اليمنية القديمة بمعنى(**نصير**). فالنص المألوف في النقوش :

شواعو/ مراهنم/ ملكن... تعني

ناصروا سيدهم الملك.

إذاً فالشواعة مع (الحريو) هم أنصاره المحاربون في عادات الزواج السارية اليوم في(سرو حمير/يافع) وهم الشواعة الأنصار الذين احتشدوا بمعية كارت ملك الصيدونيين لإحضار أو زف (لا أختطاف) زوجته وبناءً عليه فهذا الدليل يعزز طرحنا السابق بلاشك، فيما يتعلق بالجذور اليمانية للقبائل الشامية والنسيج الواحد الذي تتشكل منه ثقافة عربية سائدة في جنوب جزيرة العرب وشماليها في البلاد الرافدية والشامية... هذا ونحن نميل إلى تفسيرنا الأخير (لحملة) الملك(كارت) الذي قصد بها زف زوجته محفوفة بالعجاج وتحت ظلال العقبان والاسة حسبما قضت تقاليد الزواج الحميرية– الفينيقية، ويؤكد هذا الطرح المفهوم من عبارة وردت في نص(الملحمة) :

(ترح) الواردة إلى جانب كلمة(زوجة) لا تعني زوجة(تارح) بل تعني (الزوجة السترح)، أي المشتراة لقاء مهر. ١٣٨

وهكذا فالمظاهر الحربية التي خلدتها (ملحمة كارت) مثلما ليس لها من شأن بقضية صد الزحف

العبراني على أرض كنعان بقيادة موسى الكليم(عليه السلام) أو خلفه(يوشع بن نون)؛ فليس لها من شاو بخطف (الزوجة الترح) لأن الزوجة المدفوعة (المهر!) لا تدعو الحاجة إلى خطفها، وعليه فإن ما يبدو من استعدادت وتحضيرات عسكرية في (ملحمة كارت الأوغارتية) ليس إلا مظاهر الفرح والزينة على نمط تقاليد (صبية حمير) اليمانية. وقد انتقلت عادات وتقاليد قدماء اليمنيين بحذافيرها مع موجات الهجرة من جنوب الجزيرة إلى شمالها التي طالما أخبرنا عنها الإخباريون العرب. ولاشك أن طقس شواعة صبية (الزواج) حمير قد استمرت سارية المفعول بشكل أو بآخر في سوريا وبلاد الرافدين عموما واكتسبت هنالك عنفوانا جديدا مكنها للانتقال إلى مواطن جديدة هذه المرة إلى خارج حدود الشرق الأدنى إلى شبه القارة الهندية حيث استقرت هنالك بعض الدماء العربية التي تدفقت عبر زخم الفتوحات الإسلامية العظيمة... وفي هذا الصدد يروي لنا الرحالة العربي الشهير عالميا ب(ابن بطوطة) في تحفته التي دون فيها(عجائب الأمصار) و(غرائب الأسفار) التي تجشمها عبر مختلف أقطار (العالم القديم) في القرن الرابع عشر للميلاد، يروي عن زواج أحد أحفاد (أمراء عرب الشام) من شقيقة سلطان (دهلي):

وعين السلطان–أبو مجاهد محمد شاه– جماعة من الأمراء يكونون من جهته، وجماعة يكونون من جهة الزواج. وعادتهم أن تقف الجماعة التي من جهة الزوجة(العروس) على باب الموضع الذي تكون به جلوتها على زوجها، ويأتي الزوج(العريس) بجماعته فلا يدخلون إلا إن غلبوا أصحاب الزوجة، أو يعطوهم الآلاف من الدنانير إن لم يقدروا عليهم.[١٣٩]

وليس(**أصحاب الزوج**) في هذا النص إلا(**شواعة الحريو**) عند قبائل (**سرو حمير/يافع**) اليمانية وهم نفس الرجال ذوي المزايا والمظاهر الحربية في (**أسطورة الملك كارت**) الأوغاريتية كما بيا هذا في الأسطر السابقة. وتظل آثار الماضي السحيق عصية على الفهم دون البحث عن عرى الإتصال بين تلك الآثار الصامتة وطرائق الحياة وآثار الحاضر الحية كالعادات والتقاليد الموروثة وذخائر اللهجات الغنية بأنفاس من كانوا ينطقون بألفاظها في العهود الغابرة وتعاقبت الأجيال على تحدثها عبر القرون حتى زمننا الحاضر وفي هذا يقول(جورج ضو) :

إن علم الآثار العائد لما قبل اكتشاف كولومبس،.. لايفهم بدون الاستعانة الدائمة بالاثنوغرافيا، أي بدراسة الأخلاق والعادات والأديان المعاصرة، والتي جمدها التقليد بشكل يكثر أو يقل، والتي هي صالحة لاعطاء معلومات حول آثار الماضي. [١٤٠]

وإذا كنا قد أفلحنا بالاستعانة بطقس (زفاف الحريو) في(سرو حمير/يافع) لتفسير الغامض من

وقائع زواج الملك كارت ووجدنا في هذا الأمر ما يعزز القول بأن (الفينيقيين) والكنعانة كانوا بالفعل قد قدموا إلى سوريا القديمة من بلاد اليمن القديمة أو من سواحل البحر الأحمر غربي شبه جزيرة العرب حسب روايات المورخين الإغريق. ويعزز طرحنا هذا شيوع نفس العادات عند أحفاد الحضارة السومرية الأشورية والبابلية في بلاد الشام والرافدين وأخلاف حمير وسبأ في جنوب جزيرة العرب مثل عادة الترحيب بمقدم(الحريوة/العروس) التي تتطلب في (سرو حمير/يافع) مراعاة التالي:

١) **ذبح ثور ترحيبا (بالحريوة) وأهلها عادة واسعة الانتشار في بلاد الشام.**

٢) تستقبل (الحريوة) عند عتبة بيت الزوجية من قبل صفين من النساء يترنمن بأناشيد **(الهدان/الدان)** ترحيبا بها ويحرقن البخور على شرف قدومها... وتقضي التقاليد أن تقطف (الحريوة) في مشيتها وهي تجتاز بين **(صفي المهدلات/لاحظ صفي حرس الشرف في الاستقبالات الرسمية!)** وهي إذ تفعل ذلك تظل مخفورة (بالمسايرات) -وصيفتين- اللتين يسايرنها من دار أبيها حتى بيت الزوجية. فإذا حانت لحظة ولوجها عتبة الدار قدم لها **طبق مليء بحبوب الذرة تأخذ منه حفنات بيمينها وتسفيها في مختلف الجهات، ثم تقدم لها صينية تنضح بالسمن والعسل وعصارة الجلجلان (السمسم) فتغمس فيها الحريوة كفها اليمنى فتعلم بذلك ثلاث علامات، واحدة على العارض الأعلى للعتبة ولطختان على كابتي(قائمتي) العتبة اليمنى واليسرى.** وهكذا فهذه العادة تثير لدينا الدهشة إذ تجمد التاريخ وتنقله لنا غضا نديا وكأننا نتنسم شذى فجره فنلمس أوامر كبير آلهة **(أوغاريت) (بعل العلي)** يلقيها على مسمع مبعوثيه **(جوبار/و أوغار)** إلى الإلهة العذراء**(عناة)** المسعورة بالغضب المريع المهدد لبني البشر، فقد شطت في إزهاق أرواحهم واستباحة دمائهم وها هي قد هدأت وطفقت في استراحة المحارب:

تغسل يديها في دماء الجنود وأصابعها في دماء البشر. [١٤١]

في هذه الحالة كان على (رب الخصب) (علي المحارب) [بعل] أن يكبح ثائرة العذراء(عناة) فيبعث بوصيته إليها مع(جوبار/وأوغار):

عند قدمي عناة انحنيا واركعا

اسجدا أمامها بجلالها

وقولا للعذراء عناة

اعلنا لسيدة الأبطال

رسالة بعل العلي

أعلنا كلمة(علي) المحارب:

(أن ضعي في الأرض خبزا

وضعي في التراب لفاحا

واسكبي في الأرض قربان السلام

والتقدمات في وسط الحقول

(.................)

وإلي فلتسرع قدماك

إلي فلتسرع ساقاك [١٤٢]

ونتعرف من بقية الأسطورة أن(بعل) قد وجه إلى العذراء(عناة) نداء الخصب والحياة.. وهكذا لا يفوتنا أن عذراء سرو حمير (الحريوة/العروس) ما زالت تؤدي لحظة دخولها بيت(الحريو/العريس) دور العذراء (عناة) في قدومها على المحارب علي وقد استلهمت وصيته:

(سأضع في الأرض خبزا

وسأضع في التراب لفاحا)

أليس (**الخبز واللفاح**) هو أكسير الحياة- حبوب الذرة- الذي تنثله (**الحريوة**) من بين أصابعها لحظة ولوجها بيت الزوجية في (سرو حمير/يافع) وإذ تستقبل (**الحريوة**) بين صفي القيان اليافعيات فقد حدث لعناة العذراء مثل هذا :

وعندما يراها بعل قادمة من بعيد يرسل جمعا من النساء لاستقبالها، ويذبح من أجلها ثورا، ويحتفل بها احتفالا مشهودا. وبقدومها تبتهج الطبيعة، فيرقص النبات ويتكاثر الحيوان. [١٤٣]

أما في بلاد الشام حيث حضارة (أوغاريت) فإن (العروس) تؤدي هذا الطقس اليوم بشيء من التحوير:

تطبع العروس كفها بدم الذبيحة فوق قائمتي المنزل قبل دخولها. [١٤٤]

ويربط أهل الاختصاص هذا التقليد بما ورد في التوراة:

يأخذون من الدم ويجعلونه على القائمتين والعتبة العليا في البيوت...

[سفر الخروج/١٢/٥]

وإذ جاءت نتائج الحفريات الآثارية في بلاد ما بين النهرين وسوريا ومصر مخيبة لآمال أصحاب النظرة القائمة على خرافة(الذات العبرانية) الفريدة! وحيث (لا يصلح العطار ما أفسده الدهر) فقد

أخذت نفس الدوائر سعيا وراء تأكيد هذه (الذات) تخبت في نطاق الموروث الحي للشعوب العربية لتعوض عن الهزيمة التي تحطمت فيها مقولتها تحت ضربات معاول الحفريات الأركيولوجية.

- **أهمية التراث في الدراسات التوراتية:-**

نعم فبعد أن فشلت إسرائيل اليوم في تحقيق ذاتها عبر(علم الآثار) حندت طاقاتها للسطو على الموروث العربي الحي الذي يتعين على أهل الاختصاص العرب تخليصه من براثن الإغتصاب في ظل إدراك المثقفين العرب لهذه المساعي التي توسس وفقا لقول المفكر العالمي(**روجيه جارودي**):

أسطورة الاستثنائية العبرية التي غذيت بذات الجهالات العمدية وذات الرفوض التي لم يكن- بدونها- باستطاعة (الاستثنائية الإغريقية) أن تنشأ لو لم يتجاهل الغرب ويرفض-عمدا- أصول وفروع أثينا بركليس. [١٤٥]

وفي هذا السياق ينبهنا المفكر العربي المعروف (د/محمد عمارة):

إن من حولنا أمما وشعوبا ودولا ليس لها تاريخ، وهي تزيف لها تاريخا، وتفتعل لها تراثا كي تزود حاضرها بزاد للمستقبل... إسرائيل تحول الأسطورة والقصص الخرافي إلى بناء قومي، أو هي تحاول ذلك. [١٤٦]

وفي واقع الحال أن إسرائيل تعمل عملا منهاجيا منظما ودائب لمسح ودراسة التراث الشعبي العربي الذي تقدمه للعالم على أساس أنه تراث إسرائيل الخالد في حين لا يسعفنا الحظ كعرب لتقديمه في المستقبل كتراث عربي خاصة وهو يتعرض لعوامل النحت والتدمير في ظل:

الحضارة المعاصرة التي تلح على التماثل المطلق. [١٤٧]

من هنا تأتي أهمية تدوين التراث الحي في عصرنا الراهن الذي:

يتسم بزوال متزايد لمخلفات الماضي من حياة الشعوب تحت تأثير التقدم التكنولوجي والاجتماعي، ومن هنا تنبع مهمة من أكثر مهمات الأثنوغرافيين خطورة في الوقت الحاضر وفي المستقبل القريب، وهي تسجيل الظواهر القديمة المتبقية. [١٤٨]

ويتجلى نشاط إسرائيل في هذا الميدان في إطار خطة تهدف إلى التعرف على الذات، وفي ذلك يقول(ولسن) :

إذا رغب اليهود المعاصرون في التعرف على أنفسهم، أي على حياتهم التقليدية القديمة وعلى خصالهم وصفاتهم فليتوجهوا إلى الفلاحين (الفلسطينيين) سكان أرض إسرائيل. [١٤٩]

ولا غرابة في الأمر الجلل هذا الذي انبرى الإسرائيليون لجمعه ودراسته دراسة تليق في قضية تحقيق

(الذات العبرانية)، ففي ميدان دراسة القصة الفولكلورية فحسب، كانت عودة الباحث اليهودي(دوف نوي) إلى إسرائيل (١٩٥٤) إثر إكمال دراسته في الولايات المتحدة الأمريكية إيذانا بتأسيس صرح معرفي يهتم بتدوين القصص الشعبي للشعوب التي كانت الطوائف اليهودية تنتمي إليها قبل هجرتها إلى فلسطين في النصف الأول من هذا القرن:

وأصبح الآن أحد الأرشيفات العالمية التي يشار إليها في الدراسات الفولكلورية ويرمز إليه بالحروف(Israel Folklore Archive/IFA) أي أرشيف القصة الإسرائيلي. [١٥٠]

وقد احتوى هذا الارشيف(IFA) منذ تأسيسه حتى صيف ١٩٨٦م على قصص سجلها متطوعون من مختلف الطوائف اليهودية بلغت في مجموعها (١٨٥٠٠) قصة، وحازت طائفة يهود اليمن على المرتبة الثالثة من بين اثنى عشر طائفة يهودية حيث بلغ عدد القصص اليمنية التي ضمها الإرشيف (١٤٤٧) قصة. كما نجد أن نسبة ٦٥% من مجموع (١١٩٤٤) قصة في قسم طوائف هي قصص عربية وإسلامية من المغرب واليمن والعراق وفلسطين وإيران وكردستان العراق وأفغانستان، وهذه القصص تعامل وتعالج وتصنف وتنشر على أساس أنها(أدب شعبي إسرائيلي). [١٥١]

ولا تشذ عن هذه المحجة حملة السطو على التراث الغنائي اليمني من قبل فنانات يهوديات من ذوات الجذور اليمانية لعل أشهرهن في السنوات القليلة المنصرمة(أفرا هوزا/عفراء هزاع) و(صفية) وغيرهن ممن يتألقن عالميا بالتراث الغنائي اليمني التقليدي والإسلامي(نصا وروحا) ويقدمنه للعالم أجمع على أنه (تراث إسرائيل). ولا غرو أن عبارة نحو(أغنيات يمنية) أو (أناشيد إسلامية) التي قد تظهر على أحد (الألبومات) لا تسمن ولا تغني من جوع فلا هي تنور العقل الأوروبي بحيث يعلم مورد هذا التراث الخصب الذي تقدمه له طاحونة الإعلام المظللة ولا هي تحفظ لليمن أو غيرها من البلاد العربية حقها في هذا التراث، فالعبرة بالغاية التي قوامها يرتكز على مقولة (التفرد العبراني) الذي تركع على قدميه كل الهامات ويجثو بين يديه صاغرا تراث الشرق الأدنى بحذافيره. فمهما تفرقت السبل أو تعددت المصادر فما هي وفقا لهذه المقولة التي يستند إليها العقل أو الوعي الغربي إلا (غيض من فيض) الكأس السحرية الناضحة دوما برحيق التراث (التوراتي اليهودي) !.

وحتى لا نحيد عن جادة الصواب ينبغي الالماع هنا إلى مسألة هامة فيما يتعلق بأهمية التراث ودوره في قضية إعادة الاعتبار للذهنية التاريخية والوقوف على الذات حيث لا نجد الجهود الصهيونية الراهنة رائدة على هذا الصعيد بل مقتفية لمحاولات سبقتها من لدى رجال الاستشراق في القرنين

الماضيين وكان هدفها الوقوف على حقيقة التوراة بالاعتماد على الدراسة المقارنة لتراثها ونصوصها على هدى الآثار الحية والثقافة الشعبية لسكان شبه جزيرة العرب وبالذات القطاع الجنوبي منها. فقد كانت المهمة التي اضطلعت بها بعثة الاستشراق العلمية الموجهة لاكتشاف العربية السعيدة في العام(١٧٦١-١٧٦٢) والتي أحيطت بالرعاية من قبل جلالة ملك الدنمارك(جورج/٥) كانت مهمتها الأولى تكمن في:

التعرف على الأشجار والحيوانات في البلاد العربية واختبارها ومطابقتها مع ما جاء في التوراة من أشجار وحيوانات... ودراسة جغرافية الجزيرة العربية- خاصة حركة المد والجزر في البحر الأحمر- كدليل في محاولة فهم موضوع(الهروب من مصر) ....ودراسة عادات العرب اليومية وملابسهم وفن البناء لديهم. [١٥٢]

وقد ألح الملك(جورج/٥) في وصيته التي تسلمها قائد البعثة(كارستن نيبور) عشية عيد الميلاد(١٧٦١) بوجه خاص على قيام البعثة بدراسة:

العلاقات بين الأحياء والأموات.... وتأثير تعدد الزوجات في زيادة ونقص السكان، والعلاقات بين الرجل والمرأة،....وعدد النساء في المدينة والريف. [١٥٣]

لا ريب أن للعادات والتقاليد قوة خارقة تمكنها من النفاذ عبر موانع الزمان والمكان ولها من ديمومة العمر ما يوسع أرضيتها إلى ابعد الحدود .. وإذا كنا قد تطرقنا إلى ضروب من الآثار الحية في(سرو حمير/يافع) في هذا المدخل وقيمنا مدى اختراقها لطبقات التاريخ فإننا إكمالا للفائدة نزيد في ذكر ثلاث حالات ما برحت سارية الفعل كعادات شعبية في اليمن من شبه جزيرة العرب وأوروبا:

* جرت العادة في سرو حمير وما صاقبه من نواحي اليمن الاحتفال عشية تشريف المباني(البيوت) والانتهاء من بناء بعض أدوارها أو تطاليعها(ملحقاتها)، وذلك بدعوة الأهالي والجيران إلى وليمة عشاء يقيمونها على شرف المناسبة ثم يحيون (**ليلة التختمية**) **بالسمر والرقص وينعمون على البنائين بكسوة جديدة يؤبون بها إلى أهاليهم بعد الفروغ من أعمال البناء.** هذه العادة الحضرية التي تمجد أعمال البناء عند سكان (سرو حمير/يافع) نجدها لدى أهالي المقاطعات الإنكليزية (بريطانيا) منتشرة حتى اليوم وقد شهدت بنفسي مناسبة ختم توسعة منزل في قرية (موزلي) وهي إحدى قرى ضواحي مدينة(برمنجهام) الشهير حيث حضرت مع العائلة الإنكليزية التي كنت أنزل لديهم أول عهدي بالدراسة في بريطانيا(١٩٨٢-١٩٨٩) وليمة وحفلة أقامها أحد الجيران بمناسبة توسعة جرت لبيته.

* **كانت أطرب الألعاب الشجية التقليدية في سرو حمير وما جاورها التي تؤدى على السواء**

من قبل الرجال والنساء أيام أفراح عيد الأضحى المبارك تعرف ب(البال/بالباء الموحدة) وفيها تترنم الراجزات بلحن البال التقليدي الشجي ويتقارع الفحول من أقران الشعراء فيها. وكانت تؤدى إذا طابت المساجلات الشعرية حتى الهزيع الأخير من الليل. وفي ذلك ينقل لنا الشاعر اليمني الكبير(**عبد الله البردوني**) في كتابه الذي كرسه-بنفس العنوان- لفنون الأدب الشعبي في اليمن هذا البيت الشعري التقليدي الذي يشير إلى لعبة (البال):

يا حلة (البال) لما الشمس تطلع(جبين)   لا ما بنات آل أبو يابس يجين يلعبين [١٥٤]

وهذه التسمية نجدها تطلق بنفس الصيغة (بال/ Ball) تطلق اليوم في أوروبا على لعبة جماعية راقصة ومن مادة (بال/ Ball) نجد اشتقاقات عديدة في معاجم اللغة نحو:

ballet, ballerina, ballad في اللغة الإنكليزية حيث تعني(ballad): أنشودة أو قصيدة تحكي قصة ما. في حين تعني(ballerina): راقصة باليه. والأخيرة(ballet): معروفة وتشير الى رقصة الباليه. [١٥٥]

*** جرت العادة في (سرو حمير/يافع) التريث حتى تنقض أيام بعد رحيل المسافر لا يكنس فيها بيته ولا يلقى بالرماد بعد خروجه وهذه العادة كان ينشد بها التيمن بعودة المسافر المرجوة إلى أهله. أما في (بريطانيا) فكان الأهل يشيعون المسافر بقذف فردتي حذاء باليتين إثر سفره مباشرة الأمر الذي حدث لحظة مغادرة (فيليب) بطل رواية الأديب الإنجليزي الشهير(تشارلز ديكنز)** المعروفة باسم (الآمال العظيمة) إذ تحين من البطل التفاته نحو بيته فما يرى(بب) **إلا وهو يلقي إثره بفردة حذاء بالية أثره ثم ترمي(بيدي) الفردة الأخرى.** [١٥٦] ولاشك أن هذا الطقس كان أيضا تيمنا بعودة المسافر إلى بيته خاصة ودليله هنا فردتا حذائه البالي التي لا تظل الطريق التي طالما داستها من وإلى البيت فيما مضى من الأيام.

هذا وقد فندنا كثيرا من العادات والتقاليد التي ذاعت في أوروبا وكان الأصل فيها في اليمن من جزيرة العرب حاضنة تراث الشرق الأدنى، الأب الشرعي لتراث الغرب، وذلك في مواضع شتى من الكتاب وبالذات في الدراسة المكرسة لعادات صبية(زواج) حمير.

وبعد هل لنا أن ننتقل في الحيز المتبقي من هذا المدخل إلى معالجة ودراسة القضايا المتعلقة بأمر هوية (**مصر التوراتية**) و(**الشام التوراتية**) خاصة في ضوء ما يفهمه جميع الاختصاصيين في هذا الحقل ومنهم القس (**ماير**) صاحب كتاب: (**حياة إبراهيم وطاعة الإيمان**) [١٥٧] الذي لم يفته أن وقائع الرواية التوراتية لا تنطبق أحداثياتها مع البلاد الواقعة ما بين نهري الفرات والنيل.

ف(مصر التوراة) التي عرج عليها أبونا إبراهيم الخليل في سني الجوع والفاقة وكانت سببا لثروته الطائلة، تروي لنا قصتها أول أسفار التوراة على هذا النحو:

وحدث جوع في الأرض.

فانحدر إبرام إلى مصر

ليتغرب هناك.لأن الجوع

في الأرض كان شديدا

[سفر التكوين/١٢/١٠]

هكذا فقد كان الجوع هو الدافع الذي أجبر إبراهيم (عليه السلام) وأهله بالتغرب في(مصر) التي كانت له فيها وقائع خير كبير:

فحدث لما دخل إبرام إلى مصر

أن المصريين رأوا المرأة أنها

حسنة جدا—المقصود هنا سارة—

ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى

فرعون. فأخذ المرأة إلى بيت

فرعون. فصنع إلى إبرام

خيرا بسببها.وصار له غنم

وبقر وحمير وعبيد وإماء

وأتن وجمال. [سفر التكوين/١٢/١٤-١٦]

فإذا كان المقصود (بمصر) هذه مصر النيل فيا للغرابة التي عبر عنها القس (ماير) بقوله:

لم يعثر حتى الآن على أي دليل آثاري. سواء كان كتابة أو نقشا، أو حتى نقش يقبل التفسير، أو في نصوص تقبل—حتى— التأويل، يمكن أن تشير إلى النبي وقصته، سواء في آثار وادي النيل أو آثار وادي الرافدين على كثر ما اكتشف فيها من تفاصيل ووثائق. [١٥٨]

ولكن الطامة الكبرى لا تكمن في غياب اللقى الأثرية فحسب التي ترشد إلى القدوم الإبراهيمي على مصر في سنوات الجدب والجفاف حتى من باب (التأويل) وفقا لما تعلل به القس(ماير)، بل تكمن (الطامة الكبرى) في طبيعة الهدية التي تلقاها البيت الإبراهيمي جراء نزوله في كنف فرعون تلكم الأرض الطيبة... مصر الخير والعطاء.... فإلها إن كانت (مصر النيل) فهذه الأخيرة وفقا لمعطيات

الكشوف الآثارية لم تكن دلتا نيلها ولا فيافيها ولا أي بقعة فيها قد عرفت حينها (الجمل) بأي شكل من الأشكال وهذا موضوع فقرتنا اللاحقة.

- **مصر النيل متى عرفت الإبل ؟:**

نعم النص التوراتي المذكور(آنفا) يذكر صراحة طبيعة الأرض التي حل بها الموكب الإبراهيمي فهي بلاد ركيب أو مواش:

وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال. [تكوين/١٢/١٦]

غير أن مصر النيل كما أشار إلى ذلك الأستاذ/(محمد بيومي مهران) في كتابه: (دراسات في حضارة الشرق الأدنى):

وفي التوراة أن فرعون أعطى إبراهيم جمالا، في حين أن الجمل لم يعرف في مصر إلا في القرن الثالث ق.م. [١٥٩]

وبعد أليست هذه حجة دامغة تشهد على تهافت المفهوم التقليدي السائد لجغرافية التوراة وتبرهن على شيء واحد هو أن (مصر التوراتية) في جزيرة العرب لا لأنها كما أعلن في**(قصة الحضارة) (ول ديورانت): إن أساطير الجزيرة العربية كانت المعين الغزير الذي أخذت منه قصص الخلق والغواية والطوفان التي يرجع عهدها في تلك البلاد إلى ثلاثة آلاف سنة(ق.م).** [١٦٠]

بل لأنها الموطن الأول لتربية الإبل وفقا للكشوف الآثارية.

- ***مراتع الإبل الأولى:**

لا يغفل على أحد القيمة الرفيعة اجتماعيا للعربي الذي كانت جل ثروته قطعان الإبل:

(وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل لأنها أكثر أموالهم) [١٦١]

وقد سموها(النعم) لأنها النعمة الكبرى التي أنعم الله بها عليهم. [١٦٢] وهي البدن والمديا التي كانوا ينحرونها عند مناسك الحج وفي الحديث النبوي:

(من حديث سهل بن سعد (رضي الله عنهما) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر– من حديث طويل وهو يسلم الراية لعلي بن أبي طالب(كرم الله وجهه) قال: لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم) [١٦٣]

وقد كرمها الله في بيانه:

﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾. الغاشية الآية ١٧

هذه النجائب الكريمة التي ارتبطت حياة العربي فيها فهي وسيلة نقله في فلوات وفيافي صحراء

الجزيرة العربية... أثبتت الدراسات أن مواطنها الأولى كانت في اليمن فقد طالعتنا مجلة (**الأركلوجيا الأمريكية**) **المختصة في الدراسات الآثارية في عددها الصادر في(مايو/يونيو ١٩٨٣ مجلد ٣/٣٦ ص ٢٣)**:

(أن أهل الاختصاص يتفقون بأن جنوب الجزيرة (اليمن) هي الموطن الذي شهد تأهيل الجمل ذو السنام الواحد). حيث تمكن قدماء اليمنيين من ترويض الجمل وإلجامه وتثبيت السرج عليه، واستخدامه في قطع الصحاري المجاورة. ومن جنوب جزيرة العرب تمت عملية استجلابه إلى شمال الجزيرة وبلاد الرافدين. وإلى الجنوب الشرقي منها (عمان)، وعبر باب المندب نقلته السفن إلى بلاد الصومال (القرن الإفريقي)، وإلى بلاد النوبة حتى مصر (أعالي النيل). ومنها انتشر إلى شمال أفريقيا). [١٦٤]

هذا الاكتشاف المبني أساسا على نتائج مستخلصة من دراسة الهياكل العظمية للجمال، يرفدنا بقرينة أخرى تثبت أن (**مصر التوراتية**) ما هي إلا إقليم في جنوب جزيرة العرب وأن فرعونها الذي أكرم وفادة نبي الله إبراهيم(عليه السلام) وأجزل له العطاء بطريفه وتالده بما فيه سفينة الصحراء التي كان قدماء اليمنيين قد آنسوها وانتفعوا بها منذ مئات السنين قبل البعثة الإبراهيمية ولا غرابة أن اليمن كانت مهد تربية الأبل سفائن الصحاري فإذا كانت جل الحضارات الإنسانية قد ترسخت على شطآن الأنهر كحضارات ما بين النهرين ومصر النيل فإن حواضر اليمن القديم قد تركزت حول (**مفازة صيهد**) ولهذا السبب فقد أطلق بيستون وصف (**ثقافة صيهد**) **على الحضارة اليمنية في أدوارها الأولى** نسبة إلى قيام الحواضر **الرئيسية القديمة حول تلك الرملة** :**مأرب** (حاضرة **سبأ**)، **تمنع** (**حاضرة قتبان**) **شبوة**(حاضرة **حضرموت**) **وقرناو**(**حاضرة معين**)**...** [١٦٥]

لهذا السبب أيضا كانت حاجة اليمنيين كبيرة لقهر رمال غائط اليمن المعروف ب(صيهد) و لم يكن لهم من وسيلة سواء استئناس الجمل وتربية الذلول المهرية، حيث كانت محميات اللبان قائمة في شرق المهرة في منطقة(ظفار) العمانية التي عرفت باسم(ساكلن/الساكل-في نقوش المساند اليمنية القديمة) وحيث كانت معظم تجارة العالم القديم حكرا بيد اليمانية(**فعلى أيديهم كانت تنقل غلات حضرموت وظفار، وواردات الهند إلى الشام ومصر**) [١٦٦]- حسب تعبير أحمد أمين) ومن هنا(**كانت هذه التجارة بدورها بحاجة إلى الجمال القوية التي كانت تتناسل في حقولها في بلادي المهرة والصيعر**). [١٦٧]

ولا ريب أن أرض الجنتين العربية السعيدة كانت الملاذ الذي أحسن استقبال الركب الإبراهيمي

النازح نزوحا أو (**ارتحالا متواليا نحو الجنوب**) [تكوين/١٢]

وهنالك سخر له الله ثروة كبيرة من الأنعام والنعم ما مكنه من تبليغ الرسالة لأهل اليمن ولكافة أبناء جزيرة العرب الأمر الذي سنفيض في تناوله(لاحقا) ونتصدى لوقائع هجرة أبينا إبراهيم (عليه السلام) في أرض التيمن(اليمن)، حيث (**مصر التوراة**) وسندلي بمزيد من الأدلة والبراهين على صحة ما ذهب إليه (**الصليبي**) وغيره من الباحثين العرب في ميدان الدراسات التوراتية. ولطالما تطلع الكثير من أساطنة رجال الفكر والمؤرخين لاستكشاف مرابض الإبل الأولى ومهد أقدم الهجرات السامية بحثا عن خبايا التاريخ وأسرار القرون الخوالي. فهذا المؤرخ العالمي البريطاني المعاصر (آرنولد توينبي) يقول:

يمكننا القول بشيء من الثقة بأن الزراعة وتربية الماشية والتعدين، وأيضا تقنية قلع قطع كبيرة من الحجر ونقلها، هذه كلها اخترعت للمرة الأولى في جنوب غرب آسيا، وهي رقعة الثقل الرئيسية في الجزء المعروف في العالم القديم من الإيكومين(الحيوي المسكون)، وباستطاعتنا حتى تحديد الرقعة في المنطقة بشكل أدق. إنها لا تشمل الجزيرة العربية إلا في زاويتها الجنوبية... هذا الجزء الذي ظل خصبا بسبب الأمطار الموسمية. وهي الزاوية من اليمن التي عزلها عن غيرها تشقق بقية الجزيرة قبل اختراع السفن البحرية وتدجين الجمل العربي. [١٦٨]

إذن فاليمن القديمة هي أو جزء منها هي (مصر التوراتية) بلاد(تدجين الجمل العربي) وتقنية قلع الصخور العملاقة لغرض أعمال البناء، وهي في نفس الوقت بلاد السدود والحواجز المائية التي اعتمدت عليها النهضة الزراعية لليمن القديمة، وهي (البلدة الطيبة) التي أدهشت ومازالت بقادرة حتى اليوم على تفجير الدهشة والعجب في زمن افتقر فيه الإنسان لنعمة الاندهاش... فهي موطن الحضور الصخري المهيب الذي لم يسع (أريك ماكرو) إلا أن وصفها ب:

(**جبال فراديس الإسلام**). [١٦٩]

وإذا كانت اليمن خزان الشعوب ومهد الهجرات السامية إلى بلاد الشام وأرض الرافدين وغيرها وهي هجرة امتازت بخصوبتها وزخمها الثقافي وموروثها الحضاري في العادات والفنون الشعبية والمفاهيم الميثولوجية....الخ. وهو ما سنتعرض له في دراسة تحليلية عن جذور الميثولوجيا الرافدية والسورية في (سرو حمير/يافع) نتوج بها كتابنا هذا... قمين بنا ونحن نلمع بإيجاز شديد لأهمية ومكانة اليمن القديمة أن نسترجع الصرخة(الوصية) التي ترددت في أروقة الجمعية الملكية الجغرافية في(لندن) عند منتصف العقد الخامس من قرننا الحالي... أما صاحب تلك الصرخة المشبوبة بروح الدهشة .فهو المستشرق البريطاني المعروف(عبد الله فلبي) إذ يقول في محاضرة له أمام أعضاء الجمعية وهو يقدم نتائج

أعماله الاستكشافية في بعض المناطق الجنوبية الشرقية من اليمن:

سيداني/سادني: أريد أن أؤكد لكم بأنكم كنتم تبصرون هذه الليلة على مناظر وعلى شعب ينتميان إلى بلد كان مصدر أبكر مراحل الحضارة البشرية. ولا أعتقد بأني أبالغ عندما أذكر بأن هؤلاء الناس الذين شاهدتم صورهم هذه الليلة ينتسبون إلى ذلك الشعب الذي اخترع الأحرف التي تستخدمونها اليوم والتي ترتكز عليها حضارتكم. إن هذا الشعب وإن لم يكن حاليا في عصر أوج سلطانه، هو الذي تعود إليه بداية تدوير دواليب كرة التطور الحضاري، فإنه أهل لكل التقدير والإعجاب اللذين بإمكاننا أن نقدمهما له مقابل هبته العظيمة للحضارة التي نفتخر بها غاية(للغاية). [170]

كما يستدل الاختصاصيون في حقل دراسات نقد التوراة بشاهد تاريخي آخر ينفي عن مصر النيل-مصر الفرعونية- أن تكون(مصر التوراة) المتطرق اليها في الاسفار الخمسة من "العهد القديم" ويثبت الطرح القائل بأنها (مصر التوراة) لم تكن إلا منطقة أو إقليما في جزيرة العرب. **فهذا (أوراسيوس) ينقل لنا أن وفاة النبي يعقوب حفيد نبي الله إبراهيم(عليهما السلام)، قد تزامنت مع وفاة(شرايس) أمير مصر الذي زعموا أنه صار من الأوثان.** [171]

وقد لاحظ (د/سيد القمني) أنه لا هذا الاسم(شرايس) ولا لقبه(أمير مصر)، قد وردت في قوائم الأسر الفرعونية التي حكمت مصر على الإطلاق. وحيث أن اليمن قد عبدت (ذي الشرى/بدون التصريف الاسمى الياء والسين) وقد انتشرت عبادته منها إلى مختلف بقاع جزيرة العرب والأمر الذي يدل على أصالته هو وجود اللازمة(ذي/ذي الشرى). [172]

مرة أخرى تنفض **(مصر النيل/مصر الفرعونية)** يدها وتنكر معرفتها بمن ذكره (أوراسيوس) على أنه أميرها (شرايس)، فلم تعهد لأحد من فراعنتها بلقب(أمير) ولم يكن لأحد من فراعنتها الاسم(شرايس) منذ أقدم عهودها العتيقة الممتدة **من عهد(نرمر مينا) ٣١٠٠ ق.م أول فراعنة الأسرة الأولى الشهير بأنه موحد القطرين- أي الدلتا والصعيد- حتى عهد آخر حكام الأسرة الحادية والثلاثين وهو الفرعون (داريوس الثالث/كودمان) الذي شهدت مصر أواخر عهده عام(٣٣٢ ق.م) دخول الإسكندر واجتياحه لها وتأسيسه الإسكندرية عاصمة لمصر مؤذنا ببداية عهود بطالمة مصر.** [173]

إذن فلا أحد من فراعنة (مصر النيل) له علاقة بهذا الخبر بل الأمر متعلق بأمير من مصر الجزيرة يتناغم اسمه مع(ذي/الشرى) الذي عبدته اليمن القديمة ومنها انتشرت عبادته في مختلف بقاع جزيرة

العرب- حسب القمني- أو ليست هذه قرينة قوية أيضا ترشدنا إلى الوجهة الأصلية التي ينبغي لنا أن نبحث فيها عن حدود جغرافية التوراة ومواطنها العتيقة في نطاق شبه جزيرة العرب وبالذات في الأجزاء الجنوبية منها الأمر الذي نعده بلا شك قضية من الخطورة بحيث يترتب على حلها إعادة الاعتبار للتاريخ وإعادة بناء الذاكرة التاريخية لشعوب إقليم الشرق الأدنى وتراث المنطقة الذي يعد بالحقيقة المورد الخصب الذي أينعت بفضله حضارة العالم الأيجي والروماني وانتهلت منه أوروبا المعاصرة:

إذ أن العديد من الممارسات والعادات اليومية مثل الكتابة والأبجدية الهجائية والتقويم وأيام الأسبوع ونظام تاريخ السنين، نشأت جميعها في منطقة الشرق الأدنى القديم، كما أن مبتكرات أساسية مثل استئناس النبات والحيوان واختراع الفخار والثورة الحضارية والنظام الملكي، كلها بدأت هناك (في الشرق الأدنى) وموثقة بالنصوص المسمارية(النقوش) خير توثيق. [١٧٤]

وقبل أن نولج في البحث عن الشام التوراتية ومصر التوراة وبالتالي الإحاطة بإسرائيل القديمة نتعرض بإيجاز إلى بعض الاعتراضات التي يرفعها الباحثون المعاصرون في وجه التوراة بوضعها الحالي ومنهم الأستاذ(محمد بيومي مهران) الذي يسوق لنا الاعتراضات التالية:

- **يرى(مهران) أن التوراة** استعملت لقب فرعون استعمالا خاطئا فهذا اللقب استخدم فقط في الدولة المصرية منذ(**١٤٣٦-١٤٩٠ ق.م**) وأكده أخناتون.
- **وأنه في عهد سليمان**(٩٦٠-٩٢٢ ق.م) جرت العادة أن تضاف كلمة-ملك مصر- إلى لقب فرعون نفسه وفي التوراة ورد لقبا مجردا.
- **وأن إبراهيم اشترى مغارة** المكيفلة من فرعون الحثي، وأن عيسو قد تزوج من يهوديت ابنة بيرى الحثي وبسمه أبنه أيلون الحثي. ويعلق (مهران) أن الحثيين لم يظهروا في فلسطين إلا (١٩٤٠-١٩٦٥ ق.م) وبالتالي فالنص مغلوط.
- **وأن يوسف في سفر التكوين**(بيع في مصر من أهل مدين، وفي آخر سفر العدد يرد أنه بيع من الإسماعيليين.
- **وأنه في سفر التكوين(تأخذ الرعدة سكان فلسطين، وأنه في أيام موسى لم يكن الفلسطينيون) قد جاءوا من البحر إلى فلسطين.** [١٧٥]

يضاف إلى ذلك حوالي ثلاثين شاهدا على قضايا متناقضة يعتبرها البحاثة دلائل على تزوير التوراة.

وبعد هل لنا من سبيل إلى (الشام التوراتية) ومصر التوراتية في جزيرة العرب على بصيص من آثار الأخباريين العرب والشهادات النقشية التي أظهرتها أعمال الحفر الأركيولوجي في (اليمن). ونفضل هنا البدء بما ورد لدى الإخباريين العرب حول الشام في جزيرة العرب.

- **شام اليمن:**

ابن المجاور الشيباني الدمشقي أحد مؤرخي القرن الثالث عشر للميلاد، يظهر كتابه الشهير ب(تاريخ المستبصر) الذي كرسه لتاريخ وجغرافية (اليمن والحجاز ونجد) أسلوب مؤلفه -ابن المجاور- إذ لاحظ الباحثون أن :

ابن المجاور يتميز عن كثير من الجغرافيين والمؤرخين الإسلاميين بأن التجربة الشخصية والمشاهدة هما أول وأهم مصادره عكس(الأصطخري) و(ابن حوقل) اللذين لم يزورا اليمن، أو المسعودى الذي اقتصرت زيارته على السواحل، أو ياقوت الحموي الذي استند إلى الروايات والأخبار و لم يعرف اليمن. [١٧٦]

هذا المؤرخ التاجر حدد لنا(شام اليمن) في رقعة واسعة من سواحل تهامة اليمن:

أرض تهامة-المعروفة بأنها زبيد وأرض الحصيب- والتي هي قطعة من اليمن ،وهي جبال مشتركة تشرف على بحر القلزم غربا، وشرقيها بناحية صعدة، وحرض ونجران، وشماليها حدود مكة، وجنوبيها من صنعاء... كانت تسمى في عدن الشام، وتسمى في المهجم اليمن وتسمى عند آل عمران كوش. [١٧٧]

وقد أتى (ابن المجاور) على ذكر بعض أودية الشام هذه:

وفي أودية الشام وادي (رماع) ووادي (الكدراء) ووادي(سردد) ووادي(مور) وجميع هذه الأودية يقطع منها الخشب لأجل العمارة. [١٧٨]

هذه صفة بلاد الشام من تهامة اليمن كما حددها هذا المؤرخ المجرب الذي يظهر كتابه هذا، ولع شخصه وشغفه في رصد التصورات الشعبية التي يختزنها سكان المناطق المطروقة من قبله عن آثار أسلافهم الذين كانوا في غابر الأزمنة يترلون تلك المناطق والبقاع... ومما نقل (ابن المجاور) عن (شام اليمن) التي نأنس إلى تقديمها (هنا) على أنها بلاد الشام التي شهدت حدودها كثيرا من الوقائع التوراتية المنسوبة اعتسافا إلى بلاد الشام المعروفة اليوم بالقطر(السوري)، ما يشير إلى تعرف أبناء تلك البلاد الشامية على آثار نقشية عتيقة في أودية تهامية منها الراحة وحيران والهجر....الخ. وتقع كلها في حدود قبيلة(حكم اليمنية العريقة)[١٧٩] ، قال:

وفي المدينة– سيار من أعمال حران/حيوان– ثلاثمائة وستين بئرا على كل بئر صخرة عليها مكتوب: لا إله إلا الله موسى كليم الله......[١٨٠]

وغني عن القول بأن أصحاب تلك الآبار كانوا من أتباع موسى الكليم(عليه السلام)، فإن (ابن المجاور) لم يفته التعرف على تسمية جامعة تطلق على القبائل اليمنية التي يضمها مخلاف الشام هذا فهم:

والي هجر أربع فراسخ، ومن هنا (الراحة) إلى حران(حيوان/عند الهمداني) يعرف بالدرب. ومن هذه الحدود إلى زبيد يسمون أهلها (الشمه) لأن هذه الأعمال تسمى في زبيد الشام. [١٨١]

هكذا فهذ هي (الشام) وأهلها الشاميون كانوا يعرفون في عهد (ابن المجاور) ب(الشمه). ترى هل يوجد في نقوش المساند اليمنية القديمة ما يؤكد هذا الطرح ؟

• مخلاف الشام في النقوش المسندية:

نعم فلدينا من نقوش المساند الحميرية ما يدعم قول (ابن المجاور) في الشام اليمانية فقد بلغنا من النقوش العائدة إلى أواخر القرن الثالث للميلاد المتعلقة في عهد أشهر الملوك التبابعة **وهو(شمر يهرعش) ووالده (ياسر يهنعم) اللذين تمكنا من إعادة توحيد اليمن القديم تحت اللقب الشهير : (ملك سبأ وذي ريدان) وانتقال دفة الحكم من أيدي السلالة الملكية السبئية التقليدية إلى البيت الريداني... بعدها كرس(شمر يهرعش) ملك سبأ وذي ريدان جهوده:**

إلى تثبيت دعائم الدولة الموحدة، وخاض من أجل ذلك الحروب في كل اتجاه فطارد الأعراب المشاكسين في أودية(شامة) الصابة في تهامة الشام. [١٨٢]

ومن هذه النقوش (**كوربوس/٤٠٧**) وصاحبه هو واحد من (الأذواء/المقتوين) لدى الملك(شمر يهرعش) واسمه(أبو كرب ذو سردد ونجبانُ) وقد سجل في النقش مرافقته للملك (شمر يهرعش) في حملة ضد قبائل:

السهرة ودوأت وصحار وحرة الذين حاربوا سيدهم (شمر يهرعش) في وادي (ضمد) فأكبهم ودحرهم إلى العكوتين بكنيف(شامت/شامة) وهما جبلان معروفان في منطقة (جازان) حتى اليوم وقد حدد موضعهما (العقيلي) :

*** العكوتان: جبلان شرقي(صبيا) أحدهما يعرف بعكوة(اليمانية) وآخر بعكوة (الشامية).**

أما النقش فقد نسب العكوتين كليهما إلى (شامت/الشامية). [١٨٣]

إذن فقد كانت أل(شمة) – وفقا لقول (ابن المجاور)– هم المتمردون في(الشام اليمانية) على التبع

الشهير(شمر يهرعش) وفي معاجم اللغة نقرأ :

***العكوة: بفتح العين مهملة والواو بينهما كاف ساكنة آخره هاء: أصل الذنب.... وقيل فيه لغتان عكوة وعكوة، جمعها عكى وعكاء.** [١٨٤]

وحيث أن القبائل العربية قد درجت على معرفة حدودها الجغرافية فإنها كانت تحبذ أن تكون شوامخ الجبال أقصى تخومها ومضاربها فهذا حي بجيلة من الأزد ينهض لمطاردة جابر بن ثابت الفهمي الشهير ب(تأبط شرا) إلى موضع يخيل لي أنه أقصى حدود بجيلة، ذكره تأبط شرا بقوله:

ليلة صاحوا وأغروا بي سراعهم (بالعيكتين) لدى معدى ابن براق[١٨٥]

نعم فهذه (العيكتان) في حمأ الطائف غير (عكوتي) جيزان المقصودتين في النقش(كوربوس/٤٠٧) في كنيف شامة، وحيث أن العكوة هي أصل الذنب فالتسمية هنا تشير إلى الحد الفاصل بين إقليم (شام اليمن) وإقليم (اليمن/ أرض التيمن توراتيا). فما ذهب منها- من العكوتين- شمالا فهو شام وما ذهب جنوبا فهو(يمن) لأن عكوة الإقليم هي أصلة أو حدة تماما كما **(عكوة الذنب: أصلة).**

وفي واقع الحال أن(شامت/الشام) و(يمنت/اليمن) كإقليمين في جنوب شبه جزيرة العرب وبحدودهما التي تشير إلى تهامة ومنطقة جيزان على وجه التحديد ذكرا في النقوش المعينية العائدة إلى ما بين القرن الرابع والأول قبل الميلاد حسب تحديد (د/بيستون) أحد مؤلفي المعجم السبئي. [١٨٦] **فهذا نقش (ربرتوار/٣٠٢٢) يحمد فيه صاحبا النقش ضمن أمور أخرى الإله(عشتر/ ذي قبض) و(دوم) و(نكرحم) و(أمرسم) بما من عليهما من النجاة والسلامة من:**

ضر/ كون/ بين/ ذ يمنت/ وذ/ شامت

أي من الحروب التي كانت بين (ذي يمنه) و(ذي شامه). [١٨٧]

نعم فبعد هذا البرهان النقشي الذي اكتشف محفورا على سور أحد أزهى مدن الجوف المعينية، وهي (يثل/ في النقوش) والمعروفة لدى الإخباريين العرب باسم(براقش)، بعد هذا الأثر الذي أظهر إلى الوجود حقيقة وجود (الشام) في البلاد المعروفة حتى اليوم باسم(الشام) أو الشامية وأن أهالي الشام(ذي شامة) كانوا يحتربون مع تواجد حضري آخر يعرف ساكنوه(بذي يمنه) أي اليمن... وأن الحد الفاصل بين هذين الإقليمين الواقعين في القطاع الجنوبي لشبه جزيرة العرب هو واحد من :

ثلاثة تجمعات من المخاريط البركانية (أم القمم والقارعة وعكوة) المحيطة بسهل جيزان الساحلي من الجهة الداخلية. [١٨٨]

فهل يوجد بعد ذلك من شك في أن الشام التوراتية هي(شام اليمن) لا الشام المنحصرة اليوم

بالقطر السوري الشقيق... خاصة وأن هذه الدلالة النقشية قطعية... فهذا(جيرالد دي غوري)، وهو من آخر الرحالة البريطانيين الذين وصفوا شبه الجزيرة العربية :

هناك في وديان عسير واليمن والحجاز خرائب قد تقدم ذات يوم لعلماء التاريخ وللعالم معرفة أكبر بالدول القديمة..و.... بالممالك الأقدم لشبه الجزيرة العربية، وقد تفصح بوضوح عن معاني الكتب المبكرة للتوراة وعن معاني التلميحات التاريخية في القرآن. ومن يدري أية كنوز تاريخية ترقد دفينة في خرائب عسير الدارسة. [١٨٩]

ولعمري أن بقية مما قد يعيق ويعكر هذا المفهوم تنجلي كلية بمعرفة أن:

أهل سوريا لا يطلقون اسم الشام إلا على دمشق فقط، ومثلهم المصريون الذين يطلقون اسم مصر على القاهرة بينما تحتفظ الجزيرة العربية بمدن ومناطق عديدة يطلق عليها الشام، ومنها العرضية الشامية تمييزا عن العرضية اليمانية. [١٩٠]

- **مصر التوراتية:**

يتفق ثلاثة من الباحثين العرب في مجالات الدراسات التوراتية أن(مصر التوراة) هي غير مصر النيل- مصر الفرعونية- وأنها أي مصر المعنية بكثير من القصص التوراتي ليست إلا جزيرة العرب أو إقليما فيها. ولتدعيم هذا الرأي (الطرح) يستشهد(د/سيد القمني) بفقرة (لأورسيوس) وردت في كتابه(تاريخ العالم) حيث وصف فيه مصرين هما:

١. **مصر الأدنى**: وهي المعروفة اليوم بمصرالنيل أي مصر الفراعنة.
٢. **مصر الأقصى**: وهي بلدة ممتدة إلى ناحية المشرق، وحدة في الجوف هو خليج العرب وفي القبلة البحر المحيط وفي الغرب مبتدأ من مصر الأدنى وفي الشرق بحر القلزم. [١٩١]

وعليه فإن (مصر الأقصى) وفقا لهذا التحديد هي جزيرة العرب فهي:

- تقع إلى الشرق من مصر الأدنى وحدها القبلي(الجنوبي) البحر المحيط المعروف بمصطلحات اليوم بالمحيط الهندي.
- مصر الأقصى هذه يشكل خليج العرب حدها الشرقي .... وفي نفس الوقت لا يحد مصر النيل بأي وجه من الأوجه. وباحتساب البحر الأحمر هو بحر القلزم وفقا للمفهوم الشائع لدى الباحثين فإن الأمر لا يستقيم... بهذا يكون (أورسيوس) قد وقع في خطأ ما غير أن (هيرودتس) يرى:

أن البحر الأحمر(القلزم) هو الخليج العربي وليس البحر الأحمر، مع العلم بأن قدماء الإغريق

كانوا بالفعل يطلقون اسم البحر الأحمر على كامل الأبحار المحيطة بشبه جزيرة العرب. [192]

وعليه فإن الخطأ ليس في تحديد(أورسيوس) أو(هيرودتس) وبقية قدماء المؤرخين الإغريق وإنما في المفهوم الشائع لدى الباحثين المعاصرين الذين لا يجهلون هذه التحديدات، ومن هؤلاء الباحثين البروفيسور (والبانك/**Wallbank**) من جامعة (ليفربول) ببريطانيا **يوضح أن مفهوم البحر الأريتري أو البحر الأحمر لدى اليونانيين كان يحوي معا ما نعرفها اليوم بأسماء البحر الأحمر والبحر العربي والخليج الفارسي.** [193]

ومن هذا المنطلق يرى(القمني) بحر القلزم **على أنه عضد الخليج العربي الممتد من مضيق هرمز جنوبا نحو المحيط الهندي... أما بقية الخليج وهو الجزء الذاهب من هرمز إلى الشمال فهو الخليج العربي.** [194]

وقد تمكن (د/سيد القمني) وهو يعالج التاريخ المجهول من سيرة أبينا إبراهيم (عليه السلام)، استنادا إلى التحديدات الجغرافية التي وضعها المؤرخون الإغريق للعالم القديم، فبوضع الأسماء على مسمياتها (تمكن القمني) من اقتفاء تنقلات إبراهيم الخليل(عليه السلام) وفي معيته عشيرته الكريمة متوغلا داخل شبه جزيرة العرب:

فالإصرار الواضح في رحيل النبي(إبراهيم) نحو الجنوب، يحيلنا معه باستمرار إلى جزيرة العرب جنوبا، فالتوراة تكرر دائما التعبير:

- **ثم ارتحل إبرام ارتحالا متواليا نحو الجنوب** ــ تكوين/١٢/١٩
- **فصعد إبرام من مصر.. إلى الجنوب** ــ تكوين/١٣/١
- **وانتقل إبرام من هناك إلى أرض الجنوب،**

وسكن بين قادش وشور،وتغرب في جرار. ــ تكوين/٢٠/١ [195]

نعم فقد كرس أخونا الباحث التوراتي كتابه المذكور آنفا للكشف عن المجهول من سيرة الخليل ووضعها في حيزها الجغرافي اللائق بها وهو هنا جزيرة العرب... التي ظل المحرر التوراتي لا يتجاهلها عن عمد بتحريفة للنصوص التوراتيه كي تناسب البيئة الجغرافية الجديدة والتي كانت بأحداثياتها الجغرافية المختلفة لا تتفق مع النص على الرغم من تعديله(تحريفه) الأمر الذي تبينه دراسات نقد التوراة ومن بينها كتابنا الذي نكرسه لدراسة تاريخ اليمن في العهود التوراتية العتيقة. وفي هذا الاتجاه يذهب(د/زياد منى) بحثا عن مواطن (كوش) التوراتية والتي يجد لها أثرا عند (ابن المجاور) في تاريخه المعروف ب(المستبصر) حيث يشير إلى أن تهامة وهي الإمتداد السهلي الذاهب في غرب جزيرة العرب

من نجد اليمن حيث(صنعاء) حتى حدود (مكة) تعرف:

بثلاث تسميات هي:

١. **الشام** : عند أهل عدن.

٢. **اليمن** : لدى أهل المهجم.

٣. **كوش** : عند آل عمران.

ووفقا للتقسيم الأثني الوارد في(سفر التكوين) فإن بني كوش هم :

سبأ وحويلة وسبته ورعمة وسبتكا وشبا وديدان.

وحيث تدل اللقى الأثرية أنها كانت ممالك عربية جنوبية قديمة. وبالتناغم مع لائمة الشعوب في سفر التكوين الاصحاح العاشر نجد أن:

كوشا : من سلالة نوح الحامية وأنه أخ لمصراييم وفوط وكنعان، فإلى جانب حقائق أخرى فإن تفسيرنا (زياد منى) تكتمل صورته بتبني ما أشار إليه الصليبي أن:

- **مصراييم : في هذا التقسيم الأثني يقصد بها مصر في جزيرة العرب (أي إقليم مصر).** [١٩٦]

أما (د/كمال الصليبي) صاحب كتاب (التوراة جاءت من جزيرة العرب) فقد كان السباق فيه إلى القول بأن مصراييم التوراتية هذه يكمن اقتفاء آثارها في ال مصرمه: **بين أبها وخميس مشيط، وقرية مصر في وادي بيشه في إقليم عسير.**

ترى هل يوجد في نقوش المساند أي ذكر لمصر في جزيرة العرب ؟

هناك نقش معيني يرجع إلى عهد ملك معين: (أبيدع يثع) وابنه(معد كرب إل يفع) من النقوش التي عثر عليها في مدينة (براقش) (يثل في النقوش)، وهو في مدونة النقوش الفرنسية (ربرتسوار/٣٠٢٢) وصاحباه هما:

عم صدق/ بن/ حم عثت/ ذ يفعن/ وسعدم/ بن/ علج/ ذ ضفجن

أي : (عمي صدق بن حمي عثت ذي يفعن)

وسعد بن علج ذي صفجن... يصفان نفسيهما بأنهما : **كبري/ مصرن/ ومعن/ مصرن.**

أي : كبيري مصرن ومعين مصرن.

وهذه إشارة إلى إقليم أو منطقة تعرف حتى النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد ب:

***مصرن أو المصر إذا اعتبرنا النون هي لاحقة التعريف العربية الجنوبية وبهذا فقبيلة معين(معن) هي جزء من إقليم مصرن/ المصر.** [١٩٧]

وفي حقيقة الأمر أن النقش(ربرتوار/٣٠٢٢) قد وردت فيه أسماء مناطق أو أقاليم متباعدة حسبها أهل الاختصاص هكذا !

اشر = أشور ؟

وعبر نهرن = بين النهرين ؟

ومصر = مصر النيل ؟

ومذي = بلاد فارس ؟

وقد قام أصحاب النقش بقيادة القوافل المعينية إلى (مصر وأاشر) وفي طريق العودة تعرضوا لغارة على القافلة في موضع بين(معنم ورجمتم) من قبل السبئين والخولانيين ويعتقد أن رجمه(برجام) هي نجران نفسها ،وقد كانت وفقا لنقش سبئي من نفس المدونة (ربرتوار/٣٩٤٣) حاضرة قبيلة (م هـ ا م ر) مهامر وعليه فقد استنتج علماء النقوش أن المقصود بخولان هي خولان(الشام) الشمالية لأن (رجمتم) هذه تقع في منطقة نجران. [١٩٨]

ومما يثير التساؤل أن موقع المعركة يمكن أن يكون داخل الهضبة اليمنية وضمن نزاعات مسلحة كانت تعصف باليمن بين الممالك القديمة. **ففي منطقة خصبة في الشمال الشرقي من صنعاء بمسافة ٢٣ كم يقع في بني حشيش وادي السر ويطل عليه حصن(ذي مرمر) وحصن ذباب** وجبل(صرع). [١٩٩]

يعرف واد آخر يدعى:

- **برجام:** بكسر الباء الموحدة وهي ما يسمى اليوم رجام (رجمة = رجمتم).

فإذا ثبت أن المقصود برجمتم(رجمة) هي(رجام) في وادي (السر) لا رجمتم(رجام نجران) فإن وادي السر نفسه يحتمل أنه المقصود ب/أاشر التي أتت بعد (مصر) في مستهل النقش. فكثير من التسميات القديمة المسبوقة بالحرف الصائت الألف هي اليوم تلفظ (وتكتب) بدون الألف (أي بإهماله) نحو وادي آخر(أحد أودية شبوة) الذي يعرف اليوم ب/خر ووادي خلة- أحد أودية سرو حمير- الذي كان يعرف ب(أخلة) [عند الهمداني مثلا].

وقد وصف الهمداني في الصفة وادي السر هذا:

(أنه من عيون أودية اليمن وبه قرى كثيرة ومنازل لآل الروية للضيافة ولمن سبل الطريق وفيها من جبال مراد جبل برجام(رجام/رجمتم) ومنازل آل الروية باعفاف وحذان من السر وفيه بعد ذلك قرى كثيرة مثل الأسحريين والبركة والقرظة وغير ذلك وسكنه من خولان...... والسر

مبتدأ المحجة إلى البصرة من صنعاء ووادي سعوان. [200]

وفي مطلع النقش نقرأ عن إشادة مبان ورفع أسوار بين قصر **يهما/ ظربن/ ولبان/** وكما يتحدث عن **واجهة /تنعم/** في إطار هذه التحصينات التي تقبلها الإله **عثتر(القابض/ذي قبضم)** عوضا عن الغرامات النقدية. فإذا صح رأينا هذا فإن المقصود **ب/تنعم** هو بعض(السر) ذكره (الهمداني) في نفس الحيز من أودية خولان الطيال (خولان العالية) :

قال بعض قدماء حمير... أحلك الأرض مسور وأختها بتوعر، وأحور فأحور وسعوان لو يمطر ووادي التناعم وفيه أودية منها سحر وصبر ووادي عاشر ووادي غيمان ويفد ويدع ووادي مسور...

ويحقق (الأكوع) هذه الأودية جميعها في خولان العالية وعن التناعم يقول: هو ما يسمى اليوم تنعم وتنعمة. [201]

وعليه فإننا يمكن أن نقول أن النقش (ربرتوار/٣٠٢٢) يتحدث عن أحداث (أزمان) وأماكن داخل اليمن.

أما الحرب التي أخرجتهم منها الآلهة**(من وسط مصر)** سالمين والتي نشبت بين / مذي/ ومصر/ فقد تكون حربا قامت بين (مذي[اليمانية]) و(مصر اليمانية)، فقد احتار علماء النقوش القديمة فيها وقد:

فسرها بعضهم بالحرب التي فتح قمبيز خلالها مصر في ٥٢٥ ق.م. وفسرها آخرون بالحرب التي جرت بين الميديين والمصريين عام ٣٤٣ ق.م. بينما ذهب آخرون إلى أنها حرب بين السلوقيين والبطالمة وذلك عام ٢١٠ ق.م. [202]

أما (مذي) فقد بقيت ذكراها في:

- **وادي مضي: بالميم والضاد المعجمة آخره ياء مثناة تحتية.**

ذكرها ابن المجاور كمحطة يمر بها المسافر من شبام(حضرموت) إلى ظفار(ظفار/سلطنة عمان) ساكلن(في نقوش المساند)، **وتأتي بعد قبر النبي داليال بن هود في دوعن ومنه إليها خمس فراسخ.** [203]

وتعرف اليوم بمدينة (بضة) بالباء الموحدة والضاد المعجمة آخره هاء من كبريات مدن وادي دوعن. [204]

ويقترب احتمالنا هذا خطوات من عين الحقيقة حول مصر التوراتية(مصر الجزيرة) في الصلة التي نعقدها بين معطيات النقوش المسندية اليمنية القديمة وتخريجات أهل الاختصاص فيما يتعلق ب(مصر

التوراتية)، فقد ذهب بعض الباحثين ومنهم (د/سيد القمني) إلى اعتبار (سلطنة عمان) الحالية هي القطر المقصود به(ماجان/ميكان) في الكتابات المسمارية الأشورية في عهد(نرام-سين) ٢٤٠٠ ق.م. وغيره من قدماء الملوك الأشوريين. وبالاستناد إلى رواية(المسعودي) في مروج الذهب من أن (ميكان هي محلة سيراف) وحيث أن (سيراف) تعني (ثعبان) وبالربط بين هذا المعنى و(تعويذة الأفعى) التي كان قدماء المصريين يتوجون بها رؤوسهم كتعويذة للحماية تمكن (د/سيد القمني) من فك اللبس الناجم من استخدام قدماء الأشوريين تسمية(مكان/ماجان) للدلالة أولا على (عمان) بينما استخدموها في عصورهم المتأخرة للدلالة على(مصر) فتبين له أن المقصود في كلا الحالتين(عمان) التي هي(مصر) لا(مصر النيل) وإنما مصر الجزيرة أي إقليم مصر[٢٠٥]– ونعزز هذا الطرح بالتالي:

*أولا: ذهبنا (آنفا) إلى احتمال أن الحرب التي ذكرها أصحاب نقش(ربرتوار/٣٠٢٢) بين (مصر/ومذي) لم تكن بين (مصر وفارس) بل بين (مضي) الحضرمية و(مصر الجزيرة العربية) وبتبني طرح القمني الذاهب إلى أن(مصر) هي (القطر العماني) وبالنظر ثانيا إلى إفادات النقوش المسندية العائدة إلى الثلاثة القرون الأولى بعد الميلاد التي تفردت في ذكر (إقليم حضرموت) بصيغة فريدة:

(مصر حضرمت)–أي مصر حضرموت– ونؤكد أنها صيغة فريدة لأنها قصرت في النقوش على حضرموت دون سواها من الأقاليم داخل الجزيرة العربية أو خارجها.

وقد وردت هذه الصيغة في نقش(جام/٦٢٩) العائد إلى عهد ملكي سبأ وذي ريدان:

سعد شمس أسرع وابنه مرثد يهحمد ابني إلي شرح يحضب/١ (بالتبني) ملك سبأ وذي ريدان...

وقد حكما في أربعينيات القرن الثاني للميلاد. حيث وردت في النقش على هذا النحو:

كل/ مصر/ يدع إل/ ملك/ حضرمت. [٢٠٦]

أي : كل إقليم يدع إيل ملك حضرموت.

وفي نقش (إرياني/٢١) العائد إلى عهد:

نشا كرب يأمن يهرحب/٢ ملك سبأ وذي ريدان بن إلي شرح يحضب/٢ ويازل بين ملكي سبأ وذي ريدان الذي حكم في الربع الثالث من القرن الثالث للميلاد وردت نفس الصيغة على هذاالنحو:

بعلي/ مصر/ حضرموت. [٢٠٧]

أي : على مصر(إقليم) حضرموت.

ودون التفريط بحقيقة اتساع النفوذ الحضرمي القديم ليشمل عمان كلها أو معظم أجزائها.. فقد ذكر صاحب كتاب (الطواف حول البحر الأحمر) العائد إلى القرن الثالث للميلاد الملك

الحضرمي(العزيلط/اليازوس) على أنه ملك بلاد اللبان. **وقد كشفت نقوش (خور روري) العائدة إلى عهد(العزيلط) خضوع محميات اللبان في منطقة ظفار العمانية شرق المهرة لهذا الملك الحضرمي. حيث يرد اسم ظفار في النقوش ومنها(بيرن/خور روري/٩) باسم /ساكلن/ أي الساكل/ التي قدم إليها من (شبوة) في ذلك العهد مهندس مبعوث من (العزيلط) لبناء ميناء(سمهرم) لغرض تصدير اللبان.** [٢٠٨] ولا يستبعد أن نفوذه قد وصل إلى أقصى بلاد عمان(ميكان/مصر). لهذا فالحرب المذكورة في(ربرتوار/٣٠٢٢) كانت بين(مذي/مضي) الحضرمية و(مصر حضرموت) التي نعني بها عمان. وتزداد هذه الرؤية وضوحا في الإحاطة بطبيعة العلاقة التي تظهرها النقوش بين معين وحضرموت، وهي علاقة يرى فيها البعض صورة من صور الوحدة بين الكيانين القديمين شملت الجغرافيا السياسية من الجوف حتى أقصى محميات اللبان شرقي حضرموت خاصة في عهد:

صدق إل ملك حضرموت الذي حكم معين أيضا وجعله(البرايت) مؤسسا للمملكة فيها حوالي(٤٠٠ ق.م). والذي اقتسم أبناه له من بعده العرشين فحكم(شهر علن) حضرموت وحكم (إل يفع يثع) معين. ثم جاء حفيده(إل يفع ريام بن إل يفع يثع) ليوحد المنطقتين تحت حكمه. [٢٠٩]

وإلى نفس الأسرة ينتمي(أبيدع يثع بن إل يفع ريام/ ٣٤٣ ق.م)، وهو الملك الذي ترجع إلى عهده أحداث النقش(ربرتوار/٣٠٢٢) وقد كان حينها ملكا لمعين. بينما كانت حضرموت يحكمها ملك آخر من نفس الأسرة كما جاء في نقش معين (ربرتوار/٢٧٧٥). [٢١٠]

ولدينا شاهد آخر يبين إلى أي مدى كانت أواصر العلاقة بين عرب الجنوب وعرب الشمال في مختلف العصور، فالأشوريين الذين حرصوا على علاقة متينة ومباشرة مع(ماجان/ميكان) التي هي مصر الجزيرة أو(مصر الحضرمية) والتي هي(عمان) الأمر الذي يتجسد لا في آثارهم الكتابية فحسب، بل وفي المنجزات المادية التي أقاموها لتسهيل الاتصال بين الجنوب والشمال وأهم هذه المنجزات هي الطريق التي كانت تربط بين شرقي حضرموت والعراق حيث يصفها ابن المجاور بقوله:

وأما(ريسوت) كانت مدينة عظيمة وكان من (بغداد) إليها طريق مطبق مجصص بالجص والنورة وكانت القوافل صاعدة بالبرهار أو الخف منحدرة بالبضائع التي تدخل الهند مثل الصفر والزنجفر والمارود والفضة وما يشابه ذلك وخربت من طول المدى. [٢١١]

وكان قد ذكر أيضا طريق(الرضراض):

كان من نجران إلى البصرة طريق الوضراض وكان المسافة فيما بين هاتين المدينتين سبعة أيام. [٢١٢]

وقد تطرق إلى الطريق الأولى ما بين (ريسوت وبغداد) فجعلها تغطي محميات اللبان الواقعة في ظفار(ساكلن في النقوش) بقوله:

كان من بغداد إلى ظفار ومرباط الطريق آمن يسلكه البدو في العام مرتين يجلبون الخيل ويأخذون عوضهم العطر والبر ويرجعون إلى العراق. [٢١٣]

هذه غاية ما يمكن قوله عن (مصر) الإقليم الواقع في جزيرة العرب والذي يمثل في الميثولوجيا الإغريقية دور الزوج بالنسبة لشبه جزيرة العرب غير تحديدات المؤرخين الإغريق والرومان ومنهم(أوراسيوس) لمصر الأقصى (جزيرة العرب) تمييزا لها عن مصر الأدنى (مصر النيل) وبالنظر إلى احتمالات أخرى منها ما تقدمه في (الفصل الأول) فإننا نرى في هذا الاسم (مصر) طبيعة ازدواجية. ففي الوقت الذي كان يطلق على مخلاف أو منطقة ما في شبه جزيرة العرب(نحو مصر الحضرمية) التي هي(عمان) أو (مصر) عند (الصليبي) فلا يمنع هذا من وجود عدة مواضع بنفس الاسم في جزيرة العرب كما لا يلغي احتمال أن هذا الاسم (مصر) قد اتسع في حقب التاريخ العتيق ليشمل الجزيرة العربية (قاطبة) حسب الإفادات التاريخية المذكورة (آنفا) تماما مثل تسمية (اليمن) التي بدأت تطلق على رقعة ما من السواحل الواقعة في (تهامة اليمن) كما في النقوش التي عرضنا لها(يمنت) حتى أصبح يعمم كما هو اليوم على معظم جنوب جزيرة العرب.

وحيث أننا تعاملنا مع النقش المعيني(ربرتوار/٣٠٢٢) على أنه يتحدث عن مواقع ووقعات داخل اليمن لا خارجها فإننا نتابع في الأسطر اللاحقة تحقيق عبارة: (عبر نهرن).

التي وردت في النقش تتويجا للدور الذي رسمناه في تحقيق النقش(ربرتوار/٣٠٢٢) مع ادراكنا عدم لياقة هذا الموضوع بالنسبة لبحثنا هذا الذي كرسناه لإبراز دور قدماء اليمنيين في تاريخ الشرق الأدنى.

- **عبر نهرن**: اعتبرها أهل الاختصاص في دراسة النقوش والآثار اليمنية القديمة بلاد بين النهرين (الفرات ودجلة)، أما إذا تغاضينا عن هذا التفسير لصالح البحث عن مواطن في هضبة اليمن(نجد اليمن) يمكن أن يكون هذا النقش المعيني قد قصدها فإننا نعلم أن في اليمن وديانا تظل فيها الينابيع والغيول ثره مدرارة على طوال العام وأن اليمنيين يأنسون لتسميتها بأنهار ومن هذه الوديان:
- **وادي ميتم: بفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحت ثم تاء من أعلى وميم آخره. نسب إلى مثوة بن يريم ذي رعين وعداده في الكلاع ثم من مخلاف بعدان. وهو واد عظيم ذو نهر جار على حافتيه القرى والمزارع. ويقع جنوب مدينة إب بنحو ميلين.**
- **وتبن: زنة عمر يطلق عليه من أسافل وادي ميتم.** [٢١٤] والأخير هو من الأودية المذكورة في

أقدم نقوش المساند اليمنية القديمة ومنها نقوش المكرب السبئي (كرب إيل وتر) التي تتحدث عـــن حروبه وفتوحاته وعلى رأسها نقش النصر الكبير وفيه يرد تبن بصيغة(تبنو) بزيادة الواو في آخره.

والأهم أن وادي (ميتم) يتفرع عند جبل (التعكر) إلى فرعين (نهرين) وبينهما أست أحد أجمـــل مدن اليمن:

* **جبلة: وزان قبلة، ذكرها(ابن المجاور) في تاريخ المستبصر بزيادة اللازمة اليمنية القديمــة ذي فهي ذو جبلة(ذي جبلة).**

وكما تقول مصادر الإخباريين أن عبد الله بن محمد الصليحي قد أسسها سنة سبع وخمســين وأربع مائة وقد عرفت بمدينة: النهرين: لأنها تقع بين نهرين كبيرين يجر في الصيف والشتاء. [٢١٥]

وفي وصف حاضرة الدولة الصليحية، قال عبد الله بن يعلى الصليحي أبياتا نسبها (ابن المجـــاور) للمازني:

هب النسيم فبت كالحيران — شوقا إلى الأهلين والجيران

ما مصر ما بغداد ما طبرية — كمدينة قد حفها نهـــران

خدد لها شام وحب مشرق — والتعكر الساهي المنيف يمان [٢١٦]

ولكن الأرض التي أنشئت عليها مدينة جبلة كانت منذ أقدم العصور عـــامرة، فحصـــن حـــب (حب= الذرة الرفيعة) وخدد(بالخاء المعجمة) من أقدم حصون اليمن.. أما:

* **جبل التعكر**: فهو أشهر جبال اليمن وفي أعلاه حصن التعكر الشامخ الشــهير أقـــدم معـــاقل اليمن. ووفق ما جاء في: (طبقات ابن سمرة) فإن هذا الحصن شيد قبل الهجرة النبوية بثلاثة آلاف ســنة وقد كان هذا الحصن ذات شأن عظيم ويوصف بأنه خزانة ملوك اليمن وفيه يقول محمـــد بـــن أبـــان الخنفري:

وفوق التعكرين لنا قصور — تشاييد الشرامخة الطوال [٢١٧]

وبعد ألا يمكن أن تكون الإشارة الواردة في نقش(ربرتوار/ ٣٠٢٢) إلى (عبر نهرن) أي إلى هـــذه البقعة العتيقة من اليمن حيث أسست مدينة النهرين جبلة ؟

سؤال نوجهه إلى أهل الاختصاص بدرجة أولى، فهل يعقل أن تترك بقعة خصبة (بـــين نهريـــن) أرض يباب حتى تقام عليها في أواخر النصف الأول من الألف الأول للهجرة مدينة (جبلة النهرين).

وبعد هذا المدخل الهام بالنسبة لدراستنا لتاريخ اليمن القديمة في(العهود التوراتية) حيـــث أصبـــح بمقدورنا وفقا لهذا النهج النقدي المخالف للمألوف والمعروف في دوائر البحـــث العلمـــي(بالمفـــهوم

التقليدي) نقول أصبح بوسعنا وقد عرضنا في هذا التمهيد إلى بعض الرؤئ المعاصرة في حقل الدراسات التوراتية وعلى وجه الخصوص الاسهامات الجريئة فيها.... وطعمنا هذه الأطروحات بإفادات نقـــوش المساند اليمنية القديمة ونخص في ذلك :

(ربرتوار/٣٠٢٢).

(كوربوس/٤٠٧).

التي تشير الى :

١. شام اليمن.

٢. مصر اليمن أيضا.

ونختم هذا المدخل بأسطر نكرسها لفهم لائحة الشعوب كما وردت في أقدم أســـفار(التــوراة) ونقصد به(سفر التكوين):

إن اهمية العرب وجزيرهم لم تكتسب لأن المؤلفين الإغريق والرومان كتبوا عنهم وإنما العكـس ودون التقليل من روعة وحيوية الحضارة الإغريقية بأية صورة من الصور، فقد كانت متخلفة عـــن جارها(السامي) بل وإنها أخذت الكثير منه.

والمهم في الأمر أن النقوش واللقى الأثرية في اليمن قد أثبتت أن جزيرة العرب والعديد مـــن اقوامها لعبوا دورا هاما في الحياة المادية والروحية لإقليم شرق المتوسط ومنذ القرن العاشـــر (ق.م) على الأقل. [218]

وبكلمة أخرى لا يختلف رواد هذا الحقل في القول بواحدية الأصول الأثنية واللغوية والحضاريـــة بشكل عام للشعوب السامية التي كانت الجزيرة العربية و بأطرافها الشمالية(بلاد الشام/بلاد الرافديـــن) البيئة التي أفرخت فيها تلك الشعوب وتكونت صروحها الحضارية بأبعادها المادية والروحية فيها.

ولعل ما يحفز أذهان الباحثين ويلهب حماسهم هو حقيقة تلك الجذور التي مـــا زالـــت يشـــوبها الغموض في بعض أوجهها الأمر الذي دفعنا للمشاركة بهذا الجهد المتواضع في أي جانب الإضـــاءات التي خلفها لنا مورخون الإغريق واليونان وعلى رأسهم (هيرودوتس) في(كتاب التاريخ ٨٩/٧) من:

إن الفينيقيين وسوريي فلسطين كانوا وفق روايتهم الذاتية، قد قطنوا سواحل البحر الأحمـر في البداية ومنها انتقلوا للاستقرار على ساحل البحر في سوريا، وأطلقوا أسماء مواطنهم الأصلية علـــى مستوطناهم الجديدة. [219]

نجد إجماعا لدى الإخباريين العرب في أن **كافة الهجرات سواء في الحجاز أو إلى العربية الشمالية**

أو إلى الشام، أو إلى الرافدين قد قدمت أصلا من بلاد اليمن. [220]

ولعل الباحث في هذا الحقل لا يجد مناصا من الإلتجاء إلى آثار التوراة في هذا الشأن :

ففي سفر البدء المعروف (بالتكوين) نقرأ في الاصحاح العاشر:

ويقظان ولد المودا وشالف وحضرموت ويارح وهدورام وأوزال ودقلة وعوبال وأبيمال وشبا وأوفير وحويلة ويوباب..جميع هؤلاء بنو يقظان. وكان مسكنهم من ميشا حينما تجيء نحو سفار الجبل المشرق. {سفر التكوين ١٠/٢٦ ٣١}

ويقطان كما تبينه التوراة هو ابن لعابر وأخ لفالج ابني عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام بن نوح. على هذا النحو تخرج التوارة في (سفر التكوين) مشجرة نسب(يقظان) ويقطان هو(قحطان) عند الإخباريين العرب. وقد جاء في كتاب: (الأمم السامية/ط دار نهضة مصر/١٩٨١) بيان للنص المذكور:

المراد من ميشا حتى سفار (ظفار) المقاطعات الواقعة في الجنوب الشرقي من جزيرة العرب وما يلي الجنوب من نجد وكانت القبائل الثلاث عشرة المنحدرة من قحطان تقيم بتلك المقاطعات ومن بينها:

١. **حضرموت:** التي تسمى بلاد حضرموت بها وكانت .
٢. **أوفير:** (أوفر/ هي المعافر= الحجرية اليوم). تحتل مرفأ بحريا اشتهر باسمها في التاريخ القديم- وذلك على ساحل البحر الأحمر-والمراد ب:
٣. **حويلة:** بلاد الأحقاف أي البلاد الرملية وكانت إقليما يحيط به نهر تسمية التوراة نهر (فيشون)، أما
٤. **سبأ:** (شيبا) هي سبأ التي تنسب إليها الدولة السبئية وعاصمتها مأرب وكانت أملاكها أي مملكتها تمتد إلى شمال الجزيرة العربية في عهد(تجلات بن عزر) و(سرجون الثاني) الأشوريين كما ذكرت نقوش عهدهما وكانت حدود مملكة سبأ تتاخم من الشمال ملك سليمان- فلسطين- من جهة الجنوب في عهد ملكة سبأ (بلقيس) في القرن العاشر قبل الميلاد.أما:
٥. **شالف:** فهي(السلف)
٦. **عوبال:** وهو عبيل. [221]

هكذا اجتهد أصحاب كتاب الأمم السامية في محاولة الإحاطة بجذور الأمم السامية وجغرافيتها وإذا كنا على وئام مع هذه التخريجات فإن من اللائق بنا ونحن نوسس إعادة الاعتبار لذاكرتنا التاريخية أن نستشير أصدق المصادر طرا ونقصد بها نقوش المساند الحميرية العتيقة علنا نظفر منها بما قد ينور

الزوايا الغائمة من ذاكرتنا (**ويهدي للتي هي أقوم**) وإذ نجد أصحاب كتاب الأمم السامية قد وجدوا سلوتهم في الآثار الاسمية للممالك الجنوبية العتيقة نحو سبأ وحضرموت والمعافر وحويلة والسلف....الخ. تلك التي تفسر لائحة الشعوب السامية الواردة في سفر التكوين التوراتي فلعله من المناسب هنا أن نشير إلى نقش عجيب (ريرتوار/٤٣٠٤) تعرض له دكتور التاريخ المرحوم(جواد علي) وهو عبارة عن لوح برونزي حفرت عليه عبارة:

عبد شمس بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. [٢٢٢]

أما بالنسبة إلى (**سفار جبل المشرق**) فقد آنس أصحاب كتاب (الأمم السامية) فيه موضع شهير في جنوب شبه جزيرة العرب وهو (ظفار) الاسم الذي أطلقته حمير على حاضرة الحميريين وقصبة ملكهم الشهيرة باسم (ظفار) وتقع جنوبي يريم بمسافة ١٧ كم.. وتقوم على قمة جبل (ذو ريدان)[٢٢٣]هذا الموضع له شهرته التاريخية نستبعد أن يكون المنصود ب(سفار) التوراتي. كما أن (ظفار الحبوطي) الواقعة في التخوم الغربية لسلطنة عمان ليست المقصودة ب(سفار/توراتيا) لأن نقوش المسند الحضرمية العائدة إلى القرن الثالث للميلاد عهد الملك الحضرمي (العزيلط) ذكرت تسميةذلك الإقليم الشهير بمحميات اللبان وهي:

(ساكلن/أي الساكل) لأن النون هي لاحقة التعريف الحميرية.

إذا هل بوسعنا استشارة نقوش المساند الحميرية علها تكشف لنا عن موضع (سفار) التوراتية وموقع (جبل المشرق) هذا:

- **سفار اليافعية:**

وردت هذه التسمية (سفار) في واحد من نقوش ناحية (الحد) اليافعية التي تشكل اليوم الحد الشرقي لمنطقة (سرو حمير/يافع) والتي تعرف بتسمية تاريخية عتيقة أيضا وهي(العناق/عنقيم توراتيا). أما كيف وردت هذه التسمية (سفار) في نقش الحد الذي تعرض له مستشرقان يعملان لصالح مركز البحوث الفرنسي(CNRS) هما: (كريستيان روبان) و(فرانسوا بريتون) عام ١٩٧٦ للميلاد. وتناوله في دراسة تصويبية الباحثان اليمنيان (د/بافقيه) و(د/باطايع) في مجلة(ريدان/٥) ١٩٨٨ للميلاد. ومحتوى هذا النقش المعروف بنقش: (جامع بني بكر) يقول نصا :

١. **..../وورثم/ ودوسم/ بنو/ يشرن/ وسيض....**
٢. **..و/ عبدعم/ وهوفعم/ بنو/ ذ سفرم/ اقول/ شعبن/ سفرم/**
٣. **عشقو/ وسقح/ أبرث/ شمسهو/ بعرن/....**

٤ـ **عم(؟) بأخيل/ شعبسمو/ ومأدبتهمو/ سفر/**[٢٢٤]

ومحتوى هذا النقش هو:

هذا نقش لبعض الأقيال بني(ذي سفر) زبروه بمناسبة قيامهم بأعمال عمرانية في مواضع(أجزاء معبد) شمسهم بجبل ما في المنطقة وذلك بعون(عم)؟ وبحول شعبهم وأتباعهم (سفر).[٢٢٥]

وهكذا فنحن أمام نقش حميري قديم يعود إلى عهود (القيالة) يصف الملوك(الأقيال) أنفسهم بـأنهم من بني(ذ سفرم/ **الميم هنا هي لاحقة التنوين العربية الجنوبية**) أي أنهم من بـني(**ذي سفر/سفار بالتصويت**) وهم ملوك أقيال (**شعب= قبيلة كبرى في لغة النقوش**) يعرف بنفس التسمية (**سفرم/سفار**) وقد رجح محققوا نقش (جامع بني بكر) موطن هذه القبيلة (سفار) في نطاق التخوم الشرقية(لسرو حمير/يافع) الواقعة غربي محافظة البيضاء ومدينتها الأثرية المعروفة تاريخيا باسم(حصي) الواقعة في نطاق قيالة(مضحيم/مضحا). ولكن هل تقع(**سفار اليافعية) في (بلاد المشرق) كما هو (سفار جبل المشرق) في النص التوراتي) ؟**

نعم فقد أظهرت نقوش المساند القتبانية تحالفا قديما ضم في حوزته أقواما وقبائل حنوبية كبرى وحدها آله القمر القتباني الشهير ب(عم) لهذا فقد عرفوا في النقوش ب(أولاد عم) كما في نقش (ربرتوار/٣٥٥٠) العائد إلى عهد مكاربة قتبان حيث تظهر تجمعات قبلية متحدة مع قتبان وأولاد عم مثل **كحد(دثينة) وأوسان ودهسم (يافع) وتبنو(تبن)** وقد استمر هذا التحالف قائما وعرف فيما بعد باسم(**التحالف المشرقي**) في القرن الثاني للميلاد كما في (جام/٢٨٦٧) و(جام/٦٢٩) :

الذي يصف لنا قيام تحالف بقيادة حضرموت والقيل الردماني (وهب إل يحوز) بن معاهر وذو خولان وكل(ولد عم) وأوسان وهو ما نصفه بالتحالف المشرقي.[٢٢٦]

وقد استمرت تلك المناطق الجنوبية الشرقية الواقعة ما بين (يافع) وبلاد المهرة شرقي حضرموت تعرف باسم بلاد المشرق وأقرب الشواهد على ذلك تسمية فتوحات أئمة اليمن–حتى القرن العشرين– لتلك المناطق ب(**فتوحات بلاد المشرق**) وفي هذا النطاق **تقع(سفار اليافعية) أي في (حدود المشرق)** الأمر الذي ينطبق تماما على النص التوراتي هذا الذي حعل مواطن بني **(يقطان/قحطان) تنتشر عبر** الامتداد الواقع من حد(**هيشا حينما تجيء نحو سفار جبل المشرق) إذا فنحن في(سفر التكوين/الاصحاح العاشر) أمام لائحة ليست (بلائحة أمم) بقدر ما هي جدول بقبائل .... شبه الجزيرة العربية.... وسفر التكوين عبارة عن ديوان جمعت فيه الأساطير المتعلقة بأصول القبائل** والحواضر القديمة في شبه الجزيرة العربية **بما فيها الأساطير المتعلقة بأصل بني إسرائيل.**

والفكرة السائدة بأن سفر التكوين عبارة عن محاولات لتوضيح أصول عالم أوسع يشمل جميع بلاد الشرق القديم هي فكرة غير صحيحة وحرية بالإهمال. [٢٢٧]

وحيث أن (لائحة الشعوب/ الأمم) هذه تسرد سلالة حام بن نوح في(تكوين/١٠) مظهرة أن لـه من الأبناء أربعة وهم :

- **كوش/كوش.**
- **مصرايم/مصريم.**
- **فوط/فوط.**
- **كنعان/كنعن.** [٢٢٨]

وحيث أن (كوشا) قد ترسب فيما ذهب إليه (د/زياد مني) في تسمية تهامة اليمن عند أهل عمران وفقا لرواية (ابن المجاور) الآنفة الذكر، الأمر الذي يتطابق مع ما طرحه(الصليبي) **من احتمال أن يكون(كوش) يتمثل أيضا ب(كيسه/كيس) و(كوش/كوس) في منطقة جيزان..** [٢٢٩] لأن منطقة (جيزان) ليست إلا بعض أراضي تهامة الساحلية ومنها يتضح لنا صدق رواية (ابن المجاور) القائلة بأن تهامة هي**(كوش عند أهل عمران)** فهاهي **(كوس/كوش)** الجيزانية تقف شاهدة حية حتى اليوم. هذه الشهادة الدامغة إلى جانب حقائق أخرى دفعت ب(د/زياد مني) إلى تبني أطروحة الصليبي القائلة بأن **(مصرايم في هذا التقسيم الأثني يقصد بها مصر في جزيرة العرب) أي إقليم مصر. النص الآنف الذكر**- ونحن بدورنا قد استشرنا نقوش المساند اليمنية القديمة في مطلع هذا التمهيد- وسنزيد على ذلك في الفصل اللاحق... غير أن ما يهمنا الآن هو تدعيم هذا الطرح بمزيد من الشواهد أولها يتلخص في الكشف عن موطن(فوط بن حام/حم) فهل له من أثر ببقعة ما من شبه جزيرة العرب ؟

- **فوط بن جام/حم:**

نعم فقد تخلف هذا الاسم(فوط) بنفس الصيغة في:

- **فوط: قاع منبسط بالشمال الغربي من ساقين من بلاد صعدة، في وسطه تقع مدينة حيدان.** [٢٣٠]

ولا غرابة أن قاع(فوط) هذا الذي يقع في قلب شام اليمن إذ تعد (صعده) حتى اليوم حاضرة مخلاف الشام.... وفي نفس الوقت يحوي قاع(فوط) على مناطق أثرية عتيقة:

(إذا تقع حيدان في الجهة الشرقية من جبل (المفتاح) الغني بآثاره القديمة أما(ساقين) فقد كانت مشهورة بسدها العتيق الذي ظل باقيا حتى سنة ٢٠٠ للهجرة... وكانت مياه السد تسقي وادي

العبديين المشهور بأعنابه وفواكهه). [231]

والآن دعونا نعرج سوية لنرى شاهدا آخرا في رحاب تهامة الأسرار ليروي لنا قصته مع بني إسرائيل في عهد بطل الخروج من مصر الأستبعاد ألا وهو موسى المصطفى(عليه السلام) هذا الشاهد الحي هو واحدة من المدن التهامية تعرف ب:

- **حلي: بفتح الحاء وسكون اللام، بلدة تهامية على شط البحر الأحمر في جنوبي القنفذة ،ويقال لها(حلي ابن يعقوب) وهي مشمولة الآن بنفوذ السعودية.** [232]

فما شأن (**حلي ابن يعقوب**) [233] هذه بخبر خروج موسى الكليم (عليه السلام) بقومه من (مصر).... نعم فشأنها عظيم في سيرة بني إشرائيل(لاحظ فهي حلي ابن يعقوب)!

فقد وصفها (ابن المجاور) في عداد المدن القائمة على محجة الطريق بين مكة والمحالب بقوله:

وإلى حصارة خمس فراسخ وإلى حلي سبع فراسخ بلد فيه جامع ومنارة.... وجميع هذه الأعمال لبني كنانة. وإنما اشتق اسم حلي من الحلي الذي جمعه السامري من بني إسرائيل في أيام هارون بن عمران(عليهما السلام) وجعل منه صورة عجل كما قال الله تعالى: ﴿ **فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار** ﴾. [234]

ولا غرابة أن هذه الشهادة أتتنا من القرن الثالث عشر للميلاد-عهد المورخ ابن المجاور- تعني أن أبناء مدينة(**حلي ابن يعقوب**) التهامية قد جبلوا على حفظ ذكرى هذه الواقعة الشهيرة ذكرى ارتداد بني إسرائيل عن عبادة التوحيد إلى عبادة العجل(ثور/بعل) في ظل غياب كليم الله موسى(عليه السلام).

وحتى لا تذهب هذه الواقعة أدراج رياح النسيان فقد حرص أهالي بلدة(حلي) على تخليدها بإطلاق هذه التسمية عليها... وبهذا فإننا نعتبرها شهادة اثبات وتصديق لأطروحة (الصليبي) القائلة بأن بلاد التوراة ومواطنها هي شبه جزيرة العرب فضلا عن أن (حلى) قد تطرق إليها (الصليبي) وهو يقتفي مسار حملة الملك المصري(**شيشانق/شوشق أو شيشق بالعبرية على مملكة يهوذا في غرب شبه جزيرة العرب في القرن العاشرة قبل الميلاد....** وهي في ذات الوقت تدخل في نطاق (أرض الميعاد) التي حددها (الصليبي):

من جوار الطائف شمالا حتى حدود اليمن جنوبا ،
ومن حافة الرمال شرقا إلى البحر غربا(في الغرب).
وطالما حاول الباحثون التوراتيون مطابقة هذه الأرض
مع خريطة فلسطين وجوارها في الشام فلم يفلحوا. [235]

الفصل الأول

الوقائع الإبراهيمية
في
أرض التيمن / اليمن

(القصص القرآني) و(القصص التوراتي) على الرغم من نقاط التماس التي تجمعهما ، فإنّ هنـــالك من التفصيلات والمفارقات التي يتباين فيها النص القرآني عن النص التوراتي الكثير مما لا يدفـــع علـــى التأمل فحسب، بل ويحفز الباحثين في ميدان الدراسات التوراتية على إعادة النظر في النـــص التـــوراتي مسترشدين بالقبس القرآني، ولعل أخطر المفارقات التي يرصدها أهل الاختصاص تكمن في قضية تعمـــد النص التوراتي على إخفاء أي أثر للنبي إبراهيم(عليه السلام) في جزيرة العرب:

فالتوراة تصر من جهتها على الصمت المطبق إزاء ما أعلنه القرآن الكريم ، حول علاقـــــة النـــبي إبراهيم ببلاد العرب الحجازية، فلم يرد لهذا الأمر أي ذكر في التوراة المتاحة بين الأيدي اليوم... فـــلا قصة تكسير النبي للأصنام أو مثل قصة إلقائه في النار ، أو مثل خلافه مع أبيه حول صادق العقيـــدة أو مثل حواره مع الملك المذكور في التراث الإسلامي باسم (نمرود).

لهذا فقد لاذ الباحثون في حرم الرواية القرآنية لينهلوا من مواردها العذبة... فالقس (ماير) لم يـــأل جهداً في سبيل أن يطعّم كتابه (حياة إبراهيم وطاعة الإيمان) بدرر من الكنز القرآني:

ثم أنه-أي إبراهيم- كان كل ما رأى تمثالاً حطمه وكان يأبى أن يجثو للنار... وهذه الروايات لا تستند إلى أيّة إشارة في الكتاب المقدس على أنّه من الناحية الأخرى لا تورد فيه إشارة تنفيها.

هذه المعطيات وغيرها مما عرضنا في (المدخل) جعلت الباحث العربي الكبـــير(د/ســـيد القمـــني) يتصدى-وهو صاحب الأبحاث الرائعة في تراث الشرق الأدنى القديم- لدراسة سيرة خليـــــل الرحمـــن إبراهيم (عليه السلام) مقتفياً آثار النبي الكريم في رحلته الدائبة في أصقاع الشرق الأدنى ، فقـــد كـــان كما تنعته التوراة:

أرامياً تائهاً كان أبي فانحدر إلى مصر وتغرب هناك في نفر قليل فصار هناك أمة كبيرة وعظيمـــــة وكثيرة. [سفر التثنية/٢٦/٥]

وفي القرآن الكريم:

﴿إنّ إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يكُ من المشركين﴾ سورة النحل / الآيـــة ١٢٠ وإذا كانت محاور أو محطات السيرة الإبراهيمية تتلخص كما هو مأثور عند الباحثين في:

انطلاق النبي إبراهيم بأهله بمن فيهم ابن أخته النبي لوط (عليه الســـلام) مـــن (أور الكلدانيـــين) الواقعة جنوبي الفرات إلى:

بلدة (حاران) في أقصى الشمال. ومنها كانت عودته:

إلى كنعان /فلسطين في الجنوب الغربي ومنها كانت وجهته:

إلى مصر التي تغرب فيها في سنوات القحط والفسالة ثم كانت وجهته النهائية:

إلى أرض الميعاد كنعان/ فلسطين.

غير أنّ (د/ القمني) قدّم في كتابه (النبي إبراهيم والتاريخ المجهول) عرضاً فريداً لمسار التجوال الإبراهيمي شمل المناطق المذكورة في الأثر التقليدي(أعلاه) واقتحم على جزيرة العرب تخومها... حيث لم يرصد طريق النبي إلى الرحاب المقدسة حيث أقام في (مكة البيت العتيق) فحسب، بل وتتبع الموكب الناحوري إلى (أرض التيمن) أرض الجنوب-جنوب جزيرة العرب- التي هي (مصر الأقصى) فكانت خارطة الرحلة الإبراهيمية وفقاً لأطروحات القمني على هذا النحو:

الانطلاق من (أور/ أرتو) جنوب أرمينيا في المنطقة الكاسية. ثم

الهبوط إلى الجنوب متخللاً بلاد الحور ف

الاستمرار جنوباً إلى فلسطين. ثم

الهبوط من فلسطين إلى مصر (مصر الأدنى/ مصر النيل).

الخروج من مصر إلى جزيرة العرب حيث مصر الأقصى أو اليمن.

ونحن بدورنا سنميط اللّثام عن أهم المواقع التي عرج عليها أبونا إبراهيم(عليه السلام) في اليمن القديمة... وأبرز الوقعات التي عاشها الداعية الأول للعقيدة الحنيفية في جنوب الجزيرة وهي وقعات حسام ظل علم التوراة التقليدي يقدمها على أساس انتمائها إلى البلاد الواقعة ما بين نهري الفرات والنيل . في الوقت الذي ترفض فيه اللقى الأثرية والآثار الكتابية المكتشفة في بلاد الرافدين ومصر النيل أن تقدم أي دليل على الطرح التوراتي حتى من قبيل الإشارة الغير مباشرة إلى أي اتصال ما للقبائل الإسرائيلية معها، سواء في عهود (الآباء) أو في العهود اللاحقة من التاريخ اليهودي. فما هي الظروف التي أرغمت خليل الرحمن على الرحيل جنوباً ؟

أو ترى ما الذي حدى بخليل الله أن يترك أرض الميعاد(المفترضة!) وهو لم يكد يتنفس الصعداء فيها ويفرغ من إشادة (مذبح الرب هناك) ؟

ثم ارتحل إبرام ارتحالاً متوالياً نحو الجنوب. [سفر التكوين/١٢/١٠]

الإجابة يسوقها لنا النص اللاحق من نفس السفر نفس الإصحاح:

وحدث جوع في الأرض. فانحدر إبرام إلى مصر ليتغرب هناك. لأنّ الجوع في الأرض كان شديداً

[سفر التكوين/١٢/١٠]

إذاً فهو الجوع الذي دفع بإبراهيم(عليه السلام) ورهطه نحو الجنوب. وفي واقع الحال إنّ عبارة (الجنوب) ترد في التوراة بإلحاح عجيب يشير إلى الوجهة التي أمّها أبونا إبراهيم(عليه السلام) ووفقاً لطرح(د/القمني) :

فالإصرار الواضح في رحيل النبي نحو (الجنوب) يحيلنا باستمرار إلى جزيرة العرب جنوباً ، فالتوراة تكرر دائماً التعبير:

(فصعد إبرام من مصر إلى الجنوب) [سفر التكوين/١٣/١]

(وانتقل إبرام من هناك إلى أرض الجنوب، وسكن بين قادش وشور، وتغرب في جرار)

[سفر التكوين/٢٠/١]

هكذا فالجنوب المقصود هو جنوب جزيرة العرب خاصةً في ضوء قراءة الباحث التوراتي البارز(د/كمال الصليبي) الذي يرى في عبارة (هـ-نجب) الواردة في النص العبري(الجنوب/ بالقلب) لا صحراء (النقب) في جنوب فلسطين كما هو مأثور عند أهل الاختصاص .

وقراءة (الصليبي) هذه تنسجم مع (الترجمة العربية) لعبارة(هـ/نجب) المعمول بها في الترجمة العربية ل(الكتاب المقدس) من ناحية، ومن ناحية أخرى فهي تنسجم مع (النعت) الذي أطلقه شيخ المفسرين ابن كثير):

(ثم إنّ الخليل عليه السلام، رجع من بلاد مصر إلى أرض (التيمن) وهي الأرض المقدسة التي كان فيها، ومعه أنعام ومال جزيل)

وبغض النظر عن تسليم (ابن كثير)-مجاراة للمفهوم التوراتي حينها- بأنّ الأرض (التيمن تعني أرض بيت المقدس) فـ(المسعودي) كان قد استخدم:

مصطلحين للدلالة على الجنوب، الأول هو (يمن) أما الثاني فهو(تيمن).

وفي هذا المنحى يتحفنا الأستاذ/ فرج الله صالح ديب:

.... **تيمن:** من يمن ، وهي سريانياً(تيمونو): الجنوب ، لكن الجنوب قياساً لمن ؟ أليس قياساً إلى **الشمال** : شمال الجزيرة في لسان العرب:

تيمن من يمن. ومن معانيها البركة-ومنها ميمون ويامن. والأيامن خلاف الأشاتم. قال المرقش:

فإذا الأشايم كالأيامن والأيامن كالأشايم

يمن ، ايمن. أشب لليمن: وحق سلمى على أركانها اليمن. ويمنوا أتوا اليمن. وتيمن: إذا أتى اليمن(أي جنوب الجزيرة). ولها اشتقاقات في ثمان صفحات.

ومن أراد استشارة النقوش المسندية القديمة، فعليه الرجوع إلى نقش (ربرتوار/٣٠٢٢) و (كوربوس/٤٠٧) فيما يخص(يمنت وشامت) حيث فندنا هذا الموضوع في (المدخل).

أجل فقد كانت جنوب شبه جزيرة العرب هي ارض (التيمن) التي شُدَّت إليها رحال الركب الإبراهيمي في سني الجوع والفاقة. أرض التيمن هي جنوب الجزيرة المعروف ب(اليمن) وإلى مثل هذا يشير النص:

السرياني للتوراة بصدد الحديث على ملكة باسم ملكة(تيمنا/تيمونو) أي الجنوب.

*مصر اليمن:

وصل الخليل(عليه السلام) إلى يمن البركة فاراًّ بأهله من نوازل القحط التي سادت شرق المتوسط وشمال الجزيرة... واقتاد أهله بمن فيهم زوجته الصالحة(سارة) وابن أخيه النبي لوط(عليه السلام).. ونرجح أنه قصد في اليمن مخلافاً بعينه طالما ذكره الأخباريون على أنه (مصر اليمن) فأي مخلاف هو يا ترى ؟

* مخلاف السحول:

بفتح السين وضم الحاء المهملتين: هي قاع معروف ما بين (إب) جنوباً وحتى قفر يريم شمالاً.

وقد ذكره لسان اليمن(الهمداني) في الصفة والإكليل:

ويتصل بمخلاف (خولان) مخلاف (آل ذي جره).... ومخلاف ذي جره وخولان يسمى:

(خزانة اليمن) و(ذمار) و(رعين) والسحول مصر اليمن.

إذاً ف(مصر اليمن) هي ذمار ورعين والسحول عند الهمداني. أما محقق مصنفات الهمداني العلاّمة(محمد بن علي الأكوع) فيؤكد ما ذهب إليه لسان اليمن (الهمداني) غير أنّه **يحصر مصر اليمن في مخلاف السحول بالذات:**

من أخصب مخاليف اليمن ، ويقال له سرة اليمن و(مصر اليمن).

وهكذا فذمار ورعين والسحول مخلاف يُعرف في أيام الهمداني بمصر اليمن... ويتواتر ذكره في ا لذاكرة الشعبية عبر العصور حتى اليوم كما ذكر الأستاذ(محمد بن علي الأكوع):

(السحول سرة اليمن ومصر اليمن).

والشائع لدى عامة الناس في عموم اليمن أنّ من يهرب من الجوع فعليه بالسحول. وفيه يقول حكيم المزارعين اليمنيين (علي بن زايد) في أحد مهاجل البذار:

إن كنت هارب من الموت   ما حد من الموت ناجي

وإن كنت هارب من الجوع   أهرب سحول ابن ناجي

وفيه يقول طرفة بن العبد:

وبالسفح آيات كأنّ رسومها   يمانٍ وشتة ريده وسحولُ

ويدخل في السحول بعض من يحصب السفل ويُعرف بذي قينان (بالسحول). وتُعد يحصب من المناطق الخصبة زراعياً ولذلك تعددت السدود التي أقامها اليمانيون القدماء في هذه المنطقة حتى قيل أنها وصلت إلى ثمانين سدّاً. وإلى ذلك أشار أسعد تبع في قوله:

وفي البقعة الخضراء من أرض يحصب   ثمانون سدّاً تقذف الماء سائلا

على ضوء هذه الإفادات المتواترة لدى الإخباريين حول إقليم(مصر اليمن) الأمر الذي يتناغم مع المتواتر عبر الذاكرة الشعبية نواصل تحرينا عن (مصر التوراة) = (مصر اليمن). أو مصر الجنوب (جنوب جزيرة العرب).

فياترى من هو ملك اليمن القديمة الذي عاصر النبي إبراهيم الخليل ؟

- **فرعون اليمن:**

المشهور لدى الإخباريين العرب وعلى رأسهم لسان اليمن(الهمداني) أنّ خليل الله النبي إبراهيم(عليه السلام) كان معاصراً للملكين من مكاربة سبأ(السلالة السبئية الأولى) هما:

- الملك عبد شمس بن وائل وأبيه الملك:
- وائل بن الغوث.

وهما من سلالة (الهميسع بن حمير بن سبأ) ، ويأتي مسلسل نسبهم في مشجرة نسب أولاد الهميسع بن حمير في كتاب (الإكليل /٢ ص/٣٤١) :

عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير.

وفي باب القبوريات من (الإكليل/٨) نقرأ:

السكسك بن وائل بن حمير:

وأما السكسك بن وائل بن حمير فغزا النمرود بن ماش، فلما بلغ (جنو قراقر) من أرض العراق اعتل ومات فحملوه ورجعوا قافلين إلى اليمن.

تنقل لنا التوراة وقائع هذه الرحلة بقيادة النبي إبراهيم وهو حينها:
ابن خمس وسبعين سنة. لما خرج من حاران. فأخذ إبرام ساراى أمرأته ولوطاً ابن أخيه.
[سفر التكوين/١٢ نص ٥-٦]

كان هذا في بداية الرحلة ولا ندري كم مكث في أرض الميعاد المفترضة كنعان(فلسطين)، وكل ما نستطيع قوله أنّ سنوات قد مضت من عمره وهو يبني فيها مذابح للرب:

إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة... فبنى هناك مذبحاً
للرب الذي ظهر له. ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقي
بيت إيل ونصب خيمته. وله بيت إيل من المغرب وعاي
من المشرق فبنى هناك مذبحاً للرب ودعا باسم الرب.
ثم ارتحل إبرام ارتحالاً متوالياً نحو الجنوب.
[سفر التكوين/١٢/٦-٩]

لا شك أنّه وقد بلغ في رحلته هذه تخوم مصر كان قد تجاوز الثمانين من عمره بسنوات. ولنترك التوراة تروي لنا بقية القصة:

وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال
لساراى امرأته أنّي قد علمت أنّكِ امرأة حسنة
المنظر، فيكون إذا رآكِ المصريون أنهم يقولون
هذه امرأته فيقتلونني ويستبقونكِ. قولي أنّكِ أختي
ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك.
[سفر التكوين ١٢ /١١-١٣]

لن أقف على الجوانب الأخلاقية والأدبية والعقائدية للنص، فقد تصدى لهذا الشأن كثير من أهل الاختصاص ومنهم(د/سيد القمني) إذ خصص في كتابه السالف الذكر (النبي إبراهيم والتاريخ المجهول) فصلاً بعنوان: (إبراهيم في مصر) . ناقش فيه رأي القس(ماير) وآخرين ممن أدلوا بتفسيرات للحوار أو القرار الذي أدلى به خليل الله لسارة(ساراى) زوجته، عندما اقترب الركب من(مصر التوراتية) = (مصر الأقصى/مصر اليمن).

فهل من سبيل يأخذنا إلى مجاهل التاريخ البعيدة فنتعرف على أحوال المصريين وموقفهم من المرأة بشكل عام وقصة هذا الوافد الكريم عليهم.

وأنّ لنا فيما تتناقله الألسن وتسجله أقلام الإخباريين صحبة يمكن أن نأنس لها في هجرتنا نحو تأسيس معرفي سليم وصادق لوقائع العهد القديم وأحداثه المثيرة... ومن المفيد لنا أن نضرب إلى حقبة أقدم من عهد إبراهيم الخليل(عليه السلام) هي حقبة:

- **مؤسس السلالة السبئية:**

يُعرف مؤسس السلالة السبئية لدى الإخباريين العرب بأنه كما ينقل لنا (عبيد ابن الشريه):

سبأ بن يشجب بن يعرب واسمه عبد شمس، وهو أول من ملك فيهم وأول من سبا السبايا وغـــوا لسبي الحرم والذراري وفيه يقول شاعرهم:

ومنا الذي لم يسبُ قبل سبائه ومنا الذي راش الأنام مرارا

وقد ملك بعده(حمير)، وذلك قبل عاد بزمان وفي ذلك قال الخلجان بن الوهم من عاد:

أفي كل عام بدعة تحدثـــونها ورأى على غير الطريقة تعبروا

فإنّ لعاد سنة في حفاظـــــها سنحيي عليها ما حيينا ونقـــبر

وللموت خير من طريق تسبنا به جرهم ولعاد منها وحمــــير

وظلت هذه العادة تسري في دماء ورثة تاج سبأ وحمير ومعين وحضرموت وقتبان وغيرهم مـــن قدماء اليمنيين الذين حرصوا على الغزو من أجل سبي خرائد النساء وربائب الخدور:

يقود بها ديالها غير عاجز	**ثمانون ألفاً قادها من براقش**
فآبوا بألفي كاعب مظرية	**على إبل مثل الضباع النواهش**

وحتى عهود متأخرة استمر الملوك والأقيال والأذواء يتباهون بكثرة نسائهم وذراريـــهم اللـــواتي يقصرن لهم منذ طفولتهن ففي (ذي موكل) يقول قس بن ساعدة:

وعلى الذي كانت بموكل داره	**يهب القيان وكل أجرد شاح**

وفي (ذي الشوذب) قال النعمان بن بشير الأنصاري من صحابة النبي محمد ﷺ :

وذي الشوذب السمح الذي كان قد علا	**تُصان له حور النساء النواعم**

وتشير نقوش معينية إلى نساء أجنبيات قدَّمهن تجار معينيون لمعبدهم الرئيسي في معين وهنَّ مـــن مناطق مختلفة من(غزة، ديدان، مصر، يثرب[المدينة]، صيدا، يوان، {بلاشك من الأراضي الأغريقيـة في أوروبا أو آسيا الصغرى}) مؤاب وعمون(عُمان). وهذه التقدمات يرى فيها (ريكمنس) وسيلة لتقـديم العشر المقدس الواجب تسليمه من قبل تجار(معين) المغتربين للمعبد الرئيسي للوطن الأم. لكن بعـــض العلماء وبخاصة(محمود الغول) افترضوا أنّ الأمر يتعلق بإجراءات هدفها حصول الناذر علـــى موافقـة بالزواج من المرأة المقدمة بهذه الطريقة، على الرغم من وضعها كأجنبية.

وما دمنا نستقص عن دور المرأة في حياة اليمنيين القدماء فإنّ أقدم نقوش المســـاند المكتشـــفة في منطقة من بني ظبيان/ خولان الطيال تسجل لنا عن سيدة هي في النقش الموسوم [أ/٤٣/أ]:

هذا ما صادت به جحمه ذات بيت يثع أمر

منطقي(أريدي) و(دنم)

اجتأوا مئة وعشرة.

فهذا النقش صاحبته(جحمه) وهي سيدة بيت(يثع أمر) وهو مكرب سبئي من مكاربة السلالة التقليدية وهو في نقوش الصيد والطرائد(نقوش يلا):

يثع أمر بين بن سمه علي ينوف مكرب سبأ

وهو الذي حكَم مع والده في منتصف القرن

السابع ق.م. وسيدة قصره(بيته) التي تمت عملية

الصيد هذه لحسابها الخاص كتقدمة منها للآلهة تعد

أصدق مثلاً على مكانة المرأة الرفيعة في عهود مكاربة

سبأ الضاربة في القدم.

وفي نقش يعود إلى القرن الثالث للميلاد عهد نشأ كرب يامن يهرحب ملك سبأ وذي ريدان بن أيل شرح يحضب/١ ويازل بين.

وهذا النقش [أ/٢٤] صاحبه رب عثت/ يغنم/ من بني/ صعقان/ وتزاد/ ونهمان/ يتقرب للإله(المقة) ثهوان بعل أوام، بضم برونز مذهب وفاءً بنذره وحمداً لما من عليه من تحقيق أمله في زفافه على محبوبته:

*** تحي ال/ بت/ بني/ جرفم/ وصعقم**

عدي/ بيتهو/ تزاد. ويطلب لنفسه أن يرزقه بأولاد ذكور صالحين من:

*** اثتهو/ تحي.ال/ ذات/ تزاد** ، أي من أنثاه تحي ايل ذات(صاحبه) تزاد، وقد فهم الأستاذ مطهر الأرياني أنها قد أصبحت بهذا مثل زوجها تزاديه بما معناه أنّ المرأة قديماً كانت تكتسب اسم عائلة زوجها. وهذا الكلام صحيح إلى حدٍّ ما، غير أننا من النقش السابق نرى أنّ:

جحمه/ ذات/ بيت/ يثع أمر (أ/٤٣)

تحي أيل/ ذات/ تزاد (أ/٢٤)

وتزاد = بيت(قصر) / بيت سلحن مثلاً.

فقد نصَّ في أول النقش:

(عدي/ بيتهو/ تزاد)

يعني أنّ: (جحمه) في النقش العائد إلى منتصف القرن السابع (قبل الميلاد).

و(تحي ايل) في النقش العائد إلى القرن الثالث للميلاد هما سيدتا قصر جحمه سيده (يثع أمر) .

وتحي ايل سيده(القصر تزاد).

ولعل أصدق تفسير يؤيد ما ذهبنا إليه من أنّ المرأة كانت لا تلحق باسم عائلة زوجها وإنما تكـرم في بيت زوجها بتمليكها شيء يرضيها و يطيب خاطرها. وإذا كان هذا الشيء ذا قيمة نفيسـة نحـو بيت أو حقل أو ضيعة... إلخ. فإنّ الناس يدعولها: فلانة (حقت) بيـت/ ضيعـة كـذا أي فلانـة ذات(صاحبه)...

أما إذا كانت الملكية هذه صغيرة نحو(شجرة قات أو شجرة بن...إلخ) وهو الشائع حـتى اليـوم في(سرو حمير/يافع) فإنّ الشجرة هذه تضاف إلى اسمها فيقال: قاتة مريم أو بُنّة أروى....إلخ.

وهذه الملكية تمنح لها عادةً من رب بيت زوجها قبل دخولها إلى بيت زوجها أثناء زفها إليـه ، أي في (يوم الزفاف) فإنّ المرحبات بها عند عتبة بيت زوجها يرددن أهازيج الدان ترحيباً بمقدمـها، ومما يرددن حثها على عدم الدخول إلاّ (بحتّامة):

* (ألا تحتمي قولي/ ألا ما عاد لش قولي)

فتتوقف وتتمنّع من الدخول(أي تحتم/ ترفض) فيخرج سيد البيت أو سيدة البيـت(عمتـها/ أم الحريو) فيرحب أو ترحب بها هكذا:

مرحبا بش من حيث

جيش إلى حيث دخلش

ولش الأرصة الفلانية

أو القاتة العلانية

والنص يمكن قراءته:

مرحبا بك من حيث جئتي

إلى حيث دخلتي

ولك الغرسة(الشجرة وتسمى الشجرة بموقعها)

والقاتة (==== ===== ==== =====)

وقد تزيد في(تحتمها) فيزداد العطاء (وهذا نادراً) فتؤول ملكية ذلك الشيء لها.

ومما لا شك أنّ ملوك اليمن القديمة وأقيالها وأذوائها كانوا يعطون (الحُتامة) ل(الحريوة) بمنحـها

عطية تليق بها وعلى رأس هذه العطايا القصور التي كانت رمز عزهم وبيوت حكمهم فيصير اسمها كما لاحظنا في النقشين: **جحمه/ ذات/ بيت يثع أمر**

و تحي ايل / ذات/ تزاد.

وهي قصور بلا شك... وإلى القصور كان ينسب الملوك والأقيال والأذواء: نحو:

(ذو ريدان، ذو غيمان، ذو يحضر، ذو ماويت ... إلخ).

أو إلىوديان نحو: (ذو يهر، ذو ناخب... إلخ).

لا غرو بعد هذه الشواهد الآثارية والنقلية أنّ المرأة في اليمن القديمة كانت حائزة علـــى مكانـــة رفيعة تستحق من أجل الإقتران بها أن ينذر رجلها للآلهة النذور وأن يجعلها بعد المن عليه بالزواج منـــها سيدة بيته(ذات بيت)، وقد ذاع في العالم القديم دور المرأة اليمنية هذا الأمر الذي تشهد عليه النقـــوش الآشورية العائدة إلى عهد:

*** تغلا تبلصر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ ق.م) حيث تظهر اسم ملكتين عربيتين هما:**

(س ء/ ءم/ سي) شمس ملكه (ء/ ري/ بي).

(زا/ بي/ بري) الزباء.

كما تشير نقوش العاهل الرافدي(آسر حدون) إلى ملكة سبأية دون أن يشـــار إليـــها بالاســـم، وأخرى ذكرتها نصوص(سنحريب)، ومن اسماء ملكات سبأ التي أنشأن علاقـــــات مـــع حكومـــات الرافدين، الملكة (يثعي)، والأميرة(تبوعة) أيام حكم الملك الرافدي(آسر حدون).

ولسنا في حاجة إلى ذكر قصة الملكة بلقيس(ملكة سبأ) مع نبي الله سليمان(عليه السـلام) / ٩٥٠-٩٥٥ ق.م./ المذكورة في الكتب المقدسة(العهد القديم) و(القرآن الكريم).

فهذا هو الوجه المشرق لمقام المرأة عند قدماء اليمنيين، فهل دوّن لنا التاريخ حوادثاً كان للمـــــرأة فيها لوناً آخر غير ما عرضنا له.

تنقل لنا كتابات الأخباريين العرب حادثة ترجع إلى عهد قريب من عهد نبي الله إبراهيـــم(عليـــه السلام) إن لم تكن بالفعل متزامنة مع عهد الخليل نفسه:

- **عمرو ذو الأذعار:**

هو أحد ملوك السلالة السبئية التقليدية(العتيقة)، وهو عند(وهب بن منبه) عمرو(ذو الأذعار) بـــن أبرهه (ذي المنار) بن الصعب(ذي القرنين) بن الحارث(الرائش-ذي مراثد) بن عمرو(الهمال/ذي مسلـح) بن عاد(ذي شدد) بن عامر بن الملطاط بن سكسك بن وائل بن حمير.

قال أبو محمد:

لما ولي عمرو(ذي الأذعار) الملك قهر الناس وذعرهم

بالجور فلا يرفق لقريب ولا بعيد وأسرف على العرب

بالسلطان وشرّد الناس ووسم من سخط عليه بالنار من أبناء

الملوك، وبدل على الناس السيرة التي كانوا عليها يعرفون،

فذعر الناس من خوفه ذعراً شديداً، وبه سُمّي عمرو بن الأذعار.

وأنه كان يزني ببنات الملوك من حمير فيؤتى هنّ أبكاراً وغير أبكار،

فكُنّ يشربن معه الخمر وكان ينادمهن على الخمر ويصيب منهنّ حاجته.

وفيه ينقل لنا(وهب) قصيدة نسبها لعمرو بن الهدهاد(شقيق الملكة بلقيس) وهي أول هجو كان للعرب منها:

كم من فتاة طفلةٍ غادة	**تذكر من يوميه ما أحرما**
وكم كريم ماجد سيد	**من حمير الأمجاد قد أوسما**

- ثورة شرحبيل:

حسب رواية وهب أنّ أحد كبار حمير وهو شرحبيل بن عمرو بن غالب بن السياب(المنتاب/عند الهمداني) بن عمرو بن زيد بن سكسك بن وائل بن حمير. وكان نازلاً بمأرب في قصره بينون(بعض أعمال ذمار. أما قصر مأرب فهو سلحين)... فجمع شرحبيل حمير وقبائل بني قحطان ممن كان بمأرب ثم قام فيهم خطيباً فقال:

يابني قحطان: النساء هنّ الحمى فدون الحمى سفك الدماء. هل جزعتم أن يسمكم بالنار: فالنار ولا العار (مثل شائع)

والخطبة طويلة، وقد قامت بعدها حرب طويلة بين عمرو ذي الأذعار(في صنعاء/غمدان) وشرحبيل(في مأرب/سلحين) انتهت بوفاة شرحبيل واستمرار(ذي الأذعار) على سيرته رغم المصارحات مع(الهدهاد) الهدهاد بن شرحبيل الذي تزوج من جنية في غمرة حروبه مع(ذي الأذعار) انجب منها:

* بلقيس (ملكة سبأ) وعمرو:

ولهما قصة عجيبة يرويها(وهب) بما فيها من تشرد وملاحقة من قبل(ذي الأذعار) بعد وفاة

أبيهما(الهدهاد).... ولكن نهاية عمرو ذي الأذعار تحدث(بعد عُمر مديد) على يد أجمل نساء العالم القديم الملكة بلقيس(صاحبة سليمان[عليه السلام]).

أما الشاهد الثاني فيرشدنا أيضاً إلى ولع بعض الملوك القدماء في جزيرة العرب إلى قهر رعاياهم ومواطنيهم في أعز الأمور وأكثرها إثارة للغيرة والحمية وهي المرأة ! وهذا الشاهد نسوقه لكم من القرن الخامس للميلاد في (المرحلة الثانية من عصر التبابعة) ويعود إلى عهد أشهر ملوك التبابعة المعروف بـ(أسعد الكامل) وهو في نقوش المساند: أبي كرب أسعد ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنه وأعرابهم(طوداً وتهامة).

والقصة كما ترويها كتب التراث ترجع إلى الجزء الأخير من اللقب الملكي هذا أي إلى(الأعراب طوداً وتهامة)، حيث سجلت هلاك بطنين عربيين من(العرب العاربة) هما:

- *طسم وجديس:

ينقل لنا الأخباريون وبالذات(نشوان الحميري) هلاك هاتين القبيلتين بسبب: (عفيرة بنت غفار الجديسية) التي بدلاً من زفها لزوجها من(طسم) عرج بها عنوة على(عمليق) ملك(طسم) فأفتضها على حري عادته في النيل من بنات قومه(طسم) فكانت هذه الوقعة الشرارة التي أضرمت النار في هذين البطنين وأتت عليهما عن آخرهم... فهاهي(عفيرة) قد أدخلت على(عمليق) تصحبها القيان يضربن بالدفوف ويغنين ويقلن:

أبدي بعمليق المليك فاركبي

وبادري الصبح بأمر معجب

فسوف تلقين الذي لم تطلب

فما لبكر دونه من مهرب

وخرجت(عفيرة) لا إلى بيت الزوجية بل إلى أهلها حيث أخذت تعيرهم بالأشعار... فكادت (جديس) لـ(طسم) وملكها فأفنتها بالسيف بعد مأدبة عملتها لـ(طسم) وملكها(عمليق) في صحراء (اليمامة)، فلما انشغل الضيوف بالطعام، نضت(جديس) سيوفها من جوف الرمال وإذ أخذت السيوف تحصد رؤوس(طسم) و(الأسود/سيد جديس وشقيق عفيرة) يترنم بالأشعار:

يا صيحة يا صيحة العروس

حين تمشت بدم جميس

يا طسم ما لقيت من جديس

هلكت يا طسم فبئس البئس

هذا و لم يسلم من(طسم) إلاّ من بلغ (تبع حمير) بالواقعة فغزاهم و لم ينفعهم تحذير (زرقاء اليمامة) بقولها الشهير: **جاءكم الشجر أو أتتكم حمير...**

هذه الواقعة أكدتها الحفريات الآثارية التي جرت في(اليمامة) حيث عثر في (ماسل الجمح) على نقش بالحرف المسند يُعرف بـ: (ريكمانس/٤٠٩) الذي سجل زيارة(أبي كرب أسعد) وابنه(حسان يهامن) لذلك الموضع في الأطراف الجنوبية لنجد في ركب من أعراب كندة.

وفي هذا الكشف(الأركيولوجي) اسناد كبير أتى ليعزز من مصداقية الشاهد النقلي الذي كان ينظر إليه قبل هذا الكشف بعين الريبة ويحسبه البعض في عداد(شطحات) الأخباريين اليمانيين المهولة لأمجاد الماضي البعيد. غير أنّ ما يهمنا في هذا المقام هو تقديم هذا الشاهد العدل كبرهان أردنا به أن نثبت ولع (فراعنة اليمن-إن جاز التعبير) المدمر في (استحياهم) للنساء الفواتن على وجه التحديد بغرض التمتع بهنّ ولو كلفهم هذا الأمر شن الغزوات إرضاءً لرغباتهم المتقدة شبقاً في المرأة التي جعلوا منها سيدة لقصورهم المتخمة بالنعيم.

هذه العملية ما كان لها أن تحصل إلاّ عبر ممارسة العنف ضد الرجال الذين يحاولون الذود عن نسائهم وذراريهم، وفي ظل من عدم التكافؤ بين القوة الغازية الطامعة في الأستحواذ على(الجنس اللطيف) والقوة المدافعة المتفانية على الرغم من قلة رجالها وبوار عتادها، فإنّ المعركة محسومة النتيجة سلفاً ومفادها:

استحياء خرائد النساء وكواعبهن.

قتل أشداء الرجال وأنجدهم في الدفاع عن الحريم...

وفي الأسطر اللاحقة نعرض لجانب مما حدث لنبي الله وخليله إبراهيم(عليه السلام) في (مصر اليمن):

تلكم هي البيئة التي خشى نبي الله توغله بأهله فيها بظروفها وأحوالها التي عرضنا لها حتى عهد جد السبئيين الأعلى عبد شمس(سبأ) ومضاعفاتها وتداعياتها عبر العصور اللاحقة وآثارها الحيَّة فللواقف على أطراف تخومها يكون بين نارين أشدها الإنتحار الجماعي بموته وسلالته جوعاً وإعتفاداً (وهي في الأصل عادة أهلها) إذا آثر المكوث خارج حدودها... والداخل إليها يخاف أن يترصده الموت قتلاً على أيدي البعض فيها (وهم بلا شك قليلون) ممن يرغبون في حِسان النساء ولو أضطرهم الأمر للفتك بأزواجهن.

فما الذي أدركه نبي الله فيها ؟

(يجيب أقدم أسفار التوراة):

(فحدث لما دخل إبرام أنّ المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً. ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون. فأُخذت المرأة إلى بيت فرعون، فصنع إلى إبرام خيراً بسببها. وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأُتُن وجمال.فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراى امرأة إبرام.فدعا فرعون إبرام وقال ما هذا الذي صنعت بي. لماذا لم تخبرني أنها امرأتك، لماذا قلت لي هي أختي حتى أخذتها لتكون زوجتي. والآن هوذا امرأتك، خذها واذهب. فأوصى عليه فرعون رجالاً فشيعوه وامرأته وكل ما كان له).

[سفر التكوين ١٢/١٤-١٩]

مرةً ثانية لن نخض في الأبعاد الأخلاقية والأدبية لهذه النصوص ولا ما ذهب إليه بعض الباحثين التوراتيين في تناولهم لهذه النصوص إلى حدٍّ بلغ بهم إلى التجديف على خليل الله، ولنكتفي ببعض مما أورده شيخ المفسرين(الحافظ بن كثير):

(رأيت في بعض الآثار أنّ الله عزَّ وجل كشف الحجاب فيما بين إبراهيم(عليه السلام) وبينها،... وكان مشاهداً لها وهي عند الملك، وكيف عصمها الله منه، ليكون ذلك أطيب لقلبه وأقر لعينه وأشدّ لطمأنينته، فإنه كان يحبها حباً شديداً، لدينها وقرابتها منه وحسنها الباهر، فإنّه قد قيل أنّه لم تكن امرأة بعد حواء إلى زمانها رضي الله عنها.

والتوراة لا تفصح عن اسم هذا الفرعون الذي أجزل بالعطاء لإبراهيم(عليه السلام) من أغنام وبقر وحمير وعبيد وإماء وأُتُن وجمال، وكما أشرنا لملاحظة الأستاذ(سيد عبد الكريم) أنّ مصر الفرعونية(مصر النيل) لم تعرف الجمال(الإبل) إلاّ في القرن الثالث(ق.م).

أما عند الأخباريين فإنّ هناك روايات مختلفة عن هذا الفرعون، وقد وجدنا(ابن كثير) يتحاشى نعته بالفرعون ففي تناوله لحديث الثلاث كذبات:

اثنتان منهنّ في ذات الله، وقوله : ﴿إنّي سقيم﴾ . الصافات الآية/٨٩

وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ الأنبياء الآية/٦٣

وقال: بين هو ذات يوم وسارة، إذ أتى على(**جبّار من الجبابرة**)....[الحديث أخرجه البخاري في صحيحه].

وفي رواية(الحافظ ابوبكر البزار):

(... وبينما هو يسير في أرض جبّار من الجبابرة).

ومن النعوت التي أحيط بها هذا الجبّار في كتب الحديث أنّه: ملك وفاجر وكافر !.

أما اسم هذا الجبّار ففيه تخليطات ذكر منها(ابن كثير):

ذكر بعض أهل التواريخ أنّ فرعون مصر هذا

كان أخاً(للضحاك) الملك المشهور بالظلم، وكان

عاملاً لأخيه على مصر. ويقال كان اسمه

(سنان ابن علوان ابن[عويج] بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح).

وذكر (ابن هشام) في التيجان: أنّ الذي أرادها عمرو بن امرئ القيس

بن مايلون بن سبأ. وكان على مصر-نقله السهيلي... والله أعلم.

وعلى كل حال فيمكننا أن نستخلص من هذا الآتي:

أشرنا فيما سبق أنّ معاصر خليل الله في اليمن هو: **السكسك بن وائل بن حمير بن سبأ (ومايلون بن سبأ)** في النص أعلاه يشير إلى وائل جمعه(**وائلون/مايلون**).

سنان بن علوان: اسم عربي لا يحتاج إلى دليل وهو ابن عويج بن عملاق، وعويج يشير إلى لقبين لكلٍّ من:

* **عبد شمس سبأ الأكبر.** فقد ذكر الهمداني في الإكليل /١ من ألقابه، وقال آخرون: **كان ينبز بالأعقف. (لاحظ الأعقف = تصغيره عقيف = عويج)**

* **حمير بن عبد شمس سبأ الأكبر**، وفيه قال وهب بن منبه: **وكان يقال لحمير العرنجج، والعرنجج: العتيق.... (لاحظ عرج تصغيره = عريج = عويج = عقيف).**

ومن هذا نستنبط أنّ مثل هذه الألقاب التي تدل على القوة والحركة والقِدم كانت سارية في سلالة سبأ التقليدية وهي المعاصرة لنبي الله إبراهيم الخليل(عليه السلام).

عمرو بن امرئ القيس بن بابليون(مايلون/ابن كثير) بن سبأ هو ابن عم السكسك بن وائل بن حمير بن سبأ. وينقل لنا وهب أنّه قد أقره السكسك ابن وائل على(أرض مصر) حيث حكمها جده

بابليون(مايلون) بن عبد شمس سبأ. **وأنّ سبأ ولى على مصر ابنه بابليون وإليه تُنسب مصـــر الملكــه عليها، ثم انصرف سبأ عبد شمس يريد(مكة) فسار بالعساكر على (الشام).**

هذه الحيثيات تعزز ما ذهبنا إليه من أنّ (مصر التوراتية) هي إقليم في اليمن. ففرعون إبراهيم هــذا هو واحد من اثنين:

السكسك بن وائل بن حمير بن سبأ

أو عمرو بن امرئ القيس بن بابليون/مايلون بن سبأ.

وفي الفقرة أعلاه المقصود بــ(الشام) شام اليمن ولعله من المناسب هنا أن نذكر أنّ الشام كـــان أحد(ألوية/محافظات) حكومة ١٩٤٨م الدستورية كما نص على هذا في القائمة الرابعة (كبار الموظفـين غير الشوريين) **/ملحق الميثاق المقدس....** ولواء الشام هذا هو اليوم محافظة صعدة. ولمن يريد التعمــق في هذا الموضوع نحيله إلى موضوع الشام في كتابنا هذا (العكوة الشامية/ العكوة اليمانيــة في جــازان ويمنت وشامت في نقوش المساند).

لقد قيّض الله من هذه الحادثة المتعلقة في ثالثة الأثافي(الكذبة الثالثـــة) لخليلــه إبراهيــم في أرض التيمن(مصر الأقصى/ مصر اليمن) عوناً ومدداً يساعده في نشر دعوته الحنيفية في جزيرة العرب. وعلـى أقل تقدير أنّ حفيد (العرنجج) وهو هنا السكسك بن وائل بن حمير قد تعاطف مع الدعوة الإبراهيميــة إن لم نقل أنه قد اعتنق الحنيفية بالفعل، فسواء كان هو (الفرعون) الذي أراد (ساراى) أم ابــن عمــه عمرو بن امرئ القيس ابن بابليون/مايلون الوالي على (مصر التوراتية)، فإنّ هذه الواقعة كان لها مـــن الأثر في نفوس أولئك اليمانية ما لا نستطيع التكهن به هنا غير أنّ توغل نبي الله جنوباً بعد هذه الحادثـة تحت رعاية خاصة من (فرعون مصر) ليدلنا على عمق التغيرات الحاصلة فيما بعد في جزيــرة العــرب ككل. ولعلنا لا نبالغ إذا أرجعنا أهم غزوة غزاها السكسك بن وائل شمالاً كان لها علاقة مباشـــرة في تواجد نبي الله إبراهيم ورهطه في جنوب الجزيرة.

- **السكسك يغزو النمرود:**

في باب القبوريات كتب لسان اليمن(الهمداني) **أما السكسك بن وائل بن حمير، فغزا النمـــرود بن ماش فلما بلغ(حنو قراقر) من أرض العراق اعتل ومات فحملوه ورجعوا قافلين إلى اليمن.**

و(النمرود) هذا هو نمرود بن كنعان بن سنحاريب بن نمرود (باني المجدل) بن كوش بن حام بـــن نوح: ويقال كوش بن حام.

وقد كانت وفاة السكسك على حدود بلاد النمرود مدعاة للأخير كي(حسب رواية وهب بــن

منبه) : **يزداد جرأة واستكباراً في الأرض فطغى على بابل، ونمرود بن ماش أول أعجمي متوج.**

فإذا لم يجانبني الصواب فهذه الغزوة الأخيرة في حياة السكسك تكون قد أعدت بشكل متعجل لتأديب خصم إبراهيم الأول وعدوه اللدود(النمرود)، وهي في الأساس تشكل حلقة في استراتيجية ملوك سبأ في الذود عن الأقاليم الشمالية لجزيرة العرب، وهو الأمر الذي يتجلى في الغزوات اللاحقة التي شنّها الملوك السبائيون من آل الصوار بن عبد شمس على الأراضي الرافدية.

• أرشيم ملك سبأ:

تخبرنا الآثار النقشية الرافدية العائدة إلى منتصف الألف الثاني(ق.م) عن ملكين سبئيين هما حسب نصوص(اشور بانيبال):

أرشيم ملك سبأ.

تو-شمر.

ويرى الأستاذ(الفرح) أنهما على التوالي:

الحارث الرائش عند الأخباريين.

شمر ذو الجناح.

وهذا الأخير استقر في أشور كحاكم للأقاليم الخارجية.هذا الكشف يتناغم مع ما ذهب إليه أصحاب كتاب(الأمم السامية) عن غزو الأراميين لتلك الأقاليم:

ومع أنه ليس لدينا مايعيننا على معرفة الأسباب

التي جعلتهم يغيرون على بابل وأشور ويحتلون

بلاد الرافدين. فمن المرجح أنّ ذلك يرجع إلى قيام

دولة كبرى في جنوب الجزيرة العربية، وقد تدفقوا

من آشور إلى سوريا، وظلوا في طريقهم يغزون ويفتحون...

ولم يبق في طريقهم إلاّ جبال أرمينية شمالاً والبحر المتوسط غرباً.

[الأمم السامية ص ١٠٥]

فإذا ربطنا هذا مع ما تقرره الدراسات التاريخية عن سقوط دولة (الحثيين) عام ١٤٣٥ ق.م. وأنّ قوة عظمى سيطرت على بلاد الرافدين والشام والأناضول...إلخ. ونشرت عبادة الشمس(إله شمس)، يتضح أنّ ما تم كانُ تحريراً لبلاد الشام والرافدين.

والحارث الرائش هذا يعرف نسبه عند الأخباريين على هذا النحو(حسب رواية وهب بن منبه):

الحارث الرائش(ذي مراثد) بن عمرو(الهمال/ذي مناح) بن عاد(ذي شدد) بن العامر بن الملطاط بن سكسك بن وائل.

وبهذا نرى أنما قصر عن تحقيقه السكسك بن وائل(معاصر ابراهيم) في القرن الثامن عشر(ق.م) عند غالب الباحثين... من غزو بلاد (النمرود بن ماش) تمكن من انجازه أحد الأحفاد المعروف بالرائش:

وإنما سمّي بالرائش لأنه راش الناس بالغنائم، وقد يقال

ذو رياش وهو عند الهمداني وفقاً لرواية شيخه(أبي نصر اليهري):

الحارث(الرائش) بن إلي شدد بن الملطاط بن عمرو(ذي أبين)

بن ذي يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن وائل بن الغوث

بن جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن الهميسع بن حمير.

والاختلاف بين قائمة(وهب) وقائمة(أبي نصر) شيخ الهمداني، يأتي بدرجة رئيسية في آخر كل منهما:

لقد اكتفى وهب بنسب السكسك بن وائل إلى أرفع أجداده وهو هنا حمير بن سبأ.

عبد شمس٢ في قائمة (أبي نصر) هو السكسك نفسه غير أنّ ستة من أجداده تفصله عن جده حمير.

أما الأسماء بين الحارث الرائش والسكسك(عبد شمس٢) فإنّ الاختلاف بينهما طفيف وهو في ترتيب الأسماء التي وردت بتشابه شديد.

ومسايرة لموقف لسان اليمن(الهمداني) فإننا نفضل قائمة النسب التي أوردها عن شيخه(أبي نصر اليهري).

وبعد فإنّ هذه الواقعة تتوج بما ترويه التوراة:

فأوصى فرعون رجالاً(فشيعوه) وامرأته وكل ما كان له .

[تكوين ١٢/٢٠]

إنّ في هذا النص نكهة يمانية لابدة في الفعل(شيع) (التقويس أعلاه لنا للفت النظر، وهنا) وهذا الفعل واشتقاقاته لا يخلو منه نقش من نقوش المساند ومن معانيه:

شوع (فعل) أدى خدمة، قائم بوجائب لـ(أحد) ١١/٢ كوربوس لوحة٣ مجلدا.

شوع ج شوع ، شعي (اسم) تابع نصير ١/٧٥ ربرتوار/ ٢٧٥٤ نقوش معين/هرم.

شيع (فعل) أدى خدمة ١٠٥/٥

جام /٩١٩ نقوش العقلة(نقوش حضرمية).

حول هذه المفردة نحيل القارئ إلى.

هكذا فقد شيع رحال عبد شمس(السكسك) نبي الله في

رحلاته التي توغلت في جنوب الجزيرة:

فصعد إبرام مصر هو وامرأته وكل ما كان له ولوط

معه إلى الجنوب. وكان إبرام غنياً جداً في المواشي

والفضة والذهب. وسار في رحلاته من الجنوب إلى بيت ايل....

[تكوين ١٣/ ١-٢]

حول هذا النص يقول القمني:

يشير هذا إلى فجوة كبرى وسط الرواية فهي بسرعة

تقول أنه عاد من الجنوب ولا تعلمنا لماذا خرج من مصر

واتجه جنوباً في الأصل، ولأي هدف.كان نزوله جنوباً،

ولا الأحداث التي جرت له هناك، ولا المدة التي قضاها

في هذا الجنوب كما هي عادة التوراة التي عهدناها مفصلة

إلى حد الإملال.

ونحن نقول إنّ الجنوب هذا لم يكن سوى النواحي الجنوبية من مصر اليمانية(مصر الأقصى/السحول افتراضاً).

لقد شد الرحال هذه المرة في اتجاه الجنوب الشرقي إذ قرش معه طريف ماله وتالده وكل رهطه بمن فيهم نبي الله لوط:

ولوط السائر مع إبرام كان له أيضاً غنم وبقر وخيام.
ولم تحتملهما الأرض أن يسكنا معاً. إذ كانت أملاكهما كثيرة.
فلم يقدرا أن يسكنا معاً، فحدثت مخاصمة بين رعاة مواشي
إبرام ورعاة مواشي لوط، وكان الكنعانيون والفرزيون حينئذٍ
ساكنين في الأرض. فقال إبرام للوط لا تكن مخاصمة بيني
وبينك وبين رعاتي ورعاتك. لأننا نحن أخوان. أليست كل الأرض
أمامك اعتزل عني. إن ذهبت شمالاً فأنا يميناً وإن ذهبت يميناً فأنا شمالاً.
[تكوين ١٣/٥-٩]

الفصل الثاني

المؤتفكات بلاد لوط
ما بين
يرامس و الشحر

ويستمر (سفر التكوين) في وصف وقائع الرحلة:

فرفع لوط ورأى كل دائرة الأردن أن جميعها سقي قبل ما أخرب الرب سدوم وعمورة كجنة الرب كأرض مصر. حينما تجيء إلى صوغر.

فاختار لوط لنفسه كل دائرة الأردن وارتحل لوط شرقاً. فاعتزل الواحد عن الآخر. إبرام سكن في أرض كنعان ولوط سكن في مدن الدائرة ونقل خيامه إلى سدوم. وكان أهل سدوم أشراراً وخطاه لدى الرب جداً.

[تكوين ١٣ /١٠-١٣]

فهل لنا من سبيل إلى معرفة البقعة التي شهدت افتراق آل بيت ناحور ؟

في الواقع أنني أجد نفسي مجبراً على تأجيل الإجابة لهذا السؤال إلى موضعه المناسب... حتى لا أتهم بالانتقائية المعدة سلفاً لصالح تفصيل الواقع (وهو هنا الجغرافيا التاريخية) لكي يلائم النظرية(وهي هنا النصوص التوراتية) التي لا تخلو نفسها من تعديلات وتحويرات ناجمة (هي) عبر محاولات محققي الأسفار التوراتية الرامية لتعديل(تفصيل) النصوص الأصلية وفقاً لإحداثيات أو بيئات جديدة لا علاقة لها بالمقام الأول مع النصوص العتيقة. لهذه الأسباب أفضل طرح المعطيات التالية:

- **قراءة صليبية للنص:**

هذا النص أعاد قراءته الدكتور(كمال الصليبي) في كتابه المعروف: (التوراة جاءت من جزيرة العرب) على هذا النحو:

فرفع لوط عينيه ورأى أنّ كل (ككر ه -يردن) سقي باتجاه شحت

(ل- فني- شحت) وهي بجانب سدم وعمره(يهوه ءت سدم و- ءت عمره) إنها كجنة(ك - جن - هوه) كأرض مصريم باتجاه صعر. ولهذا اختار لوط لنفسه(كل ككره-يردن) وارتحل من قدم... وسكن لوط في كهوف الككر ونصب خيامه حتى سدم [تكوين ١٣/ ١٠-١١].[1]

وكان الصليبي قد توصل إلى قراءة العبارة كل(ككر ه-يردن) خلافا للقراءة التقليدية (كل دائرة الأردن) بل (كل محيط جبل ريدان) على اعتبار أن:

ككر = محيط.

ه-يردن = جبل ريدان [ص ١٤٣]

ولنترك هنا قضية معالجة النصوص، ونعود إلى المعطيات.

- **في إشارة واضحة إلى المؤتفكات(بلاد لوط)**

ينقل لنا صاحب(تاريخ المستبصر) ابن المجاور:

حدثني احمد بن علي بن عبد الله الحمامي الواسطي قال: ما بين الشحر وأحور سبع قريات سود أي سبع قرى مسودة الأرض قلب الله عزّ وجل بها وهي من قرى قوم عاد. [٢]

ويمهد لهذا القول في حديثه عن المنطقة الساحلية الواقعة بين الشحر في حضرموت وظفار غرب سلطنة عُمان بقوله:

وتعبر جبل فرتك أول مبتدأ غب القمر وهو مندح المراكب المقبلة من الهند. وإلى الحصويين ستة فراسخ. وبهذا الأراضي سبع قرى مقلوبة وتسمى عند الفرس(هو سكان) أي منكورين. [٣]

أما (هو سكان) التي بيّناها (بالتقويس)، فقد ظن ابن المجاور أنها تسمية (فارسية) بمعنى (منكورين)... وهو في الواقع الحال قد نقل لنا التسمية العتيقة لساحل ظفار، كما ورد في نقوش المساند اليمنية العائدة إلى عهد ملك حضرموت(العذيلط) فهي: (أرض/ ساكلن). [٤]

أي أرض الساكل (النون اللاحقة التعريف لعربية الجنوبية).

وحيث أنّ: ه-سكن (بدون تصويت)، نقرأها بالعربية (السكن) أو الساكن (على اعتبار الهاء هي سابقة التعريف العبرية) وحيث أنّ النون واللام يتبادلان فإنّ:

هوسكان (ابن المجاور) = الساكن = الساكل.

وعليه ينبغي علينا البحث عن بلاد لوط في الإقليم الممتد من شرق عدن (أبين) حتى ظفار(سفار توراتياً) في غرب سلطنة عُمان.

- **ينبغي لنا الإشادة هنا بجهد الباحث المجد(د/ سيد القمني) في محاولاته الكشف عن بلاد لوط في الإقليم الذي أشرنا إليه، والواقع على امتداد الساحل شرق عدن حتى أقصى حضرموت، فقد وجد(القمني) في:**

- **ثمود:** وهي منطقة في أقصى الحدود الشمالية الشرقية للجمهورية اليمنية نكهة أو أثراً من ثمود البائدة وباستخدام قوانين القلب والإبدال فإنّ:

ثمود   سمود (ابدال)   سدوم (بالقلب).

وقد أخذ القمني بقول الإخباريين العرب من أن أكبر معبودات عاد وثمود يعرف:

- **صمود:** وفيه قول أبو سعيد المؤمن حسب رواية عبيد بن شريه الجرهمي:

لنا صنم يقال له صمود   يقابله صداء والبغاء [٦]

ولهذا فهو عند القمني يشير إلى(سدوم) أيضا.

وتستقر في متحف المكلا كسر نقش قيل أنها من ثمود عليها كلمة:

(ص ل ح = صالح ؟)[٧]

ترى هل هذا النقش يشير إلى نبي الله صالح(عليه السلام) الذي أرسله الله إلى(ثمود) حسب القصص القرآني.

- **عموره:** يستهدي (القمني) من خاصية الترافق بين سدوم وعمورد في القصص التوراتي والتلازم أو الثنائية الحاصلة في السرد القرآني لعاد وثمود، والنهاية المدمرة لهما إلى طرح مفاده:

(أن عاد تشير إلى عموره).

ويسند هذا الطرح بما ذكره الأخباريون العرب حول الطبيعة البركانية للمنطقة، فالمسعودي في مروج الذهب ينقل لنا:

أطمة وادي برهوت ، وهي نحو بلاد سبأ وحضرموت من بلاد الشحر، وذلك بين اليمن وبلاد عمان، وصوتها يسمع كالرعد من أميال كثيرة، تقذف من قعرها بجمر كالجبال، وقطع من الصخور السود حتى يرتفع ذلك في الهواء ويدرك حسا من أميال كثيرة. ثم ينعكس سيلا فيهوي إلى قعرها وحولها، والجمر الذي يظهر منها حجارة قد احمرت وقد أحالها من سواد، حرارة النار. [٨]

هكذا وعلى العموم هو طرح (د/سيد القمني) الذي فضلنا عرضه هنا حتى لا نغمطه حقه في أقدمية الطرح.

- **بلاد لوط:**

مضت على الرحلة التي قام بها الأستاذ صلاح البكري إلى موطنه سرو حمير/يافع أكثر من أربعة عقود، وأسفرت عن تأليفه كتاب بعنوان: (في شرق اليمن يافع). وطبعته رديئة في العام ١٣٧٤ للهجرة. في هذا الكتاب نقل لنا وثيقة(جمدت التاريخ) حسب تعبير الباحث التوراتي(د/زياد منى)... وهاكم الوثيقة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قيم الإمامة العلوية مما امتد به واستقر من ميراث النبوة في مصالح الإسلام

وصلاح الأعمال واتباع الشرع الشريف، واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهذه علامات ما تقدم فيما استقرت الإمامة العلوية في البلدة المعلومة:

- **بلاد لو ط:**

الواردة إليها نواحي يافع الجبل، وهي المتوسطة ما بين حدة بحر الملح ويافع الجبل(ساحل أبين) بعد مرور تلك الدولة الإمام المستعلي الحسين بن الحسن بن الإمام القاسم على يد:

- **صلاح بن أحمد مسمار:**

وجماهير الأنساب بكسر اليمن دهرا طويلا، قام انتهاء الارتحال وتولى عن البلدة المعلومة.

- **السلطان صلاح الفضلي:**

وخلايقه(خلفاؤه) وولاه الإمام المستعلي ما بيده في مبايعة بكسر اليمن المعمور ولاه وقلده ما بيده في مرور بلدته وصح مستنيب في بلدته المشتملة بحدودها الأربعة بعد خروج الخلايف الطايفات من: القيحاف و المقاويع.

- **مقاويع حلمه:**

القيحاف إلي أم فيحية إلي غربي حلمه الى الروند والأمية وإلى النبوة وإلى حبيل برق وإلى الرمالة و أم خشاعية إلى جعار وإلى الحبيل وإلى قلعة خنفر.

وصح ما سمي من حد وبلد وأوطان وهاملات الأطيان إلى عرض حد اليافعي بنظر اعترف الحدود وانصراف من وصل بالمرور القادم بالتأسيس المتقدمة بالأرض المعلومة إلا أنها وحدت الدولة الإمامية تلك البلدة مطموعة وسلطتهم مطموعة وما صارت لهم تحت القبض القادم إلى بعد إظهار منذ الإمامة العلوية في صحيح الرقم الواقع بيد السلطان صلاح الفضلي وخلايفه بانقياد إلى الإمام المستعلي وتقديم الرقيم في وقت طلب الخليفة الطايفة، وتكفل الإمام المفترض بما يلازم البلاد من الخلايف والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم أجمعين.

صح في عام وفاء الميه من بعد الألف(١١٠٠) للهجرة في صحيح الإمامة وجماهير الأنساب بكسر اليمن. وكتب ذلك الصحيح:

صلاح بن أحمد مسمار الإمام
عبد العلي بن أحمد الأهدل.

المرجع/ في شرق اليمن يافع.
للأستاذ/ صلاح البكري (١٣٧٤هـ) ص/ ٩١

- **ملاحظات على النص:**

١) البلدة المعلومة بلاد لوط: هي البلدة المعروفة فيما قبل النظام الجمهوري بسلطنة الفضلي أنظر الملاحظة (٣)

٢) هذه الوثيقة التاريخية ترجع إلى عهد إمام لم يتسلم الحكم في عموم اليمن وهو:

الإمام المستعلي(حسب الوثيقة) الحسين بن الحسن بن الإمام القاسم. وقد ذكر **الواسعي** أنه الواثق بالله الحسين بن الحسن بن الإمام القاسم.

كانت دعوته من رداع، وهو ممن عارض الإمام المعروف بالمهدي محمد بن أحمد بن الحسن صاحب المواهب/ ودعوته بالمنصورة من اليمن الأسفل سنة **١٥٩٦** للهجرة (١٠٩٧هـ)... وقد أدت معارضته هذه إلى سجن صاحب المواهب له في صنعاء لمدة عشر سنوات، ثم أطلقه ومات بصنعاء في شهر جماد الأولى ١٢٢١ للهجرة (**١٢٠٢١** هـ). [٩] وكما تظهر الوثيقة أن نفوذه امتد ليطال يافع وبلاد الفضلي ، وهو أي الإمام الحسين بن الحسن بن الإمام القاسم الذي انشأ(مسجد النور) سنة ١٠٨١ للهجرة. وكان مركز إدارته في بلدة مسجد النور/يافع. [١٠] وقد بدأت إمارته على يافع من (١٠٧٥هـ) كما تظهر وثائق نقلها البكري في نفس الكتاب.

أما نص الوثيقة فيعود (**١١٥٥**/١١٠٠ للهجرة).

- الإمام عبد العلي بن أحمد الأهدل الحسين(الحسيني) هو الحاكم بأمر الله... وقد تولى الحكم فيها منذ فترة قبل ١٠٧٥ للهجرة.
- صلاح أحمد بن مسمار: شغل منصب عامل الإمامة في يافع لفترة طويلة قبل ١٠٧٥ للهجرة حتى بعد ١١٠٠ للهجرة. وقد كانت له منشآت في يافع منها إصلاح الطرق وتمهيد العقاب حتى جعلها صالحة لسير الدواب والمشاة. وأهم هذه العقاب:
  - نقيل بني بكر.
  - ذبوب.
  - غوزلي.
  - يشرعه (صدر). [١١]

- **السلطان صلاح الفضلي:**

هو السلطان الذي تولى بموجب هذه الوثيقة(الرقيم) الولاية في بلدته المعروفة ببلاد لوط(أي سلطنة الفضلي) وهي أبين: وكانت تسمى (سلطنة الفضلي) نسبة إلى سلاطين اهل فضل الذين

حكموا قبل وأثناء الاحتلال البريطاني، ثلاثة آلاف ميل مربع تحدها:

من الشمال: يافع السفلى والعوذلي.

من الجنوب: بحر العرب وخليج عدن.

من الشرق: العوالق السفلى.

من الغرب: لحج وعدن.

ولها سهل ساحلي يمتد أربعة إلى ستة أميال عرضا تقع إلى الشمال منه هضبة ترتفع ثلاثة آلاف قدم عن سطح البحر.

ويعرف القسم الساحلي(بأبين) ويسقيه وادي (بنا) ووادي (حسان) اللذان يبدآن في يافع فيسقيان منطقة الوادي الكائنة عند السفوح فوق السهول الساحلية الرملية. أما الجبال فقاحلة بركانية عموما. [١٢]

• **الخلايف الطايفات:** تشير هذه الفقرة إلى القبائل البدوية المتنقلة (الطائفة/المتجولة) ومنها:

❋ **القيحاف:** الإشارة هنا ربما تكون ل/جحاف: (بكسر الجيم بعدها حاء مهملة ثم ألف آخره قاف).

وهم فرع من قبيلة (أم حضن) العوذلية، ثم من بوطهيف منها وأهم مساكنهم (أم قيمة). [١٣]

أم : في أم حضن/ وأ قيمة هي سلبقة التعريف الحميرية.

❋ **المقاويع:** مقاويع حلمه... هي (أي حلمه) أحد المواضع الحدودية بين يافع والفضلي. أما المقاويع الذين ينسبون إليها فهم في الأصل يرجعون إلى موضع ذكره(الهمداني) من أعمال أحور بقوله: القويع (تصغير قاع) لبني عامر من كندة. [١٤]

وحيث أن أهل مناطق الكور والظاهر يستخدمون سابقة التعريف الحميرية (أم) كما اسلفنا ف/القويع هي (أم القويع) وأهلها(مقاويع) بإهمال الألف.

❋ **حبيل البرق (برق):** بلا طح إليها مخارج سيل حطاط من يافع.

وجعار: العاصمة الإدارية ليافع الساحل.

وخنفر: حصن قديم ذكره (الهمداني) وإليه ينسب ذو خنفر أحد أقيال حمير في يافع الساحل أيضا يطل على جعار.

❋ **الرمالة:** هي الرملة، وطن يسكنه آل حميد بن علي من مراقشة الساحل وأهل شداد الرملة :

بطن من قبيلة أهل بليل الفضلية أهم مواطنهم مأرب. [١٥]

❋ **أم/خشاعيه:** هي أم/ خاشعة، فخذ من قبيلة أهل أم بشع المرقشية، أهم مواطنهم في أم عربة(ساحلية). [١٦]

❋ **أل حبيل:** مواطن كثيرة تدعى الحبيل منها: موضع في الشمال الغربي من مودية هو حلال أهل محكل من قبيلة أل حسنة(دثينة). ومن قبيلة السعيدي يترل فيه بعض منهم يعرفون بأهل أم/حصينة.

وأم حبيل موضع آخر إلى الشمال منه يترل فيه بعض من أهل مارم يعرفون بالجابري وهم فخذ من قبيلة أهل بليل الفضلية. [١٧]

❋ **النبوة:** يمكن أن تكون النوبة: يسكنها فخذ من قبيلة حعرة من دثينة، يعرفون بأهل النوبة. [١٨]

❋ **(الأمبية، أم فيحية، الروند) مواضع على حدود الفضلي أيضا.**

وبعد هذه الوثيقة (الرقيم) الرسمية التي تجاوزت في عمرها ثلاثة قرون، تفصح أن بلاد أبين التي تتدفق إليها سيول(سرو حمير/يافع) عبر سلب وحطاط وبنا. هي بلاد لوط، ومبلغ علمي أن لا أحد من قدماء اليمنيين يدعى بهذا الاسم... لقد خلدت هذه البلدة ذكرى وفادة نبي الله لوط على أهلها ودعوته لهم ليدينوا بدين الوحدانية الحنيفية.

وتعرف أبين في نقوش المسند بأنها بلاد **تفض** حسب ما نص على ذلك نقش النصر الكبير (ربرتوار/٣٩٤٥) الذي سجل فتوحات المكرب السبئي (كرب ايل وتر) العائد إلى النصف الأول (أو آخره) للألف الأول قبل الميلاد:

وكل مدن ومناطق(أبضع) حول منطقة تفض(أبين) باتجاه دهسم(يافع)... [١٩]

هكذا وردت التسمية في أقدم نقوش المساند. أما أبضع هذه: فإني أرى فيها مدينة:

أم/ وضيع: عاصمة قبيلة أهل بليل أحد قبائل أبين (الفضلية). [٢٠]

أم : سابقة التعريف الحميرية:

لاحظ وضع = بضع (بالإبدال بين حرفي الشفة الواو والباء).

ولعله من المفيد أن نورد هنا ما ذكر (الهمداني) عن تسمية أبين:

فأولد الصوار بن عبد شمس ذا يقدم مثل يعمر... وأولد ذو يقدم.

ذا أبين: وبه سميت أبين عدن بقول أبي نصر. [٢١]

وقد أسلفنا أن السكسك بن وائل معاصر النبي إبراهيم والنبي لوط وكأن التسمية أبين قد حدثت

بعد أن خسف الله بقوم لوط بسنوات قليلة.

ف/ عبد شمس ابن وائل هو الجد الثاني(ليس إلا) لذي (أبين !).

والآن فلنحاول الإجابة على السؤال السابق وهو: ماهي البقعة التي شـــهدت افــتراق آل بيـــت ناحور؟

لقد اتجه الركب الإبراهيمي كما بينـــا ســـابقا نحـــو الشـــرق عـــبر بـــلاد ردمـــان القديمـــة و(مضحيم/البيضاء) حتى بلاد الظاهر(بلاد العواذل) وهي بلاد جبلية يصفها لنا الأديب(محمـــــد علـــي لقمان) في رحلة إليها عام ١٩٤٥م :

(الظاهر: نجد طويل، مؤلف من هضاب ومنحدرات وأودية خصيبة ومسالك واعـــرة وقـــرى صغيرة ومزارع غنية ومراع ومراتع للغزلان. ومن ذرى الظاهر (التي تناهز في ارتفاعها عن ســـطح البحر سبعة آلاف وأربع مئة قدم ٧٤٠٠ قدم) أي من رأس عقبة ثرة: أرســـلت (الكـــلام هنـــا لصاحب الرحلة) نظري على ما يشرف عليه المرء من هذا العلـــو الشـــاهق، وإذا بي أرى الجبـــال الممتدة من الكور إلى خليج عدن. [٢٢]

من هذه البقعة بالذات من جبل الظاهر في بلاد (الكور) :

.... رفع لوط عينيه ورأى أن كل (ككر هـــ-يردن) = محيط جبل ريـــدان ســـقي باتجـــاه شحت(ل فني-شحت) [أنظر قراءة الصليبي).

جبل ريدان: معروف في بيحان القصاب، ويطل على وادي خـــــر إلى الشـــمال الغـــربي مـــن القصاب. [٢٣]

شحت: شحت هذه التي بجانب (سدم وعمره) نجد لها صدى في أحد مدن دثينة وهي:

الموشح: وهي مدينة كبيرة ذكرها (الهمداني) في الصفة في مواطن دثينة... يصفها محقق الصفـــــة الأكوع بأنها: **بضم الميم والواو وتشديد الشين المعجمة، ثم حاء مهملة: بلدة آهلة بالسكان إلا أنهـــا اليوم صغيرة ودعوتها عوذلية.** [٢٤]

والأصل في : موشح وشحت(وشح) والميم في موشح زائد والتاء في شـــحت زائـــد للتـــأنيث. وهكذا:

موشح = شحت.

سدوم: هي عند (القمني) كما أسلفنا ثمود... ومما لا شك فيه أن العديد من اسماء الأماكن يمكـــن أن تشير إلى سدوم التوراتية في منطقة تمتد من بلاد الفضلي(بلدة لوط) إلى الشحر حسب تحديد (ابـــن

المجاور) وهانحن هنا نورد بعض أسماء الأماكن ذات العلاقة.

السوط (سوطم) : من المواقع التي ذكرت في نقش (ربرتوار /٣٩٤٥) الذي سجل لحملات مكرب سبأ(كرب ايل وتر) في النصف الأول (وآخره) للألف الأول(ق.م) على هذا النحو:

ويوم هلجم كحد ذي سوطم لأنهم خانوه أو غدروا به....

والمعروف أن الهضبة التي تشقها أودية كثيرة ومنها وادي عرمة تسمى السوط.

وينبغي الإشارة هنا أنه عند مخارج وادي عرمه-العطف-والمعشار، قامت شبوة حاضرة حضرموت القديمة. [٢٥]

وعليه: سوطم (سطم) (بلا تصويت) = سدم (بإبدال الطاء من الدال)

سطوم = سدوم.

وفي الآتي ما يدعم طرحنا هذا:

عموره: هي المدينة الرئيسة الثانية في بلاد لوط(عمره). ونجد لها صدى في:

عرمو : من المواقع التابعة (لكحد) (كحد ذي سوطم) في النقش المعروف بنقش النصر(ربرتوار/٣٩٤٥) أنظر أعلاه:

(عرمو/ ذت/ كحد). [٢٦] وهو عند أهل الاختصاص(علماء الآثار) وادي عرمة المذكور أعلاه (أي أحد الأودية التي تشق هضبة سوطم).

عرمه (بدون تصويت) هي عمره (بالقلب وبدون تصويت أيضا) إذن ؛

- **عرموة** (في نقش مكرب سبا) يمكن أن تكون عموره (التوراتيه / وبالقلب)

ومن الاحتمالات الأخرى حول عموره الآتي :

- عاد (في القصص القرآني) حسب ما ذهب إليه (القمني) أو
- **عموديه (تصحيفا) : احد القرى الابينيه (الفضليه/بلاد لوط في الوثيقة الرقيم)**

هي حلال ال عوض محضار فخذ من قبيلة أهل فضل . [٢٧]

هاتان هما سدوم وعموره فأين صعر ياترى ؟

في [الاصحاح/١٣من سفر التكوين] :

الها جنة [ك جن يهوه]

كأرض مصريم باتجاه صعر

[قراءة الصليبي]

أما [أرض مصريم] فقد تناولناها بالتفصيل وأما [صعر] فأثارها على النحو التالي :

- صوعر : زوعرة (بابدال الزاي من الصاد) قرية في كور (العواذل)

وهي لآل يزيد من قبائل العواذل في [مهيجار] في وادي [مرتعه] . [28]

ومن الدلاله التي تدعم طرحنا هذا ، ما ذكره [الهمداني (في الصفه)] عن الطرق المؤدية من الكور إلى دثينة من الحيز الأيمن :

ثم الكور إلى دثينه له طرق كثيرة

منها الرقب ودمامه ووساحه

والبحير وتاران وثره

وعرفان [وملعه] وبرع

وحسره . [29]

وحيث أن [الاصحاح/١٤من سفر التكوين] يخبرنا ان [بالع هي صوعر] بالنص

وملك بالع التي هي صوغر

[تكوين/١٤/٢]

- إذن :

ف/صوعر (التوراتيه) = بالع (التوراتيه) (١)

زوعره (حمزه لقمان) = وادي مرتعه (لقمان) (٢)

و (الهمداني) = ملعه (همداني) - (٣)

وكما أسلفنا :

صوعر : زوعره (بالابدال)

وحيث ان بالع (بلع/بدون تصويت) : ملعه (ملع/مذكر)

أما مرتعه : (وادي) كما ذكره (حمزه لقمان) المركز الاداري للدائرة الشماليه من بلاد طاهر. [30]

فيظهر ان الناس مثلما أبدلوا الميم من الباء الموحده في [بلع/ملع] فقد أبدلوا الراء من اللام في [ملع/مرع] وحشروا تاء زائدة في الاسم فاصبحت التسمية [مرتعه] وعليه :

فإننا نرجح :

- ان صوعر التوراتيه هي التي بالع " هي اليوم زوعره في وادي [مرتعه]احد وديان كور

العواذل (جنوب البيضاء) الذي كان يعرف في ايام الهمداني (القرن العاشر الميلادي) بطريقة المؤدية الي دثينة والتي هي ملعة .

والاحتمال الآخر هوماذهب الية [د/سيد القمني]:

- صوعر التوراتية : هي قرية (الصوعر) قرب (موكل) جنوب (هكر) بخمسة عشر كيلومترا علي وجة التحديد. [31]

اما الفقرة الاخيره من النص القائلة (حسب قراءه الصليبي):

- وسكن لوط في كهوف:

الككر ونصب خيامة

حتى سدم

فان الاشارة هنا اذا لم يجانبنا الصواب

إلى : الكور (الكر / بدون تصويت) :

* كور العواذل واهم مدنة زاره ولودر، وتعلو جبال الكور عن سطح البحر بثلاثة الاف قدم تقريبا. [32] أي ان الكور هو القسم الجنوبي من بلاد الكور. اما القسم الشمالي منه وهو الاكثر ارتفاعا فهو [بلاد الظاهر] وهو الجزء الأكثر التصاقا بالبيضاء .

أما بقية مدن المؤتفكات (المنقلبات) التي يسكنها قوم لوط فهن :

- ادمه : وملكها شناب كما نص علي ذلك الاصحاح/١٤ من سفر التكوين والذي سنتناوله بالتفصيل .

وهي ادوم كما ذكرها الثعلبي ونجد اليوم اثرها في :

- مو ديه : (في صيغة النسبة/المؤنثة (لمودي/موديه) (وبالقلب): وهي قصبة دثينة والعاصمة الإدارية للمنطقة الوسطى فيها وتحدها أبين (بلاد الفضلي/بلده لوط) ومن الجنوب والغرب . [33]

ودثينة هذه عرفت في أقدم نقوش المساند (ريرتوار/٣٩٤٥) العائد إلى أواسط الألف الأول [قدم] .

- **[دثنت] :**

دثنت/احلفو/وميسرم

ودثنت/ذت/ثبرم (التابعة لثبرم) . [٣٤]

أما الاحتمال الثاني فنجده في :

- **اموده : (بالقلب): وهي احد قرى جروش يرامس : وهي احد مواطن قبيلة أهل شتين الفضلية (الابينيه) .** [٣٥]

وفي الاثار الاسمية المذكورة من المعاني ما يشير إلى النوازل التي ابادت قوم لوط وعلى سبيل المثال:

- **دثينه/دثنت : التي فرغنا من ذكرها تعني ، كما ورد في [لسان العرب لابن منظور].**

الدثينه : الدفينه ، عن ثعلب ، قال ابن سيده : وأراه على البدل .

الجوهري : والدثينه ، موضع ، وهو ماء لبني

سيار بن عمرو

ويقال : انها كانت تسمى في الجاهلية الدفينه ثم تطيروا منها فسموها الدثينه

وفي الحديث ذكر الدثينه ، وهي بكسر الثاء وسكون الياء ، ناحية قرب عدن ، لها ذكـــــر في حديث ابي سيره الخعي . [٣٦]

وكما تقول العرب :

الشي بالشي يذكر ، فعلى الرغم من تطير بني سيار من تسمية مائهم بالدفينه في الجاهليه (حسب الروايه المذكورة) ، فإن لهذا التطير سبب وجيه ومصدره في نظري النكبه التي حصلت لقوم لوط في دثينه أبين وربما كان الاسم الأصليُ لدثينه أبين هو دفينه لأنها قلبت (عاليها سافلها) ، والمزمع أن هذا الاسم قد أطلق عليها فيما بعد الحادثة المدمرة فتطير الناس من الاسم فيما بعد وقلب إلى دثينه الأمر الذي حصل (أي النظير) لمن لهم مواطن تحمل نفس الاسم . وأكبر دليل على صحة طرحنا هذا هو النقش الذي استشهدنا به في ذكر دثينه (ربرتوار/٣٩٤٥) حيث ينص :

- **[ودثنت|ذت|ثبرم]**

وإذا أخذنا هنا بملاحظة البروفسور بيستون :

- ليس من المستبعد أن يكون التميم

احيانا منزلة لام الجنس العربية

لحو الدم .[37]

وعليه فإننا نقرأ النص :

- [دثنت|ذت|ثبرم] :

- دثينه صاحبة (ذات) الثبور والثبور في العربية الجنوبية القديمة وفي اللغة العربية يعني

الهلاك والذمار والفناء .

وفي لسان العرب :

وفي حديث الدعاء : أعوذ بك دعوه الثبور ، هو الهلاك

وثبره الله : أهلكه إهلاكا لا ينتعش ،

فمن هنالك يدعو أهل النار :

وثبوراه ! فيقال لهم : لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا

وادعو ثبورا كثيرا .[38]

وهكذا فإن نقش النصر الكبير هذا قد أحتفظ لنا بذكرى هلاك قوم لوط في تسمية أحد مواطنهم الرئيسة

- [دثينه ذات الثبور]

وقد ذكر [الهمداني] هذا الموضع فمن البقاع المشؤمة بل وعلى رأسها ،

وذلك عن رواية يتداولها أهل العلم من حمير منسوبة لكعب الاحبار المتوفي

في [٣٢ للهجرة]

- ختا :

في الجبل الاشيب سيد جبال النار وقطب اليمن إذا سكن سكنت اليمن

وتكون منه زلازل في جوار فوهته داره يليها ست عشره وانت منحدر

من أعلاه . ورروي أن ذلك يظهر فيه أهل النار والخراب وتعوي فيه

الذئاب ثم تعمر فيه الدور وتشيد فيه القصور ويؤهل فيكون من امصار

المنصور ويسير بين يديه رجل من أهله كأن به راجل بين يديه حاف

متذلل له مسارع في طاعته نافذ في أمره وتذال به الجبال من السهول ويكون في اشهرها باليمن . [39]

- **وختا هذا هو** : بضم الخاء وفتح التاء المثناه من فوق والف مقصوره موضع بالقرب من دثينه ويرامس في أبين . [40]

- **يرامس** : واد مشهور شرق أبين فيه النخيل والعطب وهو لفرقه من الاصابح من حمير . [41] وإليه تخرج سيول سرو حمير يافع (أي أنه في صميم بلاد لوط حسب الوثيقه الرقيم) . وفيه أحد المؤتفكات كما اسلفنا . ويحمل اسمه (يرامس) ذكرى الانذار والهلاك (رمس) التي حلت بقوم لوط .

بعد هذه الشواهد والقرائن الاثاريه والحيه هل تبقى لنا من شك في شي مما طرحناه ؟

وفي نطاق [**دثينه ذات الثبور**] نعثر على أثر اسمي أخر لخامس المؤتفكات وهي كما ذكرها الثعلبي في عرائس المجالس [ص/٦٣] :

- **ساعور** : [سعر/ بدون تصويت] تخلف هذا الاسم في أحد قرى قبيلة الميسري (الدثينه) ، وتعرف هذه القرية ب/ امشعره ويسكنها منهم أهل امفقيريه (١) . [42]

- **ام** : سابقة التعريف الحميريه في ام/شعره وام/فقيريه

ولهذا ف/ساعور (التوراتيه/عند الثعلبي) هي اليوم ام/شعره [بالشين بدلا من السين وبدون تصويت] .

[شعره = سعره = ساعور]

هذا وقد شارفنا على ختم بحثنا عن بلاد لوط فلنذكر باحد المعطيات التي حفزتنا للبحث عن بلاد لوط (عليه السلام) في الاقليم الممتد من شرق عدن إلى الشحر الا وهو ما نقل ابن المجاور عن أحمد بن علي بن عبدالله الحمامي الراسطي قال :

بكسر الشين المشددة وسكون الحاء ، مدينة وناحيه منبسطة في حضرموت الساحل ، تطل على المحيط الهندي وتعتبر ثاني ميناء في

حضرموت ومن بلدالها :

- المعينه وتباله والحامي والديس وقيصيصر وريده ال الودود .[٤٣]

والشحر هذه يزعم أهلها أنها :

- مدينة (عاد) وأن منطقة الشحر هي أرض الاحقاف اعتمادا منهم على رواية قديمة تنسب إلى قتادة بن دعامه البصري (ت ١١٨ للهجرة) وكان مفسرا وملما بأيام العرب وأنسابهم .[٤٤]

الفصل الثالث

وقائع أصحاح المعارك
الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين

وقائع أصحاح المعارك

(الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين)، هو بحق سجل لمعارك دارت رحاها في العهد العتيـــق بين ممالك جنوبية عديدة كانت اليمن القديمة تعج بها، وكان الشاهد على تلك المعارك نبي الله وخليلـه إبراهيم (عليه السلام) ولوط (النبي) ابن هاران (هرن/ توراتياً) أخي إبراهيم(عليـــهم الســـلام). أمـــا الممالك التي خاضت هذه الحرب فهي:

١. شنعار: وملكها حينها أمرافل.

٢. الأسار: === === أريوك.

٣. عيلام: === === كذرلعومر.

٤. جوييم: === === تدعال.

هؤلاء فريق اتحدوا في حرب ضد:

١. سدوم: وملكها حينها بارع.

٢. عمورة: === === برشاع.

٣. أدمة: === === شنآب.

٤. صبوييم: === === شمئير.

٥. بالع/صوعر: === === (ملك بالع).

ترى هل لتلك الممالك من آثار تذكر بوجودها على الأرض اليمنية...

هذه الممالك البائدة تخلفت اسمائها في:

- **شنعار**: ترسب اسم هذه المملكة في:

وادي **المعشار** (معشر/ شنعر – بدون تصويت) (بالقلب والإبدال) : وهو وادي خصـــب يحـد منطقة شبوة من الغرب.

- **وشبوة**: مدينة عتيقة كانت حاضرة بلاد حضرموت وقد عرفت (أي شـــبوة) قبـل عـــهد (الهمداني)– (لسان اليمن) بأرض **ضمعج** (وهم من حضرموت القبيلة وأرض :

أل معشار: وهم من قبيلة كندة.[1]

وعليه فـ/ شنعر (التوراتية) هي أرض معشر بعض من أرض شبوة.

- أل/ اسار: نترك أمرها الآن لعدم قطعنا في شأن ما توصلنا إليه عنها. ولنستمر في تعزيز موقفنا بخصوص(شنعر/ معشر)

أولاً: هذا وتوكد قرائن أخرى أنّ (شنعار) التوراتية هي (المعشار) في البلاد المشرقية من اليمن وأهم هذه الآثار:

- **بلاد الأردية النفيسة:**

يشار إلى (شنعار) بأنها تشتهر بصناعة الأقمشة وبالذات الزرقاء منها على وجه الخصوص:

ورأيت في الغنيمة رداء شنعاريا نفيسا. [سفر يشوع /٧/٢١]

هذا الوصف يتناغم مع نص توراتي آخر ذكر فيه اسماء موانئ يمنية ذائعة الشهرة:

حران وكنه وعدن تجار شبا وأشور وكلمد تجارك. هؤلاء تجارك بنفائس بأردية اسمانجونية ومطرزة وأصونة مبرم معكومة بالحبال مصنوعة من الأرز بين بضائعك.

[سفر حزقيال/ ٢٧/٢٣-٢٤]

ولسنا بحاجة إلى التوسع في القول فيما يخص أسماء المواطن الواردة في النص:

فـ/ كنه قنه (قنا) الميناء الشهير في حضرموت. وعدن فرضة اليمن وبوابتها. أما شبا فـ(سبا) أحد أشهر ممالك اليمن القديمة.

والترجمة عن النص الأنكليزي هي (لجزء من النص) :

هؤلاء هم تجارك بجميع أنواع السلع وبالأقمشة الزرقاء. [٢]

ويلاحظ صاحب (عدن فرضة اليمن) على النص:

فهذه الأقمشة الزرقاء المصبوغة بالنيلة لا زالت إلى اليوم تستعمل في الأرياف اليمنية. بل إنها كانت مألوفة في عدن إلى عهد قريب جدا.٢

ولمن يرغب في التحقق من هذا الأمر فليذهب إلى (يافع بني قاسد) (السفلى)، فمازالت النسوة يلبسن الثياب البيحانية (نسبة إلى بيحان) المنيلة،وترى وجوههن تمور بالنيلة الزرقاء المطرية للبشرة... هذه الصبغة تمحض وجوه صبايا حمير القمحية في عين من لم يألف رؤيتهن ب/لمسة من السحامة الكاذبة.

ولا عجب أن النص التوراتي هذا حتى بشقه الأخير يسجل شهادة دامغة على المورد الأصلي لهذه

الأقمشة بل والمدن التي نسجت فيها:

- * **الأصونة المبرم:**

الأصونة هي المصاون (جمع) مصون نسبة إلى أحد المدن المشرقية العتيقة وهي:

لمصون:

ذكر حمزة لقمان أنّ (لمصون) كان الاسم القديم (لميفعة). [3]

وحيث أنّ اسمها الأحدث أي (ميفعة) يرجع بدوره إلى عهود عتيقة:

ميفع: من مدن حضرموت القديمة التي هاجمتها قوات المكرب السبئي (كرب ايل وتر) كما نص عليه نقش النصر الكبير(ربرتوار / ٣٩٤٥) العائد إلى أواسط الألف الأول (ق.م). [4] وقد ذكرها مؤرخوا اليونان والرومان القدماء ومنهم بتولمي(بطليموس) الذي سماها:

(ميفا مترو بوليس) التي تعني :

(ميفعة العاصمة) أو (ميفعة المركز التجاري). والولاية التي تقع فيها اليوم ميفعة تعرف(ببلاد الواحدي) وكانت مشهورة بصناعة المعادن وحياكة الملابس. [5]

وحيث أن المصون هي التسمية الأقدم (لميفعة) فلربما أنها تعود إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة (ق.م). وما يهمنا هنا أن هذه (المصوان) الأقمشة التي تحمل اسمها (أي اسم لمصون) تبرهن على تهافت الرؤية القائلة بأن المواطن المذكورة في هذا النص(حزقيال /٢٧) هي في بلاد ما بين النهرين. وقد عرفت المصاون هذه لدى العرب وغيرهم:

الصوان، والصوان: ما صنت به الشيء

والصينة : الصون، يقال : هذه ثياب الصينة أي الصون. وصان عرضه = صيانة وصونا، على المثل؛ قال أوس بن حجر:

فإنا رأينا العرض أحوج ساعة إلى الصون من ريط يمان مسهم

هذا فيما يخص (اصونة) أما المفردة اللاحقة لها وهي(مبرم) فإنها لا تشير في نظري إلى مادة النسيج أو إلى طريقة حياكته(بالبرم/اللف) وإنما إلى نوعية من الثياب المسماة على تسمية المدينة التي صنعتها:

برم: ورد هذا الاسم في النقوش اليمنية القديمة وبالذات (القتبانية) العائدة إلى القرون ما قبل الميلاد، وكان يطلق على الوادي بيحان الأسفل الذي يفصله (بمر مبلقة) عن وادي حريب كما نص عليه نقش قتباني (ربرتوار/ ٣٥٥٠) المكرس لأعمال في(مبلقت) اشتركت فيها قبائل (ولد عم) نسبة

للإله(عم). وأوسان/ وكحد/ ودهسم(يافع)/ وتنبو/ تبن (مآتيه من ميتم بإب والضالع حتى لحج). وإلى (برم) تنسب ثياب(مبرم/برم) وعليه فإن النص ينبغي إعادة قراءته على هذا النحو:

- **أصونة ومبرم (أو وبرم).**

خاصة وأن الثياب المحبرة بالنيل مازالت تعرف في(سرو حمير/يافع) بالبيحانية (نسبة إلى بيحان/بيحن/وبرتوار ٣٩٤٥) والذي يعرف أسفله في النقوش كما لاحظنا باسم(برم).

وقد سبق لنا القول أن (المعشار) هو اسم جامع يطلق على البلاد الواقعة إلى الغرب من الشحر وبالذات منطقة (شبوة) حاضرة حضرموت القديمة الواقعة عند نهاية سلسلة ثلاثة أودية هي: عرمة–العطف–المعشار.

وحيث أن : (شنعر/توراتيا) هي (معشر/كما في النقش) بالقلب والإبدال. فإن الرداء الشنعاري الفاخر (يشوع /٧/٢١) مصدره شبوة المعشار بالذات (بمملكة شنعار/ توراتيا).

- **عيلام: (عيلا) على إعتبار أن الميم هي لاحقة التنوين (التميم) العربية الجنوبية القديمة ولذلك فأقرب التسميات التي تدل على هذه المملكة التوراتية.... هي ما ورد في نقش المكرب السبئي (الملك) كرب ايل وتر... في نقش (ربرتوار ٣٩٤٥) المعروف بنقش النصر الكبير والعائد إلى القرن الخامس قبل الميلاد. ففي فتوحات هذا المكرب العظيم للممالك اليمنية القديمة نجده يذكر(في الأسطر ص ٧-١٣) إلى جانب مناطق كثيرة :يلاي وشيعن: وكل مدن ومناطق (أبضع) حول منطقة تفض (ابين) باتجاه دهسم (يافع) وكل البحار التابعة لتلك المناطق, وكل أرض يلاي وشيعن,**

ولدينا احتمالين حول يلاي(عيلا = عيلام التوراتية) هما :

(أ) إذا عولنا على ذكر (يلاي) في هذا النقش متلازمة مع شيعن (الغير معروفة هي الأخرى) ولكن على مقربة من بلاد دهسم (يافع) إن لم يكن فيها فإن لدينا من آثار هذا الاسم:

وادي يرى /يله (يلاه):

أحد أودية (يافع بني قاسد) الخصبة وهو من أودية السعدي ومخرجه إلى سلب فأبين وحيث يشتهر بمقطعه الأول ففيه القول الشعبي:

من علف يرى أبقره الناس.

أي من كثر أعلاف يرى ربى الناس البقر. أما الاحتمال الثاني وهو الأرجح رغم بعض التحفظات.

• (ب) يلا:

منطقة في بني(ظبيان) في أراضي خولان الطيال (خولان العالية) الواقعة إلى الشرق من صنعاء ولا تبعد (يلا) عن مأرب أكثر من خمسة وثلاثين كيلومترا... وتعود شهرتها اليوم إلى ما اكتشفت بها البعثة الأثرية الإيطالية بقيادة البروفيسور (دي بجريت) من نقوش (الصيد والطرائد)... في عهد المكرب السبئي (كرب ايل وتر) نفسه أي ألها تعود إلى نهاية النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد إذا أخذنا بالحسبان ذكر والده المكرب (ذمار علي (ذريح).[7]

أما أنا فإني أرجح أن تكون:

يلا: خولان الطيال هي عيلا(عيلام التوراتية)... ورغم ما يثيره الاعتراض على أن (يلاي) المقصودة في النقش النصر لا يعقل أن تكون (يلا خولان) على اعتبار ألها كانت في العهود السبئية في قلب أراضي سبأ مما قد لا يحتاج صاحب نقش النصر إلى ضربها وتأديبها... ولكن هذا لا يفسد تحيزنا لصالحها مما يدل على عراقتها هو اكتشاف نقوش الصيد والطرائد فيها والتي ذكرناها آنفا. وعليه:

عيلام (التوراتية) = عيلا هي (يلا الخولانية).

• **جوييم:** في صيغة جمع جوي. أصداء هذه المملكة نجدها في ثلاثة مواضع أثرية هي:

(أ) الجوة : ذكرها الهمداني في (الصفة) في مخلاف المعافر (أوفير/توراتيا) بقوله:

الجوة من عمل المعافر. فالرأس فيها والسلطان عليها آل ذي المغلس الهمداني ثم المراني من ولد عمير ذي مران قيل همدان الذي كتب إليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم). [8]

وهي عند المقحفي :

أل جؤة: بضم الجيم ثم واو مهموزة بعدها هاء. وقد تشدد الواو مع حذف الهمز، وهي مدينة خربة في جبل الصلو تحت قلعة الد ملوة، وكانت قديما- كما حكى الجندي- مدينة عامرة بالعلم والعلماء وسائر الطبقات...[9]

● أل جويم: ذكرها الهمداني في (الصفة) كأحد مواطن الأزد اليمانية العريقة:

ولحق كثير من ولد نصر بن الأزد بنواحي الشحر وريسوت وأطراف بلد فارس. فالجويم فموضع آل الجلندي. [10]

وقد ذكر صاحب(طرفة الأصحاب) :

ومن الأزد الجلندي الملك الذي ذكره الله في القرآن : ﴿يأخذ كل سفينة غصبا﴾ . ويروى أن

من ذريته بني شجيعة ملوك الشحر. [11]

(ب) الجوجة: (بتضعيف الجيم) : منطقة أثرية قرب شبام، وقد كشفت فيها مخربشات وبجوارها مقابر كهفية قديمة لم تمس. [12]

ونحن نميل أن مملكة جوييم(التوراتية) هي:

أل جوّة (وصيغة النسبة إليها جوءى– والميم لجمع العاقل جوئيم/جوييم)، في مخلاف المعافر الشهير بعراقته التاريخية... والمعروف اليوم بالحجرية. أما الخمس الممالك الأخرى فليست إلا حلف المؤتفكات بلاد لوط أو عصبة مدن دائرة الأردن (توراتيا).

وكما يخبرنا اصحاح المعارك هذا(الإصحاح الرابع عشر) فإن المعركة قد أسفرت عن هزيمة حلف الخمسة (مدن الدائرة/ بلاد لوط)، وقد أقر المهزوم بهزيمته واستسلم لمشيئة حلف الأربعة المنتصر وخضع لشروط الأخير الجائرة التي قضت باستبعادهم إلى أجل غير مسمى.

أما الموقع الذي أبرمت فيه هذه المعاهدة فهو:

جميع هؤلاء اجتمعوا متعاهدين إلى

عمق السديم الذي هو بحر الملح. [13]

ولا يخطر ببال نابه أن معاهدة الاستسلام هذه قد تمت على ظهر بارجة حربية في بحر الملح، بل في بقعة من اليابسة تعرف(توراتيا):

بعمق السديم الذي هو بحر الملح... فهل لنا قدرة في معرفة هذا الموقع.

أل سديم: اسم بصيغة النسبة سدي يقابله في العربية صيهدي(بإبدال الصاد من السين).

صيهد: فلاة تمتد من قرب هينن (غرب حضرموت) متجها غربا فيشمل وادي السور ووادي العبر، ومن العبر يتجه غربا فيشمل جومليس المشترك بين الصيعر ودهم بالجوف، ثم يتجه جنوبا فيشمل رملة السبعين... أما في الشمال فتشمل الأجزاء الغربية من رملة بني ميسان ورملة النزأزا ، كما يشمل رملة الصيعر ورملة الدواسر الكهلالية، ورملة يام الحاشدية الهمدانية. ومن الغرب الشمالي يشمل المنطقة الصحراوية الواقعة غرب عسير إلأى نجران في الجنوب، وتباله وبيشة في الشمال يليها إلى الشمال الغربي بلاد غامد وزهران. [14]

ولأن الحضارات اليمنية في أدوارها الأولى قد قامت حواضرها الرئيسة حول(صيهد) فقد اطلق عليها المستشرق البريطاني بيستون **(ثقافة صيهد)** وقد اطلق لسان اليمن(الهمداني) على صيهد: **(فلاة اليمن وغائطه...)** وقد أسهب في (الصفة) في وصف معالمها وحدودها... واكتفينا

بملاحظة (بامطرف) على ما قاله (الهمداني) في نطاق صيهد.

فأين هو (عمق السديم /عمق صيهديم) الذي ورد ذكره في (الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين) وسماه بحر الملح ؟

- *** بحر الملح: عمق السديم (عمق صيهديم) :**

موقع المعاهدة هذا ذكره لسان اليمن في وصفه لمخلاف مأرب بقوله:

وشرقيها (أي مأرب) القاع الأمق من صيهد (صهديم) ومُبيه من دغل فالي

*** جبل الملح: وليس بجبل منتصب ولكنه جبل في الأرض وهو يبقى منه أساطين يحمل ما استقل من تلك المحافر وربما الهدم على الجماعة فذهبوا.[15]**

هذا هو بحر الملح (توراتيا) / جبل الملح (عند الهمداني) وهو ليس بجبل منتصب بل جبل في الأرض (منجم). وهو اليوم مازال مصدرا للملح الصخري. وقد ذكره (ابن المجاور في تاريخ المستبصر:

بين العواهل ووادي بيحان لم يكتل عرب مذحج ، والبدو والبلاد كلها إلا منه ويقال يكتال منه عرب نجد (شمال الجزيرة) وما حولها من البدوان.[16]

ولمن يشك فيما ذهبنا إليه أن (بحر الملح هو جبل الملح [منجم]) فإن لسان اليمن يزيدنا عنه بقوله:

وهو أرض لا نبات فيها فيحمل إليها الماء والزاد والحطب والعلف ويحتفظ على الماء من أجل الغراب أن ينسر السفاء فيذهب ماؤه. وهو من مأرب على ثلاثة مراحل خفاف وثنتين بطيئتين.[17]

وبعد هذه الأرض التي لا نبات فيها (لا أثر للحياة فيها) ويخاف الضاعن فيهاأن ينسر الماء من غربته فيموت فيها عطشا. أليست بحرا ميتا وقمينا بالمحقق التوراتي أن يطلق عليها:

(عمق السديم الذي هو بحر الملح / تكوين ١٤/٣).

ثم إن اكسير الحياة المقدس هذا (الملح) له دلالة أخرى تقنعنا أن قدماء اليمنيين كانوا يفضلون قطع معاهداتهم الخطيرة في (بحر الملح) فلا صداقة ولا ذمام كما يقول المثل الشعبي إلا ب : (عيش وملح).

وفي لسان العرب ورد:

العرب تسمي المدن والقرى : البحار.

وفي الحديث: وكتب لهم ببحرهم أي بلدهم.

والبحرة : الفجوة من الأرض لتسع؛...[18]

وعليه : فعمق السديم الذي هو بحر الملح = عمق صيهديم الذي هو بحر الملـــح (أي أرض الملـــح) فهي:

عمق صيهد (القاع الأمق/ همداني) الذي هو جبل الملح إلى الشرق من مأرب حاضرة سبأ التليدة.

يخبرنا نفس السفر في نفس *(الاصحاح/١٤)*، عن تمرد قام به الفريق المهزوم بعد اثني عشر ســـنة من الاستبعاد على أيدي (كدرلعومر/ملك عيلام = يلا) مما حدى بالأخير إلى استنفار (قوى الأربعـــة) من أجل جولة أخرى مع المعسكر المتمرد، وهذا ما حصل بالفعل:

وضربوا الرفائيين في عشتاروت قرنايم والزوزيين

في شوى قريتايم والحوريين في جبلهم سعير, إلى بطمة

فاران عند البرية, ثم رجعوا إلى عين مشفاط التي هي قادش، وضربوا كـــل بـــلاد العمالقـــة. وأيضا الأموريين الساكنين في حصون تامارا.

[سفر التكوين اصحاح ١٤]

وهذه هي خارطة المعركة ووقائعها التي نقلها لنا (سفر التكوين) في (اصحاح المعارك) ، وهـــذه هي مواطن قوى التمرد التي تعرضت لها فيالق المنتصر . فهل لها من بقية في جنوب الجزيرة العربية ؟

- **عشتاروت قرنايم:**

قرنايم تشير إلى أحد أقدم الحواضر اليمنية وهي : قرناو/ قرنائيم (والميم هنا هي لاحقة التنويـــن العربية الجنوبية القديمة (في النقوش)) : وكانت قرناء (قرنو/ في النقوش) المعروفة ب/ معين حـــاضرة دولة معين في الجوف وهو من أخصب بقاع اليمن وأصلحها للزراعة.

وقد زاره هاليفي عام ١٨٦٩ وعاد منه إلى فرنسا بعدد وافر من النقوش بعد أن طاف بعدد مـــن خرائبه التي تقع على خط واحد تقريبا وسط هذا السهل فيما بين الشرق والغرب، وهذا قول الأســـتاذ (محمد توفيق) بعد زيارته التي قام بها لخرائب الجوف في العام (١٩٤٤-١٩٤٥).

وخرائب معين الشهيرة هي:

قرنـــاو (معـــين) ، هـــرم الحـــزم (كمنـــــهو) والســـــوداء (نشـــن) البيضاء(نشق) وخربة براقش (يثل). [١٩]

*** عثتر ذو رصف:** يقع في خربة السوداء (نشن) أحد أقدم معابد الإله عثـــتر(نجـــم الصبـــاح) / عشتار عشتاروت.... وقد انتهت بعثة آثار فرنسية من الكشف عن معبد عثتر(ذي رصف) في أوائـــل التسعينات. ومن تسميات هذا المعبد /محرم/عثتر/ أي بيت عثتر... وقد تم بناؤه بشكله العام في عـــهد

ملك نشن (سمه يفع) ، وهو الملك الذي ورد اسمه في نقش المكرب السبئي /كرب ايل وتر/ في نهاية النصف الأول للألف الأول قبل الميلاد. عندما قام بحروبه الشهيرة **التي سجلها لنا نقش (ربرتوار/ ٣٩٤٥)**. [٢٠] ولكن البعض يذهب إلى القول بأن بيت عشتر هذا يرجع إلى الألف السادس ق.م. [٢١]

وما يهمنا هنا هو أن :

عشتاروت قرناييم التوراتية تشير إلى عشتر قرناييم (وعشتر ذو قرناء) في جوف اليمن.

وإلى هذا الأثر نفسه، نقل لنا (لسان اليمن) الهمداني عن هشام ابن الكلبي:

قرن عشار:

قال: حدثني سليمان الكندي وراشد بن شبيب أن بين عطان صنعاء وجبل عيبان موضع يقال له بئر جدرين فيه قبر النبي يوشع بن نون(عليه السلام) وفيه مال عظيم لأنه مخرج المال مع اشتهار قبر المذكور في (قرن عشار) وهي مواطن حمير وستعمر... [٢٢]

*(التقويس لنا للإبانة)

و/عشار: بضم العين وكسرها **قرية عامرة في الجنوب الشرقي من صنعاء وعدادها من بلد ذي جرة (سنحان) وتسمى أيضا أعشار.** [٢٣]

قريتاييم: بعد عصيان (مدن الدائرة) ونقضهم الصلح (في عمق السديم/ بحرالملح) الذي حدث في السنة الثالثة عشرة كما يخبرنا (الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين) تعرضت بلاد كثيرة لهجمات حلف الأربعة ومنها بلاد:

الأيميين في شوى قريتاييم [سفر التكوين /اصحاح ١٤]

ومن معاني شوى في الفصحى:

وقال بعضهم الشوى جماعة الأطراف. وشوى الفرس قوائمه... [٢٤]

وعليه: فإن شوى قريتاييم.

يمكن أن تعني ضواحي قريتاييم أو طوارف **(أطراف) قريتاييم.**

إذا لم يكن اسما لموقع بعينه في قريتاييم بلاد الأيميين. وفي واقع الحال أن النص يشير بصراحة ألي مدينة قديمة في حنوب الجزيرة العربية هي المعروفة في نقوش المساند اليمنية القديمقب:

هجرن/ قريتم/ ذت/ كهلم:

مدينة/قرية/ذات/ كاهل. وهي :

حاضرة مملكة كندة (كدت في النقوش) الأولى في وادي الدواسر والتي عثر فيها على موضع قبر

لأحد الملوك هو معاوية بن ربيعة القحطاني ملك قحطان... وقد ذكرت في نقوش سبئية تعود إلى أوائل القرن الثالث للميلاد في عهد الملك (شعر اوتر) ملك سبأ وذي ريدان من ملوك(المرحلة البتعية الهمدانية/ عند علماء النقوش) وذلك في نقش (جام/٦٣٤) وفيه يذكر صاحبه **شرح/بـــن/ خـــذوه/ ورجل، تقديمه قربان للإله ايل المقه ثهوان/بعل/** أوام. وذلــك مـــن الغنــائم الـــتي أخذهـــا مـــن **(مدينة/قرية/ذات/كاهل)** وليسعده المقة بالحظوة والرضاء عند سيده**(شعر أوتر/بن نهفان) نهفان(ملــك سبأ وذي ريدان).** [٢٥]

وإلى نفس العهد يرجع ذكر(قريتم/ق ر ي ت م) في نقش(جام/ ٦٣٥،وجام/٦٤١) من نفس الفترة أي عهد (شعر أوتر) ملك سبأ وذي ريدان . [٢٦]

وتعرف قرية (قريتم) اليوم باسم الفاو.

وإذ يخبرنا (الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين) أن **أهل /قريتاييم/ هم الأيميين...** فلا غرابة أن نجد هذا الإزدواج قائما عبر العصور بين **(قريتم في النقوش وأهلها ياميم)** وقد وردت نقش يعـــود إلى عهد **(شمريهرعش)** ملك سبأ وذي ريدان **(الملك التبع عند الأخباريين)** ، في المرحلة التي توحـــدت بها على يده الإرادة السيادية لليمن ككل تحت حكم الحميريين(آل ذي ريدان) مع نهاية القرن الثـــالث بعد الميلاد. أما النقش فهو(المسند/١٧) في كتاب(الأستاذ مطهر الإرياني/ نقوش مسندية) :

وفيه يخبرنا صاحباه : **شوف عثت أشوع الهمداني مع ابنه زيد أيمن**، ويعـــددان انتمائـــهما إلى: **همدان(حاشد وبكيل) وذي فيشان وساران ومن أقيال سمعي/مشـــالثين ذي حاشـــد ومرابعـــين ذي ريدة... وفيه ذكر لغزوه قام بها (شمريهرعش) ورافقاه فيها ضد عشائر الأعراب:**

سفلن (ويامم وذي قريت) وذا بن وارشم. [٢٧]

وهذا التلازم بين يامم وذي قريت (قريتم) في هذا النقش نجد ما يزكيه فيما ترك لنا لسان اليمـــن (الهمداني) من ذكر ليام (القبيلة) ومواطنها القديمة

يام: ينسب إلى يام بن أصبي بن دافع بن مالك بن جشم بن حاشد ويفهم من كلام (الهمـــداني) أنه كان ل(يام) مواطن قديمة قبل موطنها الأخير. حيث أن فروع وادي المنبح هي مواطـــن (يـــام القديمة) ثم يقول: [٢٨]

ويام وطن بنجران هو نصف ما مع همدان منها (صفة ٢٢٦).

ولاشك أن الياميين في نجران كانوا أهل قريتم وبكلمة أخرى الياميون في نجران هم الأيميـــين في

شوى قريتاييم   اصحاح /١٤ نص.

- **سعير**: جبل هو موطن الحوريين، فقد كان عرضه لهجمات تحالف الأربعة:

والحوريين في جبلهم سعير (تكوين/١٤)

أما (سعير) فإن الإجابة عنه نجدها لدى الباحث (د/زياد مني) بقوله:

أما الاسم عسير والذي يطلق على قطاع من جنوب غربي الجزيرة العربية ، فقد نشأ وفق ما يفيده الأخباريون العرب من وعورة أرضه وعسرها. ونظرا للميل الدائم لدى الأخباريين العرب في تقديم شروح لكل ما هو مفقود من الذاكرة الشعبية، فأنا لا أعتقد أنه يعود في أصله إلى الاسم (سعير) الوارد في العهد القديم. [٢٩]

إذن فجبلهم (سعير/ هو جبلهم عسير).

ترى هل يوجد في سراة عسير ما يذكرنا بالحوريين أصحاب جبل سعير/عسير.

***حورة: ذكرت في نقش (جام/٦١٦) وصاحبه هو وهب أوام ياذف السخيمي، من عهد نشأ يكرب يهامن يهرحب بن أيل شرح يحضب (الثاني) ، ويتحدث عن حرب خاضها ضد عدد من العشائر منها:**

(دواءه/دوت) و(أباس) و(أيدعان = الايداع) و(حكم) و(حد لنه) و(غامد).

(وحورة / حارة):

وقد دارت الحرب في **أسافل /ذي بثران/ وخلب وتندحان...**[٣٠]. وكلها مناطق في سراه عسير.....

أما (حورة) هذه فصيغة النسبة إليها)حوري) جمعها حوريون(حوريين).

وقد ذكر الهمداني حارة في ذلك الحيز من الأ رض وجعلها موطنا لقبيلة(يام القديمة),

بلد يام: ليام وطن بنجران نصف ما مع همدان منها ثم بلدهم يطرد عليها ناحية الحجاز إلى حدود زوبيد ونهد من ناحية (حارة) وما يليها وهي (حاره) وسمنان فإلى ما يصالي خليف دكم من أعالي حبونن...[٣١]. **ثم تعود عاصفة الحرب في طريقها راجعة إلى سهل الجوف لينال شرها:**

بطمة فاران عند البرية (/تكوين / اصحاح/ ١٤ نص)

- **المطمة**: **بضم الميم وكسر الطاء المشددة وفتح الميم بلدة مشهورة في الجوف أسفل وادي مذاب من ناحية الجنوب بالشمال الغربي من الحزم (كمنهو في النقوش) بمسافة ثلاثين كيلومترا.** [٣٢].

ف(بطمه فاران: هي المطمة/ بإبدال الميم من الباء) وكلاهما أي الميم والباء (الموحدة) لهما نفس المخرج الصوتي وهو الشفة.

فاران: في تعرضه (أي الهمداني) لأودية الجوف الرئيسة ، ذكر الهمداني واد رابع يسقي الجوف:

وادي المنبج: "وفروعه من بلد يام القديمة وبلد مرهبة ملح(وبران) ومسورة وجبال لهم مما يصالي مهنون من بلد خولان. ويأتي قابل لهم الشمالي بأودية لطاف مثل أوبن وغيره. ثم يشرع على الفرط وهو جالب الغائط وهو من ديار بالحارات. [٣٣]

وبران (بالباء الموحدة) ليست إلا فاران: بإبدال الباء من الفاء (حرفي شفه) ، أما البرية التي حرص محقق السفر (سفر التكوين) من ذكرها لكي يميزها عن أي (فاران) أخرى (باران) فليست سوى غائط اليمن (صيهد/ السديم)، وكما أشار (لسان اليمن) إلى جانب الغائط (البرية) = الفلاة حسب تعبير الهمداني، فقد درج الأقدمون على تسمية بعض جوانب الصحارى والبحار إلى البلدان القائمة على تلك الأطراف (الجوانب). فجانب من الغائط الذي هو جانب من البرية الذي تقوم عند بران(فاران توراتيا) هو المقصود بالبرية برية فاران = غائط بران.

ومن بطمة في وسط سهل الجوف (مطمة) يتحه إعصار المعارك نحو السواحل الجنوبية الشرقية ، وبالذات **إلى عين مشفاط التي هي قادش وضربوا كل بلاد العمالقة وأيضا الأموريين الساكنين في حصون تامارا . [تكوين/١٤] .**

فأين هي عين مشفاط التي هي قادش . وكيف سهل لجيش الأربعة الوصول إليها ؟

- **عين مشفاط** : هي عين مشقاص (بالقاف والصاد المهملة بدلا من الفا والطاء) .

*** المشقاص : هو المنطقة الساحلية الواقعة الي الشرق منهم (أي اهل الشحر) كالحامي والديس الشرقية الي مكان اسمة الدمخ حساي ومهناها (كثبان الرمل) وهي الحد الفاصل بين منطقة الحموم و(حضرموت القديمة) ومنطقة المهرة .** [٣٤]

وكما قال (بامخرمة) فان قصبة المشقاص هي :

- **حيريج** : هي أم المشقاص وبها بندر يقصده أهل الهند والصومال وغيره وقد دثرت الآن.[٣٥] وموقعها الضفة الغربية من وادي المسيلة. [٣٦] فأم المشقاص (عين مشفاط) وهذا أحد الاحتمالات.

أما الاحتمال الأكثر فيذهب لصالح واد في ذلك الحيز يعرف بـــ :

- **هينن** : مدينة هينن تقع في وادي هينن في الجنوب الغربي من شبام ويبعد عن وادي العبر

قرابة ثمانين ميلا الى الشرق . [٣٧]

هينن = عين (بابدال الهاء من العين واهمال النون الاخيره) .

وعليها يمكننا القول ان :

(عين مشفاط التي هي قادش/ تكوين/١٤-٧) هي :

هينن المشقاص .

● **وادي العين** : من اودية الكسر الشرقية ولكننا نستبعد هذا الاحتمال لوقوع هـــذا الـــوادي خارج نطاق المشقاص .

لكن الشيخ(سالم بن حميد الكندي) صاحب تاريخ حضرموت ، نجد في المجلد الثاني (وهو الاخير) من كتابه هذا تعريفا في معجم الاماكن (ونظنه من عمل المحقق الاستاذ عبدالله الحبيشي) :

العين : واد واسع شرقي المشهد والوادي الايسر من دوعن . [٣٨]

وعينات : من اشهر قرى حضرموت على نصف مرحلة من تريم .٣٩

أما مسالة وصول جيش الاربعة ، فقد كان حسب وصف لسان اليمن :

فمن اراد حضرموت من نجران والجوف جوف همدان فمخرجهم منهل فيها ابار . [٣٩]

وتزداد قناعتنا بصحة ما ذهبنا اليه في تحقيقنا لموقع قادش (التوراتيه) التي هي (عين مشفاط) في الها احد مدن المشقاص شرقي الشحر كلما ازدادت معارفنا عن قادش هذه واحوالها او بيئتها فهي علــــى مقربة تخوم صحراويه تعرف (توراتيه) ببريه (صين) (قارن سنة الى الشرق من قبر النبي هــــود مثـــلا) ، ولعل قادش هي اول المواطن المسكونه التي يقترب منها شعب اسرائيل بقيادة كليم الله موسى واخيـــه هارون ، الأمر الذي نتعرف عليه في سفر العدد :

واتى بنو اسرائيل الجماعة كلها الى بريه صين في الشهر الأول. واقام الشعب في قـــادش)

[سفر العدد/٢٠/١] .

ويتعرض شعب اسرائيل الى حدوث قادش هذا الى الهلاك عطشا فيجارون بالشكوى :

لماذا اصعد تمانا من مصر لتاتي بنى الى هذا المكان الردئي . ليس هو مكان زرع وتـــين وكـــرم ورمان ولا فيه ماء للشرب . **[سفر العدد/٢٠/٥] .**

وتحت وطاة حاجة القوم للماء على اطراف الصحراء يدعوا موسى (عليه السلام) ربه بـــــالغوث فيستجيب لدعاه :

* **مريمة :**

ورفع موسى يداه وضرب الصخرة بعصاه مرتين فخرج ماء غزير فشربة الجماعة ومواشيها .

ف/هذا (ماء مريبة) حيث خاصم بنو اسرائيل الرب فتقدس فيهم .

[لعدد/٢٠/١١-١٣].

فكما كانت (ماء زمزم) مدعاة لجرهم والعماليق الى سكنا مكة كانت مياه (صخره مريبة) هـــذا ما دعتهم لأقامة فذلك الحيز تعرف اليوم بـــ :

* **مريمة: بابدال الميم الثانية من الباء في مريبة: قرية على الطريق المـــار مـــن ســـيئون الى تريم.** [٤٠]

وهي في الأصل مدينة ذكرة في نقوش المسند الى هذا النحو :

* **مريمتم:**

كما في النقش العائد الى مستهل القرن الرابع للميلاد / عهد (ذمار على يهبر) ملـــك ســـبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت إذ قام صاحب النقش وهو : (لفي عثت يشيع المرحي) بغزوة عـــدي أرض حضرموت وعدد من المدن التي تعرض لها على هذا النحو :

عدى/صوران/وعقرن/وشبوت/ورطفتم/ومريمتم/وترم. [٤١]

وعليه :

مريبة (التوراتيه) = مريمتم (في النقوش) = مريمة (حاليا) قرية فيها بين سيئون وتريم في حضرمـــوت وهي بلا شك احدى الشواهد الحية التي تشير الى البيئة الاصليه لقادش (قدش) أي المقدسه ومنها اتـــوا في عصور متأخرة بالتسمية العربية (بيت المقدس) والمأثور لدى العلماء التوراة أن قادش (قـــدش) قـــد وقعت بيد قبائل الخبير و(وهم يعتقد الها اصل العبرانيين). [٤٢] وحتى لا نخرج عن صلب موضوعنا فـــان قادش هذه قد ذكرت في التوراة ايضا تلازم مع صعناييم :

وخيم حتى الى بلوطة هي صعناييم التي عند قادش .   [قضاة/٤/١١] .

فهل لـــ(صعنايم) هذا من اثر هنالك :

* **سنا/وصنا:**

معظم المواقع الأثرية (تتركز) ما بين (سنا)

إلى الشرق من قبر النبي هود (وصنا) في

وادي رخية. وقد عثر في (سنا) على نقوش

تعرف باسم : (نقوش حصن الكيس) نسبة

إلى الموقع (الحصن) الذي عثر عليها فيه. [٤٣]

وحيث أن (سنا) الذي يقع بينه وبين السوم قبر النبي هود في منطقة ثرة بالمياه طوال العام.

وإلى جوار الضريح تقوم مدينة بيوتها خاوية لا تؤم إلا في وقت الزيارة. [٤٤]

فإننا نميل ان مدينة قادش (عين مشفاط) لا تبعد كثيرا عن سنا :

فصيغة النسبة هي : سنائي/سنوي . وبإضافة لاحقة التنوين (التمييم) العربية الجنوبية يكون السم (سنايم) او صنايم ، ويمكن ان تكون العين المهمله بين الصاد والنون في (صعنايم) إبدالا في الأصل من الهمز الذي اهمل عند الحضارمة مع مرور الزمن .

أما بلاد العمالقة التي ضربة في هذه الحرب فنجد فيها إارة الى مواطن :

- **عمالقة حمير :**

ومنها المناطق السيبانية الحميرية الواقعة الى المغرب من الشحر . فاقدم اشارة في نقوش المساند الى سيبان ترجع الى نقوش النصر الكبير (ربرتوار/٣٩٤٥) . العائد الى عهد المكرب السبئي (كرب ايل وتر) في بداية النصف الثاني من الالف الأولى (ق.م) حيث يذكر :

سيبان وأراضيهم ومدهم :

الخ وميفع ورتحم وكل أرض عبدان ومدهم

وسرهم ومرعاهم وجند عبدان حرهم ورقيقهم اقتطعهم. [٤٥]

وعمالقة حمير ينسبون الى عمالق بن السميدع بن الصوار وله شقيقان هما: يناع وذو المردع. ثلاثة نفر يني سميدع بطون كلها وهذه عمالقة حمير ليس ولد عملاق بن لوذ بن سام. [٤٦]

ولا نشك فان هذه الحرب قد وصلت اقليم ظفار الواقع الى الشرق من ساحل مشقاص والمهره وهو ساحل اشتهر بالنشاط التجاري في العالم القديم وبالذات في احتكار تجارة اللبان قد كشفت النقوش العائدة الى عهد الملك الحضرمي (العذليط) أن اسم الاقليم (أرض/س أ ك ل ن [السا كل])؛ في النقوش التي عثر عليها في موقع اثري يطل على (خور روري) غير البعيد من صلالة بحد أن :

(اسدم/ثعلن/بن/قوهم/عبد/العذ/يلط/ملك حضرموت).

وهو صاحب النقش هذا المعروف بـ(بيرن خور روري ١) يتحدث عن ارسال عمال بناء

خصيصا من (شبوة) حاضرة حضرموت لبناء مدينة (سمهر) على ذلك الساحل. [47] والوقع **يدل على أن (سمهر) ميناء قدرة (بيرن) زمن قيامة من خط نقوشه بالقرن الأول قبل الميلاد.**

ولابد ان ذلك العمل له علاقة بتنظيم وتصدير اللبان من ظفار (ساكلن) إلى (قنا) كما يفهم من كتاب الطواف حول البحر الأحمر (البريبلوس) . [48]

وفي نظري أن(خور روري) الواقع على الساحل الشرقي من صلالة يحتفظ لنا باسم أحد العشائر التوراتيه المعروفة :

الأموريين الساكنين في حصون تامارا **[تكوين/١٤ نص] .**

أمروري (بالقلب) = أموري .

هذا إلى جانب ما تظهره الخرائط الجغرافية لهذا الإقليم (ظفار/ساكلن) من وجود بلدة على

- **ساحل صلالة تعرف :**

تمريت/تمارا = حصون تمارا .

بعد هذه الضربات المتلاحقة والمعارك التي طالت معظم جنوب جزيرة العرب. فمن سهل الجوف إلى سراة عسير إلى ظفار (ساكلن) عبر كل أراضي حضرموت القديمة من رخية حتى أقصى المشقاص .

يخبرنا سفر المعارك هذا أن حلف الخمسة (المنهزم) قد جمعوا شتات قواهم في محاولة أخيرة للنيل من حلف الأربعة (المنتصر) :

فخرج ملك بسدوم وملك عمورة وملك أدمة
وملك صبويم وملك بالع التي هي صوغر ،
ونظموا حربا معهم (أي حلف الخمسة) في عمق السديم .

[تكوين/١٤ نص ٨].

فكما كانت الحرب السابقة قد توجت بمعاهدة الاستعباد في (عمق السديم/عمق صيهديم) كانت الحلقة الأخيرة في هذه الحرب في (عمقالسديم) أيضا :

مع كدر لعومر ملك عيلام
وتدعاك ملك جوييم
وأمرافل ملك شنعار
وأريوك ملك الأسار
أربعة ملوك مع خمسة . **[تكوين/١٤ نص ٩].**

وقد أنتهت الجولة الأخيرة بهزيمة ماحقة لحلف الخمسة (مدن الدائرة) :

وعمق السديم كان فيه آبار حمر كثيرة ، فهرب ملكا

سدوم وعمورة وسقطا هناك. والباقون هربوا إلى الجبل.

فأخذوا جميع املاك سدوم وعمورة وجميع أطعمتهم ومضوا.

[تكوين/١٤ نص ١١] .

وحيث أن عمق السديم الذي هو بحر الملح كما اسلفنا ليس فيه ماءا ولا نباتا فأن المقصود في هذا النص بقعة في (صيهد/صيهديم) فلاة اليمن وغائطة الذي نص فيه اودية كثيرة نشأت عليها حواضر اليمن القديم . فعلى مخارج أودية تصب في صيهد :

فعلى وادي ذنه كانت مدينة مأرب عاصمة السبئيين وعلى

وادي بيحان كانت مدينة تمنع عاصمة القتبانيين وعلى وادي

عرمة كانت مدينة شبوة عاصمة الحضرميين وعلى وادي مذاب

كانت مدينة قرنا وعاصمة المعينيين . [٤٩]

فالى احد هذه المولقع يشير النص التوراتي :

- **الآبار الحمر:**

في نطاق وادي مذاب او الى الجوار منة يشير صاحب نقش النصر الكبير (ربرتوار/٣٩٤٥) السالف الذكر الى مصدر هام للمياة في ذلك الحيز سماه :

- **ماء حمرت** : في السطر (١٤-١٧) يفند وقائع الحملة على سهل الجوف ومدنه ومنها انه : استولى على ماء (عذب)(**صلم وماء حمرت**) وحرم ملك نشن ونشق من ماء مذاب [٥٠]

/فماء حمرت /هذه المذكورة في اوساط الالف الاول قبل الميلاد حسب تقديرات اهل الاحتصاص لوقائع حملات المكرب السبئي (كرب ايل وتر) تشير الى : **(الابار الحمر) الكثيرة التي لقى فيها ملكا سدوم وعمورة حتفها .**

ومن حيث كثرة الابار في سهل الجوف فمسالة لاتحتاج الى دليل ففيما بين معين (قرناو) وهرم ،مسافة لاتتجاوز الفرسخ (حسب تحديد ابن المجاور) ، وفي هذا الفرسخ تنتشر عشرات الابار وفيها اورد (ابن المجاور) هذه الابيات :

ما بين معين وهرم سبعون بئرا لابن لحم

مطوية بالساج من جوف القدم مابرحت لحم حار لحم

غلبت عليها هذيل وعقيل وجشم [51]

هذه الابيات لم ينسبها (ابن المجاور) لأحد. وقد أشكل عجز البيت الثاني على محقـــق (تــاريخ المستبصر لابن المجاور) فترك الأحرف بلا نقاط.

والأهم عندنا هنا هو كثرة الابار والها مطوية بالساج : **وهو خشب يجلب من الهنـــد واحدثـــه ساجة .** [52]

وحيث ان الخشب المجلوب من الهند يغلب على لونه الحمرة، فقد ظن الشاعر ان الآبار كـــانت مطوية بالساج ، ونحن نميل الى ان تلك الابار كانت مطوية بخشب (العلب/السدر) وهي شجرة هائلـة تنتشر في جنوب الجزيرة كلها ،وأخشابها حمر قاتمة وكان الأهالي في (سرو حمـــير /يـــافع) يضعـــون أخشاب العلب بعد تجفيفها في قيعان الآبار لمدة تربو على الحول ، فتكتسب بذلـــك قـــوة (صلابـــة) ومرونة. ثم يترعولها بعد ذلك من جوف المياه ويستخدمولها في أغراض البناء ، وتستخدم أحيانا في طـي الآبار اذا دعت الحاجة لا تؤثر فيها رطوبة . ولهذا السبب ترجع تســـمية (مـــاء حمـــرت /ربرتـــوار /٣٩٤٥) والواردة في هذا النص التوراتي الذي أسهبنا في شرحه .

وقوع نبي الله لوط في الأسر

لقد خمدت نيران الحرب الشاملة بهزيمة ماحقة لحلف الخمسة ونهبت سدوم وعمورة ومست الحرب بأذاها (آل بيت ناحور) فقد وقع نبي الله لوط في الأسر:

وأخذوا لوطاً ابن أخي إبرام واملاكه ومضوا. إذ كان ساكناً في سدوم. [تكوين/١٤/نص١٢]

هكذا فقد أتى من يبلغ نبي الله إبراهيم بهذا الخبر وهو ما زال كما أسلفنا في الكور كور مذحج (كور العواذل- جنوب البيضاء) وتحدد التوراة هذا الموضع:

فأتى من نجا وأخبر إبرام العبراني. وكان ساكنا عند بلوطات ممرا... [تكوين/١٤/١٣]

وحسب قراءة (الصليبي) لهذا النص:

(ب ء لني ممرء) الترجمة الصحيحة لهذا النص : عند حرش ممرء أو غابة ممرء.٥٣

وقد انطلق (الصليبي) في قراءته هذه من بديهية مفادها أن:

(ء لن) في العبرية : هي الشجرة الكبيرة، الغابة الحرش. وقد حذفت ميم الجمع في (ء لني) بداعي الإضافة. [الهامش بنفس الصفحة / ص ٢٣٨]

ولعمري أن إبراهيم(عليه السلام)، ينبغي عليه أن يكون في حاز من الأرض كثيف النبات، وهي بلاشك حالة تفرضها الضرورة لرعي مواشيه الكثيرة. ومن الآثار الإسمية (أسماء المواضع) في ذلك الحيز نجد:

- **قرية أم حمراء:** (أم : سابقة التعريف الحميرية) قرية عوذلية وصفها (الناخبي) في الطريق إلى يافع من أبين (عبر السيلة البيضاء)، فبعد ذكره لقرية أم صره (أحد كبريات قرى قبيلة بليل الفضلية -لقمان- ص ٢٢٧) ثم (الحمراء) وقرية الماجل والصعيد بعدها هبطنا إلى السيلة البيضاء . وفي طريق العودة يصف (الناخبي) البيئة الواقعة فيها تلك القرى بقوله:

(وقرية الماجل واقعة على أكمة صخرية وأمامها الفضاء الواسع الصالح للزراعة و(الرعي)، وفي قلب هذا الفضاء مررنا على عدة قرى تسمى بالجوف الأعلى والجوف الأسفل.

وينقل لنا محادثة له وقد وصل إلى (لودر) بعد المرور على (زارة) وهما أهم مدن الكور ، كان

موضوعها هذه الأرض الشاسعة وبيئتها الزاخرة بمقومات الزراعة.... والحادثة كانت مع أحد الأهـالي الذي بادر صاحب الرحلة (الناخبي) بقوله:

(مالك ياشيخ ضربت كف بكف. هل حصل لك شيء؟)

فقلت (على الفور) : نعم أعطاكم الله ارضاً لستم لها بأهل. وذكرت الساعات التي قطعتها السيارة في تلك المساحات الطيبة الواسعة. فأخذ قلماً وضرب به المنضدة وقال: هذا الذي شاهدته بالنسبة لما لم تشاهده أي نقطة بالنسبة للمنضدة. [٥٤]

هذا وقد ذكرت (أم حمراء) هذه في مراسلات المستشرق السويدي (الكونت كارلودي لندبرج) كموقع واعد بالآثار القديمة. [٥٥]

في هذه البيئة ذات الأحراش عاش نبي الله سنوات من عمره في (أم حمراء) أو في واحدة من قريتين تقعان إلى الجنوب الغربي من أم حمراء وهما:

الرواء: بضم الواو مع المد والهمز بلدة في أبين شمال خنفر، قال الهمداني في (الصفة) أنّ بني مجيد ساكنيها. [٥٦] وتقع إلى الغرب ملتقى الإفلاج (باب الأفلاك) حيث تلتقي عدة سيول منها:

- ريبان : ومآتيه من جبال العواذل (الظاهر) .
- سنبا : ومأتيه من جبال سرو حمير/يافع.
- **مايرة:** وتقع إلى الغرب من(الواء) في رأس وادي حسان الأبيني عند السفح الجنوبي الشرقي لجبل (سنبا). وعليه(فحرش ممرء) هو بلاشك واحد من ثلاث:

- ◆ أم حمراء : امراء (بالإدغام).
- ◆ أم رواء : (بسابقة التعريف الحميرية وإهمال الواو).
- ◆ مايرة : (مرة/ بدون تصويت فإذا أدخلنا عليها سابقة التعريف الحميرية [أم] فهي أم مرة = أم امر)

◆ نجدة نبي الله إبراهيم للوط (عليهما السلام) :

تخبرنا التوراة في نفس الإصحاح من سفر التكوين بهذه النجدة بالنص:

فلما سمع إبرام أن أخاه سبي جرغلمانه المتمرلين ولدان بيته ثلاث مئة وثمانية عشر واتبعهم إلى دان. وانقسم عليهم ليلا هو وعبيده فكسرهم وتبعهم إلى حوبه التي عن شمال دمشق, واسترجع كل الأملاك واسترجع لوطا أخاه أيضا وأملاكه والنساء أيضا والشعب.

[تكوين/ ١٤/ ١٤-١٦]

ولهذه الحادثة أصداء عند الأخباريين العرب نقلاً عن مصادر توراتية (إسرائيليات) (فالحافظ ابن كثير) يرويها على هذا النحو:

(قالوا: ثم أنّ طائفة من الجبارين تسلطوا على لوط(عليه السلام) فأسروه، وأخذوا أمواله واستاقوا أنعامه فلما بلغ الخبر إبراهيم الخليل سار إليهم في ثلاثمائة وثمانية عشر رجلاً، فاستنقذ لوطاً(عليه السلام) واسترجع أمواله، وقتل من أعداء الله ورسوله خلقاً كثيراً وهزمهم وساق في آثارهم حتى وصل إلى شمالي دمشق وعسكر بظاهرها عند برزة...)[٥٧]

هكذا فقد نقل شيخ المفسرين النص بحذافيره، وما يسترعي انتباهنا أنّ النص التوراتي قد نقله (ابن كثير) بما يناسب الجغرافيا المحيطة بـ(دمشق) ولهذا نجده عدل عن ذكر موقعين ورد ذكرهم في النص الأصلي (التوراتي) وهما:

- دان.
- حوبه.

وقد أقحم بدلا من (حوبه) تسمية ربما تكون في شمالي دمشق هي (برزة).... ولهذا الأمر عندنا دلالته الداعمة لقولنا بأن الجغرافيا التوراتية الأصلية في جزيرة العرب وبالذات في جنوبها على وجه التحديد.

نعم فقد ذهب نبي الله إبراهيم لنجدة ابن أخيه هاران، بعد أن بلغه النبأ وهنا يجب التأكيد على نقطتين ذي أهمية بالنسبة لمتابعتنا هذه وهما:

◊ الأولى: وتتعلق بالزمان. فالملاحظ هنا أن (حرش ممرء) منتجع إبراهيم(عليه السلام) لا يبعد كثيرا عن بلاد لوط... فقد أتى من يبلغ إبراهيم (عليه السلام) في الحال بواقعة أسر نبي الله وانتهاب أمواله.

◊ الثانية : وتتعلق بالمكان. فالملاحظ أن (حرش ممرء) يقع أيضا إلى الجوار من (دان) الموقع الذي التقى به إبراهيم في جيش (كدر لعمور) العائد في طريقه إلى (حوبة) مثقلا بالغنائم والسبايا وفيها لوط(عليه السلام) قد أسرته جحافل الجيوش المنتصرة(طائفة الجبارين/ حسب تعبير ابن كثير). لقد اتخذ الخليل طريقا مختصرة مكنته من الوصول إلى (**دان**) في الشمال من(حرش ممرء/في بلاد الكور) فلأين دان هذا ؟

✵ **وادي دان**: أحد أودية بلاد العناق (عنقيم توراتيا) في (سرو حمير/يافع). ذكره (الهمداني) في (الصفة) بالدال المعجمة بقوله: (العر لا ذان من يافع).[٥٨]

وفي الإكليل بالدال المهملة (أدان). [٥٩] وهو اليوم من أودية شرق يافع (العناق) يعرف بأعاليه في سفح (جبل العر) باسم وادي (أم شراف) وفي أسافله باسم وادي (خيله) [أنثى الحصان]. ومنه (أي من دان) تذهب بك (طريق السيارات / سابقا القوافل) إلى الموقع التوراتي الآخر وهو:

* **حوبه:** (حبه بدون تصويت) : بفتح الحاء المهملة والباء الموحدة آخره هاء. ورد ذكره في النقوش المسندية / كوربوس ٦٢١) والعائد للقرن السادس للميلاد. فقد كان موطن السلالة الحميرية (حبم) / الميم لاحقة التنوين العربية الجنوبية (التميم). أما الهمداني فقد جعل (حبه) في نسب سلالة حمير الأصغر : حبه بن زرعة بن سبأ بن وائل بن سدد بن زرعة (حمير الأصغر) .

وإليه (أي إلى حبه) ينسب (وادي حبه بالسرو). [٦٠] وقد ذكر الأكوع:

السرو المراد به هنا سرو حمير، وهو بلاد يافع ... ويرى جبل حبه من بلاد البيضاء إذ حبه من يافع غرب البيضاء – وآل حبه من قبائل يافع.

وجبل حبه هذا هو ثالث ثلاثة جبال مازالت جميعها تعرف باسمائها القديمة، وقد وردت في صفة جزيرة العرب للهمداني:

" فالعر لأذان من يافع وثمر للذراحن من يافع وحبه للأبقور من يافع". [٦١] فأين حبه من (دمشق/ التوراتية هذه).

*دمشق: ذي أم شق (ذ مشق / بدون تصويت) ذي امشق هذه يقع حبه إلى الشمال منها تماما كما ورد في النص التوراتي وهي منطقة واعرة فيها وديان خصبة تنتج البن وأهم ودياها:

- سلب (أسافل ذي ناخب).
- قرض
- نخرة
- سبيح(سباح)
- ضبه.

وإلى جانب السكان المستقرين في هذه القرى وغيرها يوجد قسم آخر من أهل (أمشق) الرحل الذين ينتقلون حيثما يوجد الكلأ لمواشيهم. [٦٢] هذه المنطقة (ذا مشق) باالذات هي المعنية بقول حمزة لقمان (في حصرة لحدود يافع بني قاسد) : وتحدها (أي يافع بني قاسد/ السفلى) من الشرق بلاد العوذلي (بلاد الكور/ والظاهر) وبلاد الفضلي (بلاد لوط)... [٦٣]

(ما بين الأقواس لنا للتوضيح).

وعليه فهذا القسم من يافع / سرو حمير المجاور (لحرش ثمرء)، الواقع على وجه التحديد إلى الغرب

من هذا الحرش. كان نبي الله يعرفه تماما ويختلط فيه رعاة مواشيه مع الرعاة من (ذي أمشـــق) ولهـذا السبب بعينه جعله في روايته للواقعة أساسا (أو مرجعا) لتحديد المواقع الجديدة التي نزلها طلبا لفك أسر لوط (عليه السلام)... الأمر الذي أربك فيما بعد (بمئات السنين) المحقق التوراتي الذي كان يتعامل مـع نصوص لا تكتب فيها الصوائت فوهم أن (ذ مشق [بالذال المعجمة]) هي (دمشق) بلاد الرافديـــن... إلى جانب محاولات القبائل اليهودية التشبث بأوطانها الجديدة وطمس ذكـــرى الجـــذور القديمـــة في مواطنها الأصلية... الأمر الذي أخذ الدارسون المعاصرون للآثار التوراتية التنبه لـــه، وشـــكل أحـــد الأسباب لإعادة دراسة الماضي التوراتي.

ومن الآثار التي تشهد على تدخل محقق (سفر التكوين) في إعادة صياغته مما أوقعه في تناقض مريع الآتي:

أخبرنا (الإصحاح /١٤ من سفر التكوين) أن المعارك قد أسفرت عن هزيمة (حلـــف الخمســـة) وسقوط ملكي سدوم وعمورة (**في آبار حمر كثير في عمق السديم**) والتي حققنا مواقعها. ثم نفاجـــأ في نفس الإصحاح أنه بعد نجاح إبراهيم (عليه السلام) من هزيمة جيش (**كدر لعومر والملوك الذين معـــه إلى عمق الشوى الذي هو عمق الملك...**). [تكوين/١٤/١٧]

وفك أسر لوط واسترداد جميع الغنائم نفاجأ أن على رأس مستقبلي نبي الله إبراهيم كـــان ملـــك سدوم !!!

فخرج ملك سدوم لاستقباله بعد رجوعه من كسره كدر لعومر.... [تكوين/١٤/١٧]

ترى كيف عاد ملك سدوم إلى الحياة بعد أن وقع في الآبار الحمر لعمق السديم مع حليفه ملـــك عمورة ؟ !!!!!!

سيرد البعض أن ملكا آخرا لسدوم قد تسلم الحكم فيها بين عشية وضحاها، وكان علـــى رأس المستقبلين لإبراهيم (عليه السلام) أو أن وقوع ملك سدوم وملك عمورة في الآبـــار الحمـــر لايعـــني هلاكهم... ولعمري أن الأكمه تخفي ما خلفها !!! وأن الأمر على أي وجـــه كـــان يشـــير البلبلـــة والتشويش الذي بدوره يشير إلى تحريف التوراة تماما كما نص عليه القرآن الكريم:

﴿**من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه**﴾ الآية ٤٦ النساء.

﴿**يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به**﴾ الآية ١٣ المائدة.

من هذا المنطلق فإننا نميل إلى القول بعدم نشوب معركة بين نبي الله إبراهيم والقوات المنتصـــرة، فالمعركة أو بالأحرى الحرب الشاملة التي أجتاحت معظم جنوب جزيرة العرب كانت بـــين ممـــالك

جنوبية بالإعتبار الأول، ولانشك أن النبي إبراهيم (عليه السلام) ورهطه الذين وفـدوا معـه إلى أرض التيمن (الجنوب) كانوا محل تقدير وترحيب من جميع الممالك المتطاحنة في جنوب الجزيرة، وبـالذات ممن هم على احتكاك مباشرة بمنتجعه أي جيرانه في (سرو حمير/يافع) الذين كانوا حينها رأس مملكـة عيلام (يري يلا) وكانت أشد بطون حمير وأصعبها مراسا تسكن في (سرو حمير)، هذه البطن هـي : العناق (عنقيم توراتيا) والتي ضعنت في فترة لاحقة شمالا في اطار التحالف القبلي المعـروف ب/ بـني كركر عند الأخباريين العرب. و لم تنقطع سلالتهم عبر التاريخ حتى اليوم.

فهم أي (العناقين) الجبابرة الذين أوقفوا شعب إسرائيل بقيادة كليم الله موسى (عليه السلام) مـن الدخول إلى أرض الميعاد (أرض كنعان)، فقد نقلت لنا التوراة خبرهم على لسـان منـدوبي قبـائل الأسباط اليهودية الذين أنتدبهم موسى (عليه السلام) في مهمة غرضها التعرف على أرض كنعان قبـل الإستيطان فيها فهكذا خبروا موسى:

وقد رأينا هناك الجبابرة بني عناق فكنا في أعينهم كالجراد... [سفر العدد/١٣/٣٣]

والمنطقة الشرقية من سرو حمير /يافع الواقعة الى الغرب من البيضاء (بيضاء حصي) والمعروفة باسم الحد، كانت (حسب تعبير حمزة لقمان) تسمى قديما (العناق). [٦٤] ونحن نقول أنها لا زالـت تعـرف بالعناق. ففي تحقيقه لبعض المواطن في سرو مذحج التي جعلها الهمداني في الصفة مواطنا لقبيلة (رهـاء) يقول الأكوع :

وحمر بالتحريك وقد يكسر الحرفان : بلدة وواد دعوته اليوم في يافع ثم في (العنـاق) مجـاور للبيضاء. [٦٥]

عودة إلى النص :

وكما أسلفنا فنحن نحدس أن ما حدث للوط (عليه السلام) وأملاكه من قبل القوات المنتصـرة كان مجرد غلطة حدثت في جلبه الجيش الزاحف، فلما تبين الأمر في وادي (دان/بمنطقـة العنـاق) أن لوطا في الأسرى ونظرا للشهرة التي كان قد أحرزها الخليل في (مصر اليمن/ السحول افتراضا) ودعوته للتوحيد التي كانت لا ريب قد بدأت تغلغلها في (سرو حمير) .... فقد وجب على قـائد القـوات (كدر لعومر) دعوة ضيفه الكريم والشيخ الجليل إبراهيم (عليه لاسلام) لمرافقته إلى حـاضرة مملكتـه الحصينة حوبه(حبه) الواقعة في حمل (حبه) الشديد التحصن برجال حمير (العناق) وبطبيعة (سرو حمـير) الوعرة.

وردنا على من يحتج بقولنا في تحقيق عيلام (التوراتية) أن المقصود بها منطقة (يلا) -علـى وجـه

الترجيح– في خولان الطيال فإننا نرد عليه بأن هذه المسألة لا تفسد أطروحتنا في شيء. فعلاقة (سرو حمير) بمنطقة مثل (خولان الطيال) عريقة في القدم وعرقية (إثنية) ودليلنا ما نقله لنا لسان اليمن الهمداني بشأن خولان:

خولان صنعاء:

تعرف ب(خولان الطيال) أو (خولان العالية) وقديما (خولان أدد) ومنازلها شرقي مدينة صنعاء إلى قرب مأرب، وقد نسبها الهمداني إلى :

مالك بن حمير عن طريق عمرو بن قضاعة في الجزء الأول من الإكليل...[٦٦]

وقد تجسدت هذه العلاقة بين (سرو حمير) و (خولان العالية) في عصور متأخرة (القرون الأولى بعد الميلاد) في اتحاد أكدته النقوش المساند بين البيت اليزني (ذو يزن) والبيت الجدني (ذو جدن) فالأول من (سرو حمير) والثاني من (خولان) .. أنظر بحثنا عن الفترة اليزنية في هذا الكتاب) — الجزء الثاني /القسم الأول.

بهذا نكون قد جلونا الكثير من تاريخ جنوب جزيرة العرب في أقدمالعهود التوراتية. إذ وضعنا على كاهلنا دراسة تلك الحقبة الموغلة في قدمها إلى مطلع الألف الثانية قبل الميلاد انطلاقا من نصوص الإصحاح الرابع عشر من سفر التكوين... وقد أثارنا تسمية هذا الإصحاح بـ(أصحاح المعارك) ، حيث أسهبنا في اقتفاء مسارح المعارك في جنوب جزيرة العرب لا من خلال الآثار الأسمية فحسب والتي مازالت باقية حتى يومنا هذا، بل من خلال إفادات نقوش المساند اليمنية الجنوبية القديمة التي تعرضت لمواقع كثيرة تحمل نفس التسميات لا للمواطن التوراتية فحسب، بل ولأهالي تلك المناطق أيضا في ثنائية تطابق إلى حد بعيد ثنائية النصوص التوراتية...

وبعد فإن الصفحات اللاحقة ستزيد من معارفنا حول التاريخ التوراتي للمنطقة وتعزز بلاشك من قناعاتنا بأن التوراة تحمل في نصوصها العتيقة الكثير بالنسبة لتاريخنا وتدهشنا بالكثير من المفاجآت إذا ما كرسنا جهودنا البحثية بهمة عالية غايتها إعادة الإعتبار للتاريخ وعقلنته.

العقيدة الإبراهيمية ملة المتطهرين

ومنذ هذه الوفادة الإبراهيمية الكريمة على أرض (التيمن) والدعوة الحنيفية الموحدية، تجـــد لهــا متنفساً في صدور اليمانية الرحبة فلا تعدم اتباعاً لها يتوارثون رسالتها ويقيمون إحياءاً لمناسكها بيوتـــاً ومساجداً يذكرون فيها رب إبراهيم ويعبدونه وفقاً لملة لإبراهيم الحنيفية عبر القرون الخوالي التي تفصـل بينها وبين البعثة المحمدية التي شاء الله أن تهتز لها جنبات المعمورة فتذعن شعوبها لنداء رسالة التوحيـــد دين الإسلام على يد خاتم الأنبياء والمرسلين محمد(صلى الله عليه وسلم).

لقد كشفت لنا التقنيبات الأثرية في اليمن أنّ طائفة من اليمنيين ظلت تتوارث أجيالها بعد إبراهيم (عليه السلام) ملة التوحيد وتعبد إله السماء (**ذو سماوى/ حسبما ورد في النقوش**) وهي التي خلفوهـــا في مدن اليمن القديمة ومحافدها التليدة الذاوية. حيث تشير النصوص النقشية إلى مزايا وصفات أصحابها المحموضة بالنفس الإبراهيمي ورسالته الطاهرة. وها نحن نسوق لكم (نماذجا) من هذه النقـــوش الـــتي كرسها أصحابها للإله(ذي) سماوي كتبت بحروف المسند، وننقلها تسهيلاً للقارئ بأبجدية اللغة العربيـــة –التي نكتب بها هذه الدراسة– عن مدونة اصدرتهـــا المنظمـــة العربيـــة للتربيـــة والثقافـــة والعلـــوم (بتونس/١٩٨٥) وذلك باسم: مختارات من النقوش اليمنية القديمة / د.محمـــد عبـــد القـــادر بافقيـــه وآخرون:

I. **٢٢ النقش : (ربرتوار/ ٣٩٥٨م)**

المصدر: غير معروف...

التاريخ: نهاية عصر ملوك سبأ

سمنت/ بنت/ بنا.

ل/ حنكيتن/ تنخ.

يت/ وتنذرن/ لال.

هه/ ذسموى/ بعل/

بنين/ بهن/ سلحث/

ذاذنه/فجزم/سو

ا/ذسموى/علي/رش

ده/ف هضرعت/وعن

وت/وخطات/سمنت .

١٢ النقش: (كوربوس/٥٢٣)

المصدر: مدينة هرم (هرمم قديماً وخربه همدان حالياً)

التاريخ: عصر ملوك سبأ وذي ريدان.

حرم/بن/ثوبن/تنخي/وتذ

ذرن/لذ سموى/هن/قرب/م

راتم/بحرمو/وفلث/حيض/

وهن/ها/علي/لفسم/وهن/ب

ها/غر/طهر/وياب/باكست/

هو/غرطهر/وهن/مس/انث

حيض/ولم/يغتسل/وهن/ان

ضخ/اكسوتو/هر/فهضرع

وعنو/ويحلن/وليثوبن

ويمكن قراءة النص ١ على هذا النحو:

سمنه بنت (بني ال) الحنكية تنخي (تبوح) وتنذر لإلاهها ذي سماوى (رب السماء) بعل بنين (سيد بنين[معبد]) بما سلحت (نجست/من البراز)، ذي أذنه (الذي بإذنه) جزم (أحاط) السوء ذو سماوى أعلى رشده (دعأ = تعالى رشده/شأنه) الذي تضرعت (له) وعنت (أنابت) بما أخطأت سمنة.

ويحتمل قراءة بعض مفردات النص على هذا النحو:

ذا ذنه: بمعنى أن الضمير عائد عليها. فقد سلحت (تنجست) بالزناء (ذي أزنت/ بإبدال الذال من الزاي فيزن = يذان في النقوش الحضرمية بالذات) وبهذا يكون نذرها وتضرعها لذي سماوى ليغفر لها خطيئة الزناء.

عنو: عنوة أي بنية خالصة وفي لهجة (سرو حمير/ يافع) يقولون عاني بنيه = تفيد عدم التردد في الأمر. وعن لي في الفصحى = خطر لي.

II. أما النص الثاني فيمكن قراءته على هذا النحو :

أحرم بن ثوبان تنخى وأنذر لذي سماوى لما قرب (باشر) امرأته (بحرمة/ الضمير عائد علـــى ذي سماوى) وملثها (وطئها) وهي حائض. و(دخل) بها وهي نفساء غير طاهرة، ويأب (أصاب) اكســـيته غير الطهر (النجاسة). وحين مس أنثاه الحائض و لم يغتسل. وحين نضخ (أدرس/نجس) كساه-كســوته (فله) المنه(أي يطلبه ليمن عليه بالمغفرة) فـ(له) تضرع وعنت(ناب) و ٠ل) يحلان (يتوب) وليثـــوب (هنا يقسم على التوبة والثواب إلى الرشاد).

هذا وأميل إلى قراءة المفردة (يأب) على هذا النحو:

يأب: من آب إلى الله عبده. أي أنّ صاحب النقش يشير إلى المواظب للعبادة بأثواب نجسة غـــير طاهرة.

وفي القرآن الكريم : ﴿هذا ما توعدون لكل أوابٍ حفيظ ﴾ الآية ٣٢ ق

ملاحظات على النقشين:

كلا النقشين يرجعان إلى حب قديمة من تاريخ اليمن غير أنّ النقش (ربرتـــوار / ٣٩٥٨) الغـــير معروف المصدر يعود إلى الحقبة التقليدية من الحكم السبئي(قبل الميلاد) وهذا يشير إلى قـــدم العقيـــدة التوحيد في اليمن. أما النقش (كوربوس/ ٥٢٣) ومصدره مدينة هرم(هرمم) فيعود إلى عصر ملوك سـبأ وذي ريدان. أي منتهل الألف الأول للميلاد. وهذا بدوره يرشدنا إلى استمرار عبادة (ذي سمـــاوى) في اليمن دون انقطاع منذ عهود ما قبـــل الميـــلاد، وحيـــث يشـــير إلى ذلـــك النقـــوش أخـــرى منها(كوربوس/٥٤٧) ومصدره هو الآخر مدينة (هرم) ويرجع أصحاب (مختارات مـــن النقـــوش...) عراقة هذا النقش إذ يعود إلى فترة قديمة من عصور ما قبل الميلاد(ربما إلى العهد الإبراهيمي نفسه!). [٦٧]

أما النقش (ربرتوار/ ٤١٤٦) العائد إلى فترة اللقب المزدوج (سبأوذي ريدان) والمكرس (لـــذي سماوى) **وصاحبه من سلالة أل (ذي سحر) العريقة فيدل على شيوع عبادة ذي سمـــاوى في عليـــة القوم. لأن سلالة (ذي سحر)** هي من سلالة الأقيال أو الأذواء (الملـــوك). [٦٨] وتســـتمر عبـــادة(ذي سماوى) في القرون الأولى للميلاد، فهذا نقش من فترة (شعرم أوتر) ملك سبأ وذي ريـــدان (المرحلـــة التبعية الهمدانية) وهو (ربرتوار/ ٤١٤٣) وصاحبه من أسرة بني عبال(عبلم) ، و:

ذعبلم هذه : أسرة من أعيان سبأ لعلها المقصودة بذي عبال أو عبل عند الأخباريين. [٦٩] وهـــذا شاهد آخر يشير إلى شيوع عبادة التوحيد (ملة إبراهيم) لدى سادة القوم في اليمن. الأمر الذي يؤكـــد طرحنا القائل بقدوم الخليل(عليه السلام) وأنه قد تمكن من نشر دعوته بحرية في اليمن وبترحيب مـــن

ملوكها الذين حاولوا غزو النمرود في عقر داره كمؤشر على حظوة الدعوة الحنيفية حينها في اليمن كما أسلفنا.

تشير النقوش المكرسة لذي سماوى إلى كثرة المعابد أو البيوت التي يعبد فيها فصاحبه النقش (ربرتوار/ ٣٩٥٨) ذكرت بيته (بعل بنين). وفي النقشين (ربرتوار/٤١٤٣/٤١٤٦) المجهولي المصدر ذكر لمعبد ذي سماوى (بعل وترم). ولعل بعض معابد (ذي سماوى) كانت من الأهمية بمكان بحيث كانت هذه الطائفة المؤمنة تحج إليها كما في النقش (كوربوس/ ٥٤٧) الذي زبر تقرباً من عشيرتين هما:

(أمرم/ وأهل عثتر) حيث ذكروا من بين أشياء أخرى : **أنّ حججهم لذي سماوى بيثل (براقش)** أحد مدن الجوف المعينية الشهيرة وفتنة الحضارم(ضر حضرمتم) أنستهم القيام بطقوس الصيد **والطرائف : (نساو/مطردن/عد/ذعثتر/وال)**. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أهمية مدينة براقش (يثل) ، فإنّ هذه المدينة المسورة كانت تضم معبداً عظيمة إلى جانب بيت (ذي سماوى) للإله عثتر(نجم الصباح) كما تخبرنا النقوش المكتشفة فيها.

مدينة هرم(هرمم) التليدة هذه التي تكشف صيغة اسمها- إلى جانب الطقوس التعبدية فيها- عن علاقة حميمة بنبي الله وخليله إبراهيم:

هرم = مرهم/ مراهم/ مراهيم.

بالقلب والتميم (أي بإدخال لاحقة التنوين العربية الجنوبية القديمة الميم) ثم بإبدال الباء من الميم الأولى فهي:

برهم = إبراهيم بالتصويت.

هذه المدينة تنبه أهل الاختصاص من علماء النقوش **إلى ظاهرة تدل أن الناس (فيها) كانوا يمارسون نوعا من الإعتراف العلني بالذنوب.** [٧٠] وليس لدينا هنا أبلغ دليلا من النقش الذي تركه لنا فيها (أحرم بن ثوبان [كوربوس/٥٢٣]) والذي يعد بمثابة صحيفة اعتراف كاملة بالآثام التي أنتهك بها نواميس الطهارة المفروضة من إله السماء (ذي سماوى) فهذا العبد الصالح يقر لذي سماوى بالذنوب التالية (ولربما أن صاحب النقش هذا قد تركه في فترة ما متأخرة من حياته أي بعد الأربعين) :

- **قرب امرأته في حرمه**
- **ملثها (طمثها) وهي حائض**

هم بها وهي نفساء

- **نجس ثيابه ولهذا فقد**
- **آبه (عبده/ياب) بأكسية غير طاهرة**
- **مس أنثاه الحائض ولم يغتسل (ربما لم تغتسل هي بعد)**
- **أدرس / نجس أكسيته (نضخ) ربما بالإستمناء أو نحو ذلك.**

هذه الأمور التي اقترفها صاحب النقش خلافا لكتاب الطهارة. وهو نفس الذنب الذي اعـــترفت به (سمنه بنت إل/ ريرتوار/ ٣٩٥٨).

ترشدنا إلى أن أصحاب هذه الملة كانوا من المتطهرين. وقد أخبرنا سبحانه وتعالى في القـــرآن أن عباده هم (المتطهرون) :

﴿اخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾ الآية ٥٦ النمل

﴿أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾ الآية ٨٢ الأعراف

وقد صورت هذه الآيات جواب قوم لوط (عليه السلام) ، فقد ظلوا متشبثين بالإثم بـــإصرارهم على الإنغماس في وحل النجاسة، وذلك بممارسة ما يعرف باللواط.

إن طائفة المتطهرين هذه قد بقيت حريصة على الملة الإبراهيمية المطـــهرة فيمـــا يعـــرف بملـــة (الأحناف) الأمر الذي أكده القرآن وجاء به دين الحق:

﴿فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن ﴾ الآية ٢٢٢ البقرة.

﴿وإن كنتم جنبا فاطهروا﴾ الآية ٦ المائدة

في فجر الإسلام وصف الله قوما من اليمن بالمتطهرين بقوله تعالى:

﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه. فيه رجال يحبـــون أن يتطـــهروا. والله يحب المطهرين ﴾ الآية ١٠٨ التوبة.

هؤلاء هم بني عمرو بن عوف أهل (قبا) ومسجدهم هذا هو أول مسجد في الإسلام. وفيهم قـــال (لسان اليمن) الهمداني في قصيدته الدامغة:

وفينا مسجد التقوى وفينا إذا استنجيتم المتطهرونا [٧١]

وينقل لنا الأخباريون العرب وجها آخرا عن حمير فيه نفحات من أريج ملة المتطهرين الإبراهيمية:

- ## صلاة الجنازة:

كانت الصلاة في الجاهلية على الجنازة في السكاسك فكان مما انتهى إلى (الهمداني) من أخبـــارهم في ذلك : أن خطرة بن عمرو بن صعب السكسكي كان يصلي في الجاهلية على الموتى ولا نعلم أحـــدا

صلّى على الموتى قبله وكان يكبر ثلاثاً ما بينهن:

لست بزور ولا زورية مكانك حتى ينجز الأمر متجزة فما ينتظرنا الأول إلاّ لحاق الآخر.

وقد أمر الله بالصلاة عليها بالإسلام. [72]

وعن نشوان ينقل لنا محقق الدامغة (الأكوع) أنّ السكسكي كان اسمه:

عطرة بن كثير بن خداش بن سكسك... وكان ملك في الجاهلية يصلي على الجنائز قال فيـــه الشاعر:

ذاك المتوج عطره خضعت له ... غلب الرقاب معاً برغم الحسد

ألشاهد الصلوات عند حضورها ... بالهالكين فياله من مشهد [73]

الفصل الرابع

في الطريق إلى أرض الميعاد:

لاشع وبحر سوف. الصرفة وصيدون.

بلاد جلعاد بعص. بلاد مؤاب.

ويتطابق ما نقله (ابن المجاور) مع ما حددته (التوراة) تماماً من أنّ أقصى بلاد لوط يقع في تخـــوم الشحر وهذا هو النص:

وكانت تخوم كنعان من صيدون حينما تجي لحو جرار إلى عزة، وحينمـا تجـئ لحـو سـدوم وعمورة وأدمة وصبوييم إلى لاشع. [تكوين /١٠/١٩-٢٠]

لاشع : هي الشحر نفسها وهي (أي الشحر) مدينة اسلامية قامت على ألقاض مدينة (أسعين) في النقوش المسندية (ينبق ٤٧) وكانت تُعرف باسم الأسعى/ الأسعاء حتى أيام الهمداني[1].

إذن :

لاشع (التوراتية) = لاسع ي (النون لاحقة التعريف في لغة النقوش اليمنية القديمة) والتبادل بـين الشين (المعجمة) والسين (المهملة) في اللغات السامية معروف

بحر سوف :

بعد تخاذل بني اسرائيل في دخول أرض الميعاد بقيادة موسى(عليه السلام) خوفا مـن العمالقـة (عمالقة حمير) وبالذات من بني (عناق) تبدأ رحلة التيه في البرية قريبا من تخوم كنعان (أرض الميعـاد) بالتوجه عبر طريق تذكرها التوراة :

وإذ العمالقة والكنعاليون ساكنون في الوادي فانصرفوا غدا وارتحلوا إلى القفر في طريق بحـر سوف. [سفر العدد/١٤/ ٢٥]

زوف: بلد ساحلية بأسفل حضرموت من مخلاف الأسعاء[2]....

ومخلاف الأسعاء هذا هو كما اسلفنا أسعين (في النقوش/ والنون فيه لاحقة التعريف في العربيـة الجنوبية) فهو:

الأسعى (الأسعاء كما ذكر الهمداني) وهو لاشع (التوراتية) أقصى تخوم كنعان. وهو اليوم الشحر الميناء الحضرمي المعروف(مدينة عاد عند ساكنيها).

إذن: فبحر الشحر كان يعرف حتى أيام الهمداني (في القرن العاشر للميـلاد) باسـم بحـر زاف (بإبدال الزاي من السين المهملة) . وعلى طريقة الأخباريين العرب وشغفهم المشهور في تفسير أصـول أسماء الأماكن، فقد ربط لسان اليمن (الهمداني) الأصل في تسمية الشطر من ساحل الأسعى (لاشـع) والمعروف بزاف (سوف /توراتيا) باسم أحد الأعلام من قبيلة الصرف الحضرمية وهو:

زاف بن ذخير بن غسان بن جذيم بن مالك (الصرف) بن عمرو بن حضرموت..... فغلب اسم زلف على بلد بأسفل حضرموت من مخلاف الأسعاء على الساحل[٣]....

وقد لاحظ (د/ كمال الصليبي) أن **الأحداثيات المذكورة (لجرار) في سفر التكوين(٢٠/و ٢٦) وأخبار الأيام الثاني (١٤) تختلف عن تلك لجرار في (سفر التكوين/١٠) حيث يرد ذكر (جوار) في مجال الكلام عن حدود أرض الكنعانيين (هـ - كنعني) الممتدة من (صيدن إلى عـزة) ويضيف النص هنا أن الحد الآخر لأرض الكنعانيين يبدأ هو أيضا من صيدن فيمتد.... إلى لاشع [٤].**

ومن المؤكد أن (صيدن) الواردة هنا ليست هي الميناء اللبناني (صيدون) (التي هـي اليـوم صيدا) .

ومن حيث وجهة بحثنا فإن في اليمن عدة (صيدونات) وقد ذكر لنا لسان اليمن (الهمداني) منها ثلاثا:

١. **صيد:** بفتح الصاد وسكون الياء المثناة من تحت (نقيل أسفل سمارة/ نقيل صيد) وفيها مسجد (معاذ بن جبل) الشهير وهو ما بين حقل يريم والمخادر ومنه تشرع طريق صنعاء تعز[٥].

٢. **بلد الصيد:** وبه أودية من ظاهر همدان مثل يناعه وذ بين وما يسقيهما من ظاهر الصيـد... بالتحريك قبيل وبلد من حاشد [٦].

٣. **صيـــد:** قرية من عزلة قيفه آل غنيم وذو كزان وأعمال ردا ع [٧].

وأميل إلى أن الأخيرة هي المقصودة في النص (سفر التكوين /١٠) فهي الأقرب في نظـري إلى بلاد كنعن (كنعان) ومنها بلاد لوط التي حققناها.

أما عزة فلدينا موقعين في حضرموت يذكران بها:

العز (قارة) : بالعين والزاي معروفة جنوب تريم [٨].

القزة: (بالقاف تصحيفا) : واد من الأودية الواقعة بين (ريدة الدين) و(الهجرين) والطريق بينهما تمر في بطنه. وريدة الدين تقع في مرتفع (حول) يتوسط رؤوس وادي عمد ووادي دوعن الأيمن [٩].

وفي أحد (الصبيدونات) هذه ونظنها صيدا يريم. قال (عائذ بن عبد الله الأزدي) وقد أوفده قومه لتحسس أحوال بلاد أخوتهم حمير:

لقد ردت (صيدا) و (السحوليين) بعده	وعـــه والســـيال بين الذنائب
وغــــورت حتى طفت (أبين) بعدمـا	خبرت لكم (لحج) الربا (والسباسب)
فلم أر فيـــما طفت مـن أرض حمير	لماربنا مـــن مشــبه أو مقارب [١٠]

صيدا والسحولِيين وأبين ولحج ومأرب وعنه والسباسب كلها من غرر أودية اليمن,

وفي (سفر الملوك الأول) ذكرت (صيدون/صيدا) في قصة تروي سخط الرب على بني إســـرائيل ومعاقبتهم بقطع القطر عنهم لسنوات في أيام النبي (ايليا التشبي) الذي يأمره الله بالرحيل من (جلعـــاد) شرقا:

.... اتجه نحو المشرق واختبى عند (نهر كريث) الذي هو مقابل الأردن .... وكان بعـــد مدة من الزمان ، أن النهر يبس لأنه لم يكن مطر في الأرض.

وكان كلام الرب له قائلا: قم اذهب إلى (صرفة) التي (لصيدون) وأقم هناك.

[الملوك الأول/١٧/١-٨].

نهر كريث : بلد حددها الهمداني في أودية سرو مذحج :

كريش (بالشين المعجمة) للأودين والأصبحيين,,,, [١١]

وقد حققها (الأكوع) : كريش : بفتح الكاف وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحت ثم شـين معجمة. بلدة عامرة من بلاد الرصاص,

أما في مراسلات المستشرق السويدي (الكونت لندبرج) مع عملائه اليمنيين، فقد ذكرت بالصيغة التوراتية تماما كموقع أثري :

كريث: ذكرت بالتلازم مع حصى والظاهر.

وقد أسلفنا أن (جبل ريدان) في بيحان القصاب، حيث يطل على وادي خر (أخر/ في النقوش).

وقد أثبتت نقوش المسند اليمنية القديمة أن بلاد واسعة تمتد من ردمان القديمـــة إلى الشـــرق مـــن رداع، حيث كانت حاضرة بني معاهر فيها وعلن (وعلان/ المعسال اليوم) ومضحا (البيضاء) الواقعة في أنحاء مدينة حصى الأثرية مركز الأقيال من آل ذي أصبح(ذ ه ص ب ح) أقيال مضحا إلى حضرمـــوت عبر بلاد أوسان وقتبان (وقبلها بيحان وفيه العاصمة تمنع) كانوا يعرفون بتحالفهم المعروف بـــ(ولـــــد عم) نسبة إلى الإله الوطني لهم، وقد تحالفوا في القرن الثاني للميلاد مع بلاد دهسم (يافع) وعرف هـــذا التحالف بـــ(التحالف المشرقي) كما ينص على ذلك النقش (جام / ٦٢٩) العائد إلى عهد:

سعد شمس أسرع وأبنه مرثد يحمد ملكي سبأ وذي ريدان إبني ايل شرح أيـــل يحضـــب (١) (بالتبني) [١٢].

وأحد المدن القتبانية التي تعرضت لها القوات السبئية في هذا النقش عرفت باسم:

(مشريقتن = المشرقية).

فهذا هو المشرق المقصود في (سفر الملوك الأول/ ١٧ نص ١-٨) وهذا نهر كريت فأين (صرفت التي لصيدون) التي أمر النبي ايليا التشبي الإقامة فيها بعد جفاف (نهر كريت) :

◆ **صرفة:** الصرفة قرية وواد يسكنها السلاطين (آل بن هرهرة/ سلاطين يافع) في مخلاف الشعيب من سرو حمير الواقع شمال شرق الضالع[١٣].

◆ **بنو صرف** : قوم من سبأ ذكر (الهمداني) من مواطنهم الفرع والهجمة... والأخيرة ما زالت قرية عامرة في قائفة على مسافة صغيرة في الشمال الغربي من رداع[١٤].

وقد اجتهد الباحث التوراتي(د/ زياد منى) في البحث عن (صرفت التوراتية هذه) وقال:

يرون أهل الاختصاص في قرية (الصرفند) الواقعة

إلى الجنوب اللبناني (صرفت المذكورة) في

(سفر الملوك / الأول / ٩/١٧) والتي أعتقد أنها

(الصردف) في القطر اليمني[١٥].

ولدينا من الشواهد والقرائن غير الآثار الأسمية ما نضعه بين أيدي الباحثين في هذا المجال ، فقد ذهب (النبي إيليا) هذا إلى (صرفت/ الصرفة) حسبما أمره الوحي الإلهي ليستقر هنالك في رعاية أرملة من أهل صرفة:

وجاء إلى المدينة وإذا بامرأة أرملة تقش عيادنا

فناداها وقال: هاتي لي قليل ماء في إناء فأشرب.

وفيما هي ذاهبة لتأتي به ناداها وقال: هاتي لي كسرة

خبز في يدك. فقالت : حي هو الرب إلهك أنه ليست

عندي كعكة ولكن ملئ كفي من الدقيق في الكوار وقليل

من الزيت في الكوز، وهاأنذا أقش عودين لأتي وأعمله

لي ولأبني لنأكله ثم نموت .

[سفر الملوك / الأول/١٧/١٠-١٢]

ف/ لنأخذ عبارة فاهت بها هذه الأرملة وهي:

(لنأكله ثم نموت).

يشير هذا النص إلى عادة يمنية قديمة تتحدث عنها كتب التراث العربي وهي:

الأعتفاد:

وتعني إغلاق الرجل عليه باب داره لا يخرج منها حتى يموت. كانوا يفعلون ذلك وقت انقطـــاع الحب من اليمن في سني يوسف (عليه السلام) تكبراً عن السؤال، حتى سن السّلف امرأتان فيهم [١٦].

وفي الإعتفاد أورد صاحب اللسان شعراً لأبي عمرو:

وقائله: ذا زمان اعتفاد	**ومن ذاك يبقى على الإعتفاد**

وقال النظار بن هاشم الأسدي:

صاح بهم على اعتفاد زمان	**معتفدٌ قطاع بين الأقران[١٧]**

ويخبرنا نفس الإصحاح عن البركة التي حلت دار الأرملة هذه بحلول (ايليا النبي) فيها. ولكن ابـن هذه الأرملة يمرض فجأة ثم يموت ويبعث بإذن الله على يد (ايليا):

....أخذه من حضنها وصعد به إلى (العلية) التي كان مقيما بها وأضجعه على سريره.

[ملوك/الأول/١٧/١٩]

وما يهمنا هنا هو ذكر:

• **العلية** : غرفة تبنى أعلى الدار في بيوت اليمنيين ذات النظام الرأسي. ومن تسمياتها الشـــائعة حتى اليوم:

◊ **المنظرة** : لإطلالتها على منظر ما.

◊ **المربعة** : من التربيع.

◊ **الخلوة** : للاختلاء بالزوجة مثلا.

◊ **العلية** : (تماما حسب النص) من اعتلائها سقف البيت.

وهذا بلاشك يشير إلى البيئة الأصلية للنص وهي اليمن. أما البلدة التي انطلق منها (النـبي ايليـا) فهي :

* **جلعاد:** (جلعد/ بدون تصويت) : والجعد (عل – جعد ، وهو الصيغة العربية المعـترف بهـا للاسم التوراتي جلعد).

(وهر جلعد/ جبل جلعد) وجبل جلعاد هذا في نظر الصليبي لابد أن يكون جبل **(فيفا) بمنطقـة جازان، حيث هناك قرية الجعدة (عل–جعد ، بقلب الأحرف). إلا إذا كانت الهضبة الـتي عليـها اليوم قرية الجعد (عل–جعد) في رجال ألمع** [١٨].

ولكننا انطلاقا من هذا المفهوم نرى بلدة جلعاد التي انتقل منها النبي (ايليا التشبي) مـن مواطـن جعده، وهم حلال وأحلاف يافع سرو حمير ومواطنهم تقع في الأطراف الشمالية والغربية لسرو حمـير

(يافع) وقد عدد الهمداني مواطنهم في (الصفة) :

* **جبال جعده** : من جبالهم العظمى جبل ردفان وأضراعه ومن حصونهم دون ذلك شكع والعلسم وحمو [19]. ومن الأودية (أودية جعده) :

الضباب ووادي حضر الذي فيه محجة عدن إلى صنعاء ووادي شرعة والحنكة والجعدية ووادي المقطن والمعتق ووادي شكع وأخله ووادي الشمرى (الشمير) ووادي عمق ووادي سمح ووادي عتبة ووادي وحده ووادي ضرعه، تصب هذه الأودية إلى أبين.

هذا وقد أفاض (الهمداني) في تنسيب هذه لتفرعات قبيلة جعده ومنها:

الأعضود – بنو المهاجر – الأحروث – السكاسكة – الأصنعة – آل مراشد....

وبنو جعده فيما يقال إلى بطون رعين [20].

وهم اليوم يعرفون بأسماء مواطنهم نحو الضالعي (نسبة إلى الضالع) وردفاني (نسبة إلى ردفان) وحالمي (نسبة إلى حالمين).

وهكذا ف/جلعد التوراتية يمكن أن تكون قد تخلفت في مواطن جعده (عل-جعد بالقلب) ولا **غرابة أن أحد المواطن التوراتية الشهيرة باسم (صور/ صر بالعبرية) الواقعة في شمال فلسطين ، وهي من الأسماء التي جلبها الكنعانيون معهم من جزيرة العرب [21].**

* **صور** : يذكرها (الهمداني) على محجة عدن على طريق صنعاء في نطاق بلاد الجعدة :

ثم أسفل الأردم وهو وادي الأجعود ، ثم صور [22]....

وقد عدها في مخلاف جيشان المجاور لبلاد جعده (من جهة الشمال) :

ويعد من مخلاف جيشان حجر وبدر وصور وحضر وثريد وبلد بني حبيش وجانب بلد العدويين من حب وسخلان والعود ووراخ [23].

* **مواطن سبطي روابين وجاد :**

يرى (د/ زياد منى) أن إقرار التوراة بتخلف كل من سبطي روابين (ابن ليئه) وجاد(ابن زلفه جارية ليئة) عن الانضمام إلى بقية أسباط إسرائيل في العبور إلى كنعان (كنعن) من مؤاب (مءب)، بعد أربعين عاما من التيه بقيادة موسى ، كان السبب فيه حسب (سفر العدد ٣٢ / ١-٥) :

أنه كان لهم مواش كثيرة وافرة جدا. والأرض التي كانوا فيها هي (أرض مواش) ... ومؤاب هذه حسب المفهوم التقليدي هي الأرض الواقعة إلى شرق الأردن.... وبعض منها عرف باسم جلعاد (جلعد) بينما يطلق (ياقوت الحموي) على هذا الإقليم اسم البلقاء ، مضيفا أنها :

كورة من أعمال دمشق ووادي القرى قصبتها عمان [٢٤].

ويطلق (سفر العدد /٢٦ / ١٥) على الإبن الرابع لجاد (ابن يعقوب) (ء زني) بالعربيـــــة (أزني). بينما يسميه (سفر التكوين /١٦/٤٦) :

(**ء صبن/أصبون**) ، هذا الإختلاف يبين بين أمور أخرى، وجود اختلاط في نسب بعض الأسـباط التي كانت تحمل اسما مشتركا أو أنها كانت تتنازع فيما بينها على أحقية الأنتساب لجد أعلى. وقـــــد وردت هذه المفردة بعدة معاني في التوراة:

- **ء زن** = أذن أي عضو السمع.
- ء زن وردت في سفر التثنية (١٣/٢٣) بمعنى وتد – وهو معنى ترى فيه المعاجم المتخصصة أنـه غير واضح.
- **زين ء** – وردت في (سفر أشعيا [٦/٦٢]) في النسخة الآرامية من العهد القديم (الـــــترجوم) وقد فهم أنها تشير إلى سلاح.

الأمر الذي يتطابق مع ما تذهب إليه كتب التراث العربي، من أن جد السلالة اليزنية هـو أول من ثقف الرماح وجعلها من الحديد بدلا من القرون. وحيث أن والدة سيف بن ذي يزن (ريحانـــة بنت علقمة) من النسل الجدني أي السلالة المعروفة ب (ذي جدن)، وعليه فإن : سيف بن ذي يـزن وكافة الأزنيين، أو اليزنيين كانوا من بقايا أو استكمالا لسبط (جاد) في جزيرة العرب. لقد حمـدت هذه السلالة العريقة جانبا من تاريخ جزيرة العرب القديم، يذهب لصالح فهم أعمق وأكثر اسـتقامة لتاريخ العرب قبل الإسلام ولجذور بني إسرائيل ضمن محيطهم الحضـــاري والطبيعـي في جزيـــرة العرب... أما الإبن بصيغته الثانية (أصبون) فقد بقي في القبيلة الحجازية (بنو ظبيان) التي تقطــــن بلاد غامد وزهران [٢٥]. هذا ملخص لرؤية (د/زياد مني) لمواطن سبطي (جاد وروابــــين) في جزيــرة العرب، ونحن نشبع هذا الطرح على ضوء إفادات نقوش المسند اليمنية القديمة :

ذو جدن ذوو يزن :

ذو جدن : هذه السلالة العريقة ذكرت في أقدم نقوش المساند العائدة إلى فترة مكاربة سبأ، وهـي الحقبة العتيقة. فقد عثرت بعثة الآثار الإيطالية على عدة نقوش في منطقة (يلا) الواقعة في بني (ظبيـــان) من أراضي خولان الطيال (خولان العالية) الواقعة إلى الشرق من (صنعاء) في منطقة تتوسط المسافة بين صنعاء و مأرب حاضرة الدولة السبئية القديمة. وتعود هذه النقوش إلى عهد مكربين هما :

- **كرب ايل وتر بن ذمار على (ذرلح ؟).**

• **يثع آمر بين بن سمه على ينوف.**

والأول من الأسرة الأولى وهو المكرب المشهور بحملاته الداخلية (ربرتوار/٣٩٤٥) التي أفضت إلى توحيد الممالك اليمنية القديمة تحت حكمه.... وقد أظهرت بعض النقوش منها (أ/٥١) أن أصحابها هم من السلالة الجدنية:

برهمو بن جدنم = براهمو الجدني (ذي جدن). وقد شارك المكرب السبئي (كرب ايل وتر) في عمليات للصيد والطرائد، وحيث أن هذا المكرب قد عاش في أواخر النصف الأول للألف الأولى (ق.م) [٢٦]. فهذا أقدم ذكر للسلالة الجدنية... التي استمرت أخبارها تتردد عبر العصور اللاحقة حتى اللحظة التي توحد فيها البيت اليزني والبيت الجدني تحت لقب واحد، فالنقش (ربرتوار/ ٤٠٦٩) العائد إلى (٤٨٠ للميلاد) يذكر بني لحيعة يرخم بأنهم أذواء : **يزأن وجدن ويلغب ويصبر** [٢٧].

هذه الوحدة في البيتين (يزأن/وجدن) تدل بلاشك على الأصول الإثنية الواحدة للسلالة اليزنية الجدنية.

بنوظبيان : لقد ذكر (مني) أن (ء صبون) هو الإبن الرابع لجاد ابن إسرائيل (نبي الله يعقوب) عليهما السلام. كما ذكر في (سفر التكوين) قد تجمد هذا الإسم في (بني ظبيان) الحجازية (حسب طرح مني) ونحن نقول : **أن أقدم نقش (من نقوش الطرائد والصيد) يذكر (بني جدن) قد اكتشف في منطقة (يلا) من (بني ظبيان) في خولان.... وفي :**

وادي حباب من أودية خولان العالية بالقرب من صرواح (الحاضرة السبئية الشهيرة) كان المقر الرئيسي لأذوائية بني جدن (ذو جدن) . [٢٨]

وبنو ظبيان –أيضا– في ناحية جبن من أعمال رداع. [٢٩]

الظبيتين : حصن في اليمانيتين من خَوْلان العالية ساكنيه بنو بكير.

وإذا كنا قد اقتنعنا بهذه الآثار لسبطي (جاد وروابين) في جزيرة العرب وفي جنوبها بالذات... وقد ذكرنا مواطن قبيلة جعده فلنعرج على مواطن محاذية للصحراء (أرض التيه/توراتيا) علنا نفلح في اقتفاء آثار جلعد هذه واوطانها على تخوم (غائط اليمن/ صيهد) .

بلاد كحد :

فند نقش النصر الكبير (ربرتوار/٣٩٤٥) المناطق التي تعرض لها (كرب ايل وتر يهنعم ١) مكرب سبأ من ملوك العصر العتيق (الأسرة الأولى من حكام سبأ) في أواخر النصف الأول للألف الأول (ق.م) ومن هذه المناطق التي اجتاحها جيوشه:

عرمه (عرمو) التابعة لكحد (ذت كحد) (أسطر/١٣/٨)

واستولى على /كحد ذي حضنتم/ (٨-١٣)

ويوم هاجم / كحد ذي سوطم /.... (١٣-١٤)

ويعلق الأستاذ (د/بافقيه) :

كحد صاحبه سوط (ذ سوطم) هي غير كحد صاحبه حضن (ذت حضنم)... وكان وصف عرمه (عرمو) بأنها تابعة لكحد (ذت كحد). والمعروف أن الهضبة التي تشقها أودية كثيرة منها وادي عرمة تسمى السوط. ولعل كحد (ذ سوطم) كانت تسكن بتلك المنطقة كما أن لفظة (حضن/حضنم) توحي بأن مساكن كحد الأخرى كانت بالمنخفضات التي في السهول إلى الغرب من السوط.[٣٠]

ومن معاني الجعد في اللغة:

جعد : متراكب مجتمع وذلك إذا صار بعضه فوق بعض....

وجعلد : حمار جعلد : غليظ....

والجعلد : الصلب الشديد.

والقحد : أصل السنام.

ابن الأعرابي : المحتد والمحقد والمحفد والمحكد كله الأصل....[٣١]

ومن الملاحظ أن :

القحد والكحد والجعد والجعلد بمعنى، وعليه فإن هذه القبيلة المذكورة في أقدم المساند تشير إلى بلاد (جلعد التوراتية) ولنرى هل لمدن جلعاد في ذلك الحيز المحاذي (لرملة السبعتين/بعض صيهد) من أثر في نقوش المساند على هذا النحو نجد وصف جلعاد في العهد القديم، والواقعة على أطراف صحراء التيه وتخوم كنعان (كنعن) وفي سفر العدد الذي أشار إليه الباحث التوراتي (زياد منى) المطلوبة من جاد ورابين:

عطاروت وديبون ويعزير ونمرة وحشبون والعالة وشبام ونبو وبعون الأرض التي ضربها الرب قدام بني إسرائيل هي أرض مواش ولعبيدك مواش. [سفر العدد/٣٢/٣-٥]

وفي الإصحاح (نفسه) :

فأعطى موسى لهم لبني جاد وبني روابين ونصف سبط منسي بن يوسف مملكة (سيحون) ملك الأموريين ومملكة عوج ملك (باشان) الأرض مع مدنها بتخوم مدن الأرض حواليها.

[سفر العدد/٣٢/٣٣]

وتستمر وقائع اقتسام بلاد (جلعد) هذه :

فبنى بنو جاد ديبون وعطاروت وعرو عير وعطروت شوفان ويعزير ويجبهه وبيت نمرة وبيت هاران مدنا محصنة مع صرغنم.

وبنى بنو روابين حشبون والعالة وقريتايم ونبو وبعل معون مغيرتي الاسم وسبمه ودعوا بأسماء المدن التي بنوا. وذهب بنو ماكير بن منسي إلى جلعاد وأخذوها وطردوا الأموريين الذين فيها.

فأعطى موسى جلعاد لماكير بن منسي فسكن فيها. وذهب يائير ابن منسي وأخذ مزارعها ودعاهن حووث يائير وذهب (لوبح وأخذ قناة) وقراها ودعاها لوبح باسمه.

[سفر العدد/٣٢/٣٤-٤٢]

وإذ وجدنا في السلالة الجدنية واليزنية بقية واستكمالا لسبط جاد، فإننا نجد سبط منسي الذي تخلف مع سبطي جاد وروابين في جلعاد قد ترسبت سلالتهم في قبيلة :

*آل/ نسيين: (في صيغة جمع النسبة ل/نسي وبإدخال التمييم في أول الاسم تصريفا فهو منسي)

أحد قبائل بلاد الواحدي الواقعة إلى الغرب من المكلا. والنسيين ينتمون إلى تحالف قبلي يعرف ببني هلال مواطنهم في وادي مرخة. ٣٢

إذن فقد استمرت سلالة سبط منسي بن يوسف بن يعقوب (عليهم السلام) في قبيلة النسيين العربية الجنوبية هذه.

ومعظم أسماء المدن التي ذكرت في نصوص سفر العدد يمكننا تحقيقها :

* **ديبون** : دمون (بإبدال الميم من الباء الموحدة وبإدخال الصائت الياء للإشباع فهي دمون [بدون تشديد الميم]).

مدينة تاريخية ذكرت في نقوش المساند فهي (دمن/دمون) أحد مدن حضرموت التي تعرضت لها قوات ذمار على يهبر ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت والذي عاش في منتصف القرن الثاني للميلاد (حسب كرونولوجيا ملوك سبأ وذي ريدان /بافقيه) ٣٣ ؟ ومن مدن حضرموت التي ذكرت في (أ-مسند ٣٢) :

صوران/ وشبم/ وظورن/ ورطغتم/ وسيئون/ ومريمتم/ وحدب/ وعراهلن/ وترم/ ودمن/ ومشطت/ وعركلبم. ٣٤

***ودمون** : ودمون وخدون : فإنهما خراب الأن وكانتا في القديم تشكلان جزئين لمدينة واحدة

يقال لها المنظيرة (تصغير منظرة) وتقع بأسفل السفح الشرقي لجبل الهجريـــن في رأس مســيال وادي دوعن.[٣٥]

وقد ذكرها الشاعر الجاهلي أمرؤ القيس :

كأني لم أله (بدمون) ليلة	ولم أشهد الغارات يوما بعندل

وفيها أيضا قال:

تطاول الليل علينا دمون	دمون إنا معشر يمانون
وإننا لأهلنا محبون[٣٦]	

* **يعزير** : من آثارها الإسمية:

١. **الغريرة** : (**تصحيفا**) : من مواطن قبائل العليا (نصاب) فـــهي لقبيلـــة آل ديـــان (ديـــاني) منهم.[٣٧]

٢. **غرير** : (يغرير/ بالتصويت) : أحد مدن منطقة غيل حبان في الواحدي.[٣٨]

* **نمرة** : نجد آثارها مترسبة في قبيلة النمارة: (نمرة بدون تصويت) من قبـــائل الواحـــدي، أهـــم مواطنهم وادي جردان (جردن في النقوش).[٣٩]

* **شبام** : شبام حضرموت، ذكرت في النقوش (أ.٣٢) السابق والذي ذكرت فيه (دمن/ دمـــون) وفي نقوش أخرى :

وهي من أمهات مدن حضرموت وبها مبان ضخمة ساحقة يرجع تاريخها إلى عـــهد موغـــل في القدم.[٤٠]

* **نبو** : إما أن تكون :

هجر الناب (أم ناب)، وهو من المواقع الأثرية في وادي مرخة، والذي يرى أنه قد تكـــون فيـــه خرابة لعاصمة مملكة أوسان الضائعة.[٤١]

نبو = نب (بدون تصويت)

وناب = نب (بدون تصويت) أيضا.

أما الإحتمال الآخر فمدينة (نبو التوراتية) هي :

* **النبوة** : (**مؤنث نبو**) : من مدن منطقة غير حبان. وهي لبعض من أهل حبان يعرفـــون بـــآل (باغسيل) ومن مواطنهم أيضا:

صفة والنبوة ومرير و(دبون) والكرب.[٤٢]

* **ودبون** : ديبون (بالتصويت) : هي إحتمال آخر ل/ ديبون التوراتية [عدد/٣٢/٣-٥]

سيحون : ذكر في النصوص التوراتية (عدد /٣٢/٣٣) : **سيحون ملك الأموريين** ، وفي (سفر التكوين/ ١٤/٧) **الساكنين في حصون ثمارا**. وقد حققنا مواقعهم في (خور روري) في ساحل ظفار (ساكلن) في النقوش. (أنظر /وقائع سفر المعارك) في كتابنا هذا. ومن الملاحظ أن اسم هذا الملك تخلف في.

* **سيحوت** : مدينة على ساحل المشقاص شرق الشحر سكانها من قبائل المهرة... وإلى الجوار منها كانت مدينة (حيريج) التي ذكرها (الهمداني) في (الصفة) و(ابن المجاور) في (تاريخ المستبصر) وفي الغرب من (سيحوت) يصب وادي المسيلة[43]. أي أن الأموريين كانوا فعلاً في ذلك الإقليم الشرقي المعروف في النقوش باسم(ساكلن/ الساكل) وفي التوراة (ميشا/وسفار).

هذا وقد ذكرت في نفس النص (عدد/٣٢/٣٣) مملكة أخرى سلمها موسى (عليه السلام) لبني جاد وبني رابين ونصف سبط منسي بن يوسف:

ومملكة عوج ملك باشان... **[سفر العدد/٣٢/٣٣]**

* **باشان** : هذا الاسم شائع في اليمن :

يقال أن أول من نزل بيحان (برم/ في النقوش) من قبيلة بلحارث هو محمد بن حفير الحارثي... تزوج من قبيلة الصقور أنجبت له خمسة أولاد ذكور:

I. **معليص.**
II. **ذبوب.**
III. **بشان.**
IV. **كعدان.**
V. **جسار**[44].

لاحظ أن الولد الثالث هو باشان. وعلى كل حال فقد ذكرت النقوش شعبا عظيما ذا شأن جلل، بحيث كان يظهر مقترنا بشعب سبأ الغني عن التعريف (والمذكور في التوراة) :

* **فيشان** : ذكر (فيشن) في النقش ل(ربرتوار/ ٣٩١٣) العائد لى عصور ملوك سبأ (العهد العتيق) وصاحبه:

لحي عثت/ سطرن/ كبر/ فيشن.

يتحدث في النقش عن توثير وتشقير حراثه التي خرهن المطر كلهن... وتمهر بعثتر والمقه.

ومعنى النص: أن لحي عثت كبير فيشان قد أصلح حراته (سواقيه) الزراعية كلها الـــتي خربتـــها السيول (المطر).

وهذا بحد ذاته يثبت استيطان (فيشان) في مأرب قبل انتقالها إلى المرتفعـــات في صنعـــاء وشـــبام كوكبان وما حواليها[45]. وله ذكر واسع في النقوش منها:

جام /٥٥٨/ ٦٣٩ و(أ-٢٤)

وفي الأول (جام/٥٥٨) في عهد (كرب ايل بين) العصر السبئي الثاني. وأصحابه من قبيلة :

عبال وشعبهم (فيشن).

والثاني (جام/ ٦٣٩) من عهد سعد شمس اسرع وابنه مرثدم يحمد (يهحمد) ملكـــي ســـبأ وذي ريدان وصاحبه **من قبيلة يهب عل (قيل من ذي جراف) ومقولته (شعب فيشن)** . أما (أ. ٢٤) فيعـود إلى عهد نشا كرب يهامن يهرحب ملك سبأ وذي ريدان وصاحبه:

رب عثت/ يغنم/ بن/ صعقن/ وتزاد

وهمن/ وشعبيهو/ سبأ/ وفيشن[46].أما عوج ملك باشان (بشن/فشن بدون تصويت). فقد ذكرنا في أبحاثنا هذه أن من الألقاب **الشائعة في سلالة ملوك حمير/ العرنجح والأعقف = عوج)**

ومن آثار مملكة بشان (التوراتية) هذه الأسمية:

*__نشن__ : (نشن/ بشن/ بدون تصويت) :

من مدن الجوف المعينية الشهيرة المذكورة في النقوش ومنها: (ربرتوار/٣٩٤٥) : حيث كانت من المدن المعينية التي اجتاحتها قوات المكرب السبئي الشهير (كرب ايل وتر) في أواخـــر النصـــف الأول للألف الأول(ق.م).

وقد أعفاها من الحريق مما يدل على أهميتها الدينية آنذاك /١٧/١٤. [47]

ومن المدن (الجلعادية) التي لم تندرس آثارها الأسمية عبر القرون:

* **سبمه** : من المدن التي أخذها بنو روابين [عدد/٣٢/٣٤-٤٢] نجدها في :

* **نسم** : **(بإبدال الباء الموحدة من النون) ثم (بالقلب) : من المدن الآوسانية الـــتي اجتاحتـــها قوات المكرب السبئي (كرب ايل وتر) [ربرتوار/٣٩٤٥] في الألف الأول (ق.م)** :

وهب (نسم) ذهب (أرض مروية) ورثاى وجردان[48]. ولم يتم التعرف على انقاضها حتى الآن.

ف/ سبمه = سنمه (بالقلب) / سبمه (بالإبدال).

ومن المدن التي اقتطعها لنوبح بن منسي بن يوسف(عليهم السلام) :

وذهب نوبح وأخذ قناة وقراها ودعاها باسمه......   [عدد/٣٢/٣٤-٤٢]

* **قناة** : هي ميناء حضرموت المعروف عند اليونان وموقعه بحذاء صخرة حصن الغراب[49]...

وقد ذكرت في العهد القديم :

حران، وقنه، وعدن، تجار شباوأشور وكلمد، هم تجارك.   [سفر حزقيال/٢٧/٢٣]

وقد كانت (قنا) من المدن التي تعرضت لها حملات (شعرم أوتر) ملك سبأ وذي ريدان بن **(علهان نهفان)** ملك سبأ. وهو أي (شعرم أوتر) كان معاصرا للملك الحضرمي (العزيلط) في أوائل القرن الثالث للميلاد. ففي نقش (أ.١٣) العائد إلى عهد هذا الملك وصاحب هذا النقش **هو : القيل (فارع حصن الأقياني) من (شبام/ أقيان/ أي شبام كوكبان) أقيال قسم من (شعب بكلم/ بكيل) وهو من (مقتوى) (شعرم أوتر) حيث شن حملات على حضرموت ومنها :**

.... وغنمم/ بن/ هجرن/ شبوت/ وقنا/ وعدوو/ ودهر/ عسم/ سفنم/ بحيقن/ قنا/ مكدح/ ملك حضرموت.

ومعنى النص: .والغنائم من مدن شبوة وقنا وهاجم ودمر معظم السفن في حيقن قنا الذي هو مكدح[50].

- **والمكدح** : موقف السفن على الشاطئ (في اللهجة الحضرمية)، حدح الحوت أو (المركب/الزورق) إذا خرج إلى السيف (الساحل) وانحسر عنه الماء، فلم يستطع العودة إلى البحر.
- **مجدحة** : ويسمى ميناء (بير علي) المجاور للميناء القديم(قنا) بجدحة ولابد أن هذا الاسم أثر باق من الاسم التاريخي للمكان[51].

ولعمري هذه ملاحظة ذكية من (د/ بافقيه) :

ف/ بجدحه تشير إلى مكدح في النقش (أ/١٣) وعليه :

ف/ قنا بجدحه

تشير إلى اسمين لهذا الميناء الشهير. الأمر الذي يتطابق مع الرواية التوراتية :

* **قناة نوبح (التوراتية).**

حيث تعرضت في تاريخها العتيق إلى تحولات في الاسم الثاني لها فقط :

قناة نوبح = قنا مكدح = قنا مجدحة (وهذه ثلاث صيغ لتسمية واحدة).

وأحسب أن الأصل في مكدح ومجدح وموبح واحد. فكما تبين لنا أن مكدح ومجدح بنفس المعنى :

وهي البقعة الرطبة على الساحل حيث تكدح القوارب، فمعنى موبح في لهجة (سرو حمير/يـــافع) التي وصفها (الهمداني) :

سرو حمير وجعده ليسوا بفصحاء وفي كلامهم شيء من التحمير ويجرون في كلامهم فيقولـــون يابن معم في يابن العم وسمع في أسمع[٥٢].

وما يهمنا هنا هو التحمير... ففيها من الكلمات والألفاظ الكثيرة ما لا تجد له أثرا في معـــــاجم اللغة العربية الفصحى، وأحيانا تجده في (المعجم السبئي) وعلى الأغلب لا تجده لا في العربية الجنوبيـــــة القديمة ولا في الفصحى :

***موبح** : بتشديد الباء الموحدة وكسرها، تعني في لهجة سرو حمير (يـــافع) : المتنســه مـــن الأرض (الصافح) المتشبعة بالماء.

* **والوبحة** : مثل المكه وهي الجب الذي ينحت في عرض الجبل فيتر من جامش فيه مـــــاء ليـــس بالكثير ولكنه لا يجف.

وفي لسان العرب قال : .

وفي حديث خزيمة : تفطر اللحاء وتبحبح الحياء أي اتسع الغيث وتمكن من الأرض[٥٣].

وهكذا فإننا نخلص إلى :

◊ **نوبح** : موبح (بإبدال الميم من النون) الموضع المشبع بالماء   مكدح/ مجدحه : الموضع الـــذي تجدح فيه السفن (المشبع بماء البحر بكل تأكيد) وعليه :

◊ **ف/قناة نوبح (نوبح بن منسي بن يوسف) هي قنا نكدح (نقوش المسند) وهـــــي مجدحـــه (اليوم) : ميناء (بير علي) المجاور لقنا (الميناء الحضرمي العتيق).**

هذا وقد احتفظت المناطق الشرقية والوسطى من اليمن بكثير من اسماء المواطن التوراتية. فـــالمدن الجلعادية التي كانت من نصيب سبط جاد بن يعقوب عليهما السلام نجد آثارهـــا الأسميـــة باقيـــة في حضرموت القديمة، وفي أراضي أوسان وقتبان وغيرهم من الممالك اليمنية في العهود العتيقة ومن هـــذه المواضع أيضا :

◊ **عر وعير** : نجد أثرها في :

عار : (عر / بدون تصويت) من قرى العوالق (العليا) ذكرها لقمان في القرى التابعة لنصـــاب : وعريب وعار وبير علي (مكدحة) [٥٤]....

والملاحظ هنا هذه الثنائية الواردة بين عر وعير (التوراتية) وعريب وعار (العولقية).

* **يجبهة** : من مدن (حاد) وأثرها نجده في موضعين هما :

ـــ **لجأتم** : لجأة (لجأت) من مدن أوسان التي تعرضت للنهب من قبل جيش المكـــــرب الســـبئي (كرب ايل وتر) في أواخر النصف الأول للألف الأول (ق.م) كما نص عليه نقـــش النصـــر الكبـــير (ربرتوار/٣٩٤٥) :

وهب/ وسرم/ بن/ لجاتم/ الي/ حمن.

- ف/لجاتم هذه قد تكون واد في مرخة :
- **لجيه** : واد كثير النخل والعلوب[٥٥]...

وحققها الأكوع :

➢ **لجية** : بفتح اللام وكسر الجيم وتشديد الياء المثناة من تحت آخرها هاء : بلدة عـــامرة إلا أن النخل كاد أن ينقرض[٥٦].

ف/ لجأتم (النقوش) لجية (الهمداني) يجبهة (التوراتية) لاحظ :

* **لجأة** لجية أو لجهة (وإبدال الياء من اللام) فهي يجهة فإذا أقحمنا الباء في يجهة فهي (يجبهة).

والاحتمال الآخر ل/يجبهة (التوراتية) هذه هو في :

* **جباة** : واد من وديان العوالق العليا (نصاب) هو لقبيلة المرازيق[٥٧].

ف/جباة جبهة (بإبدال الهاء من الألف) وهو يجبهة (بالتصويت).

هذا أما بقية المدن فيسهل العثور على الآثار الأسمية خاصة ما كان منها ذات صيغة عربية نحـو : * **العالة** (من مدن روابين) والتي نجد أثرها باق في :

* **علة** : يطلق هذا الاسم على القبائل (كثيرة) التي تتوسط أراضي العوالـــق العليـــا والعـــواذل ودثينة[٥٨].

وينسبون إلى علة بن جلد بن مذحج[٥٩].

ف/عالة علة (بدون تصويت).

* **قرياتيم** : أنظر تحقيقنا السابق : لشـــوى قريـــاتيم وســـكانها الأيميـــين (الـــواردة في ســـفر التكوين/١٤).

شوى تعني ضواحي قرياتيم.

وهي قريتم (في النقوش) : الواقعة على طريق التجارة القديم بين اليمن وشرق الجزيرة وتعـرف اليوم (قرية الفاو) الأثرية في وادي الدواسر سفح جبل طويق. وقد كانت حاضرة قبيلة كنده[٦٠] الـــتي

كانت أراضيها ممتدة من أواسط جزيرة العرب إلى أواسط وشرق حضرموت. ولعمري ف(المواطن التوراتية) تنتشر آثارها في عموم جزيرة العرب وبالذات عبر الإقليم الذي تناوله (د/كمال الصليبي) في دراسته (النادرة): التوراة جاءت من جزيرة العرب. وهو إقليم السراة حتى معظم بلاد اليمن التي تصدينا لها في دراستنا هذه.

✠ **بلاد مؤآب :**

يرى (د/الصليبي) أن بلاد (م ء ب) التوراتية ليست اسما قديما لمرتفعات الكرك شرق البحر الميت (أي ما سماه العرب بلاد الشراة) فالحجر المآبي المعروف (بنقش ميشع) ملك مؤآب... والذي يتحدث عن حروبه مع عمري ملك إسرائيل(عمري ملك يسرعل) وابنه من بعده (وهو آخاب بن عمري الذي لا يذكره النقش بالاسم). هذا النقش لا يذكر موآب على أنها المنطقة الواقعة في ذلك الحيز. وعليه فإن (د/الصليبي) يرى أنه وبسبب هذه الحروب اضطر (ميشع) إلى الجلاء عنها. فانتقل مع اتباعه من (موآب) إلى قرحة(لعلها اليوم جحراء، من قرى الكرك في المملكة الأردنية). حيث أقام لنفسه عاصمة جديدة. وبهذه المناسبة أقام (ميشع) الحجر الذي كتب عليه النقش. ولهذا فإن (الحجر موآبي) هو (حجر قرحة) أو (حجر جحراء) ، إذ أن (ميشع) لم يكن يقيم في مؤآب عندما أقامه[٦١].

هذه الأمور إلى جانب إعادة قراءة النقش قراءة أكثر استقامة من قبل (الصليبي) فالنقش يشير إلى مؤآب بأنها :

(يمن ربن).

التي تعني أن مؤآب تقع إلى يمين ربن (جنوب ربن) حسب قراءة (الصليبي).

وأن ميشع يصف نفسه أنه ديبني أي أنه من (ديبن) .

وأن عمري احتل كل الأرض من هدبء (كل هـ-ءرص م – هـدبء) أي جميع أرض مؤآب ابتداء من هدبء.

وتظهر في النقش لفظتان هما :

قر وكمس – والأخيرة تفهم على أنها كموش ، اسم إله مؤآب[٦٢].

وحيث أن جلعاد (جلعد / توراتيا) هي بعض بلاد مؤآب (م ء ب) فهل ترسب منها شاهد في مشرق اليمن الذي هو موضع بحثنا.

I) موآب : تخلف هذا الاسم في:

* منوبم : الميم لاحقة التنوين العربية الجنوبية : فهي منوب : من مدن مملكة أوسان ذكرت في

النقش (جام /٦٢٩) العائد إلى القرن الثاني الميلادي (عهد سعد شمس اسرع وابنه مرثد يهحمد ملكي سبأ وذي ريدان ابني ايل شرح يحضب ١) : وهي أي (منوب) من المدن الأوسانية التي هاجمها أصحاب النقش :

ووضع/ هجرن/ منوبم/ وكل/ هجر/ ومصنع/ شعبن/ أوسن.

ويشير أصحاب (مختارات من النقوش اليمنية القديمة) أن : منوب قد اختفت من الوجود و لم يعثر بعد على موقعها. أما مصانع الشعب أوسان فهي مثاويهم وقراهم المنيعة[٦٣]...

- **ف/منوب** : هي صيغة أخرى ل(مءب) لاحظ : مءب = موآب = مووب = منوب (بإبدال النون من الواو فهما حرفي شفه).

وحسب قراءة (الصليبي) لنقش ميشع المعروف (بنقش موآب) تقع (منوب جنوب ربن) وربن هذه ربما كانت :

- **مربون** : مربن (الميم حرف زائد) : أحد المواقع الأثرية التي ذكرت في مراسلات المستشرق السويدي (الكونت لندبرج) وهو من بلاد العوالق العليا(نصاب) أكبر الشعاب في رأس وادي يشبم[٦٤].

II) **منوب** : من أودية كسر حضرموت يفيض في الباطنة بين شبام وهينن. ذكره (الهمداني) في الصفة[٦٥].

ومنوب هذه هي الاحتمال الآخر ل/موآب التوراتية.وكما أسلفنا أن (ميشع) ملك موآب يصف نفسه أنه من (ديبن) وقد تخلف هذا الاسم في :

- **دبون** : (ديبن/ من دون الصائت الواو) فهي إذن:
- **(ديبن) : من قرى آل (سعد/حبان) في منطقة غيل حبان لقبيلة ذييب سعد في بلاد الواحدي الواقعة إلى الغرب من المكلا.. وتتداخل مع بلاد العوالق إذ يعتمد سكان حبان على مياه وادي (يشبم)** [٦٦] **التي تقع (مربون) في أعلاه.**

وإذ يحدد النقش حدود موآب ابتداء من (هدبء) ف/أثر هذا الحد نجده في:

* **هدون** : (هدن/بلا تصويت) وبإبدال الباء من النون فهي هدب : مدينة ذكرها (الهمداني) في (الصفة) على أنها في منطقة الهجرين من حضرموت وهي اليوم ما زالت عامرة غير أنها في جنوب مدينة (رحاب) في وادي دوعن الأيمن[٦٧].

أو أن (هدبء/ التوراتية) هذه هي :

* **دبا** : ذكرها (الهمداني) في (الصفة) على أنها أقصى بلاد اليمن التي يحيط بها البحر من الشرق

وهي : بلدة على ساحل ظفار أول بلاد عمان فيه. قال (الأكوع) : أنها كانت أحد أسواق العرب[٦٨].

أما لفظتي (قر وكمس/في نقش موآب) فقد ترسبت في هذا الإقليم آثارها في :

- **الأقموش** : من قمش (كمس/بالإبدال المعروف بين اللغات السامية) : قبيلة كبيرة هي نصف (ذييب حمير) في منطقة الواحدي لها تفرعات كثيرة ومواطن كثيرة في ذلك الحيز أو في :
- **القرامس** : (قرمس) : فخذ من آل باروح من قبيلة (آل تميم) وهم فرع من قبيلة ضنه الحضرمية[٦٩].

وفي موضع آخر نجد ريحا من (قر وكمس) :

- **موقس** : مركز وادي خر (أخر في النقوش) من أعمال بيحان[٧٠].

وبعد هذه الآثار الأسمية للمواطن التوراتية في جزيرة العرب على العموم وفي بلاد اليمن على وجه الخصوص تذهب بنا إلى القول بأن المواطن الأصلية للشعوب والأقوام والقبائل التوراتية هي بالفعل في جزيرة العرب. ولعله من المفيد هنا أن ننوه إلى أن معظم الآثار الأسمية التي تأنس بمقارنتها هنا مع ما ذكرته أسفار التوراة هي قديمة بل تعود في عمرها إلى ما قبل العهود العتيقة نفسها. فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن المناطق التي نذكرها في مشرق اليمن ومنها القبائل أيضا التي تحمل أسماء مواطنها الأولى مازالت كما هي :

- **ف/حبان اليوم هي (حبن/في النقوش).**
- **و/بيحان اليوم هي (بيحن/في النقوش).**
- **وسيبان ==== === (سيبن/=======).**
- **وذييب (حبان) اليوم هي (ذيب/ في النقوش).**
- **جردان اليوم هي (جردن/في النقوش).**

وغيرها الكثير. أما الأمثلة التي ذكرناها فهي : من النقش العائد إلى أواخر النصف الأول للألف الأول (ق.م) والمعروف بنقش النصر (ربرتوار/٣٩٤٥) الذي كثير ما نستشهد به في مباحثنا هذه.

وبكلمة أخرى فإننا لا نبالغ في شيء إذا قلنا أن كل التسميات التوراتية لها مقابلاتها وقرائنها وآثارها في جزيرة العرب خزان شعوب العالم بحق، ولنأخذ بعض المواطن التوراتية المذكورة في (سفر يشوع) والداخلة في البلاد الكنعانية الموعودة :

- **لاخيش :**

ثم اختار يشوع وكل إسرائيل معه من لخيش إلى عجلون.... **[يشوع/١٠/٣٤]**

وقد تجمد هذا الاسم في موضع ذكره (الهمداني) في بلاد المهرة شرق حضرموت وهو :

- **غب الخيس** : (لخيس / بدون الصائت الألف).

فأطراف جبال اليحمد وما انقاد وانقاد منها إلى ناحية الشحر. فالشحر فغب الخيس فغب الغيث بطن من مهرة[٧١] ....

ف لخيش هي إذن لخيس (بإبدال السين من الشين) في الساحل المهري غرب ظفار. وهي لخيش (بدون الصائت الألف) في : [يشوع/١٠/٢٥]

وفي نفس السفر يتردد ذكر مدينة هي :

- **عقرون** :

من الشيحور الذي هو أمام مصر إلى تخم عقرون.... [يشوع/١٣/٣]

عقرون وقراها وضياعها. من عقرون غربا كل ما بقرب أشدود وضياعها.

[يشوع/١٥/٤٥-٤٦]

هذا وتخبرنا نقوش المساند اليمنية القديمة عن (عقرون) هذه في بلاد حضرموت ، ففي نقش (أ/٣١) الذي استشهدنا به (سابقا) والعائد إلى عهد الملك الحميري:

ذمار علي يهبر ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت.

والذي يظهره (بافقيه) في (كرونولوجيا ملوك سبأ وذي ريدان) ملكا في أواخر النصف الثاني للقرن الثاني (بعد الميلاد) فمن مدن حضرموت التي تعرضت لغزوات(ذمار علي يهبر) :

صوأرن/ وعقرن/ وشبوت/ ورطغتم/ ومريتم/ وترم,

وهي أي (عقرون) غير معروفة اليوم حسب ما ذكر (الإرياني/ محقق النقش) [٧٢]. وهي عند (بافقيه) : **مدينة (عقران) جنوب شبام**[٧٣].

وفي النص التوراتي (يشوع/١٣/٣) ذكرت : عقرون كحد. أما الحد الآخر فهي شيحور:

- **والشحر** : مدينة وميناء مشهور في حضرموت قامت على ساحل الأسعى (أسعين في النقوش) وهي (لاشع/توراتيا).... و :***الشحير** : مدينة حضرمية أخرى فهي (تصغير الشحر) إلى الغرب من الشحر ذكرها (ابن المجاور) فيما بين الشحر والمكلا :

وإلى الشحر خمس فراسخ ، وإلى مرسى طيب بأعمال حضرموت وإلى الشحير أربع فراسخ، وإلى المكلا فرسخ[٧٤].

وفي النص التوراتي الثاني ذكرت عقرون متداخلة بحدودها مع أشدود.

* **أشدود** : هذه ليست بمدينة. فقد ذكرت في نفس السفر من القبائل الفلسطينية :

أقطاب الفلسطينيين الخمسة الغزي والأشدودي والأشقلوني والجتي والعقروني والعويين.

والأمر لا يتعلق بفلسطين اليوم بل بقبيلة يمنية لها أصداء في التاريخ، فالنقوش المسندية تخبرنا عن قبيلة الشدادي المتحالفة مع حمير في صراعهم مع التاج السبئي:

ففي عهد الملك السبئي (كرب إل/يهقم) بن ذمار علي ذرح وهو آخر حكام السلالة السبئية التقليدية، والذي تصدى لثورة شعوب(قبائل) ذي ريدان الحميرية وحاربهم حتى تخوم (يافع/سرو حمير) كما يكشف نقش (روبان/برون/بني بكر)، وبالمقابل فإن (قبيلة شداد) الموالية أو التابعة لبني ذي ريدان، استولت في أحد المراحل على القصر سلحين بمأرب فيما كان الملك موجودا بصنعاء[75] (الإرياني) أن قبيلة شداد هذه من قبائل (شبام) التابعة لكبير (ذي أقيان) كما في نقش لدى من (شبام/أقيان/كوكبان)[76].

أما الهمداني فيذكر قبيلة بهذا الاسم في وادي مرخة الواقع بين بيحان ونصاب :

البجباجة... واد كثير النخل (لبني شداد) من صداء... حزا لصداء (لبني شداد) منهم. لجية واد كثير العلوب (لبني شداد) والمشكان (لبني شداد)[77].

وأرجح أن شداد هذه المذكورة في نقوش المساند (قبل الميلاد) هي هذه التي ذكرها (الهمداني) في وادي (مرخة) أحد أودية المشرق. وكانت هذه واقعة في صميم التحالف المشرقي المعروف في النقوش القديمة بين قبائل **(ولدعم/معبود قتبان)** وأوسان ومضحيم (البيضاء) وخولن ردمان بالإضافة إلى حضرموت ودهسم (يافع).

وعليه :

ف/شداد جمعها أشدود هي :

أشدود / التوراتية المجاورة ل/عقرون التوراتية أيضا.

* **حبرون** : قرية أربع كبير العناقيين [يشوع/١٥/١٣]

هذه المدينة تخلف اسمها في أحد قرى قبيلة ذييب (ذيب/ ربرتوار/٣٩٤٥) وهي لفخذ منهم يعرفون :

بآل العظم/ عظمي[78]. وذييب اليوم هي واحدة من كبريات قبائل الواحدي كما أسلفنا. وآل العظم هؤلاء يذكروننا برجل العناقين الأعظم :

واسم حبرون قبلا قرية أربع الرجل (الأعظم) في العناقيين. [يشوع/١٤/١٥]

والملاحظ هنا أنه بين صفة رجل العناقيين هذه (أي/الأعظم) والتي أرجح أنها كانت بمثابة كنيـــة لصاحب مدينة أربع التي أصبحت تعرف بحبرون وبين آل العظم (أل/عظمي) :

أصحاب أو أهل (حبرون) ذييب (ذيب/ في النقوش) في ولاية الواحدي الواقعة إلى الغرب مـــن المكلا ميناء حضرموت الرئيسي اليوم... بينما يقع ميناء حضرموت العتيق (قنا) في بلاد الواحدي هـذه أيضا.

- **عراد** : من ملوك الأرض الذين ضربت مواطنهم على يد [يشوع/١٢] عــراد هــذه. وقــد احتفظ باسم هذه المدينة جبل في هذا الإقليم المعروف ببلاد المشرق (مشرق اليمن) ففي الفقــرة الــتي عرضنا لها عن مواطن أشدود في نواحي مرخة حسبما ذكر (الهمداني) :

والمشكان لبني شداد.

وقد حقق الأكوع (المشكان) هذه :

بكسر الميم وسكون الشين المعجمة آخره نون : وهو جبل مستطيل فيه أودية وقرى .

وفي كتاب (أبي علي الهجري) أورد قول الشاعر في المشكان وعراد وكلاهما جبــلان في أعمــال مرخة :

جعلن (عرادا) باليمين عواديا وعن يسر (مشكان) ذات الفدافد[٧٩]

وإذا كان (مشكان) هذا جبل مأهول فإن (عراد) جبل فيه وديان وقرى أيضا.

وفي الفصل اللاحق نتناول (أرض الميعاد) بالدراسة والتحليل.

الفصل الخامس

أرض الميعاد

* عمالقة حمير وفي طليعتهم عناق يافع

يحبطون زحف القبائل الإسرائيلية على أرض الميعاد

لا شك أن (أرض الميعاد) التي قصرها إله إسرائيل لشعبه المختار ما زالت حتى اليوم تؤرق الجميع من شعوب شرق المتوسط والبلاد العربية... فهي كما تخبرنا أسفار العهد القديم ليست بأرض يباب غير مسكونة بل عاجّة بالمدن المسورة والمحافد المنيعة والشعوب الجبارة. وفلسطين الحالية المفترض أنها قلب أرض الميعاد التي (تفيض لبناً وعسلاً) قد منيت فيها وفي الأردن أيضاً وبلاد الشام عموماً الجهود المكرسة للكشف عن المواطن التوراتية بالفشل الذريع:

فالأبحاث الأثرية التي جرت لا تدل على وجود أي مخلفات كما هي العادة من المراحل المبكرة للإستيطان بفلسطين .

..... فالتسلسل الإسرائيلي كان تدريجياً وبشكل بطيء وفي معظمه كان سلمياً وفي كل مكان تقريباً من القرى الكنعانية. فلم تقع المدن الكنعانية في أيدي الإسرائيليين إلاّ في وقت متأخر جداً، وعليه فإنّ جزء من المستوطنات الإسرائيلية قد ظهر بشكل سلمي[1].

وتتفق الكتب السماوية على مسألة تخاذل بني إسرائيل وتقاعسهم عن مناصرة موسى المصطفى (عليه السلام) في الدخول عنوةً إلى أرض الميعاد هذه. فما الذي منعهم ياترى ؟

تروي التوراة أنّ موسى(عليه السلام) قد أنتبز من قبائل الأسباط اثني عشر نقيباً لتحسس أرض الميعاد والتعرف على قدرات شعوبها وامكانياتهم وذلك قبل الشروع في مداهمتهم والإستيطان في بلادهم وهكذا فقد عادوا بالأخبار:

فصعدوا وتجسسوا الأرض من برية حين إلى رحوب
في مدخل حماة. صعدوا إلى الجنوب وأتوا إلى حبرون.
وكان هناك أخيمان وشيشاي وتلماي بنو عناق... قالوا
قد ذهبنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها وحقاً أنها تفيض
لبناً وعسلاً وهذا ثمرها..... وجميع الشعب الذي رأينا
فيها أناس طوال القامة. وقد رأينا هناك الجبابرة بني
عناق من الجبابرة فكنا في أعيننا كالجراد وهكذا كنّا
في أعينهم.
[سفر العدد/١٣/٢١-٣٣]

وفي القرآن يخبرنا جلّ شأنه:

﴿وإذ قال موسى لقومه ياقوم أذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم مالم يؤت أحداً من العالمين. ياقوم أدخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين. قالوا ياموسى إنّ فيها قوماً جبارين وإنّا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنّا داخلون﴾. [المائدة / ٢٠-٢٢].

وفي نفس الإصحاح من سفر العدد نقرأ عن شعوب أرض الميعاد هذه:

وأيضاً قد رأينا بني عناق هناك العمالقة ساكنون في الأرض الجنوب والحثيون واليبوسيون والأموريون ساكنون في الجبل والكنعانيون ساكنون عند البحر وعلى جانب الأردن.

[سفر العدد /١٣/٢٩-]

وفي هذا الصدد ينقل لنا لسان اليمن(الهمداني) عن شيخه : شيخ **حمير وناسبها، علامتها وحامل سفرها، ووارث ما ادخرته حمير في خزائنها من مكنون علمها وقاري مساندها والمحيط بلغاتها أبي نصر محمد بن عبد الله اليهري**[٢].

عن هذا العقل الموسوعي ينقل لنا (الهمداني) أنّ العمالقة (الجبابرة) وعلى رأسهم العناقيون وهم عمالقة حمير وسمادعتها الذين أوقفوا الزحف الإسرائيلي بقيادة موسى الكليم على أرض الميعاد التوراتية.

- **عمالقة حمير :**

قال أبو نصر : أولد السميدع بن الصوار

- العمالقة.
- يناعاً.
- ذا المردع.

ثلاثة نفر بني السميدع بطون كلها وهم بنو عملق، ويقول (بعض حمير: عمالق مثل شنافر وشماتر) فأبو نصر يقول اسمه : ال عمالقة هكذا فإن يكن كما ذكر فهو العمالق، مثل العواجب من الصدف. ولا يكون اسم على هذا، لأنّ العرب تشبع بهذه الهاء في القبائل فيقولون : المهالبة والصرادفة والعرادفة.

وهذه عمالقة حمير، ليس ولد عملاق بن لاوذ بن سام. وقد توطن بعض بني يناع بلداً من بلد (ذي جرت) ويُسمى ذلك البلد باسمهم يناعاً...

والمردعيون باليمن، وكان بصنعاء ثم بالبيداء منهم بيت[٣].

ونعلم مما نقله (الهمداني) أنّ العمالقة الأولى هم من حاربتهم جرهم (بمكة) وأزاحتهم إلى (مصر)، أما عمالقة حمير فقد ضعنوا إلى مكة اقتفاءً لحلفائهم بني (كركر) فأنزلتهم (جرهم) أسفل مكة:

فلما حاربت بني قنطور جرهماً، خرج العمالقة تحرجاً من البغي في الحرم فلحقوا بالشام فتملكوا بها. فكانوا يغيرون على بني إسرائيل. فخرج لهم (يوشع بن نون) فحاربهم بعد موسى (عليه السلام) وعلى جميعهم يومئذٍ :

* السميدع بن هوثر بن عريب بن مازن بن لاي بن عميلة بن هوثر بن العمالق ملكاً فقتله يوشع وأفرى فيهم، فلما بلغ خبرهم إلى جرهم قال سعد بن عوف الجرهمي يرثي السميدع :

ألم تـرى أنّ العملقي بن هوثر بأيـله أمسى شلوة قد تمزعا

تداعت عليه من يهود جحافل ثمانـون ألفاً حاسـرين ودرعا

فأضحت بعاديد العمالق بعـده على الأرض شتى مصعدين وفرعا

كأن لم يكونوا بين أجبال مكـة ولم ير راءٌ قبـل ذلك السميدعا[٤]

هذا التفرد في تحديد هوية الجبابرة الذين كانوا سبب(تيه بني إسرائيل) لمدة أربعين عاماً في بريـة صين(ص ن/ عبرياً) لا يشير إلاّ إلى حقيقة واحدة هي أنّ وارث خزائن حمير وهو هنـا (أبـو نصـر اليهري) قد نقل حقيقة وقائع خروج موسى المصطفى(عليه السلام) ببني إسرائيل من (مصر الجزيـرة) إلى أرض الميعاد (كنعن/توراتياً) في جزيرة العرب. وأنّ من أحبط مسعاهم وأجبرهم على التيه في غـائط اليمن المعروف(بصيهد) هم عمالقة حمير وعلى رأسهم ال/عنقيم (العناق)... غير أنّ الحقيقة التي كـان يعرفها (أبو نصر) قد وصلت إلينا يشوبها الغموض أو قل غائمة بسبب التخريج الأخير لهـا والمداهـن للمألوف، ونعني بذلك ما نسبه من هجرة حمير إلى مكة ثم إلى الشام والذي لا ننكره البته. غير أنّ مـا ننكره هنا هو تشويه الحقيقة بمسايرة الإسرائيليات التي عدلها الإسرائيليون عبر قرون طوال تبعدهم عـن زمان ومكان القصص التوراتي مما جعلهم ينسبون هذه الوقائع إلى مستوطناتهم الجدجيدة في بلاد ما بـين النهرين وبالذات في فلسطين. أما القصص القرآني فقد نزّهه الله عن الخطل بعدم وقوعه في تخريجـات زمانية ومكانية متناقضة كما هو حاصل في التوراة المحرفة بكل تأكيد.

والآن من هم هؤلاء العمالقة، وما هي آثارهم الحيّة في بلاد اليمن حتى اليوم ؟

يذكر لنا (الأكوع) محقق آثار الهمداني (الصفة + الإكليل) عن بطون عمالقة حمير :

بلدة يناع لا زالت عامرة تحمل هذا الاسم إلى اليوم ويُنسب إليها اليناعيون، وتبعد عن صنعـاء

جنوباً مسافة أربع ساعات. وأما يناعه فبلد من حاشد في قاع شمس[٥].

□ البيداء : هي ما يُعرف اليوم (بصافية صنعاء) والمردعيون اليوم غير معروفين. وقد وجدنا آثار المرادعة نسبة إلى (ذي المردع) :

□ مردع : قرية عامرة بالجنوب من قعطبة تابعة لعزلة حجر ورد ذكرها فيالسلوك للجندي[٦].

□ **المودعي** : صيغة النسبة إلى المردع: قبيلة في (سرو حمير/يافع) وهم فرع من قبيلة السليماني الساكنين في الجبل لعلى (الذراحن) مواطنهم في شعاب وادي بنا، ومن قراهم : حبيل رمضان وشعنه وتيسه ولكمة النشف[٧].

□ المرادعة : فخذ في قبيلة أهل جبل جحاف في الضالع /سرو حمير.

□ مردع : أهل مردع فخذ من قبيلة العلهي(علة) الواقعة في منطقة تتوسط مواطن قبائل عوذلة ودثينة في الجنوب منها والعوالق(العليا) في شمالها وشرقها والبيضاء(بيضاء حصى) إلى الغرب منها[٨].

هذا بخصوص ما ذكر الهمداني عن عمالقة حمير. ويقوي طرحنا هذا بصدد ما ورد في (سفر العدد) من أنّ الوقائع والمواقع التوراتية التي عرضنا لآثارها في أقليم مشرق اليمن(حضرموت + قتبان وأوسان قديماً) هي المذكورة في (سفر العدد/١٣). أنّ في حضرموت ما زالت آثار العمالقة (عمالقة حمير) باقية ومنها :

➢ الشناهز (قارة) : قرية اندثرت وبُنيت على انقاضها (كحلان) من قرى تريم[٩]. وكانت من مواطن قبيلة :

➢ صنهاجه : وهي قبيلة حميرية لها بقية في وادي حضرموت ويشار إليها في بعض التواريخ باسم(شناهز). وقد استقرت صنهاجه في شمال أفريقية. واندمجت فيها قبائل بربرية منها زناتة والمصامدة والبربر حتى ظنّ أنّ صنهاجه قبيلة بربرية (كما ورد في دائرة المعارف البريطانية) [١٠]. والواقع أنّ صاحب (طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب) قد جعل قبائل مغربية كثيرة من ذرية عمالقة حمير :

كتامة وعهامةْ وزناتة وصنهاجه ومزانة قبائل في المغرب من ذرية الصوار بن عبد شمس الملك[١١].

وينقل لنا كثير من الأخباريين العرب والبربر عن غزوات حميرية لبلاد المغرب في أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد. **وعندما كان مؤرخو البربر ونسابوهم يرجعون أنساب بعض قبائلهم الكبرى كصنهاجه وكتامة وزناتة لم يكونوا يفعلون ذلك لاعفائهم من المغارم وتجنيبها تكاليف السخرة. ولكنهم فعلوا ذلك استمساكاً بما سمعوه من آبائهم وأجدادهم عن انتمائهم إلى أصول حميرية أو**

مضرية أو كنعانية[١٢].

يشير النص التوراتي (عدد/١٣/٢١-٣٣) إلى ضخامة أجساد الأقوام الأصليين في أرض الميعاد، وتشهد بذلك تسميتهم ب/عمالقة والملاحظ في هذا السياق أنّ قبيلة صنهاجه الحميرية(من عمالقة حمير) تُعرف كما أسلفنا بتسمية أخرى في بعض كتب الأخباريين العرب وهي :

- **شناهز** : وبالنظر إلى خرائبهم وآثارهم الباقية في وادي حضرموت والمعروفة باسم(شناهز) فإننا نرجح أنّ تسميتهم القديمة هي بالفعل (شناهز) وفي لهجة (سرو حمير/يافع) المتخمة بغريب الألفاظ وعتيقها الموجود في لغة نقوش المساند وفي العبرية والآرامية والسريانية....إلخ، نجد لهذه التسمية (شناهز) معنى يؤكد ما ورد في هذا النص التوراتي بخصوص ضخامة أجساد القوم وطول أعوادهم :
- **الشنهوز** : هو الطويل الناصح العود(في لهجة يافع) جمعه شناهيز. وفيه يردد الناس حكمة شعبية ترشد إلى تفضيل اختيار الزوجات من ذوات القامة المديدة لكي يولدن بدورهن رجالاً طوال القامة (أي شناهيز) :

(تزوجوا هجاهيج النساء يدين شناهيز الرجال).

* **الهجهوج** : الطويل القوام يجمع على هجاهيج. ومن معانيها في :

(لسان العرب): الهجج (بضمات) : الغُدران والهجيج الخط في الأرض[١٣].

يدين : يعطين = ينجبن.

إذن (فالشناهز) بكل تأكيد هم من عمالقة حمير من ذوي الأجساد الفارعة الطول (شناهيز) الذين تصدوا لزحف القبائل اليهودية (العربية) المتجولة على أراضيهم بقيادة موسى الكليم(عليه السلام). وقد استغرب (ابن المجاور) في تاريخه المعروف (بالمستبصر) من طوال قبور القوم في وادي حضرموت :

وإلى قبر النبي هود(عليه السلام) ثمان فراسخ، طوله سبعون ذراعاً. وفي هذه النواحي قبر (ذي نيال) (عليه السلام) ابن هود طوله أربعون ذراعاً. حدثني علي بن محمد السياعي قال : أنّ قبر (ذي نيال) بن هود(عليهما السلام) في قرية (هرون) بناء هود(عليه السلام) من أعمال دوعن (دوعان/ في الأصل).... وقبر ابن (ذي القرنين) طوله خمسة وثلاثون ذراعاً، وقبر العزيز(عليه السلام) طوله ثمانية وعشرون ذراعاً. قال (ابن المجاور) : وما أظن القوم كانوا بهذا الطول ولكن طوّلوا قبورهم[١٤].

وإذ تفيد التوراة أنّ العبور إلى الأرض الموعودة لم يتم بقيادة موسى، لأنّ يهوه أبلغه : (أنظر أرض

كنعان التي أنا اعطيها لبني إسرائيل مُلكاً، ومت في الجبل).. (وأنضم إلى قومك كما مات هارون أخوك) ! ... (لأنكما خنتماني)..... ,(إذ لم تقدساني في وسط بني إسرائيل) وفق رواية (سفر التثنية/ ٣٢/٤٨-٥٢).

هذه الأمور تشير إلى أكثر من (موسى) في العهود العتيقة.. مما أدى إلى خلط في الرواية التوراتية بين (موسى المصطفى) عليه السلام، وموسى الخائن[١٥]. المهم هنا ادراك أنّ من قاد الفتح اليهودي لأرض الميعاد هو حسب الرواية التوراتية(يوشع بن نون) :

وجاء يشوع في ذلك الوقت وقرض العناقيين

من الجبل من حبرون ومن دبير ومن عناب

ومن جميع جبل يهوذا ومن كل جبل إسرائيل

حرقهم يشوع مع مدنهم. فلم يتبق عناقيون في

أرض بني إسرائيل لكن بقوا في (غزة وجت وأشدود)

[سفر يشوع ١١/٢١-٢٢]

وفي إشارة من المؤرخ البريطاني (البروفيسور كار) في كتابه المعروف (ما هو التارخ ؟) إلى الوقائع التوراتية المنسوبة لهذا الفاتح يشوع وتشكيكه في النص (يشوع/١٠/١٢-١٤) الذي يتحدث عن معجزات خارقة للغاية منها محاربة الرب (يهوه) للعمالقة مع جيش يشوع، وتوقف الزمن عن ديدنة نتيجة ل:

فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب لحو يوم كامل. [يشوع/١٠/١٣]

ففي هذا السياق يقول(كار) :

رُبَّ مؤرخ جاد يؤمن بالله وقدرته المجددة لمسار التاريخ. ليس بوسعه (أي المؤرخ) أن يؤمن بضرب من ذات إله العهد القديم الذي يتدخل لإراقة دماء العمالقة، ويفسد الصيرورة التعاقبية للدهر. عبر تمديد ساعات النهار لمصلحة جيش يشوع! [١٦].

ومع ذلك فليس بوسعنا انكار حدوث معارك في إقليم المشرق من بلاد اليمن القديم بين ممالك قديمة وقبائل يهودية متجولة بقيادة (يوشع بن نون) الأمر الذي يؤكده نقش قرطاجنة في المغرب والذي يؤكد أطروحتنا.

* **نقش قرطاجنة** : ضمن آثار (قرطاجنة) شمال أفريقيا عثر على حجرة في (نوميديا) وفيها نقش هذا النص :

أننا خرجنا من ديارنا لننجو بأنفسنا من

قاطع الطريق (يشوع بن نون) بعد أن قتل

منّا في عشية واحدة عشرة آلاف إنسان. [١٧]

هذا النص الذي نقله لنا (القمني) من موسوعة بريطانية معروفة باسم((Ch يكشف أنّ صاحبه (أصحابه) هم بعض من عمالقة حمير (شناهز/صنهاجه) الذين ضعنـــوا إلى شمـــال أفريقية بعد معارك دامية مع جيش يشوع (قاطع الطريق) حسب نـــص النقـــش وذلـــك في مشـــرق اليمن(حضرموت/ قتبان/ أوسان) وقد زبروه استدراراً لعطف إخوالهم من البطون الحميرية التي كـــانت قد استوطنت في تلك البقاع لقرون كثيرة خلت(بالنسبة لوقائع يوشع هذه). وأظن أنّ القبائل الحميريـــة المستقرة حينها هناك كانت لا ترحب بمزيد من أفواج الهجرة من موطنهم الأول اليمـــن إلى عالمـــهم الجديد حينها بلاد المغرب العربي حيث (بحر الظلمات/ حسب تعبير الإخباريين العـــرب) ممـــا دفـــع بالوافدين الجدد من صنهاجه (شناهز) الحميرية إلى نقر هذا النقش كصيغة تبريرية لمقدمهم بعـــدد كبـــير على هذه البلاد التي لم تكن راغبة بمزيد من الهجرة المؤدية إلى إطعام الأفواه الوافدة على حساب رفاهية المستوطنين منذ زمن بعيد.

والآن فلنعرج على مواطن أشد سكان الأرض الموعودة سطوة وتجبرا وهم ما تصفـــهم التـــوراة (بال/عنقيم)، أي العناقيين الذين لم يتخلوا عن تسميتهم هذه ولا عن دورهم البارز عبر أدوار التـــاريخ المختلفة حتى اليوم، حيث يعيشون في القطاع الشرقي لسرو حمير(يافع) المجاور لبيضاء حصي وتُعـــرف منطقتهم باسمهم العتيق هذا وبنفس الصيغة التوراتية:

*** أل /عناق : صيغة جمع النسبة إليها عناقيون تُعرف منطقتهم اليوم باسم (الحـــد) وكـــانت تُسمى قديماً (العناق).** [١٨]

في تحقيقه لمواطن قبيلة رُها المذحجية الواردة في (الصفة/للهمداني) ذكر (الأكوع) العناق بقوله:

وحمر (بالتحريك) وقد يكسر الحرفان: بلدة وواد دعوته اليوم في يافع ثم في(العنـــاق) مجـــاور للبيضاء. [١٩]

ذكر صاحب (شرق اليمن يافع) أنّ قبيلة العناق اليافعية قد خاضت المعارك مع بقية قبائل يـلفع في حضرموت وذلك قبل ثلاثة قرون تقريباً، مناصرة لسادة عينات ضد تدخل نظام الأئمـــة الزيـــدي في شؤون حضرموت حينها وكان قائد المعركة التي كان النصر فيها ليافع هو السلطان :

- عمر بن صالح بن هرهرة.

- والموقعة تُعرف (بموقعة بحران).
- أما القبائل اليافعية المشاركة في هذه الموقعة:

١. (العناق) والضبي والحدي ويهر.... (فرقة).

٢. الموسطة ولبعوس......................(فرقة).

٣. الناخبي واليزيدي......................(فرقة). [٢٠]

وهذا يعني أنّ العناق (عنقيم) قد قاتلت وهي تحمل اسمها هذا قبل ثلاثة قرون ليس إلاّ.

والعناقيون هؤلاء هم بعض حمير (عمالقة حمير).

وحمير :

تنزل في المكان المنسوب إليها وهو (سرو حمير) في

جنوب شرق اليمن وهو ما يُسمى اليوم بـــ(يافع) وما جاورها. [٢١]

وهو يتاخم (سرو مذحج) بل هناك تداخل بين منازلهم وتصب أودية (سرو حمير) إلى منطقـــة (أبين) الساحلية. ولا نحتاج هنا إلى التعريف بيافع فهي حسب تعبير صاحب (معجم قبـــائل العـــرب القديمة والحديثة) :

من أعظم قبائل شبه جزيرة العرب الجنوبية

وأصعبها مراساً وتاريخهم مملوء بالحوادث الجسام[٢٢]....

ولا غرو أنّ جبابرة حمير هؤلاء ومنهم أل(عنقيم/توراتياً) عناق/يافع كانوا وما زالوا وفقاً لشـواهد تاريخية عديدة جبابرة حتى النخاع. ويكفي أن نشير هنا إلى شاهد تاريخي آخر من (قبل الميلاد)، فقـــد سجلت نقوش المساند اليمنية القديمة أنّ الفترة العتيقة من حكم مكاربة سبأ تقوضت بفعل التحـــدي الريداني (الحميري) من مرتفعات يافع كما يخبرنا نقش (روبان-برون-الحد) الذي عثر عليه في خربـــه (هديم وديم) في قلب منطقة العناق والعائد إلى عهد :

كرب ال بين/ يهقم بن ذمار علي ذرح.

وفي منطقة العناقيين هذه يقع وادي (دان) وقد تعرضنا له في تحقيقنـــا لوقـــائع (ســـفر التكويـــن الإصحاح الرابع عشر) ومدينة (حوبه/التوراتية) تقع في لحف جبل (حبه) وإليه تنسب.

وحيث أنّ بعض النصوص التوراتية التي ذكرت العناقيين أشارت إلى ثلاثة بطون فيهم :

وطرد كالب من هناك بني عناق الثلاثة:

١. **شيشاي..**

٢. **أخيمان.**

٣. **تلماي أولاد عناق.**

[يشوع/١٥/١٣-١٥]

ترى ماذا تبقى من آثارهم في منطقة (العناق) بالذات؟

I. **شيشاي** : يمكن أنّ هذا البطن قد تخلف في إسم أحد قرى العناق وهي :

✠ **بيشي (بيشاي/بالتصويت/وبدون تضعيف المقطع شي)** : قرية لأحد تفرعات قبائل العنـــاق ويُعرفون بآل فريد. ومن قراهم أيضاً : العواكب/ وقريضة/ وجعابير/ ومدينة خيلة[٢٣].

✠ **مشوشي** : (مشوشاي/ بالتصويت = مشيشاي/ وبإهمال التصريـــف الإسمـــي الميـــم فـــهو شيشاي).

قطاع في يهر وهو أحد أخماسها الثلاثة عشرة (الخميس = الجيش القبلي/في النقوش) وأهم **قـــرى المشوشي** : القمعة/ وأبهم/ وملس/ والحاجب/ والرضم/ وسبسب[٢٤].

والملاحظ هنا أنّ (القمعة) هي تسمية يهودية صرفة وتعني الحصن أو القلعة.

II. أخيمان: يمكن تلمس هذا الاسم في عدة مواضع منها:

✠ **خيلة** : (أخيله = أخيلاء والنسبة إليها مثل صنعاء صنعاني) والألف في تسميات الأماكن عـــادة ما تهمل فوادي خِبر اليوم هو أخبر في النقوش وأخله هي اليوم خلة....إلخ.

وخيلة هذه : **هي من كبريات قرى يافع وتُعرف باسم(مدينة خيلة) لمكانتها الدينية فهي مقدسة حرم فيها القتال وطلب الثأر ومن دخلها كان آمناً. وتقع في منطقة (العناق) ومن سكانها آل عبـــد الرحمن بن عمر وآل عبد القادر بن عمر وآل فريد**[٢٥]. وتقع في قلب وادي (دان) الذي التقى فيه نبي الله إبراهيم (عليه السلام) مع الجبابرة الذين أسروا نبي الله لوط إبن أخ إبراهيم (عليهما السلام) أنظـــر وقائع اصحاح المعارك (تكوين/١٤).

✠ **خيران**: (أخيران/ أخيمان بإبدال الراء من الميم) : وادٍ في حمراء العليا في منطقة العناق[٢٦].

III. **تلماي** : (تلبي تلمي/ تلماي بالتصويت)

✠ **تلبي (صيغة النسبة لوادي تلب)** : أحد أشهر الأودية في إنتاج البُن. ويتبع مكتب(الـــيزيدي) ومخارجه إلى وادي (ذي ناخب) الشهير ف/سُلب الذي تتدفق عبره سيول جبال سرو حمير/يافع حـــتى سهل وادي أبين الشهير.

وفي وادي (تلب) قرى كثيرة منها: نباب/ والدقة/ والقرن/ وتلب[٢٧].

وهناك احتمالات أخرى تشير إلى تلماي ومنها:

❖ **(تامي/صيغة النسبة إلى تام)** أحد مواطن قبائل السعدي من يافع بني قاصد وأهم قراهم (ظلمان[٢٨] تلمان والنسبة إليها تلماني) ويظهر من هذا أنّ قانون النحت قد فعل فعله في تلماي(تلم) فصارت بصيغة هي تام(تم) باهمال اللام.

❖ وأهل تام: قبيلة في مشألة : تتبع مكتب المفلحي من يافع العليا[٢٩].

ويمكن أن يكون هذا البطن قد ترسب في موضع أثري يُعرف ب:

❖ ذي الماء : (ذي الماء/في لهجة سرو حمير، حيث تتبادل اللازمتان ذي(ذو) و تي في كثير من أسماء الأماكن نحو :

(ذي الشارق = تي الشارق) : تي الماء (تلماء/تلماي) : نهر في أسفل يريم من ناحية الجنوب وهو فرع من فروع وادي(بناء)، ذكر الهمداني هذا الموضع في (الصفة) : أنّ فيه سد حميري تحرك عليه آلات الطحن(طحن الحبوب) [٣٠].

وقد ظلت العناق تأوي في كتفها قبائلاً يافعية(حميرية) كثيرة يأتي في طليعتها :

- قبائل البكري : وهم يقطنون أكبر القرى اليافعية وتُعرف باسمهم بني بكر وفيها الألاف منهم ويطلقون عليها اسم مدينة(قريش) فهم ينسبون أنفسهم إلى بكر بن وائل[٣١].
- الداؤدي : قبيلة كبيرة تفرعاتهم كثيرة ومن قراهم :

الحمراء(وادي)/ ماحوح/ قطنان(وادي)/ النقعة/ الخلقة وهي من قرى يافع الأثرية.

- **الصابري** : صيغة النسبة إلى واديهم صبر.
- **شيوحي** : حلالهم في وادي قطنان والمختق .
- **حصني** : صيغة النسبة إلى واديهم المعروف بالحصن.
- **جوهري** : في وادي ريشان وقرى لهم منها : الخربة/ الدرب/ المحاجي.
- **أهل وادي دان.**
- **أهل حصاحص.**
- **(ذي) نعمان.**
- **أل عبد الله في ذي أم/كرش.**
- **صناع** : يسكنها آل عبيد وآل عمر من قبيلة الفردي (نسبة إلى الفردة) وأهل الحرفوف.
- **آل فريد** : أهم قراهم الحيّانة والعواكب والبشي وحعابير ومدينة (خيلة).

• **أهل أم حيد (حيدي)** : ينقسمون إلى الجابري والغالبي والخلاقي.

هذا وتعد قبيلة الخلاقي بعد البكري من حيث عددها وهي الأخرى تدعي بأنها من قبيلة خزاعة[٣٢] التي حلت (مكة) في غابر الزمان وأهم قراها: خلاقة والخلاقي (صيغة النسبة إلى خلاقة) : من كبريات قرى يافع في الحد، تزدحم بالآلاف من السكان.

• **الريوي** : (نسبة إلى ريو) تضم قرى عديدة ووديان كثيرة في الحد.

• **القعيطي** : تضم قرى عديدة ووديان أهمها وادي(حطيب) الرافد الأول لبناء إذ الرافد الثاني لوادي بناء وادي يهر الشهير بانتاج البن. وإلى بلاد القعيطي هذه تنتمي الأسرة (القعيطية) أصحاب دولة القعطة (السلطنة القعيطية في حضرموت بحاضرتها المكلا).

ومن الآثار الأسمية التي جمدت ذكرى العناق في (سرو حمير/يافع) مواضع منها :

• **جبل عمق** : (بإبدال الميم من النون/ وبدون تصويت) يقع إلى الغرب من جبل ثمر وهو صنو جبل حقبة (وفيه قرية بنفس الاسم) ووهو من أملاك قبيلة ال/علسي (ذي علسم/في النقوش)

• **عمق** : أحد قرى قبيلة الثلثي (نسبة إلى ثلث/ وبإضافة لاحقة التنوين العربية الجنوبية فهي ثلثم ثلمي/ لبتصويت تلماي (أحد بطون العنقيم/توراتياً) : والثلثي (ثلماي) هذه هي أحد قبائل مكتب الحضرمي في يافع العليا. ومن قراهم : ضيآن/ ذيبان/ النصباء/ حبه/ عمق/ ال/صمار[٣٣].

والملاحظ أنه إلى جانب عمق (عناق/بالتصويت) فإن :

• حبه : (حوبة/بالتصويت/سفر التكوين/١٤)

• ال/صحارة: (صيغة النسبة إليها العماري/ أحد أبناء كنعان/١٠/١٥-٢٠)

وقد حققنا موضوع حبه (حوبة التي في شمال دمشق- في دراستنا لجغرافية سفر التكوين /اصحاح المعارك/١٤). واشارتنا هذه ترمي إلى لفت الإنتباه إلى كثافة الحضور التوراتي في بلاد ال/ عنقيم (العناق).

• **شعاب لعنوق** : (صيغة الجمع للعناق/عنوق) شعاب (وديان عميقة)، في مكتب المفلحي يافع العليا وقد ذكر(لقمان) من قراهم : حصن لعنوق (العنوق) [٣٤].

وإنّا لا نبالغ في القول بأن مواطن عناق حمير مسكونة بظلال أحداث ذلك الماضي التوراتي البعيد، فما زالت اسماء المواضع والقبائل تشير إلى قدماء من استوطنوها أو كانت لهم فيها وقعات خلدت اسمائهم فيها ومن هذه الأسماء:

• **كالب ابن يفنه**: أحد النقيبين الذين لم يخذلا نبي الله موسى(عليه السلام) في مسألة العبور الى أرض الميعاد :

لكن كالب أنصت الشعب إلى موسى وقال أننا نصعد ونمتلكها لأننا قادرون عليها. [العدد/١٣/٣٠]

وفي القرآن الكريم :

﴿قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما أدخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون. وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾. [المائدة/٢٣]

ويقال : أهما (أي الرجلين) يوشع بن نون وكالب بن يوفنا[٣٥].

كالب هذا الذي كانت (حبرون) من نصيبه (عدد/١٤/١٣-١٥) نجد اسمه في أثرين في بلاد العناق من (سرو حمير/يافع) وهما :

- كلب : أحد قبائل سرو حمير كانت على عهد(الهمداني) باقية، وتنتزل في واحد من غرر أودية سرو حمير:

صدور لكلب من يافع[٣٦]. وفيما أعلم لم يعد لهذا لقبيلة من ذكر. أما وادي صدور (صدر) فمعروف، في لبعوس من يافع العليا[٣٧]. ويُعرف أيضاً باسم وادي بُر[٣٨].

- ثفنه : قرية ل/بلحاي من قبائل مكتب الحضرمي يافع العلي[٣٩]. وحيث تقع (ثفنه)..هذه في نطاق بلاد العناق يافع فإنها تشير إلى (يفنه) :

يفنه = (ثفنه/بإبدال الثاء من الياء).

هذا فيما يخص العبد الصالح (حسب التعبير القرآني) (كالب بن ثفنه القنزي) أحد نقباء إسرائيل الذين انتدبهم موسى المصطفى (عليه السلام) لتحسس الأرض الموعودة..... فهل من أثر في جنوب جزيرة العرب نلمع فيه ريح من قائد الخروج نفسه أي من منقذ شعب إسرائيل ونعني به موسى الكليم:

- **موسى (عليه السلام) :**

يرى (د/زياد منى) أنّ الرديف العربي لموسى(**بالعبرية مشه/خروج/٢/١٠**) هو الاسم **منقذ/المنقذ** الشائع عند العرب قبل الإسلام وبعده(مثلاً منقذ بن نباتة/وأسامة بن المنقذ). وقد انطلق هذا الباحث التوراتي العربي من القرائن التوراتية التي تشير أنّ(مشه/موسى) صفة أو كنية وليست اسماً:

ففي العهد القديم يورد في الفعل(**مشيتهو/خروج/٢/١٠**) بمعنى انتشله (**ويمشني/صمويل الثاني/٢٢/١٧ والمزامير/١٨/١٧**) بمعنى يخلصني، ينتشلني، ينقذني[٤٠]

وواقع الحال أنّ لهجة (سرو حمير/يافع) تشير إلى نفس المعنى:

* **مشت** : فعل ، هرب. فرّ مغافلة.
* **ومشتها** : أنقذ نفسه بالهروب من أمر حلل. والمتمشوت : المتهرب والمشوته: الهروب/التهرب.

وفي لغة المعاجم ما يشير إلى نفس المعنى :

* **الشّتُّ** : الإفتراق والتفريق......
* **مشّه مشاً وامتشّه....** : مصه
* **وأمتش الثوب** : نزعه.....[41]

وهذا الإستطراد اللغوي يثبت أنّ(مشه/موسى) هي كنية تعني المنقذ. ولكن هذه الصيغة العبرية قد تخلفت في موضع وقبيلة من قبائل يافع (سرو حمير) :

* **مشألة** : (صيغة النسبة إلى مشألي. والجمع (تكسير) مشآءِلة)، والملاحظ أنّ الاسم مركب من:

❖ **مش (فعل)** انتشل، أنقذ، خلص.

❖ **إل : اسم جنس، كان يشار به إلى إحدى المعبودات، ليس في اليمن فقط، وإنما في معظم جزيرة العرب القديمة. وأقدم ذكر له وصلنا مدوناً في النقوش الأكادية يعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد في بلاد ما بين النهرين، عند أقدم هجرة عربية إلى هناك[42].**

وعليه فالاسم مشألة(مونث) : يعني : (أنقذ الإله/خلص الله) :

* **مشألة** : منطقة واعرة تحتل الطرف الغربي من هضبة(ضهر سرو حمير/يافع). أهم القبائل فيها:

١. **الطالبي.**
٢. **السالمي.**
٣. **السعدي.**
٤. **التامي[43].**

وفيها وادي(ضول) الذي ذكره الهمداني من أودية سرو حمير :

وبنو أديد ومسكنهم صول[44].

ذكره بالصاد المهملة (وهو بالضاد المعجمة)، وبنو أديد هم اليوم بعض من قبيلة الطالبي ويُعرفون بالديبيدي[45] (صيغة النسبة إلى أُديد). والجدير بالذكر هنا أنّ الفعل مشش(مشّ) قد ورد في لغة النقوش اليمنية القديمة على هذا النحو :

مشو : ساق.. أخذ معه (هدايا أو أضاحي) كما في النقوش (حسام/١٥/٧٢٠) [٤٦] حيث ورد الفعل في سياق ديني، والملاحظ أنّ الهدايا والأضاحي عادةً ما تقدم للآلهة وفاءً لنذور من أجل السلامة(الإنقاذ) والرزق بالأبناء....إلخ.

هذه الأمور مجتمعة تبرهن على أنّ الاسم موسى سواء أكان كنية أو اسماً ليس بغريب على جزيرة العرب وقبائلها.

١

٢

٣

٤

٥

٦

٧

٨

٩

١٠

١١

١٢

١٣

١٤

١٥

الفصل السادس

أصول الدولة الكلدانية في سرو حمير يافع

الأموريون.بنو قاسد.كلد.

أسباب غزوة الملك البابلي بخت نصر لجنوب جزيرة العرب

النبي الحضوري – نبي الله شعيب عليه السلام

كنّا في المدخل قد أفضنا في تفنيد المفاهيم السائدة والمفروضة في تناول التاريخ القـــديم للإقليـــم المعروف بـــ(الشرق الأدنى/Near East) وإلى قضية تحركات الموجات السامية الأولى من داخـــل شبه جزيرة العرب في اتجاه تخومها الشمالية في بلاد ما بين النهرين والشام. وتصدينا لمســـألة المفـــهوم التاريخي السائد لدى أهل الاختصاص في أوروبا والغرب ككـــل هـــذا المفـــهوم كـــرس القطيعـــة الإبستمولوجية (المعرفية) مع الماضي عبر عملية اجتثاث التراث السامي- ماعدا الكتاب المقدس- مـــن أية عملية مسح شمولي للتراث الغربي وبالذات في العهود اليونانية الغابرة التي كانت الوريث الشـــرعي لسلفة(السامي) وهي الحقيقة التي كانت موضوع أطروحات (مارتن بيرنال) في كتابه الذي عرضنا لـــه في (المدخل) حيث برهن على أنّ معطيات الحضارة اليونانية وقيمها المادية والروحية العظيمة، كانت في الأساس ثمرة الجهود السامية(الفينيقية/والمصرية) المبذولة وفقاً لشهادات مؤرخي الإغريق مـــن قبـــائل جحافل الجيوش الفينيقية والمصرية القديمة التي اجتاحت جزر الأرخبيل اليوناني أو مستوطنات الشـعوب الأيجية المتخلفة حينها في أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد. وهكذا فقد تشكلت نصف مفـــردات اللغـــة الأغريقية من مصادر سامية(كنعانية/وقبطية) واقترضت اليونان القديمة معظم آلهتها من مصـــر القديمـــة وفقاً لأطروحات (بيرنال) وذهبنا إلى أنّ(القطيعة المعرفية) هذه قد أعتمدها المفكـــرون الأوروبيـــون في القرنين(١٨-١٩) للميلاد كمبرر موضوعي فرضته ظروف تـــأسيس النمـــوذج(الآري) كمرجعيـــة تاريخية خرجت من أكمامها(اليونان) القديمة التي أنبثقت من اقتران العالم الأيجي في الألف الثالثة قبـــل الميلاد بزخم الإجتياح الآري الذي كانت القبائل الشمالية والشرقية المعروفة وفقاً لهذا النموذج(بـالهندو أوروبية) أي الناطقة باللسان الهندي الأوروبي عمادة وهي صاحبة الفضل في نشؤ الحضـــارة اليونانيـــة والإرتقاء العقلي عند الإغريق المتمثل في أنصع صورة ب:

- **الفلسفة :**

وهي العلم الإنساني الوحيد الذي لا يكاد يكون
معروفاً بحق في عالم ما قبل العصر اليوناني الروماني[1].

فالأساس الذي أنشأ عليه الأوروبيون نموذجهم الآري هذا وأدى إلى فصل الرأس اليونــــاني عـــن الجسد السامي هو الذي أنسلت منه اليد التي أخذت تمزق في الجسد السامي(العربي) وتنشئ من شـــتاته التصنيف الثلاثي للّغة العربية القديمة (أم) اللغات السامية. وقد أثبتنا تهافت هذا التصنيف في (المدخـــل)

فالتنوع الحاصل في مجموعة اللهجات العربية القديمة(السامية) لم يؤدي قطعاً[1] إلى انبثاق لغات مستقلة ازدهرت ثم خبت نيرانها حسب المفهوم السائد لدى علم الألسنيات. فهذا التنوع اللهجوي كان بمثابة التسامي المتماهي لعدة أوجه في ذات وجه (السيمورغ)- وفقاً لملحمة فريد الدين العطار- وليست اللغة العربية اليوم بكل تنوع لهجاتها إلاّ وجه هذا السيمورغ. وما قدرة (اللغة العربية اليوم) على تفسير تراث منطقة الشرق الأدنى الكتابي كما حصل في قراءة نقش جبيل اللبناني- أنظر المدخل- والعناصر اللغوية المتشابهة بين اللغات السامية.

وفيما يخص ما نقله الإخباريون العرب عن موجة التحولات السكانية في شبه جزيرة العرب نحو شماليها فإنني أرغب في التعرض لهجرة بعض عمالقة حمير في العهود العتيقة إلى جنوب العراق والذين استوطنوا هنالك في فترة تعود بدايتها إلى الموجات الأولى لهجرة الشعوب السامية من الإقليم الداخلي للجزيرة ومن جنوبها بالذات إلى هذه المواطن الجديدة الخصبة في بلاد ما بين النهرين (في أواسط الألف الثالثة ق.م)، ومن هذه الهجرة تأسست في العراق القديم الدولة الأكدية بين عامي (٢٣٤٠-٢١٨٠ ق.م) وأشهر ملوكها المؤسسين(شروكين) المعروف بسرجون الأول[2]. هذا المفهوم يتطابق بلاشك مع ما تطرق إليه لسان اليمن (الهمداني) **من هجرة عمالقة حمير مع بني كركر إلى مكة ومن ثمّ إلى بلاد الشام.. وأنهم سادوا فيها وهم من حارب بني إسرائيل وصدوهم عن الدخول إلى كنعان- أرض الميعاد- بقيادة موسى الكليم. الأمر الذي فندناه في (الصفحات السابقة) وأثبتنا صحته إنما ضمن جغرافية جنوب الجزيرة**[3].... هذا وفيما يلي نعرض لهجرة عمالقة حمير وسيادتهم في البلاد الرافدية :

I. يذكر المؤرخون أنّ (دولة بابل الأولى) قد ظهرت على أنقاض العهد السومري الثاني وأنّ من أسسها حوالي (١٨٨٠ ق.م) هم شعب سامي يُعرف(**بالأموريين**). بعد أن تنازعوا الوادي مع (**العيلاميين**) الآريين الوافدين من الشرق. واستمرت بابل الأولى هذه ما بين(١٨٨٠-١٥٩٥ ق.م). وأشهر ملوكها حمورابي.

II. تعرضت المنطقة لاحتلال من قبل **الجوتيين ثم الكاسيين** الذين أسسوا بابل الثالثة حوالي (١٥٨٠ ق.م) [4].

• الدولة الكلدانية :

آخر ممالك العراق المستقل التي قامت ما بين عامي (٦٢٥-٥٣٨ ق.م) وأشهر ملوكها (نبوخذ نصر أو بخت نصر الذي اشتهر بغزو (أورشليم القدس)، وأحرقها وأجلى أهلها إلى بابل. وانتهى دورهم على يد الفرس سنة (٥٣٩ ق.م) [5]. وقد عرفت بهم أحد حواضر العراق العتيقة والأثرية وهي **(أور**

الكلدييِن/أور الكسديم [سابقاً]) الواقعة على الشاطئ الغربي لنهر الفرات[٦]. وفيها يـــرى معظـــم الباحثين التوراتيين والإخباريين العرب الموطن الذي شهد ولادة نبي الله إبراهيم(عليه السلام). ويرجـــع أهل الاختصاص العهود التوراتية العتيقة (عهود الآباء) إلى تلك الفترة عندما تعرضت مراكز الحضـــارة الرافدية والمصرية إلى الاضطراب الناجم عن زحف الأموريين من المناطق الداخلية للجزيرة العربية نحـــو الشمال والغرب. لكن التجمعات الحضرية في سوريا وبلاد الرافدين سرعان ما تغلبت على (التدفـــق الأموري) وذلك عبر استيعاب الموجات الحضرية من الأموريين في المدن والضغط على غالبيتهم :

بالاتجاه إلى أطراف الصحراء وإعادة تأسيس مجموعة الممالك الصغيرة والتي لكثير منها تـــاريخ قديم والتي أصبحت من المعالم السياسية للقسم الأعظم من الألف الثاني قبل الميلاد[٧].

وفي تلك الحقب العائدة إلى النصف الأول من الألف الثانية (ق.م) كانت أهم المراكز الحضرية تتركز في :

الشمال والشرق مثل أشور في عهد (**شمسي حدد/١**) وبابل في عهد (**حمورابي**) وقوة **الحوريـــين في** ازدياد.... هذا بالإضافة إلى الممالك الصغيرة التي كانت تعيش في حماية أحـــد القـــوى العظمـــى أو تتصارع فيمكا بينها مثل(**mari/ماري** = تل الحريري اليوم) و (**يمخاض**) المعروفة باســـم (**حلـــب**) و(**قطنا**) المعروفة اليوم باسم(مشرفة) والممالك الأصغر (**كاوغاريث**) = رأس شمرا. [٨]

هذه أبرز ملامح الوجود الحضري في تلك الأزمان وحولها كانت التخوم تموج بالتواجد البـــدوي مثل :

السوتيين والخانيين واليمانيين ومجموعات أخرى مثل الخابيرو (العبران). [٩]

ويرجع الباحثون تأسيس الدولة البابلية الأولى إلى **الأموريين**.... فمن هم الأموريون هؤلاء؟

تطرقنا في مدخل الكتاب إلى الأموريين وقضية اللغات السامية، ورأينا أنّ الأموريين لم يخلفوا آثاراً كتابية ذات شأن وأنّ الكناعنة ينتمون إليهم وكذلـــك الأراميـــون والفينيقيـــون. أمـــا المستشـــرق الإيطالي(**اغناطيوس عويدي**) فقد أطلق تسمية(الأموريين) على أعرق السلالات في جنـــوب جزيـــرة العرب **وهم الحميريون**[١٠]. وما ذهب إليه (غويدي) يتطابق مع رواية (الهمداني) عن هجرة حمـــير الأولى إلى بلاد الشام وسيادتهم فيها. هذا وقد ذكر لسان اليمن (الهمداني) أنّ المؤرخ اليوناني(بطليموس) قـــد أطلق على جزيرة العرب تسمية هي :

* **ماروي : (موروي = موري/أموري)** : أفضل البلاد المعمورة من شـــق الأرض الشـــمالي إلى الجزيرة الكبرى وهي الجزيرة التي يسميها (بطليموس) [ماروي] **فجنوبيها** : اليمن، **وشماليها** : الشـــام،

وغربيها : شرم أيله، وما طردته من السواحل إلى القلزم وفسطاط مصر، وشرقيها : عمان والبحريـــن وكاظمة والبصرة، **وموسطها** : الحجاز وأرض نجد والعروض وتسمى جزيرة العرب[١١].

إذاً فشبه جزيرة العرب هي موطن(**الأموريين/الحميريين**) ويترتب عليه قضية دراسة تاريخ وتـراث منطقة الشرق الأدنى كتاريخ عربي بكل تنوع معطياته العمرانية واللغوية والثقافة واللاهـــوت....إلخ. وهو تاريخ متواصل غير منقطع عبر أدوار التاريخ وأن مراحل الركود والتخلف التي أعقبـت فـترات الرقي والإزدهار كانت لها أسبابها الداخلية والمؤثرات الخارجية ومهما تكن المعضلات الـتي كبحـت عجلة التطور في تاريخ (الشرق الأدنى) ينبغي لنا إعادة الإعتبار للتاريخ ككل لا يتجزأ، وأنه مـا مـن سبيل لتكوين قراءة معرفية (ابيستمولوجية) لتاريخ هذا الإقليم وعلاقته بـــالآخر المتمثـل في أوروبـا ومعطيات الحضارة فيها. (تقول ما من سبيل) إلى هذا إلاّ عبر ربط تراث الإقليم اليوم بتراث وتـــاريخ (قدماء العرب) الذي يحلو لبعض أهل الاختصاص تناول تاريخهم بالتجزئة وترسيخ الموانـع في مجـرى تواصل شعوب المنطقة ببعضها البعض وتواصلها معاً بتاريخها وتراثها والركون للمفاهيم الشائعة اليـوم عند المستشرقين تكرس (القطيعة المعرفية) لتاريخنا ولا تساعد على إعادة بناء الذاكرة التاريخية للأجيـال العربية في العصر الراهن ويجنح بالعربي نحو فقدان الإتزان وبالتالي نسف (الهوية العربية) لصالح تزييـف الوعي وتكريس الهوية السياسية! هوية الشتات والتيه. وحتى لا نبعد عن مساق هذا البحـث الـذي نتصدى به لوقائع تاريخنا القديم فإني أعيد إلى الأذهـان أنّ(الأموريـين) الذيـن نبحـث في شـأنهم وجزيرتهم(**ماروي**) حسب تعبير(**بطليموس**) أي جزيرة العرب قد تخلفت تسميتهم هذه في أل:

موري : (المورو) وهي تسمية شائعة في اسبانيا وأطلقت على جميع سكان الأندلس من المسلمين.

وما زالت تستخدم في الأدب الإسباني اليوم إشارة إلى العرب. وقد ظن مترجم : (في الإستشـراق الإسباني/الأستاذ كاظم جهاد) أنّ الأصل فيها يرجع إلى(**الموريتاني**) ذلك لأنّ أغلب المحاربين المسـلمين أبان فتح الأندلس كانوا آتين من أفريقيا الشمالية[١٢].....

والصواب أنّ العرب المورسيك/ المورو في إسبانيا هم بعـض عـرب شـبه جزيـرة العـرب (الموريون/الحميريون).

إذن ف:

- **الأموريون ساميون.**
- **الأموريون حميريون.**
- **الموريون العرب (في الأندلس).**

• **الماروبون   سكان جزيرة العرب.**

وحل ما نريد قوله هنا أنّ (الأموريون) من عرب الجزيرة ومن اليمن بالذات وحميريون في أصلهم على وشائج من القربى مع عمالقة حمير الذين أسسوا الدولة الكلدانية فيما بعد. وقد رأى الأستاذ(فوج الله صالح ديب) صاحب (اليمن هي الأصل) في عشائر :

• **بني خالد** : **(رهط نبي الله هود)**، الذي سماهم المستشرقون الكلدان، وظل هذا الاسم في كتبنا التاريخية بلفظة الأجنبي! أنّ الكلدان هم الخلدان وماركس كان السبّاق في الإشارة إلى ذلك[١٣].

وإذ لم يوفق الأستاذ (ديب) في تحديد هوية الكلدان بدقة فإننا نسوق كامل الحقيقة عنهم فيما يلي :

• **الكلدان** : الشائع لدى المورخين أنّ أجداد الكلدانيين هؤلاء قد عرفوا بتسمية ارتبطت بها مدينة **(أور الكلدانيين)** والتي وردت في الترجمة السبعونية اليونانية **(سبتواجنت)** في معرض الإشارة لموطن إبراهيم (عليه السلام) على هذا النحو : **(عور كسديم)**[١٤].

ويمكن قراءتها(عربياً) :

أور الكسديين/ أور الكساديين/ أور كسدي.

على اعتبار أنّ اللاحقة الميم في (كسديم) بمثابة لام الجنس العربية، أو لجمع العاقل المذكر. أما في النقوش اليمنية القديمة فقد وردت التسمية بصيغة : **كشدي** أي بالشين المعجمة.ففي النقش الموسوم (جام/٩٣١) من نقوش تل العقلة (أنودم/في النقوش) والعائد إلى بداية القرن الثالث للميلاد، عهد ملك حضرموت المعروف : (العذيلط) الذي كان معاصراً للملك السبئي (شعرم أوتر) /أ /١٣:

خيري/ وعذذم/ تدمري

يهن/ ذمترن/ وفلقت

كشد ييهن/ دهرده/ وم

نده/ هند ييهن/شوعو

مراسم/ العذ/ يلط/ م

لك/ حضرمت.

وقد لاحظ أصحاب (مختارات من النقوش اليمنية القديمة : أنّ أصحاب النقش هؤلاء وهم :

١/ح خيري وعذذم (العز) من تدمر بادية الشام

٣/٢ ذمترن (ذي المتر) وفلقة من : ال/

- **كشدي** : هو الشكل الأصلي لاسم القوم الذين نسميهم الآن بكلديين، كانوا سكان جنوب العراق في الأعصر القديمة.

٤/ دهرده ومنده من الهند.......

أنظر النقش /١٠٩ في مختارات....

ولعله من المفيد ملاحظة :

وجود السابقة (**اللازمة**) **الحميرية** (**ذو**) **في** (**ذي مترن**). الأمر الذي يؤكد أيضاً انتساب القوم المعروفون ب/كشدي (كسديم/توراتياً) إلى حمير ثم إلى عمالقتها الذين هاجروا إلى جنوب العراق، وأقاموا فيها (دولة الكلديين) فهل لهم من باقية في مواطنهم الأصلية؟

I. **أل/كسدي** : أل/قاسدي(يافع بني قاسد) ورد هذا الاسم (قاسد) في نقوش المساند اليمنية القديمة على هذا النحو:

- **قسد** : .

i) فئة لا تحمل السلاح / في كوربوس/٣٥٦/٤، وربرتوار/٢/٣٩٥١.

ii) حجّاج ؟ / في ربرتوار/٢/٤١٧٦.

- **قسدة** : ثورة، عصيان/ في حام /٥٧٧/١٣....
- **قسدم** : ريكمانس / ٥١٠١٥ بمعنى أيضاً :

عصيان، ثورة، عاص، ثائر[١٥].

هذا والإبدال بين كسد وقسد شائع : وقد يكون الأصل في اللفظتين القاف اليمنية التي هي بين القاف والكاف والتي مثلوا لها بقولهم :

ولا أكول لكذر الكوم قد نضجت   ولا أكول الباب الدار مكفول[١٦]

وإبدال الكاف من القاف في هذا البيت حصل في :

أقول، قدر، قوم، مقفول.

- **قاسد** (**القاسدي**) : يُعرفون (بيافع /بني قاسد) تحالف قبلي كبير يضم فيه اليوم عشرات الآلاف من الحميريين، إذ تنضوي تحت هذا الاسم (قاسد) خمسة مكاتب(حسب آخر التقسيمات القبلية في يافع)، وحيث أنّ يافع (سرو حمير) يتشكل من عشرة مكاتب خمسةمنها تُعرف ببني قاسد (القاسدي) والبقية تُعرف بيافع بني مالك. فيافع بني قاسد هو النصف من يافع /سرو حمير، ويتشكل من المكاتب القبلية التالية:

✠ **أل سعدي** (**آل سعد**) : وفيه القارة: حاضرة (سلطنة) يافع السفلى (بني قاسد) المعروفة مسبقاً بالعفيفية.

✠ **أل/كلدي** : نسبة إلى كلد جمع النسبة فيها كلديون أكلود كلدان.

✠ **أل/يهري**(**ذو يهر**) : نسبة إلى يهر.

✠ **أل/ناخبي** (**ذو ناخب**) : نسبة إلى ذي ناخب : من أخصب وديان سرو حمير ومثلـه يـهر (وادي يهر).

✠ **اليزيدي** (**آل يزيد**) : ويُعرفون بجبلهم جبل اليزيدي.

وقد ذكر لسان اليمن(الهمداني) هذه القبائل ومواطنها في سرو حمير :

حطيب لبني قاسد من يافع، يهر لبني شُعيب من يافع، ذو ناخب لبني جبر منهم [١٧]....

هذا فيما يخص قاسد (قاسدي كشدي /كسديم)

وفي يافع بني قاسد هذه نجد صيغة الاسم هذا (تماماً) كما وردت توراتياً (كسديم/عور كسـديم) في منطقة تقع في يافع السفلى(بني قاسد) أيضاً وهي :

- **كساد** : كسد (بدون تصويت) : يُعرف ساكنوها ب أل/كسادي (نسـبة إليـها) : أحـد مواطن قبيلة طِسة القاطنة في أسافل وادي (ذي ناخب) في وادٍ يدعى وادي شيوحه[١٨].

هذا فيما يخص الصيغة الأقدم لتسمية القوم الذين قطنوا جنوب العراق في العهود العتيقـة وهـي (كشدي كسدي قاسدي) أما الصيغة التي عرفوا بها إبان تسلمهم الحكم في أواسط الألف الأولى قبل الميلاد فهي (الكلدان) أو الكلدانيون.

وهم كما أسلفنا من عمالقة حمير بل من أعزها شأناً وأبعدها صيتاً يافع(بني قاسد) وهـم اليـوم مازالوا يحملون نفس الصيغة التي اشتهروا بها في جنوب العراق أيام (نبوخذ نصر) أي الكلديين(صيغـة النسبة من كلد) :

- **كَلَد** : (وزان بلد) : قبيلة عظيمة من قبائل (سرو حمير/يافع) من نصفه المعروف بيافع (بـني قاسد)، ذكرها الهمداني في عداد بطون حمير المنتشرة من يافع السرو (سرو حمير):

فأولد يافع بن قاول : بلدة وجحيملان أبني يافع ومنهما انتشرت بطون يافع وهم أنجد حمـير باليمن، وفرسانهم قليل، وهم على ما قال محمد بن مسلم أخو بني قاسد : الأريوم وأذان والذراحـن وبنو قاسد والأبقور وبنو شعيب وبنو جبر وكلد، والسيّاون وهم أهل الهجر وبنو سمي وبنو صـائد وبنو أديد ومسكنهم صول، والأصوت ولهم ثروة وهم من أنجد رجال اليمن وأخبارهم في عصرنا تكثر[١٩].

ولعله من المفيد هنا أن نشير إلى أمر له دلالته التاريخية ويؤكد بوجه ما عراقة هذه **الطن** الحميرية (كلد) فهي إلى جانب ضخامتها وتشعبها اليوم تضم تحت جناحها عدة بطون عريقة ذكرها (الهمداني) في هذه الرواية المنسوبة إلى محمد بن مسلم- أخو بني قاسد- وهم :

- ❖ **الأبقور** : فرع من كلد يُعرفون ب/ الباقري قراهم كثيرة ولهم تفرعات عديدة.
- ❖ **بنو سميّ** : فرع من كلد أيضاً يُعرفون باسم آل سميطي (تصحيفاً).
- ❖ **بنو صائد** : فرع كبير يُعرفون اليوم باسم الساعدي صيغة النسبة من ساعد = صائد/بـإبدال السين والعين المهملتين من الصاد(مهملة) والهمز[٢٠].

ولكل بطن من هذه البطون تاريخية عريقة سنتصدى لها في دراسة أخرى- وما ينفعنا هنا هو الإشارة بتاريخ قبيلة(كلد) بوجه عام وحضورهم الكبير في مختلف الحقب التاريخية، حيث عدهم صاحب(طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب)- السلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول الذي عاش في القرن السابعة للهجرة- في قائمة أنساب عمالقة حمير:

ومنهم يافع، ويقال لها الأيفوع، وهم قبيلة كبيرة،
وأكثرهم من المفاليس إلى عدن ومنهم الأكلود[٢١].

هذه وجهة نظر رسمية صاحبها كان ملكاً وقوله (وأكثرهم من المفاليس إلى عدن ومنهم الأكلود) يبرهن على سعة أرضهم الممتدة من :

(**المفاليس** : جبل وناحية في الحجرية[٢٢]، إلى عدن وكل ما يشمله(سرو حمير) وقد خص من بين القبائل اليافعية الأكلود- من كلد- للدلالة على مدى نفوذهم في ذلك العهد المتميز بسطوة بني رسول الغسانيين في اليمن.

وتضم اليوم كلد تفرعات كثيرة تتوزع أوديتهم وقراهم في منطقة شديدة الوعورة ذات أودية خصبة تحتل الجزء الجنوبي الغربي من (سرو حمير/يافع). فإلى جانب البطون التاريخية- الأبقور/ بنو سمي/ بنو صائد- يتشكل مكتب- ناحية- كلد من تفرعات كثيرة منها:

- ◊ **آل جلادي** : صيغة النسبة من جلاد/بالسيوف : تفرعاتهم كثيرة / أنظر لقمان /نفسه ص ١٨٦-١٨٨.
- ◊ **منصري** : لهم فروع وقرى كثيرة /لقمان ص ١٨٦-١٨٨.
- ◊ **يوسفي** : لهم فروع وقرى عديدة / لقمان ص ١٨٦-١٨٨.
- ◊ جريري/الجحرور : قراهم وأوديتهم كثيرة / لقمان ص ١٨٦-١٨٨.

◊ **جرهدومي :** فروعهم كثيرة/لقمان ص ١٨٦-١٨٨.

◊ **سنيدي :** لهم عدة قرى ووديان خصبة / لقمان ص ١٨٦-١٨٨.

◊ **سالمي :** فروعهم عديدة وكذلك قراهم وأوديتهم / لقمان ص ١٨٦-١٨٨.

◊ **بن قماطة :** لهم جبل شاهق يُعرف باسمهم / لقمان ص ١٨٦-١٨٨.

◊ **علوي :** لهم عدة فروع أيضاً / لقمان ص ١٨٦-١٨٨.

◊ **حنشي :** تفرعاتهم عديدة/ لقمان ص ١٨٦-١٨٨.

◊ **حاجي :** عدة تفرعات ينقسمون إليها / لقمان ص ١٨٦-١٨٨.

◊ **داؤودي :** فروعهم عديدة أيضاً / لقمان ص ١٨٦-١٨٨.

ومن تفرعات كلد أيضاً :

أل صرحي / وأل شنبكي/ وأل رهوي.

وكلها أسهب (حمزة لقمان) في سرد تفرعاته.

وقد أتينا على ذكرها هنا للضرورة التي تجبرنا عليها حاجة الباحثين إلى المراجع في صلب مهامهم لدراسة الأواصر والجذور السلالية الواحدة للشعوب التي كانت تجوب البلاد العربية وبالذات شبه جزيرة العرب وبلاد الشام وما بين النهرين تلك الشعوب والأقوام المعروفة لدى المستشرقين باسم (الساميين). فالمطابقات الأسمية لا تأتي عرضاً أو كيفما اتفق، فأسماء المناطق والقبائل تختزل في صيغها آثار ولادتها الأولى بكل ما تسجله عن انبعاثها الأول من أحداث ووقائع مهما كانت موغلة في عواد الدهر وغوابر القرون **فعادة ما تعيش القبيلة ويعيش عادة اسمها (معها) منذ مئات عديدة من السنين.. ومن الاسم غالباً ما نستطيع أن نعرف أيضاً متى ظهرت ولماذا هي على هذا النحو**[٢٣].

ولهذا فاصرارنا على عرض تفرعات(كلد) هدفه بالمقام الأول توفير الجهد على الباحثين التوراتيين وغيرهم من المختصين في دراسة جذور الحضارة الآشورية والرافدية عبر المطابقات الأسمية بين أسماء هذه التفرعات العشائرية ومواطنها في (سرو حمير/يافع) مع ما هو في متناول أيديهم من قوائم السلالات الآشورية والبابلية الحاكمة. إذا كانت البيئة أو الوسط الجغرافي يمكن أن تقدم لنا تفسيرات كثيرة عمن احتضنتهم في حوازها فإنّ المفهوم لدى علماء الدراسات الإنسانية عموماً أنّ :

في الجبال يضطر الناس عادة إلى العيش في مجموعات مغلقة صغيرة وأماكن الإختلاط فيما بينهم أقل[٢٤].

وهذا بحد ذاته يشير إلى أنّ عوامل التغيير الداخلية والخارجية لا تفسد كثيراً فيما يتعلق بتسميات

القبائل ومواطنها خاصة إذا كان وسطها الجغرافي يجد حمير المعروف (بسرو حمير/يافع) الـذي يمتاز بوعورة الأرض وصعوبة المسلك بين أوتارها الصخرية الشاهقة وأوديتها السحيقة الأغوار...

ولعمري أنّ بيئة جغرافيتها هذا حالها كما يصفه ابن مقبل العامري :

من سرو حمير أبوال البغال به   أنى تسديت وهناً ذلك البينا[٢٥]

جديرة بأن تأوي قبائل حمير المعروفة باسم يافع :

يافع قبيل ضخم مرهوب الجانب، شديد الشكيمة ذو إباء وشمم وعروبة يعربية، وهم دالما لقاح، لا يدينون لسلطان واقليمهم فسيح ومخلاف واسع ولا نافلة فيهم. يقع في الجنوب الشرقي من اليمن[٢٦].

لاشك أنّ قبيلة هذا حالها كما وصفها الشاعر (ابن مقبل) والأكوع- محقق كتابات الهمداني- رغم مئات السنين التي تفصل بين الإثنين جديرة بأن يركن إلى آثارها الاسمية والتراثية فهي بيئة محافظة (تجمد التاريخ) وتقدم لنا شهود إثبات من أقدم العصور.

يأتي في طليعة الدولة الكلدانية ملكها المعروف وهو (نبوكد نصر) ويُعرف بالعربية باسم(نبوخذ نصر) ويرد في سفر أخبار الأيام الثاني /٦/٣٦ باسم (بخت نصر)، والتهجئة الصحيحة للاسم باللغة الأكادية (نبو- كودو رري- عو شور[٢٧])، وعلى أية حال فإننا نجد الاسم بصيغته التوراتية (بخت نصر) قد تخلف بشقيه في أسماء قبائل كلدية، الأمر الذي نرى فيه شاهد إثبات آخر على صحة مذهبنا في البحث عن الأصول(الكلدانية/الكسدية) في (كلد/القاسدية/القسدية) :

بما أنّ الاسم يتكون من اسمين (بخت + نصر) فهو إذن من الأسماء المركبة وقد تخلف في أسماء بطون كلدية على النحو التالي :

- **بخت** : تخلفت هذه الصيغة في تسوية أحد تفرعات كلد وهي :

بخيتي : صيغة النسبة من بخيت (بخت/ بلاتصويت) : حلالهم وادي ضُبه وهم فرع من قبيلة ال حنش الكلدية. أنظر لقمان ص ١٨٦-١٨٨.

- **نصر** : تريب في تسمية أحد قبائل كلد المعروفة باسم :

منصري : صيغة النسبة من منصر/نصر : ولهذه القبيلة تفرعات عديدة هي :

- **عبسي** : في وادي خيرة.
- **بركاني** : في شعب الصلبة.
- **عياشي** : في وادي سثان.

◆ جدسي : في وادي كلسام.[٢٨]

كما تخلف(نصر) بنفس الصيغة في أحد تفرعات قبيلة الجلادي الكلدية وهي :

نصري : صيغة النسبة من نصر : أهم فخوذهم :

أهل عبد الهادي في شهد والهشاش في وادي سرار وبني الفقيه في مزابه.

طالبي في العلأة.

مخيري : أهم قراهم المعزبة والحاجب.٢٨

لاشك أنّ معرفتنا الأبيستمولوجية بجذور العرب في شمال جزيرة العـــرب وجنوبهـــا عـــبر علـــم المطابقات اللغوية- الاسمية- بالاستناد إلى نتائج الحفريات الآثارية التي مازالت في جنـــوب الجزيـــرة- اليمن- تخطو متعثرة لأسباب عديدة ليس المجال لذكرها هنا... غير أنّ المئات من نقوش المساند اليمنية القديمة التي تم اكتشافها تتيح لنا الفرصة على مقارنة افرازاتها مع ما ذهبت إليـــه كتابـــات المورخـــين القدماء اليونان والرومان وكذا العرب مع نتائج الكشوف الآثارية في بلاد الشام ومـــا بـــين النـــهرين ومصر....إلخ. وبالتالي يمكن لنا مع عدم التفريط بدراسة التراث والآثار الحيّة والفنون الشعبية لشـعوب المنطقة العربية، (يمكن لنا) دراسة العهود التوراتية العتيقة دراسة شاملة ودقيقة نصل معها إلى فهم أعمق لماضي وتاريخ شعوب شبه جزيرة العرب الذي ما زلنا في ريب مما تتلقاه من دوائر الإستشـــراق عـــن ذلك الماضي العريق.... وفي الأسطر اللاحقة سنتصدى لدراسة بعض الوقائع التي شـــهدتها جزيـــرة العرب في عهد الملك البابلي الشهير ب(نبوخذ نصر/بخت نصر).

وفيما يتعلق بحادثة السبي هذه فإنّ (د/كمال الصليبي) يرى مخالفاً للمفهوم التقليدي أنّ وقائعـها لا تمت إلى (اورشليم) فلسطين بصله فما أورشليم فلسطين إلاّ نسخة جديدة من (أورشليم) غرب شـــبه الجزيرة العربية التي شهدت موقعة السبي اليهودي على يد الملك البابلي (نبوخذ نصر) الذي قضى علـــى مملكة (يهوذا) هنالك- في غرب شبه جزيرة العرب وفقاً للصليبي- واقتاد الألوف من رعاياها اليـــهود إلى بابل، حيث وضعوا قيد الأسر[٢٩].

ويعلل (د/الصليبي) هذه الحملة برغبة البابليين في إحكام السيطرة :

(على غرب شبه الجزيرة العربية، وإلى استباق أي
عودة مصرية إلى المنطقة زمنعها(كتلك المحاولة التي
قام بها [نكو الثاني] قبل ربع قرن)، إلى درجة أنّ
(نبو نعيد) الذي خلف (نبوخذ نصر) في ملك بابل نقل

عاصمته من بابل نفسها إلى تيماء، في شمال الحجاز،

وقضى معظم أيام ملكه هناك كما هو معروف[٣٠].

ولابد أنّ الحملات الحربية التي كانت توجه من قبل الأشوريين والبابليين والمصريـين إلى شبه جزيرة العرب كانت تهدف إلى إحكام السيطرة على الخطوط التجارية الشهيرة (بدرب اللبان).

(فمن بين أشياء أخرى، كان المصريون مهتمين أيضاً بتأمين خشب العرعر من عسير [وليس أرز لبنان] كمادة للبناء ولتعمير السفن) [٣١].

ويبدو أنّ حملات الملك البابلي (نبوخذ نصر) قد وصلت في توغلها داخل شبه جزيرة العـرب إلى التخوم الغربية للهضبة اليمنية متجاوزة تلك المواطن الشهيرة بإنتاج أخشاب العرعر المعروفة في نقـوش المساند الحميرية باسم :

شامت =ال- شامية أي الشام-

أنظر في مطلع كتابنا هذا الشام اليمانية = الشام التنوراتية- وقد ذكر(ابن المجاور) بعضاً من أوديـة الشام اليمانية المنتجة للخشب :

(من معامله(ذؤآل) وادي لبع ووادي ريمان ووادي

عرم ووادي جابيه والمدارة وفي وادي زبيد سخمل

والفتشي وغاية شجرة الأسحل والسيسان وبطحوات

واليمن وادي لحلة خلاف وادي مكة وواسط، وفي أودية

الشام وادي رماع ووادي الكدراء ووادي سرر وادي مور

وجميع هذه الأودية يقطع منها الخشب لأجل العمارة) [٣٢].

ويجمع كثير من المؤرخين العرب القدماء منهم الطبري[٣٣] وهشام بن محمد الكلبي وابن اسـحاق الثعلبي على أنّ (نبوخذ نصر) قد جرد بالفعل حملات عسكرية وصلت في مداها إلى أرفع جبال اليمـن وأعزها وهو جبل النبي شعيب المعروف تاريخياً باسم :

* **جبل حضور** : نسبة إلى حضور بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة، حيث ينقل لنـا لسان اليمن (الهمداني) عن شيخه أبو نصر اليهري **قصة بني حمير وأولد المقدم ابن حضور ذا مهدم بن المقدم (غيره) وخولان بن المقدم. فأولد خولان النسيء والكبار والأجراد. وأولد ذو مـهدم بـن المقدم : مهدم بن ذي مهدم : شعيب النبي (صلى الله عليه وسلم) بـن مـهدم بـن ذي مـهدم، ومسجده اليوم في رأس حده حضور بن عدي، وجبل حضور يُعرف بهذا الاسم وهو جبل عظيـم**

البركة لا يزال متعصباً بالغمام ولم يزل الثلج باليمن إلاّ عليه وعند المسجد معين مـــاء ولا يـــزال الناس يزورونه ويصلّون فيه، ويُسمى رأس الجبل بيت خولان[٣٤]. وينبه الأستاذ محمـــد بـــن علـــي الأكوع(المحقق) إلى صدق هذه الوصوف واستمراريتها حتى اليوم[٣٥].

وتذهب رواية أبي نصر في شيء من التفصيل : فبعثه (أي شعيب) إلى قومه رســـولاً فكذبـــوه وقتلوه، فأوحى الله إلى برحيا بن أخنيان بن زربابيل بن شالثان من سبط يهوذا أنّ إلت بخت نصـــر، ويُسمى بخت ناصرٍ وهو عند أهل الكتاب الملك الأعظم، والفرس تقول إنه مرزبان مـــن مرازبـــه الفرس سرحه كيبشتاسب وأمره أن يغزو العرب الذين قتلوا نبيهم، فيقتـــل مقاتليـــهم ويســـتبيح أموالهم،فأقبل برخيا من حرّان إلى بابل فأخبر بخت نصر، فتوجه لذلك من تلقاه مستأمناً من الأنبـــار وأتتهم جيوش بخت نصر، وهتف بهم هاتف :

سيغلب قوم غالبوا الله جهرةً ... وإن كايدوه كان أقوى وأكيدا

كذلك يضل الله من كان قلبه ... مريضاً ومن والى النفاق وألحدا

فلما غشيهم الجنود هربوا يركضون إلى تهامة فلقيهم الملائكة يضربون وجوهـــهم وأدبـــارهم، ويردونهم إلى حضور يقول الله عزّ وجل :

﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين. فلما أحسّوا بأسنا إذ هم منـــها يركضون. لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تُسألون ن﴾.الأنبياء /١١.[٣٦]

وتتفق رواية (أبي نصر اليهري) هذه مع ما ذكره صاحب (عرائس المجالس) ابن اسحاق الثعلـــبي من أنّ حضور المقصودة في هذه الواقعة ليست إلاّ (جبل حضور) المعروف اليوم باسم (النبي شـــعيب) عليه السلام :

أوحي إلى يوخنا بن برخياو خيا بن خيا
بن رؤبابيل بن سنبسل..... كان من ولد يهوذا بن
يعقوب أن الت (بخت نصر) وأمره أن يغزو العرب
الذين لا اغلاق لبيوتهم ولا أبواب ويطأ بلادهم
ويقتل مقاتليهم ويستبيح أموالهم لكفرهم بي واتخاذ
الآلهة دوني وتكذيبهم أنبيائي ورسلي وذلك بعد قتل
أهل حضور وهي بلدة باليمن [٣٧].

على الرغم من قناعة (الهمداني) وتصديقه بنبوة النبي شعيب بن مهدم بن ذي مـــهدم الحضـــوري

الحميري. الأمر الذي تبرهن عليه الآثار الحيّة واللقى الأثرية التي تنسبه إلى ذالكم الصقع اليماني حتى العصر الراهن وعبر مختلف الحقب بما فيها عهد الهمداني :

ف (هذا خبر العامة في شعيب عليه السلام وحضور) [38].

على الرغم من هذه الدلائل والآثار فإنّ (لسان اليمن) يسوق لنا بعض الحجج التي شذب فيها زيادات رأى فيها دسائساً من أعمال الشعوبية بقوله :

وقد زاد بعض الشعوبية في خبر برخيا، أنّ الله أوحى إليه أن يأمر بخت نصر أن يغزو العرب الذي لا اغلاق لبيوتهم. وهذا قول يكذبه كتاب الله إذ يقول : ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة﴾. فالقرى متعالمة بكثرة السكن، ولا تحصن أمتعة بعض عن بعض إلاّ الإغلاق.

وأن قيل كان القوم بحضور، فإنّ حضور لم يكن بها قرية. ولكن قصور مشيدة بالسقوف العجيبة، والأبواب الحريزة والأغلاق المحكمة [39].

وما دامت تخريجات الإخباريين وكتاب السيرة الأوائل عقدت بين الحملة البابلية وبين قصة نبي الله شعيب (عليه السلام) صلة، فالأمر في نظري لم يكن بمثابة غزوة قادها الملك البابلي (نبوخذ نصر) في عمق حدود العربية السعيدة استجابة لاستغاثة أحد أحفاد يهوذا سبط يعقوب عليه السلام أو نجده للنبي الشهيد شعيب عليه السلام الذي انتقم له المولى(عزّ وجل) من قومه (أهل حضور) بحصدهم بالسيوف كما نصّت عليه الآية :

﴿قالوا ياويلنا إنّا كنّا ظالمين. فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين ﴾

[الأنبياء/١٤]

أي أنّ سيوف (بخت نصر/نبوخذ نصر) قد فعلت فعلها بقوم شعيب في معركة أراد بها الملك البابلي السيطرة على الخطوط التجارية غرب البحر الأحمر، وربما أنّه قد وجدها فرصة لقتال أبناء عمومته في اليمن تحت حجة قتلهم النبي الحضوري شعيب عليه السلام. بهذا نستطيع القول بأنّ طلائع جيش (نبوخذ نصر) قد وصلت في توغلها بالفعل إلى الأطراف الغربية لهضبة اليمن، وأنّ المعركة قد احتدمت في نواحي تهامة تماماً كما ورد في متن الرواية التي نقلناها عن (الهمداني) ونسبها للعامة وينسجم هذا الطرح مع الزيادة التي نسبها الهمداني– في إشارة منه لما أورد الثعلبي– إلى الشعوبية. فكيف أشكل الأمر على لسان اليمن الهمداني؟

المسألة في نظري تتعلق في معدل فهم النص الذي أورده الثعلبي بشأن نبي حضور — النبي شعيب (عليه السلام)– فهو أن بعثه الله بدرجة خاصة لهداية جبابرة حضور عمالقة حمير الذين كانوا يسكنون

أحد محافد اليمن الشهيرة وحصونها التي يصفها (الهمداني) في النص السابق :

.... فحضور لم يكن بها قرية. ولكن قصور مشيدة بالسقوف العجيبة والأبواب الحريزة والأغلاق المحكمة.

فمما لاشك فيه أنّ دعوات الأنبياء والرسل كانت موجهة بشكل شديد الخصوصية إلى الطغاة والجبابرة والملوك ومن يتبعهم من سادة القوم وسوادهم.. ومن هذا المنطلق نفهم أنّ النبي شعيب قد تركزت دعوته في حضور وما حولها من التجمعات الحضرية، حيث أثبتت الحفريات الآثارية التي شهدتها منطقة (حضور همدان) :

في الفترة (١٩٩٣-١٩٩٥) أنّ المنطقة كانت تعج بتجمعات حضرية تعود إلى ثقافة الألف الرابع والألف الثالث قبل الميلاد في اليمن[٤٠].

ومنطقة حضور الجبلية الشاهقة الواقعة إلى الغرب من صنعاء على بعد أكثر من (٣٠ كـم)[٤١] قد أسهب (الهمداني) في (الصفة) في تبيان مخالفها بأبعاده الجغرافية المعروفة اليوم في نطاق **حضور والحيمتين (الداخلية والخارجية).وغيرها مما على محجة طريق السيارات إلى الحديدة[٤٢].** كما تعرض لمآتي أودية تهامة من جهة جبل حضور وما يصاقبه حيث ذكره في عداد مآتي وادي سهام برأسه الممتد:

من رأس نقيل السود من صنعاء على (بُعد) بعض يوم إلى ما بين جنوبها ومغربها ويهريق في جانبه الأيمن جنوبي حضور.... ويظهر بالكدراء وواقر فيسقي ذلك الصقع إلى البحر فيهرق وادي العرب فيما بين الكدراء وزبيد بناحية المعقر والأخوات التي بينه وبين الكدراء ومساقي وادي العرب مما بين بُرع ومساقط جبلان ريمه وقعار[٤٣].

كما أشار (الهمداني) إلى مساقط حضور :

(من شم وما طِخ وبلد الصيد) في عداد مآتي وادي (سردد) الذي يصب في المهجم التهامية فيسقيها وما يليها إلى البحر[٤٤].

ومن هذه الإحداثيات والأبعاد الجغرافية التي عرضنا لها بإيجاز شديد يتبين لنا أنّ :

دعوة النبي الحضوري قد تجاوزت نطاق جبل النبي شعيب إلى مختلف الجهات بجبلها وسهلها بما فيها سهول تهامة وغائطها الواقعة غرباً على شواطئ البحر الأحمر. أي أنّ النبي شعيب (عليه السلام) لم يكن **(نبي ضيعته)** فحسب- وهي هنا حضور على وجه التحديد التي يليها من حيث الأهمية **(عوبايا)** وفقاً لرواية حبر الأمة ابن عباس (رضي الله عنهما) – بل كان نبياً ذاعت دعوته للإيمان بالله(جل شأنه) في رقعة لها من الإتساع ما قد يشمل اليمن القديمة بأسرها أو على أقل تقدير أنّ دعوته قد

ترددت اصدائها في الأرجاء المصاقبة لجبل حضور وفي السهول الغربية المعروفة باسم (تهامة) والمناطق المعلومة باسم(شام اليمن)، خاصة ونص رواية الهمداني التي نسبها للعامة تؤكد هذا الطرح بالقول :

(.... **فلما غشيهم الجنود هربوا يركضون إلى تهامة....**)

نعم فالمفهوم من هذه العبارة أنّ القوم قد أخذوا بالركض والهروب – وربما المقاومة- لجحافل الملك البابلي (بخت نصر) في قيعان تهامة وعبر أودية انتاج الأخشاب التي كانت تطمع الدولة الكلدانية في إحكام السيطرة عليها في إطار التنافس على الخطوط التجارية وعوائدها مع قدماء المصريين.

ولعل أحد محميات الأخشاب كانت تتركز في أودية (شام اليمن) ومنها وفقاً لما ذكره (ابن المجاور) في الفقرة السابقة:

(وفي أودية الشام....رماع....والكدراء....وسردد ووادي مور....).

وقد تبين لنا ونحن نعرض (لمخلاف حضور) أنّ وادي (سهام) الذي يمر في الحواز الجنوبية لجبل حضور يطرح بعاعه في البحر الأحمر بعد سقياه لعدة أودية تنتج الأخشاب ومنها الكدراء وواقر وزبيد وفقاً للوصف الدقيق الذي اتحفنا به لسان اليمن (الهمداني) في تعرضه لمآتي وادي سهام ومجراه/ صفة ص ١٣٣).

وما يهمنا في هذا النص بالذات هو ذكره **(لوادي العرب) الواقع فيما بين برع ومساقط جُبلان ريمة وقعار**[٤٥].

فالأمر هنا لا يحتاج إلى كبير من حذاقة في أن **(وادي العرب)** يشير إلى مجهول المعادلة التي نصّبت عليها رواية ابن عباس (رضي الله عنهما) ونعني بذلك **(عربايا/عرب بدون تصويت)** وما زال أهالي هذا الوادي (العرب/عربايا) حتى اليوم يمتازون بصفات جسدية أقل ما يقال عنها أنها من شؤون الجبابرة،فهذه إحدى قرى وادي العرب المعروفة باسم(حمض) يصف أهلها الأكوع (محقق الصفة) بالقول :

لا يزال أهل حمض من احد العرب إلى اليوم وأنّ أحدهم ليضرب بسيفه الجذع العظيم فيبتره بضربة واحدة وهم الذين يضربون رؤوس القتلة بين يدي السلطان لإقامة الحدود[٤٦].

أما ما أنبرى لتفنيده لسان اليمن(الهمداني) وصنفه في (أعمال الشعوبية) ونقصد بذلك قولهم في وصف قوم نبي الله شعيب (عليه السلام) :

... العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب....

والعبارة هنا مرسلة غير مقيدة فالمقصود بهذا النعت العرب لا أمة العرب كلها. فقال(كلدان)

وملكهم (نبوخذ نصر) عرب أيضاً ولهذا فقد خص بالنعت قوماً من العرب نرجح أنّ الملـك البـابلي كان يعلم أحوالهم وذلك من خلال حملاته التي شنها على غرب شبه جزيرة العرب ومن قام بتبليغـه أو استشارته وترغيبه، أنما أراد عن نية مبيتة عدم تهويل الأمر في عين عظيم بابل الذي ربما كان حتى تلـك اللحظة يجهل (حضور همبدان) ولا ينوي بالضرورة الاصطدام بمكاربة سبأ مما قد يجـر عليـه وعلـى انتصاراته التي حققها في مرتفعات عسير وما صاقبها هذا من ناحية، ومن ناحيـة أخـرى فـالمقصود (بالعرب الذين لا أغلاق لبيوتهم....) كما أسلفنا عرب تهامة ونواحي شام اليمن... فـهل ينطبـق عليهم هذا الوصف؟

- **العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ا [47]**

كانت أقدم أعضاء بعثة الاستشراق الدنماركية قد وطئت في نهاية سنة ١٧٦٢ للميـلاد تـراب اليمن، ومما سجله يراع الناجي الوحيد من هذه الرحلة، وهو كرستين نيبور، عن بيوت سكان تهامة :

> **سجل نيبور ما لاحظه من اختلاف في المساكن بين منطقتي تهامة والجبال. ففي الجبال تبنى البيوت بالحجارة. أما في تهامة فمعظم بيوتها عبارة عن أكواخ وبناؤها لا يكلف كثيراً ، فهي تبنى من أغصان الشجر والأعشاب، وتكسى جدرانها بالطين المخلوط ببراز الأبقار، وتدهن من الداخل بالكلس، وسقوفها مبنية بأعشاب متوفرة بكثرة في تهامة، ونادراً ما تكون هناك نوافذ، أما الأبواب فهي مجرد قطعة من الحصير. وفي هذه البيوت وحولها توضع سرر أشبه بكراس طويلة منسوج سطحها بخيوط من القش، ويجلس المرء عليها وينام بارتياح. ومثل هذه السرر- الكراسي لا توجد في مناطق الجبال. ونادراً ما تكون الأكواخ مقسمة في الداخل إلى أجنحة أو حجرات، فإذا كان حجم الأسرة كبيراً، أو كانت هناك حيوانات فإنه يتم بناء أكثر من كوخ للأسرة الواحدة، ثم تحاط جميعها بسياج واحد مبني من أغصان الشجر [48].**

هؤلاء هم (**العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب**) حسب تعبير (الثعلـبي) الـذي انكـره عليه(الهمداني) ما زالوا على عهدهم حتى اليوم يبنون أكواخهم المتواضعة من الطين وفروع الأشـجار وضفع الأبقار فلا نوافذ ولا أبواب (حريزة) إلاّ ما فضل من حصيرة تسبل علـى مداخلـها.... وإذا حلّت بهم السبوت- موسم حصاد التمر- فإنهم ينطلقون إلى (النخل) لا يلوون على شيء ولا يتخلـف

منهم أحد، فهكذا يتركون بيوتهم هذه :

فإذا حمل النخل يتقبل كل واحد من الناس على قدره ويجيء إليه الناس من باب حرض إلى آخر أعمال أبين وينزل أهل الجبال إلى تهامة. وكم من امرأة تطلق من جهة النخل وكم تنكح امرأة من جهة النخل!......... ويقيمون الناس في النخل مدة شهرين أو ثلاثة ويكون غالب أكلهم الحموضات والملوحات وهم في لعب وضحك وشرب[٤٩].

هؤلاء هم عرب تهامة فيهم (عربايا/وادي العرب) وأودية أخشاب العمارة التي طمع فيها قدماء المصريين والأشوريين والبابليين.. وعبر هذا الصقع كان (درب العقيق) أيضاً، فيهم بعث نبي حضور فهم قوم شعيب (عليه السلام) كان سادتهم من أذواء حمير وفي طليعتهم أصحاب(جبل حضور) الذين قتلوا نبيهم فلما باغتتهم سيوف (بخت نصر) لاذوا بتهامة تسوقهم حمية الدفاع عن الأوطان ولكنهم انهزموا على أعقابهم تماماً حسب ما ذكرته رواية العامة التي نقلها لنا (الهمداني):

فلما غشيهم الجنود هربوا يركضون إلى تهامة فلقيهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ويردونهم إلى حضور...[٥٠]

هكذا فقد توغلت جيوش الملك (الكلداني) / نبوخذ نصر في جزيرة العرب في إطار المنافسة على الخطوط التجارية وعلى مصادر إنتاج الأخشاب في أودية شام اليمن التهامية (تهمت/توراتياً) أما الإخباريون العرب فقد فسروا قدوم هذا الملك البابلي في إطار الثنائية التعليلية المألوفة : (الكفر/والإيمان) (العقاب/ والثواب) (الطاعة والعصيان) فقد جعلوا من هذه الغزوة عقاباً أو نازلة سلطها الله (جلّ شأنه) على قوم النبي الحضوري (شعيب بن مهدم) (عليه السلام) وذلك لكفرهم بدعوته وقتلهم له. أما قضية التنافس على الخطوط التجارية في غرب شبه جزيرة العرب بين مختلف القوى الإقليمية من مصرية وأشورية وبابلية- وهلم جرا فقد احتدمت في مطلع الألف الأولى قبل الميلاد، وعبر النصف الأول منها أيضاً وهكذا يرى (د/كمال الصليبي) :

فحملة الملك المصري (شيشانق الأول) ضد يهوذا أواخر القرن العاشر قبل الميلاد كانت غرب شبه جزيرة العرب وكذلك حملة (نكو الثاني) في القرن السابع قبل الميلاد. [٥١]

وفي مطلع القرن الثامن قبل الميلاد تعرضت هذه المنطقة الحيوية إلى حملة جردها الملك الآشوري (سنحاريب)، وكانت في سنة ٧٠١ (ق.م) في عهد (حزقيا) وفقاً للتاريخ التوراتي وكما نص عليه في:

(سفر الملوك الثاني/١٨/٢٦) و (أشعياء/٣٦/١١). [٥٢]

وفي واقع الحال أنّ القوى الإقليمية كانت تصبو إلى السيطرة على الخطوط التجارية في غرب شبه الجزيرة والمصادر الطبيعية فيها لإنتاج الأخشاب منذ أقدم العهود:

فعلى أحد تماثيل الملك السومري (نرام- سين) (حوالي ٢٤٠٠ ق.م) يقص الملك أنه أخضع بلاد (ماجان) وهزم زعيمها (ماينوم). ويرد ذكر (ماجان) في نص آخر عندما ذهب إليها (جوديا) كبير كهنة (لجش) وحكمها ليحضر منها ومن بلدة (ملوخا) خشباً وحجارة لبناء معبده. [٥٣]

وانطلاقاً من المفهوم التوراتي المغلوط الذي يرى في فلسطين مسرحاً لوقائع الشعب الإسرائيلي البائد في حين أنّ جزيرة العرب كانت في تلك العهود العتيقة موطن (التوراة) والقبائل العربية المعروفة بالإسرائيلية (نسبة إلى الجد الأعلى إسرائيل- نبي الله يعقوب).. وهم صاحب الفقرة السابقة (ثيورآو دانجن) (Thureau Dangen) فظن أنّ (ماجان) و(ملوخا) مستعمرتان :

من البلاد التي اسسها اليمنيون على الطريق التجاري في شمالي الجزيرة العربية في ذلك العهد البعيد. [٥٤]

نعم لقد أثبت (د/كمال الصليبي) في كتابه الذائع الصيت (التوراة جاءت من جزيرة العرب)، **أنّ (لاجيش) التوراتية لا علاقة لها في الموقع الأثري المعروف ب(تل الدوير) في فلسطين وأنها كانت في غرب جزيرة العرب...** [٥٥] ونحن بدورنا هنا نعزز هذا الطرح بالكشف عن **(ملوخا)** تلك البلدة التي شد إليها **(جوديا)** كبير كهنة **(لجش/لاجيش)** الرحال كي يحضر لبناء معبده خشباً وحجارة فهل لها من أثر اليوم؟

- **بلدة ملوخا :**

ذكرها لسان اليمن(الهمداني) في عداد نواحي (تهامة اليمن) حيث وردت عنده بصيغة (ملوكه/بالكاف آخره هاء) : **وملوكه : (من حكم آل عبد الجد) وفيه مدن مثل الهجر والخصوف والساعد والسقيفتين والشرجه ساحله.** [٥٦]

هذه (ملوكه/ملوخا) التي قصدها كبير كهنة لاخيش لإحضار الخشب والحجارة كي يقيم معبد(لاخيش) في بقعة ما من غرب جزيرة العرب لا في جنوب فلسطين. ولا شك أنّ وادي (ملوكه) الذي قامت على دلتاه مدن (الهجر [هجرن بلغة نقوش المساند اليمنية]، والخصوف والساعد والسقيفتين) وفيوضه تخرج إلى ساحل مدينة (الشرجة) ومثله وادي (حرض) الذي تعتبر (الشرجه) منفذه إلى البحر. [٥٧] ملوكه هذا موقعه في قلب المحميات الطبيعية التي كانت غاباتها المصدر الرئيسي لإنتاج أجود الأخشاب الذي كانت تنشد القوى الإقليمية الكبرى في العالم القديم (الشرق الأدنى)

السيطرة عليها... وتعرف اليوم في عين تلك البلاد التهامية على هذا النحو :

- **الملقا : بفتح الميم والقاف وإسكان اللام بينهما، موضع بين خبت (ذؤآل) ووادي (رمـاع) في بلاد زبيد.** [٥٨]

ونكتفي هنا بلفت نظر الباحثين إلى ما أوردناه (آنفاً) عن أودية(**شام اليمن/تهامت اليمن/كـوش**) التي ذكرها (ابن المجاور) على أنه (**يقطع منها الأخشاب للعمارة**) ومنـها (**ذؤآل/ورمـاع**) اللـذان يتوسطهما (**ملقا/ملوكه/ملوخا**). بهذا نكون قد فصلنا بشأن موقع طالما اختلف الباحثون في أمره ومـن تخريجاتهم :

أنّ (ملوخا) هي (الحبشة) اليوم. [٥٩]

ولا غرو أنّ فشل أهل الاختصاص في التعرف على (ملوخا) يرجع في الأساس إلى المفهوم المغلـوط للجغرافيا التوراتية التي جعلت من (الحبشة) أرض (كوش) في حين حددها(ابن المجاور) أنهـا أي (أرض كوش) ليست إلاّ تهامة اليمن المعروفة قديماً أيضاً (**ب/شام اليمن**)[٦٠] وهي نفس الأرض التي عثرنـا في نطاقها على (**ملوخا**) المنتجة للأخشاب. وتتكرر المشكلة مع (**ماجان**) **وملكها** (**ماينوم**) الـتي أعيـت الباحثين عنها ورأى فيها(د/القمني) (**ميكان**) **في** (**سلطنة عمان**) حيث اعتمـد في رأيـه علـى مـا نقله(المسعودي) في مروج الذهب من أن (**ميكان هي محلة سيراف**) وقد ربط (القمني) بـين تسـمية (سيراف) ومعناها (ثعبان) فكشف بهذا عن اللبس الذي خلفه قدماء الرافديين بإطلاقهم هذه التسـمية (**ميكان**)**أولاً على**(**عمان**) **وفي فترة متأخرة على مصر. وبالنظر إلى مكانـة الأفعـى عنـد قدمـاء المصريين الذين كانوا يضعون مجسد الأفعى كتعويذة على رؤوسهم...** هذه المقابلات بالإضافـة إلى حقيقة أنّ (عمان) كانت جزءً من اليمن وبالإستناد إلى روايات المؤرخين الأغريق عن مصـر جزيـرة العرب- أنظر المدخل في كتابنا هذا- خلص (د/القمني) إلى أن المقصـود عنـد قدمـاء **العراقيـين** **ب(ميكان) سواء في أقدم العصور أو في عصورهم المتأخرة هو القطر العماني الذي هو وفقـاً لهـذا التخريج مصر جزيرة العرب.** [٦١]

وهناك احتمال آخر أن المقصود ب(**ماجان/ميكان**) نظراً للثنائية التي يظهر بها في النصوص القديمة مع بلدة (ملوخا/ملوكه/ملقا) مما يعني تجاور الموضعين واشتغالهما بنفس الوظيفة (إنتاج الخشب) نظـراً لهذا المعطيات يحتمل أن المقصود ب(ماجان) ملوقه في تهامة اليمن أو مرتفعات عسير، حيـث وردت في صفة جزيرة العرب (للهمداني) :

- **ملكان:** من بلد حرام من كنانه
- **ولحيان** : من أرض السراة. [٦٢]

نعم فالجزيرة العربية وبالذات غربيها الذي كانت تمر عبره أهم الخطوط التجارية من جنوب الجزيرة حتى (غزة) في شمالها وهو الدرب المعروف بدرب(الطيوب أو التوابل).... كانت هذه المنطقة هدفاً للحملات العسكرية بين القوى الإقليمية المتنافسة في الشرق الأدنى... وإلى جانب حملة (شيشانق) في أواخر القرن العاشر قبل الميلاد ضد (يهوذا) في غرب الجزيرة العربية كانت الحملة التالية لا من مصر وإنما من أشور وهي حملة (سنحاريب) ف بمطلع القرن الثامن قبل الميلاد ثم :

في أواسط القرن الثامن قام(سرجون الثاني) بتصفية مملكة (إسرائيل) غرب شبه جزيرة العرب واحتل عاصمة المملكة وهي السامرة (شمرون) – وما زالت تدعى شمران اليوم-.[٦٣]

وكانت حملة الملك المصري (نكو الثاني) في القرن السابع قبل الميلاد موجهة إلى نفس المنطقة، وكانت خاتمة الغزوات التي قصمت ظهر المملكة الجنوبية(يهودا) هي حملة :

(نبوخذ نصر) التي قضى بها على مملكة يهوذا غرب الجزيرة واستاق أهلها إلى بابل.[٦٤]

ملاحظات يافعية على قراءة ديب لنقش جبيل

تصدى الأستاذ (فرج الله صالح ديب) في كتابه الرائع(اليمن هي الأصل) لأمور شتى ناقش فيها الجذور المشتركة لحضارة عرب الجنوب(اليمن) وحضارة عرب الشمال(سوريا وبلاد الرافدين) وخلص إلى نتائج مدهشة منها أن ما أخذناه كحقائق ومسلمات عن طريق دراسات المستشرقين لا يصمد نفسه أمام البحث والتقصي العلمي الأنزه من المقاصد المبيتة (سلفاً)، فالنصوص (الأمورية) واللغة (الكنعانية/شفة كنعان) وما عرف باللغة (الأرامية) و(الفينيقية) ليست إلاّ تجليات أخرى للغة(العربية/الفصحى) و(الجنوبية/ذات الخط المسند). فعلى ضوء المقارنة بين اشكال احرف تلك اللغات(السامية) بالإضافة إلى (اللاتينية) و(اليونانية) وجد كثير أن كثيراً من الأحرف الأبجدية تتماثل في الهيئة والشكل.

هذه الأمور وقضايا أخرى تناولها في متن كتابه هذا جعلته يعيد قراءة(نقش جبيل) المكتشف في العام ١٩٢٣ م والعائد إلى بداية الألف الأولى قبل الميلاد وفقا لرأي المؤرخ العالمي(فليب حتي). على أن اقحام الاسم اليوناني(بيبلوس) في تفسير النقش فيه تعسف كبير لأن هذا الاسم الذي اطلقه اليونانيون على (جبيل) يعود إلى نهاية القرن الرابع قبل الميلاد ليس إلا.[٦٥]

وهذه نص القراءة التقليدية لنقش (جبيل) كما وردت في مجلة (الجمعية الشرقية الأمريكية- ١٩٥٧) :

(التابوت الذي صنعه [أيتو بعل ابن احيرام] ملك [بيبلوس]
لأبيه كمسكنه الأبدي. وإذا هاجم [بيبلوس] ملك أو حاكم أو
قائد وعرض بهذا التابوت فليكسر صولجان حكمه وليسقط
عرشه الملكي وليهجر السلام (بيبلوس). أما هو فليمح انسان
مشرد(؟) كتابته).

وهذه قراءة (ديب) للنقش بالأعتماد على المماثلة الحرفية بين الأبجدية (الفينيقية/ التي زبر بها النص) والأبجدية العربية :

أرن ((I) غير واضح المعنى وليس له ما يشبهه في الأبجدية الفينيقية) ، فعله- بعل- بن أحـــرم- ملك — حبل- لأحرم- ابه- كشته[أو قسطه]- با- علم- والملكب (الملقب)- ملك- موسـك(....) نب- نبي-صنم. وتم امحانه- على حبل.

ويل(وأل) ارن(I) ن. (ارنان-ارنون) تحت سفح طرم؛ شفطه- تماتفوك(أو تمتفك). كسا- ملكه ولحت(وناحه)- تبرح(تباريحه) على حبل. وها- يمح(وه-أي-محا) سفد-(وبقية الأحرف لا تقدم معـنى وهي : ف. ف. س. ر. ل.).

وبالرجوع إلى أهم معاجم اللغة العربية ونقصد به (لسان العرب/لأبن منظور) تمكن ديـب مـن قراءة نص نقش(جبيل) على النحو التالي :

غطاء فعله بعل بن أحرم ملك حبل لأحرم أباه: كشته با- علم والملقب ملك موشك نبي صنـم وتم تليينه وتوسيعه على جبيل. وألجأ الغطاء تحت سفح ناتئ (أو قبة من خشب)، شـفطه تمـاتفوك، الذي كسا ملكه وناحه وحده وشوقه على جبيل. واي يمح[٦٦].....

ولعلنا بالملاحظات التالية نعزز (قراءة ديب) التي سماها : (قراءة عربية لنقش جبيل).. وقد رجعنـا بصورة خاصة إلى لهجة (سرو حمير/يافع) لتفسير الغريب الألفاظ في نص (نقش جبيل) :

✠ كشته : فعله : قشطه (بالإبدال) : ما زالت تستخدم هذه اللفظة في يافع حتى اليـوم قشـط البيت : أصلحه وزينه وطلاه إذاً مقشوط قشطاً أي مزين وجاهز للسكن.

✠ موسك : تنطق في يافع مخففة وبإبدال الألف المفخم مـن الـواو كحـرف(a) في(cart) الإنكليزية) : ومعنى موسك هذه في اللهجة اليافعية) : المغلاق ، المزلاج، ومنها فعل الأمر(وسِـك) : أغلق: سك.

✠ الطرمة : الصخرة الكبيرة وتدعى (قبة) إذا كانت متجوفة من داخلها ويُسمى التجويـف في الطرمة أو الصفا :

(الصملة) جمعها (صمال)- بكسر الصاد المهملة-

يقال : ذراع الصمال : حرف الجبل الصخري الذي تكثر فيه الصمال أي الكهوف. هذا المعـنى في اللهجة (اليافعية) وتشير معاجم العربي إلى نفس المعنى تقريبا :

✠ صمل : صلب واشتد واكتنز، يوصف به الجمل والجبل والرجل.

وكناية عن خواء البطن من الجوع ورد في هذا الباب بيت شعر لأبي السوداء العجلي :

ويظل ضيفك، يابن رملة صاملا ما أن يذوق، سوى الشراب علوسا

ويقال : أصمله الصيام. [٦٧]

والناس في (سرو حمير/يافع) ما زالوا يستخدمون اللفظة أيضاً كناية عن الجوع كأن يقول : (عـلد بطني صملة) أي (ما زالت بطني صملة/أي فارغة).

✠ تمتفك/تماتفوك : التاء الثانية زائدة والكاف للمخاطب أو المتكلم كما في لغة المساند الحميرية واللهجة اليافعية) وعليه : تمف = طُهف(بالأبدال) بمعنى خطف أو تمالك للحصول على الشيء أو خوفاً من فقدانه.. أو تفاني في إخلاصه.

طهيف (بالتصغير) : اسم عائلة في (يافع) يعرفون ب(بن طهيف).

وفي لسان العرب :

❖ الطهف : الحرز، والطهاف : السحاب المرتفع والطهاف بالضم : الذؤابة. والطهف وطـهف وطهف : أسماء. ٦٨

❖ أحرم : جبل في وسط (سرو حمير/يافع) يعرف أيضا ب(المصانع) لانتشار خرائب حمير فيـه. وقد لاحظ الأستاذ (ديب) ذيوع هذا الأسم في عموم اليمن.

وبهذه الإضاءة يمكن أن تنجلي غوامض الألفاظ في نص (نقش جبيل) وفقا لقراءة (ديـب) الـتي نراهن على صوابها فيكون نص النقش بعد الملاحظات (اليافعية) هذه :

غطاء فعله بعل بن أحرم ملك لأحرم أباه : قشطه با- علم والملقب ملك المواسك(المغـاليق) وتم تليينه وتوسيعه على جبيل. والجأ الغطاء تحت سفح الطرمة (داخل الصملة قارن نب- صنم /بالقلب والإبدال)، وأحرزه طيب النفس، الذي كسا ملكه وناحه وحده وشوقه على جبيل. وليهون (عليـك) يامحرماه (ياأحرم).

وهذه العبارة (وه- أي- أحرم) هي صيحة انتحاب على فقدان عزيز ما والت تردد في النياحـة عليه في (يافع) حيث يقول الأحياء :

(باهوين عليك يافلان) تصغير (هون) ومن معاني (ال هون : الهوان والشدة). ٦٩

أي معناه :

ياللشدة التي نزلت بنا (نحن الأحياء) بفقدانك يا محرم/أحرم.

فهكذا ما زالت النواحة في (يافع) تلهج بنص العبارة (آنفا).

وهذا النص بلا شك قد أصبح بقراءته العربية (قراءة ديب) المطعمة بإفادات اللهجـة الحميرية (اليافعية) أقوى حجة وأكمل برهان على صدق ما ذهب إليه صاحب (اليمن هي الأصـل) مـن أن اللهجات السامية المعروفة (تقليديا) باللغات السامية ما هي إلا تجليات لهجوية للغة واحدة هي (اللغـة العربية) السائدة اليوم في الجنوب والشمال من جزيرة العرب الموطن الأصلي لكل الشعوب السامية التي

كانت تجوب أقاليم جزيرة العرب المختلفة منذ أقدم الحقب التاريخية قبل الميلاد... ومن هذه الوشائج المشتركة أضحى بالإمكان إعادة الإعتبار لتاريخنا القديم وفقاً لرؤى ومفاهيم تاريخية وأدوات معرفية أكثر حساسية وإحاطة بمعطيات تراث العرب الخصب الذي وصا إلينا كشاهد حي لا على البيئة التي تولد فيها بل أيضاً وعلى الشعوب العربية (السامية) التي انتجته عبر القرون الخوالي.... هذه الأواصر نفسها هي التي جعلت بوسعنا قراءة نقش (جبيل) الشمالي قراءة عربية (لا نقول شمالية كما يذهب إلى ذلك المفهوم التقليدي للتطور اللغوي) فكما لاحظنا التكامل الحاصل بين اللغة العربية (الفصحى) واللهجات الجنوبية (اليافعية هنا)، وعليه يمكن لنا أن نلخص فهمنا لنقش (جبيل) على هذا النحو :

هذا الملك (بعل بن أحرم) قد صنع لأبيه (تابوتا) هو عبارة عن (صملة
في قلب صخرة (طرمة) حيث تولى توسيعها وتمهيدها وقشطها (باعلم)
الملقب ملك (المواسك/وتفيد هنا المواضع- القيود- المنيعة المغلقة) ومنها
هذا القبر الذي وسكه(سكه) بحضور (شفطه/ صاحب القلب الطيب = كناية
عن الكاهن) الذي قام باحرازه (تمتفك)- (احرزه- ربما تشير إلى إحاطته
بتعويذة لحراسته)- وهو الذي كسا ملكه (ألبسه الأكفان) وناحه حتى كاد
يبرح من شدة الحزن- وقد ختم النقش بما أسلفنا أنه تخريجه نياحة (نواحة)
ما زالت معروفة حتى اليوم في (سرو حمير/يافع) أي ما نصه :
(ياهوين عليك يافلان).

الفصل السابع

النبي الضالعي

أيوب الصابر (عليه السلام)

من أنبياء سرو حمير.

يرجح الكثير من الباحثين في الدراسات التوراتية يمانية (سفر أيوب) :

(فقد كتب في بلاد العرب اليمنيين في القرن العشرين قبل الميلاد وكان منظوماً شعراً كما نظمت الإلياذة. ثم ترجمه اليهود إلى العبرية نثراً وأدخلوه ضمن أشعارهم المقدسة، ثم ضاع الأصل العربي كما ضاع أصل كليلة ودمنة (الفارسي)، ويستدلون على ذلك بكثرة الاسماء التي كانت مألوفة في أيام الجاهليين والتي نلمس فيها رهبة الصحراء وجلالها)[1]. في حين أن المستشرق (**مرجليوث**) يرى أن لغة هذا السفر تحتوي على تأثيرات أرامية وعربية لا تخطئها العين. وكذلك موقف (**أسبينوزا**) الفيلسوف الذي يعتقد أنه مترجم عن أصل **عربي مفقود**[2]. ويذهب في هذا الإتجاه أيضاً عالم يهودي من رجال القرن الثامن عشر يُعرف ب(**ابن آزار Benzra**)، وممن سبقوه إلى القول بالأصولية العربية لسفر أيوب باحث يُدعى (**مونتحجري**). [3]

فياترى هل تصدى أحد من الباحثين العرب واليمنيين منهم على وجه التحديد لهذه المقولة : التي تمكن فيها أصحابها من كشف الإقليم الذي تتجسد في(سفر أيوب) بيئته وأحواله.... وحددوا تخوم هذا الإقليم في الجزيرة العربية بشكل عام وجنوبها وبالذات على وجه التحديد ؟

لا أظن أن أحداً من اليمانية المعنيين بالإجابة على هذا السؤال قد قام بهذا الدور، فليس بوسع أحدهم أن يجشم نفسه الصعاب بحثاً في الأصقاع التوراتية عن مثوى نبي الله (أيوب).... في الوقت الذي يفقه فيه حتى أحدهم ثقافة وأعشاهم رؤية أن الهدف الرئيس للرحلة العربية... التي وجهها ملك الدنمارك (فريدريك الخامس) إلى اليمن في نهاية الربع الثالث من القرن الثامن عشر، وحشد لها نخبة من ألمع العلماء حينها وفي حقول علمية عديدة منها : الدراسات اللهجية واللغوية، والجغرافيا، وعلم النبات.....إلخ. يعرف الجميع أن هدفها الرئيسي هو اكتشاف البيئة التوراتية والتعرف على ما تزخر به اليمن من ثروات طبيعية لا تزال (كما وصفها ميشائيلس) :

(مجهولة عندنا (أي عند الأوروبيون)، وتصل جذوره التاريخية إلى قديم الأزل. كما تختلف لهجته عن اللهجة العربية لسكان المناطق الغربية. أليس من المتوقع إذن أن تساعدنا لهجة العرب الشرقية على زيادة معرفتنا بأهم كتب العالم القديم ألا وهو الإنجيل. [4]

لقد شدد عالم اللاهوت الألماني(ميشائيلس) على الرحلة وخطط لأهدافها : **التعرف على**

الأشجار والحيوانات في البلاد العربية واختبارها ومطابقتها مع ما جاء في التوراة من أشجار وحيوانات، ودراسة جغرافية شبه الجزيرة العربية (خاصة حركة المد والجزر في البحر الأحمر) كدليل في محاولة فهم موضوع (الهروب من مصر).... ودراسة عادات العرب اليومية وملابسهم، وفن البناء لديهم. °

أما في البلاد العربية ككل فقد اجتذبت الدراسات التوراتية عدداً من الباحثين وأخص بالذكر :

i) **د/كمال الصليبي**، صاحب كتاب (التوراة جاءت من جزيرة العرب)، ولسنا في حاجة إلى التنويه بهذا الأثر الذي أثار ضجة هائلة في العالم، لتحديه للمفهوم التقليدي لجغرافية التوراة.

ii) **الأستاذ/ فرج الله صالح ديب**، صاحب كتاب (اليمن هي الأصل) وحول أطروحات كمال الصليبي، وهو كاتب يذهب أبعد من (كمال الصليبي) إذ يرى في جنوب الجزيرة العربية (اليمن) أصل كل الحضارات الشمالية السامية في بناها التحتية والفوقية وفي أصول قواها الفاعلة (من عشائر، وقبائل.....إلخ).

iii) **د/سيد القمني**. صاحب الدراسات الأسطورية والميثولوجية المتعددة وكتاب كرسه لرحلة نبي الله إبراهيم من مواطنه الأولى حتى (مصر) الجزيرة العربية (مصر الأقصى) وهي عنده اليمن... هذا وقد سمى كتابه هذا (نبي الله إبراهيم/ التاريخ المجهول).

iv) **د/ زياد منى**.... الذي دافع عن أطروحة دكتوراة في جامعة برلين ونال عن موضوعها جغرافية التوراة: مصر ولإسرائيل في جزيرة العرب الدكتوراة بدرجة امتياز جيدة.

هذه هي حالة الدراسات التوراتية بشقها العربي واسهاماته المتزايدة في علم نقد التوراة. وعلينا معشر اليمانية أن نرد هذه المناهل بلا تهيب فلدينا الكثير من الطاقات والمدد الذي يفوق ما لدى الغير، ومن هذه الظروف المساعدة لنا :

١) الشعور السائد في دوائر البحث العلمي تجاه اليمن القائل بأنها (خزان الحضارات).

٢) زخم اللهجة اليمنية وتعددها وثرائها المشجع للباحثين في مجال الدراسات اللهجية والصوتية.

٣) تأثرنا بالحياة اليومية الزاخرة بالموروث الشعبي الثري والغني بشتى صوره وألوانه، التي يصعب على الباحثين الوافدين على اليمن من خارجها الإحاطة بها مهما كانت قدراتهم ودوافعهم لدراستها.... فقد يظهر لهم بعض وجوهها وتخفى عنهم التوافه العظيمة الشأن فيها.

٤) ترفدنا الكشوف الاثرية ونقوش المساند بالكثير من المعطيات ذات الفائدة العظيمة في دراسة العهود القديمة وآثارها الميثولوجية وفي مقدمتها التوراة.

وفيما يخص نبي الله أيوب (عليه السلام) المشهور (بالصابر) وقصته المحفوظة في (سفر أيـــوب) في العهد القديم.

فإن اليمن تدخر لنا الكثير مما نتعرض له في بحثنا هذا :

- **الآثار الاسمية:**

لنبي الله أيوب آثار اسمية عديدة في اليمن يأتي في طليعتها جبلان الأول منهما يقع إلى الشمال مـــن صنعاء وهو :

❖ **جبل أيوب** : يقع هذا الجبل في بني الحارث إلى الشرق من شبام الغراس(سخيم تاريخياً) ويقـــع في ذلك الحيز إلى الجوار منه جبل ظلمة. [٦]

والثاني يقع في الضالع :

وهي بلدة تبعد عن عدن ب (٩٦ ميلاً) شمالاً. قال (الأكوع) : كانت تسمى (بلاد الأعضـــــود والأجعود) ثم صارت مركز إمارة الضالع مع بداية القرن الرابع عشر الميلادي ومن قبائلها:

الأزارق وزبيد والشاعري والأجعود وغيرهم. [٧]

ويُعرف هذا الأثر الطبيعي :

❖ جبل النبي أيوب : في الحد الجنوبي لجبل جحاف في الضالع يقع جبل أيوب يبلغ ارتفاعـــــه (٥٢٨٠ قدماً)،وفي أعلى قمة فيه يوجد مقام النبي أيوب وصهاريج أثرية. وهو لأهل حمـــادة مـــن قبائل الضالع، ويشتهر جبل أيوب بعضه (شجيرة) القبب (جمع قبة) وتحوي سماً خطيراً قاتلاً. [٨]

❖ **أرض عوص** : هكذا نتعرف على بلاد نبي الله (أيوب) في مستهل سفر أيوب :

كان رجل في أرض عوص اسمه أيوب.

وفي قصص الأنبياء (لأبن كثير) نجده يشدد على قول (ابن اسحاق) في نسب أيوب فهو :

أيوب بن موص بن رزاح بن العيص بن اسحاق بن إبراهيم. لما نص عليه قول الله تعالى :

﴿ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون ﴾.

من أن الصحيح أن الضمير عائد على إبراهيم دون نوح عليه السلام. [٩]

ترى هل لأرض عوص (بالعين والصاد المهملتين بينهما واو) بقية من أثر في منطقة الضالع؟

نعم ففي منطقة الضالع يوجد جبل إلى الجوار من جبل أيوب يُعرف ب :

❖ **جبل عواس** : بزيادة ألف بين الواو والصاد وإبدال الأخيرة بالسين المهملة.

يقع جبل (عواس = عوس = عوص) في هذا الحيز على مقربة من جبل ال(ثّد) المطل على واديـــين

هما تبن (وهو وادٍ ورد ذكره في نقوش المساند بالتلازم مع دهسم (يافع). وتبنو = تبن) وطبقين. وجبل عواس (عوص) هذا فيه قرى ووديان هي لآل أحمد أحد قبائل الضالع ومنها :

❖ **حول عويس** : (تصغير عوس = عوص)

قرية لبني عويس من آل أحمد في جبل عواس = عواص (عوص) .... ويحمل هذا الإسم ذكرى أرض عوص التي انتسب إليها نبي الله (أيوب) في التوراة... ولقبيلة الأحمدي قرى كثيرة سنتطرق لذكرهم تباعاً.

احتفظ لنا سفر أيوب في طياته بأسماء أربعة من صحابة (أيوب) أو خلانه وهم :

فلما سمع أصحاب أيوب الثلاثة بكل الشر الذي أتى عليه جاءوا كل واحد إلى مكانه. أليفاز التيماني وبلدد الشوحي وصوفر النعماتي وتواعدوا أن يأتوا ليرثوا له ويعزوه.

[ايوب٢/١١]

وأما رابعهم فيأتي ذكره في آخر السفر ويُدعى كما نص عليه في السفر :

حمي غضب أليهو بن برخئيل البوزي من عشيرة رام. على أيوب لأنه حسب نفسه أبرّ من الله. [ايوب٣٢/٢]

ويصف (ال يهو) نفسه بأنه أصغر منهم ولهذا عزف عن الحديث احتراماً واكباراً لهم أي أيوب وصحابه:

(فأجاب أل يهو بن برخئيل البوزي وقال : أنا صغير في الأيام وأنتم شيوخ لأجل ذلك خفت وخشيت أن أبدي لكم رأيي). [ايوب٣٢/٦]

ترى هل تخلفت (بتشديد اللام) اسمائهم في أرض عوص هذه وهم بلا شك أحباب أيوب (عليه السلام) وصحابه.

❖ **وادي تيم** :

وادٍ خصب ذكره (الهمداني) في أودية سرو حمير. وهو أحد أودية بلاد (الأعضود والأجعود) إذ يسقي المنحدرات الجنوبية في حالمين والمنحدرات الشرقية لجبال ردفان وشرقاً إلى بناء[١٠]. وجبل حالمين هذا يقع إلى الشرق من الضالع وجبال ردفان في الجنوب الشرقي للضالع.

ولهذا فيمكن لنا القول أن أحد أصحابه ومريديه أي :

أل يفاز أل تيماني قد خف لرؤية ما حل بنبي الله أيوب من وادي تيم فالنسبة إليه تيمي (حيث أن الألف والنون زائدان في الاسم تيمان (مثل عمران) فإن الأصل فيها تيم وعليه فصاحب النبي أيوب

(اليفاز التيماني) هو آل يفاز (يفوز) آل تيمي.

❖ **جبل أم حُشا : أم سابقة التعريف الحميرية ذكره الهمداني في الصفة في الإقليم الواقع بين بلد بني مجيد وأبين المنتهية ذات الجنوب إلى حيز عدن، فأول وادٍ منهما من تلقاء شرق وادي الرُّغّاده قوم من حمير، فجبل صرر من أرض السكاسك (فجبل ال حشا) من بلد السكاسك وقد حققه الأكوع بقوله : ال حشا : بضم الحاء المهملة ثم شين معجمة وألف مقصورة آخره. ويقال له جبل أم حُشا وهو جبل عظيم يشكل أعمال ناحية واشتهر بنسبة العسل الأبيض الناصع[11]... ففي سفح جبل أم حُشا هذا يمر وادي تبن الذي يشكل الحدود الغربية لمنطقة الضالع ويعبر (أي الضالع) من الشمال إلى الجنوب... ولا يبعد جبل ال حشا عن جبل جحاف (أشهر جبال الضالع) إذ يمر تبن بينهما وفيه قبر الولي وجيه الدين عبد الرحمن.[12]**

والنسبة إلى حُشا هي : حُشوي نحو عَصَى (عصوي) ، ولهذا السبب فإننا نجد أثر الصاحب الثاني لنبي الله أيوب المعروف :

- **(بلدد الشوحي)** في جبل ال حُشا وهكذا، بلدد الشوحي هو بلدد آل حشوي (بالقلب).
- **نعمان :**

قرية في ذلك الحيز من الضالع وهي لأحد قبائله المعروفة بالحرابي، وهي ذات أصول يافعية، وتسكن في جبل حجلان وامتداداته فيما بين جبل مشورة وجبل الند في الضالع... وجبالهم واعرة وأوديتهم خصبة ولهم قرى كثيرة غير نعمان هذه.[13]

وحيث أن الثالث من صحابة نبي الله أيوب يُعرف :

(صوفر النعماتي :

النعماتي نسبة إلى نعمات (جمع مؤنث نعم) وهو الأصل في الاسم ف صوفر النعماتي = النعماني.

- **وادي رانه (رونة) :**

وادٍ مغيول فيه جداول ماء لا تنقطع طوال السنة... يمتد عبر أرض النشفي جنوب غرب الضالع وفي أراضي الأزارق ويُسمى هنا وادي الرونة وفوق أراضي الأحمدي وتحت المضيق.١٣

وفي هذا الوادي قرى باسمه هي :

- **ال رونة السفلى.وآل رونة** : قريتان في جبل عواس(عوص) لقبيلة الأحمدي الضالعية.[14]
- **لكمة (أكمة) الرونة** : قرية في وادي الرونة (رانة) للأزارق القبيلة ذات الأصول اليافعية.[15]

وحيث أن رابع صحابة لنبي أيوب وأصغرهم يُعرف ب: **(آل يهو بن برخيل ال بوزي) من عشيرة (رام).**

فإذا تحاشينا هنا الخوض في قصة أرم ذات العماد وقبيلة عاد من العرب البائدة فـــإن (وادي ران) الضالعي هذا يذكرنا بموطن (عشيرة رام) التي نسب إليها (إليهو بن برخئيل البوزي)، مع العلم أن الأ

- **بوس (ال بوسي =البوزي)** قد تخلف اسمهم في أحد **بطون ألهان (أخو همدان) بن مالك بن زيـــد بن أوسلة بن الربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان.... حسبما ذكـــر (الهمـــداني) في الإكليل.**

وقد انقرض هذا البطن كما يبدو، حيث لم يعد يعرف اليوم كما ذكر محقق كتـــب الهمـــداني الأستاذ (محمد علي الأكوع). [١٦]

ولا تعدم في ذلك الحيز من الضالع أن نجد في اسماء الأماكن ما نطابقه مع أسماء وردت في ســـفر أيوب التوراتي فقد ذُكر في آخره :

> **وكان له(أيوب) سبعة بنين وثلاث بنات. وسمى اسم الأولى يميمه واسم الثانية قصيعة واسم الثالثة قرن هفّوك. ولم توجد نساء جميلات كبنات أيوب في كل الأرض وأعطاهن أبوهن ميراثاً بين أخوتهن.**
>
> **[ايوب٤٢/١٣-١٦]**

وقد بقي اسم الأولى من بنات أيوب في :

- **جميمة** : أحد قرى المحرابي اليافعية التي تسكن جبال حجلان والتي من قراها نَعمان الآنفة الذكر.[١٧]
- **وفي لسان العرب** :الجَميمُ النبت الكثير.... والجميمة : أل نصية إذا بلغت نصف شهر فمـــلأت الفم. واستجمت الأرض خرج نبتها. [١٨]
- **يُمّ الساحل يما** : غطاه اليم وطما عليه فغلب عليه. [١٩]

وتغطية الأرض بماء البحر أو بالعشب يحمل نفس المعنى : والإبدال بين حرف الجيم والياء كثـــير فهما من مخرج واحد كما ذكر سيبويه وابن جني :

والجيم إذا كانت بدلاً فإنما من الياء لا غير (سر الصناعة لأبن جني). [٢٠]

أما (قصيعة/ وقرن هفّوك) بنتي نبي الله أيوب فاسميهما من الأسماء العربية الشائعة لا يحتاجـــان إلى مزيد من البحث:

- **قصيعة** : معروفة .. وقد أتت بمعنى الإمتلأ ولزوم البيت:
  قصع الرجل بيته إذا لزمه و لم يبرحه. [٢١]
- **هفوك** : من التهفك : لإضطراب والإسترخاء في المشي. [٢٢]

وعليه ف: **قصيعة** : تعني الممتلئة (الخفرة من الحياء) وقرن هفّوك : الخرعوبة الهيفاء.

وهذا يكفي للدلالة على حسن الإسم والمسمى.

وبعد فبلاد نبي الله أيوب المعروفة ب عوص هي جزء من إقليم المشرق أي مشرق اليمن.

فقد نص في بداية (سفر أيوب) :

فكان (أي أيوب) هذا الرجل أعظم كل بني المشرق.

[ايوب١/٣]

وقد ظلت هذه التسمية حية عبر القرون وتوارثتها الأجيال : **ففي أواخر القرن الثاني للميلاد ظهر تحالف بقيادة حضرموت والقيل الردماني (وهب أيل يحوز بن معاهر وذو خولان وكل ولدعم وأوسان) كما كشفت لنا هذا نقوش المساند السبئية ومنها النقش الموسوم ب(جام /٦٢٩) وهو أحد نقوش محرم بلقيس.. وحيث أن هذا التحالف قد شمل :**

حضرموت وقتبان وردمان ومضحى(البيضاء) فقد عرف المؤرخون هذا التحالف بالشرقي (أو المشرقي)[٢٣] . واستمرت هذه التسمية حتى بعد الإسلام إلى فترة الدولة القاسمية في القرن **الحادي عشر للهجرة وكانت تتزعم قيادة المشرق يافع:** [٢٤]

[أنظر في كتابنا هذا التحالف المشرقي]

وحتى أقدم المصادر المكتوبة وهو العهد القديم قد جعل من سفار(سفرم) جبل المشرق في ذكره لمواطن بني يقطان (قحطان).

[أنظر سفر التكوين — الإصحاح العاشر نص ٢٠]

ونتعرف في الإصحاح الأول من سفر أيوب على الكيفية التي تواردت فيها النكبات والأرزاء على عبده المؤمن أيوب فأتت على ماله وولده بتدبير من الشيطان الذي أراد أن يفسد على نبي الله أيوب إيمانه فيدفعه تحت هول النوازل الجسام التي ذهبت بالمال والولد إلى حافة النكوص عن العقيدة والتجديف على الله فيثبت بذلك الشيطان لله أن:

[أنظر سفار اليافعيه في المدخل]

- استقامة أيوب وكماله وبعده عن الشر ليست منه بلا مقابل فقد أجاب الشيطان على الله مشككاً في إيمان عبده أيوب بالقول :
- **هل مجاناً يتقي أيوب الله. [ايوب١/٩]**

وإذ يمتحن الله عبده الصالح أيوب بإطلاق يد الشيطان عليه، فيسلط الشيطان على نبي الله قوتين بشريتين هما :

فقد أتى الصائح على أيوب ذات يوم ينعي عليه فقدان بعض ماله وقال :

البقر كانت تحرث والأتن ترعى بجانبها فسقط عليها السبئيون
وأخذوها وضربوا الغلمان بحد السيف ونجوت وحدي لأخبرك.

[أيوب ١٥/١]

وجاء آخر يقول :

الكلدانيون عينوا ثلاث فرق فهجموا على الجمال وأخذوها وضربوا
الغلمان بحد السيف ونجوت وحدي لأخبرك.

[أيوب ١٧/١]

ويرسل **الشيطان على أغنام (النبي أيوب) ورعاته النار** و لم ينجو إلاّ من بلغه النبأ. و لم يرحـــم الشيطان أبناء وبنات نبي الله **أيوب فقد هدّ السقف بيت أخيهم الأكبر على رؤوســهم وأهلكتــهم الريح تحت الأنقاض ولم يبق إلّ واحد من الغلمان وهو الذي نعى لنبيه أيوب (فقدان الأبناء) بعـــد (ضياع المال).**

فمنهم السبئيون الذين تولوا إتلاف بعض ماله؟!

ومنهم الكلدان الذين محقوا الشق الآخر من ماله؟!

I) **السبئيون** : أقدم ذكر لهم ورد في التوراة من أبناء يقطان(قحطان) بن عابر بن سام :

ويقطان ولد الموداد وشالف وحضرموت ويارح وهدورام وأوزال ودقلة وعوبـــال وأبيمـــايل (وشبا) وأوفير وحويله ويوباب. [تكوين ١٠/٢٦-٣١]

ويرى الإخباريون العرب في شبا(سبأ) أباً لكهلان وحمير. ونحن اليوم لم تعد حل أعتمادنا علــى هذه المصادر أو على مصادر التاريخ الكلاسيكية اليونانية والرومانية،فقد تزايدت الكشوف الآثاريــة في اليمن.

حيث أسفرت التنقيبات التي قام قسم الآثار في جامعة صنعاء بها منذ مطلع التسعينات وحتى اليوم في مناطق عديدة منها :

- **بدبدة.**
- **حضور همدان.**

إلى الشمال الغربي من صنعاء في حواز جبل النبي شعيب، أدت هـــذه التنقيبـــات إلى اكتشـــاف **العديد من المستوطنات الحضرية العائدة إلى ثقافة الألف الرابع والثالث قبل الميلاد، حيث كـــانت**

تعتمد على الزراعة بناءً على ما تم اكتشافه من المحصولات الزراعية العائدة إلى تلك الفترة في مستوطنة (يناعم) في منطقة خولان المجاورة لمنطقة بدبدة. [٢٥]

أما نقوش المساند التي عثرت عليها البعثة الأثرية الإيطالية بقيادة البروفيسور **(اليسندر دي مجريت)** في منطقة يلا التي تقع في بني طبيان من أراضي خولان الطيال (العالية) الواقعة إلى الشرق من صنعاء، وعلى بعد خمسة وثلاثين كيلومتراً من حاضرة سبأ الرئيسة (مأرب).. هذه النقوش المكرسة للصيد والطرائد تعود إلى الفترة المعروفة :

الفترة الأولى للدولة السبئية في عهد حكامها المكربين، حيث ذكرت نقوش (يلا) هذه اثنين منهم هما:

(كرب أيل وتر) مكرب سبأ بن ذمار علي(ذرنح؟) وهو في نظر (الأستاذ مطهر الإرياني) **من مكربين** : (الأسرة الأولى). **ويثع امر بين مكرب سبأ بن سمه علي(ينوف)** ويضعه في مكربين (الأسرة الثانية). [٢٦]

هذه الكشوف الآثارية للمستوطنات السبئية الموغلة في القدم تجعلنا نرجح القول بأن من أغاروا ونهبوا بعض أملاك نبي الله أيوب الصابر لم يكونوا سوى بعض القبائل السبئية الساكنة إلى الشمال من أرض عوص(الضالع).

II) الكلدانيون :

قبيلة كبيرة من(سرو حمير/يافع)، تقطن اليوم في الجنوب الغربي من يافع بني قاسد وتُعرف بهذا الاسم : كلد ، وقد ذكرها (الهمداني) **في الإكليل كأحد بطون حمير**[٢٧] الساكنين في (سرو حمير/يافع) وهم في الأساس أحد القبائل القاسدية اليافعية العريقة.. وما الكلدان الذين أرسلوا قواعد دولتهم في جنوب العراق إلاّ بعض من كلد هذه التي ضعنت من مواطنها هذه شمالاً، ضمن موجات من هجرة عرب الجنوب نحو بلاد الرافدين في الألف الثالث والأول قبلالميلاد. **فقد نزحت (كلد) البطن الحميري القاسدي (قسديم توراتياً) وعناق (عنقيم توراتياً) أعظم تفرعات عماليق حمير ابن السميدع بن الصوار.. من (سرو حمير/يافع) الذين ضعنوا إلى (مكة) اقتفاء لحلفائهم بني (كركو).. ومنها إلى الشام فتملكوا بها. فكانوا يغيرون على بني إسرائيل، فخرج لهم يوشع بن نون فحاربهم بعد موسى عليه السلام..** [٢٨]

وقد اشتهر من الكلديين نبوخذ نصر(بخت نصر عربياً) الذي ظهر سنة ٦٠٤-٥٦١ قبل الميلاد.... وأغار بحملاته على مصر وفتح أورشليم بيت المقدس وأحرقها وأجلى أهلها إلى بابل. [٢٩]

(أنظر تفصيلات هذا الموضوع في كتابنا هذا أي في الفصل السادس).

ثم ماذا أبقت لنا الأيام من ذكرى هذا النبي العظيم في صبره واستسلامه لمشيئة الخالق. في ذاكرة الأجيال أو ما يطلق عليها عند أهل الاختصاص قناة التحدار. التي تنساب عبرهـا أحداث الدهر فتترسب في حواشيها بعض من آثارها ونفحات من ريحها. ولهذا فقناة التحدار هي بالنسبة لنا مصدر يأتي على نفس المستوى من الأهمية بالنسبة إلى الآثار الإسمية وبقية التفرعات ما يعرف بالآثار الحية التي لا تقل في أهميتها عن اللقى الأثرية والنقشية القديمة.

II) لا أظن أن أحداً في اليمن ممن ولد مثلي في مستهل سنينات القرن الحالي لم تفتـح ذاكرته وتنهش قلبه آثار الفاجعة التي حاقت ببيت أيوب الصابر فهذه الملحمة التي كانت الجدات يُحسنّ سرد أحداثها على مسامع الصغار في ليالي الشتاء، فتخفق لها القلوب الغضة وتبتل لها الأهداب وكأنها من أحداث الأمس القريب. وإلى جانب هذه الحميمية المتواترة المرافقة لقصة (أيوب) عبر العصور، الأمر الذي يؤكد يمانيته، تقف شواهد أخرى تعطينا مزيداً من الأدلة التي تؤكد ما ذهب إليه بعض الباحثين في نقد التوراة من أن بركة (لالعنة) الروح اليمانية ما زالت تنفخ في جسد السفر الأيوبي نسمة الحياة، ولعل في أسطرنا هذه لَجُبٌ من عطاس الطلق الواعد برؤية جديدة لأحداث التاريخ وتجلياته التي ما أنفكت تثير مواطن الرغبة للمعرفة فينا نحو تأسيس معرفي صادق للماضي وأحداثه وبعبارة أدق: **(إعادة عقلنة التاريخ)**. وإذا كانت لأيوب ذكرى يحرص اللبنانيون، على إحيائها :

على شاطئ الرملة البيضاء في بيروت، في يوم أربعاء من شهر نيسان والذي من طقوسه الإستحمام لغفر الذنوب. [٣٠]

فإنّ في بلاد اليمن وبلاد العرب قاطبة مازال الناس يحيون ذكرى خلاص نبي الله أيوب وشفائه في يوم : **أول خميس من رجب :**

حيث مابرح الناس في (سرو حمير/يافع) يذبحون فيه الأضاحي اكراماً لأسرهم ويلبسون الجديد من اللباس، بعد الإغتسال الواجب والذي كنا نردد فيه دعاءاً (مسجوع) وهو :

واكرامة خميس أول رجب

نجني من الحصبة والجعر والجرب

- الواو والألف في أول البيت للنداء، بمعنى ياء المنادى.
- **الكرامة :** هكذا يسمون هذا اليوم (بكرامة خميس أول رجب) لأن الله في هذا اليوم أظهر كرامة نبيه وحظوته عنده إذ ازال عنه هذا البلاء الكبير. كما يقولون أيضاً ليوم عرفة- كرامة- لأن الله

أكرم أبوينا (آدم وحواء) بالإلتقاء والصفح عنهما بعد الخطيئة.

الحصبة والجرب : مرضان جلديان معروفان.

والجعر : مرض جلدي أيضاً يترك ندباً على جلد الإنسان المصاب.

وفي لسان العرب :

الجُعرة : الأثر الذي يكون في وسط الرجل من الجعار : وهو الحبل الذي يشده المستقي وسطه إذا نزل البئر لئلا يقع. [٣١]

وأرى أن الإختلاف بين اليمنيين واللبنانيين في إحياء ذكرى)نبي الله أيوب) يعود لعهد بعيد يرجع إلى ما بعد الإسلام مباشرة فقبلها **كان شهر رجب الأصم معظماً عند العرب ولهذا فقد سموه برجب لتعظيمهم إياه في الجاهلية عن القتال فيه، ولا يستحلون القتال فيه.**

وقد كان يؤخر من شهر إلى شهر، فيتحول عن موضعه الذي يختص به.... تقول : هذا رجب ، فإذا ضموا له شعبان، قالوا : رجبان.

وفي الحديث : رجب مضر الذي بين جمادي وشعبان، تأكيداً للبيان وايضاحاً له. [٣٢]

ولهذا السبب إختار اللبنانيون التحول للتقويم الميلادي القائم على ذروة النظام الشمسي وتعاقب الفصول الأربعة.

وأبقى اليمنيون الإحتفاء بذكرى أيوب في (رجب مضر) : الذي بين جمادي وشعبان كما نص عليه الحديث الشريف.

وفي نهاية السفر(سفر ايوب) نجد وصفاً في الإصحاحين أل(٤٠/٤١) لوحش بري :

فهو بهيموت.... ويأكل العشب مثل البقرة .... والجبال تخرج له مرعى.... وتحت السدرات يضطجع في ستر القصب والغمقة. [ايوب٤٤/١٥-٢١]

هذا البهيموت(بهيمة) في وصوفه هذه لا يختلف عن أي ثور (بقرة) يرعى في الجبال ويربض، تحت **السدرات** : وهي العلوب، في اليمن حيث يعمد المزارعون في المناطق التي تكثر فيها العلوب ومنها (الضالع) إلى عمل تعاريش من قصب الذرة بين أشجان وتفرعات اشجار العلب. فتستظل تحتها الأنعام ومنها الإبل والبقر والأغنام من حر الهاجرة(الشمس) وبلل المطر... وما زلات الأبقار في مناطق اليمن الجبلية تشاهد اليوم وهي ترعى طليقة في المراعي.

أما الضالع : وهي هنا البيئة التي عاش فيها نبي الله أيوب : **فهي كثيرة الأشجار في اغلب أودية الضالع خصوصا في وادي حردبة ووادي قعطبة ووادي الحازة ووادي الأزرقي وستعملها الأهالي**

حطبا. وتوجد بكثرة أشجار العلب (السدر) : الذي يخرج الثمر المعروف (بالدوم) أمـــا أغصانهـــا فتقطع لتأكلها الغنم والجمال و ليصنع منها حواجز البساتين... وإلى شمال مدينة الضالع يقع في بلاد أم شراف إلى الشرق من جبل جحاف واد يعرف : **بوادي العلوب (أي وادي السدرات).** [٣٣]

ونتعرف في مستهل (الإصحاح الحادي والأربعين) على اسم هذا البهيمـــة : **أتصطـــاد لوياثـــان بشص أو تضغط لسانه بحبل....** [أيوب١/٤١]

والملاحظ في هذا النص أننا أمام أحد النصوص التوراتية المحرفة، فالثور الوحشي ذات البيئة الجبليـة : وهي بالفعل البيئة التي عاش فيها النبي الصابر.... هذا الثور أصبح فجأة حوتا بحريا لا يصاد بشـــص ونظن أن مصدر هذا الخلط عائد إلى :

- **لوياثان :** يعرف باللغات الأجنبية ب(**Leviathan**) حيوان بحري أسطوري ضخم، وهو رمـز للمياة المتمردة التي يحاربها (يهوه) إلى جانب قوى الشر الأخرى. والاسم مأخوذ مـــن أســـاطير الكنعانيين في أوغاريت (رأس شمرا). [٣٤]
- **لوياثان أيوب :** هو ثور بري كما لاحظنا ومن مفردات الثور من البقرة :
- **اللأي ، والألثي :** لآه مثل فتاة والفتى .

وقال الطرماح :

كظهر اللأى لو يبتغي رية بها هارا لعنت في بطون الشواجن[٣٥]

وهذا التحريف يعود في الأصل لمحرر السفر الذي أشكل عليه (لأي أيوب) ولوياث/ان (حيـــوان الأساطير الكنعانية الخرافي) فإذا اعتبرنا الألف والنون زائدين في (لوياثان). هذا إلى جانب مـــا يجمـــع بينهما من مزايا خارقة أخرى.

- **المزايا الخارقة للوياثان أيوب :**

نقرأ في نهاية (سفر أيوب) امارات خارقة ل :

بهيموت (بهمت = بهيمة)، وهو لوياثان (لأي) ومنها إذا تجنبنان مزاياه الجسدية المحضة كقوة متنـه وشده عضل بطنه وحلافة عنقه.....إلخ. وهي أمور نعرفها في (الثور) التي تدعونا الحكمـــة الشـــعبية تجنب مواجهته بخلاف الكلب :

الثار (الثور) فر منه.

والكلب أحتشه له.

لاحظ : الألف المبدلة من الواو في (سرو حمير /يافع) تنطق مفخمة وهي : الألف التي مالت نحـــو

الواو، كما حددها ابن جني في سر الصناعة ج١/ ص٥٦ . [٣٦]

وأحتشه : أحتش : فعل أمر بمعنى وأجه (واجه = تصد) وقيل : **حتش القوم وتحترشوا إذا احتشدوا.** [٣٧]

أما مزايا هذا الحيوان البري الخارق فهي :

عطاسه يبعث نوراً وعيناه كهدب الصبح. من فيه تخرج مصابيح شرار
النار تتطاير منه. من منخريه يخرج دخان كأنه من قدر منفوخ أو من مرجل.
نفسه يشعل جمراً ولهيب يخرج من فيه.... يحسب الحديد كالتبن.... لا يستفزه
نبل القوس حجارة المقلاع ترجع عنه كالقش يحسب المقمعة كقش.
[أيوب٤١/١٨-٢٩]

ترى هذا الثور المشبوب بالغضب الالهي المتوقد. هل بالإمكان للإنسان أن يؤنسه ويدجنه ثم يضع النير على كاهله فتخضل الأرض تحت ظلفه نباتاً مختلف ألوانه..... يجيب (الإصحاح الحادي والأربعون من سفر ايوب) بالنفي :

اتضع أسله في خطمه أم تثقب فكه بخزامة. .... هل يقطع معك عهدا فتتخذه عبدا مؤبدا.
[أيوب٤١/٢-٤]

لقد أشرنا في بداية هذا المبحث إلى أن اليمنيين قد انتقلوا إلى طور الزراعة وتنمية المحاصيل الزراعية إلى فترة قد تكون سابقة على (الألف الرابع قبل الميلاد) بقرون كثيرة خاصة إذا ما **أخذنا بقول قدماء المصريين في العصر المتأخر لبعض الرحالة اليونانيين الوافدين علموا المصريين الحضارة واخضعوا البلاد لسلطانهم.** [٣٨] ومن ملامح هذه الحضارة تطور الثقافة الزراعية في اليمن من خلال بناء قنوات تصاريف المياه الري، وبناء السدود واستخدام الحيوانات في حراثة الأرض....إلخ. وقدحفظت لنا كتب المعاجم العربية أن **الحزومة : البقرة في لغة بعض أهل اليمن والجميع الخزائم.** [٣٩]

وفي هذا دليل أن شعب نبي الله أيوب (وهم اليمنيون هنا) كانوا يضعون الخزائم في مذاود البقر ولهذا تدعى خزائم.

ثم ماذا بعد هل خانت ذاكرة الأجيال القدرة على اختزان ذرات من آثار رتكات لأي أيوب(لوياثان أيوب توراتيا) عبر الدهور؟.... لا فمن الحكايات الشائعة في (سرو حمير) وما جاورها أن الناس يصادفون من حين إلى آخر في الليل وعلى وجه الدقة في ساعات متأخرة من الليل ثورا وحشيا له وثبات وعديات تثير الأرض سحابة بعده، ويعرف باسم(**تبيع الليل**) وأن له عينان متقدمتان

كالجمر وينفث شرارا من منخريه ومن الحكايات الشائعة في منطقة كاتب الأسطر والمتعلقة (بتبيع الليل) ما نصه في لهجة الذارحن من يافع :

قالوا : ماذه وحده من قرية الشرفة هده بالليل، جعله أنه قهو صبح، وعادة ليل ياليلوه... وتطلع لا رأس الجبا، وانذا شهر يلقط البقشة. وتسمع حفيزونفيت. ماذه وتخايل لا نحو الماجل، وتبصر (ثار) عند (الحاض) بيخايل أيشرب قاله:

وبي ولك وذا تبيعنا أقونه قدق لعمره وخرج لا عند الماجل بيدور ماء أيشرب... أقونة ضمئان.... أسير إ-أرف له ماء.

ما هي وتشل الا أرب وتطلق العتبة وتجري لا على الماجل.ما هي وصله و(التبيع) فز بيفرس نحو الحج. قاله: وزيد عليه معايرجع لا ق ملئك له(الحاض) ..... ما هي وتملئ (الحاض) وتجس بتعينه.. هزه الا وقهو راجع بيطير مع العجاج... ما هي لقسها قلبها(يام) عاده ليل وما بع شي شمعه الاذان. ما هو وصل حمل لاعل(الحاض) قاله: ياسين عليك واحنيش ويش ذا الحفيز كله، عادها ما بع كملة كلمتها.... ما هي قطرة عيونه حمر قل جمر لكن جعله من العكيش. أيش أتخايل الا وذا ق زرد الماء كله ذي (بالحاض)، وهو ما قط كمله حتى ولا قهو ضمئان أيموت من الضماء .... عا كانه مده رحلها أتزل للماجل أتزيد أ تترف له أرب الا وذا نفت ويصفي الدنيا شرار... وأنذا بيتنافت شرار لكن ق رصه لا قبه الماجل ت قهي ماهرة... وهو جلس على ماجل هزه بيزفر نخصه نار ياساتر وانذا أقفي بيهبع نحو نقد الجرو.... ما هي كرها خرجه بتهذف نفسها هذاف.... عادها وصله أتخطى مردم العتبة.... الا' و قهو عل الماجل وكرها علجة العتبة.... وبعد زحفه من الهريجة ذي وقعة لها وكرها سلمه وبعدما فدوا عليها أهل بيتها بجنيش التبيع حققهم.

قالوا : ما هذه واحدة من قرية الشرفة هدت(حدت) بالليل، جعلت أن قده صبحا، وعاده ليلا (وياليلاه) ... وطلعت إلى رأس الجبا، وأن هذا إلا شهرا(قمرا) يلقط البقشة. وسمعت حفيزا ونفيثا. أما هذه فتخايلت إلى نحو الماجل، وأبصرت ثارا(ثورا) عند الحاض(الحوض) بيخايل أء يشرب(ليشرب)

قالت : وآبي ولك! : وهذ تبيعنا، أقونه (أقول أنه) قد دق لعمره وخرج إلى عند الماجل بيدور ماءا أيشرب (ليشرب) .... أقونه (أقول أنه) ضمئآن : آسير (قال أسير) أأرف (لأغرف) له ماءا.

أما هي ف شلت أل أرب (الغرب مؤنثة غربه) و(ثم) أطلقت العتبة و(ف) جرت إلى على (فوق) الماجل.... أما هي فقد وصلت و التبيع فز بيفرس(ليفرس) نحو (الحج) .... قالت : وزيد عليه معا(مدأن) يرجع الا وقد ملئك(ملئت) له الحاض(الحوض) .... أما هي فملئت الحاض (الحوض) ثم (تجس/تجلس) جلست بتعينه (لتعينه) .... هزة الا وقد هو راجع بيطير(يطير) مع العجاج .... أما

هي فلقسها قلبها يام(يوم)عاده ليلا (ومابع شي) وما سمعت الأذان. أما هو (فقد) وصل حميلا :

(متحاملا) (إلى) على الحاض (الحوض)، فقالت : ياسين عليك ياحنيش إيش (ما) هذا الحفـــنيز كله عادها مابع (ما) اكملت كلمتها... ما هي قد أبصرت عيونه(عينيه) حمراوين قل (مثل) الجمـــر، لكن جعلت(ظنت) من العكيش- إيش (أي شئ) تخايل (ترى) الا وهذا قد زرد المـــاء كلـه الـــذي بالحاض (بالحوض) وهو ما قط أكمله حتى ولا (لو) قد هو ضمئان أيموت (يكاد) من الظلما... عـــا كانه(عادها كانت) مدت رحلها لتنزل إلى الماحل، فتزيد ألتأرف (لتغرف) له غربا(غربـــه) الا وهـــذا نفت (نفث) ليصفي الدنيا شرارا . وأن هذا يتنافت شرارا... لكنها قد رصـــت (قفـــزت) إلى قبـــه الماحل، فقد هي ماهرة... وهو جلس (أما هو فقد جلس) على الماحل هزة يزفـــر نخصـــه (نفســـه) نارا.... يا سائر ! وان هذا أقفى(قفل) ليهبع نحو (نقد الجرو) ما هي (أما هـــي) فكرهـــا خرجـــت لتهذف (لتحذف) نفسها هذاف (حذافا/حذفا) ,... وعادها وصلت لتخطي مردم العتبة الا وقد هـــو على الماحل وكرها علجت العتبة.... وبعدها زحفت من الهريجة الذي وقعت لهـــا وكرهـــا ســـلمت وبعدما فدوا عليها أهل بيتها بحنيش التبيع حقهم (تبيعهم) !

معاني بعض المفردات:

زحفت	مرضت
الهريجة	الرعب
العجاج	الغبار المتطاير من الريح أو تحت أقدام الخيل
علجت	أغلقت بالمزلاج (المعلج) : وتد خشبي يثبت أفقيا خلـــف العتبـــة مـــن الداخل فلا تنفتح إلا إذا أبعد.
هذت/حذت	صرفت نفسها عن النوم (والهاء مبدلة من الحاء)
جعلت	ظنت وحسبت هكذا تعني في اللهجة اليافعية.
الجبا	سطح البيت رأسه، سقفه
الألف في (ثار/وحاض)	مفخمة تميل نحو الواو وهي مبدلة من الواو. والألف تبدل مـــن الغـــين المعجمة في : غرب(أرب) أنم(غنم) يأرف : يغرف .....إلخ.
الباء	في بيخيـــل وبيشـــرب وبيطـــير....إلخ. بـــاء المضارعـــة وردت في النقوش(القتبانية) ومازالت باقية في لهجة يافع.
يخايل	يشاهد/ يرى/ ينظر.
شلت	أخذت

أطلقت	فتحت فردتي العتبة : باب البيت الرئيسي
دق لعمرة	فتح الحاجز لنفسه ولأن الحاجز من أحجار يقولون دقه بمعنى هده
يدور	يبحث
يفرس	فعل مضارع من فرس(أنثى الحصان)
هزة	برهة
هبع	وحفز وقفز وفرس وطار كلها أفعال تفيد الجري وكذلك عكش وحذف ويفيد بأقصى السرعة.
مردم العتبة	حاجز خشبي أو حجر يرتفع بين أسفل قائمي العتبة، يفصل بين داخل البيت وخارجه وهو بإرتفاع نصف قدم من الأرض.
الحج ونقد الجرو	موضعان في جبل الذراحن.
زرد الماء	شربه بسرعة
قبة الماجل	أعمق نقطة في سد الماء
يلقط البقشة	من جلاء نوره أي القمر(البدر) يمكن أن ترى فيه البقشه: درهم صغير عملة فضية قديمة
حنيش	تصغير حنش وهو هنا اسم التبيع

عبارات غريبة:

يابي ولك	وأبي ولك تنطق للاستغراب والأسف : يا لإهمالي ويا لشقاوتك(تقريبا).
وزيد عليه	لابأس عليه
ياسين عليك	لابأس عليك (وسين أحد آلهة اليمن القديم)
التبيع	الفحل من البقر يسمى تبيعا حين يستكمل الحول.... وإذا استكمل حولين فهو جذع. [٤٠]

هذه الآثار التي استعرضناها في بحثنا تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن (سفر أيوب) وصاحبه (عليه السلام) من اليمن ومن (سرو حمير) وفيه ومن (الضالع) على وجه التحديد.

١

٢

٣

الفصل الثامن

أهل الكهف من صلحاء سرو حمير - يافع

* دحض كهف الرجيب في الأردن.

* استبعاد كهف صبر في تعز.

* اثبات كهف ال/سبعة في

جبل سنم ال/سعدي من يافع بني قاصد.

مصدرنا في التعرف على (أهل الكهف) وهم الذين كانت قصتهم بمثابة أحجية أراد بها بعض أحبار اليهود ذات الأصول اليمنية الوقوف على حقيقة نبوة سيدنا محمد(صلى الله عليه وســـــلم)، فنزلت في هذا الشأن إحدى سور القرآن المعروفة بسورة الكهف.... ولهذا السبب (فمصدرنـــــا) الوحيد هو القرآن الكريم وما كتبه المفسرون الأوائل في شأنهم وما اختلفوا فيه في أمور كثيرة نحو : عددهم وبلدهم وحالهم وهيئتهم واسمائهم....إلخ.

وعن التباين هذا نصت الآية الكريمة:

﴿سيقولون ثلاثةٌ رابعهم كلبهم ويقولون خمسةٌ سادسهم كلبهم رجماً بالغيب، ويقولون ســـبعةٌ وثامنهم كلبهم،قلْ ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلاّ قليل. فلا تمار فيهم إلاّ مِراءً ظاهراً ولا تســـتفت فيهم منهم أحدا﴾. الكهف الآية ٢٢

- **اختلاف الإخباريين فيه :**

بيّن لنا (ابن كثير) [1] في تفسيره مسألة مهمة وهي عدم اتفاق أوائل المفسرين والإخبـــاريين عـــن الكهف وموضعه محاولة منهم لتفسير الآية:

﴿أم حسبت أنّ أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ﴾.

ونجمل أهم تخريجاتهم في التالي :

- اسم الجبل الذي فيه الكهف هو :

بنجلوس :*في قول ابن اسحاق. I

***في قول بن جريح. II**

- **اسم الكهف :**

حيزم في II

- **الرقيم :**

١. وادٍ قريب من أيلة/ العوفي + قتادة III

٢. كتاب بنيانهم (مجاهد).

٣. القرية / ابن عباس عن كعب (قول عبد الرزاق).

هذه أهم الأقوال في الكهف والرقيم .... ونستشف من هذه التخريجات أنّ الأوائل قد اجتـــهدوا

ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً وفي إطار قوله تعالى مرشداً نبيه الأمين :

﴿.... فلاتمار فيهم إلاّ مراءً ظاهراً﴾ أي سهلاً هيناً، فإنّ الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة. [٢]

وحيث أن الشيء بالشيء يذكر. الأمر الذي نلمحه وراء قول العوفي عن ابن عباس أن (الرقيم وادٍ قريب من أيله) / ابن كثير /٧٩/.

فما أغراهم بهذا القول هو أن (أيلة) وكل بلاد البلقاء جنوب الأردن(حالياً) هي في واقع الحال بلاد أقل ما يقال عنها أنها كثيرة الكهوف، فالأقوام الذين سكنوها كانوا ينحتون بيوتهم وقبورهم في جبالها وتبقى(البتراء) أكبر الشواهد على ذلك.فكثرة البيوت(الكهفية) لا غير هو ما جعل العوفي وقتادة يذهبون هذا المذهب ويسندونه لحبر الأمة(ابن عباس) القائل في رواية عبد الرزاق :

" **القران اعلمة الا حنانا والاواه والرقيم**"

وفي رواية ابن جريج قال ابن العباس :

ما أدري ما الرقيم كتاب أم بنيان؟. [٣]

ونحن نرى أن عدم اليقين فيما عرضنا له من التخريجات يرجع في المقام الأول إلى وجود (الكهف) في منطقة نائية انقطعت عنها السبل وكلت دونها أقدام الرحالة والعلماء عبر العصور وأنتصبت موانع عديدة أرجت كشف موضع (الكهف) فيها كل هذه القرون الطوال،وسنعرض لبعض هذه الموانع والعوائق لاحقاً. وقد ارتجت البركة الراكدة المحيطة (بالكهف) في أواخر ١٩٦٣م إذ هوت فيها هذه المرة حجر من معاول الحفريات الأثرية الحديثة في (الأردن) الشقيقة بقيادة اختصاصي الآثار(**رفيق وفاء الدجاني**) الذي عرض قصة الإكتشاف في كتاب له بعنوان : (اكتشاف كهف أهل الكهف).

أما الكهف الذي خص بهذه الحفريات فيُعرف (بكهف الرحيب)، والرحيب هذه منطقة على مسيرة حوالي (١٣كم) جنوب شرقي عمّان في خربة السوق تسمى (الجويفر)..... وهو في ربوة منحوت في الصخر وعلى مدخله لوحة كتب عليها (كهف أهل الكهف قبور بيزنطة).

وتعرض اليوم في جدار فجوته الخلفي اللقى الأثرية التي عثر عليها فيه منها :

- الفك العلوي لكلب أهل الكهف.
- قطع نقد رومانية.
- جدران الكهف مليئة بالخطوط والنقوش الثمودية واليونانية القديمة والكوفية.

• في ساحة الكهف نحتت في الصخر ثمانية قبور. أما قبر الكلب ففي (الوصيد) أي عتبة الكهف.

• في باحة الكهف كانت صومعة مسيحية حوّل المسلمون جدرانها في عهد عبد الملك بن مروان إلى مسجد تماماً دون تغيير سوى إضافة المحراب إليها.

• علامات الصليب ما زالت واضحة على الحجارة وكذلك على الحجارة التي كانت تغطي المدفن.[٤]

ليس فيما لدي من أبحاث (تدحض) هذا الإكتشاف غير أني لا أجد مناصاً من طرح هذه الاعتراضات على كهف الأردن وهي :

١. **أن اللقى الأثرية التي وجدت في الكهف** : المسكوكات الرومانية وبقايا الأواني الفخارية والخطوط النقشية المختلفة تشير بلاشك إلى الهويات والجنسيات المختلفة للناس الذين اتخذوا من (كهف الرجيب) بيتاً يأويهم ... ومن غير المستبعد أنّ مثل هذا الكهف المطروق بهذه الكثافة- إن كان له علاقة ما (بأصحاب الكهف)- أن لا ينكشف سره ولا يذاع خبره لبعض ممن سكنوه وللناس كافة خاصة وباحته تحن في صخورها رفات الفتية المؤمنين ومزدانة أغطيتها بالصلبان....إلخ. فكيف طوي خبره كل هذه القرون الخوالي حتى أتى(الدجاني) في أواخر ١٩٦٣م ليذيع أمره؟!

٢. إذا كان المسلمون قد بنوا هنالك المسجد وأعادوا ترميم(الفجوة) في عهد الأمويين وبنوها بشكل أقواس إسلامية- بعد إذ كانت جدرانها من الحجارة- وشكلوا مكان سقوط أشعة الشمس[٥]... نقول إذا كانوا قد فعلوا هذا (وهم يدركون) أنهم في (كهف الفتية)...... فكيف غاب هذا عن ذهن **شيخ المفسرين(ابن كثير) الدمشقي؟!** الذي لم يشر إلى هذا في تفسيره.... كما غاب هذا الأمر عن بال شيخ دمشقي آخر يعرف بقوة ملاحظته واهتمامه في أمور أقل أهمية بكثير من خبر (أهل الكهف) ونعني به (**ابن المجاور/صاحب تاريخ المستبصر**). خاصة وقد عرض في كتابه هذا أنّ (كهف أهل الكهف) في (**جبل صبر من أعمال الجند باليمن**)[٦] ولم يوّه بوجود الكهف بأي بقعة في بلاد الشام لا (كهف الرجيب) ولا حتى أكثر الكهوف احتمالاً التي نسب إليها أهل الكهف وأهمها:

• **طوروس.**

• **افسوس.**

اللذان قام الأستاذ (الدجاني) بدراستهما فاستبعدها **لأنها ذات فتحات لا تتفق في (سقوط الشمس) على ما جاء في الآيات الكريمة.**[٧] وبعد احفاء البحث عثر (الدجاني) على ظالته في (كهف الرجيب) **الواقع في منطقة جبلية في الاردن(كثيرة الكهوف)**[٨] – التقويس هنا لنا.

٣. لعمر الله أن كثرة الكهوف(تفسد) على الباحث الحصيف أكثر مما تفيده.. فمن البديهي بل

ومن اليسير على منطقة ذات كهوف(بالعشرات) أن تتفضل بكهف يحمل مواصفات (كهف الفتيـــة) من حيث شروع بوابته نحو الجنوب(أو الجنوبي الغربي[بالتحديد] حسب تعبير الدحاني). **وكما تتشـابه البقر فإن الكهوف تتشابه أيضاً!**

٤. أما القول بأن أصحاب الكهف كانوا (مسيحيين) أي من أتباع عيسى(عليه السلام) كما ورد لدى (ابن اسحاق) في (عرائس المجالس) فأمر قد اعترض عليه شيخ المفسرين(ابن كثير) بما أورده ابـــن اسحاق نفسه :

(ذكر محمد بن اسحاق سبب نزول هذه السورة الكريمة فقال حدثني شيخ من اهل مصـــر قـــدم علينا منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس قال : **بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبـــة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة.... ليستفتوهم في أمر النبي (صلى الله عليه وســـلم) فقـــالوا (الأحبار) : سلوه عن ثلاث... فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإلاّ فرجل متقول... : سلوه عـــن فتية ذهبوا في الدهر الأول....** [٩]

والظاهر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية فأنهم لو كانوا على دين النصرانية لمــــا أعتـــنى أحبار اليهود بحفظ خبرهم لمباينتهم لهم.....فدل هذا أنه محفوظ في كتبهم قبل النصرانية.٩

هذا من ناحية (ونزيد) أنه فيما نعلم ليس (لأصحاب الكهف) أي ذكر لدى المسيحيين في (العهد الجديد) ولا في الآثار الكتابية والأدبية للمسيحية ولا في الثقافة اليونانية والرومانية القديمة. مما ينفـــي أي علاقة لهم بالعالم الروماني ثم المسيحي(على الإطلاق) وأتذكر أنني في مستهل الثمانينات– أيام الدراســـة في بريطانيا– قد تعرفت على (مبشر) مسيحي نشط يُعرف بالسيد(يونج) قد مكنته إقامته الطويلة هـــو وزوجته في لبنان ودول الخليج من إجادة اللغة العربية والإلمام بالقرآن الكريم، حيث كان يشير إلى قصة أهل الكهف في القرآن الكريم أنها مما ليس له أثر في التراث المسيحي واليهودي– وهو بهذا كان يحـــاول استمالة الطلبة المسلمين في بريطانيا إلى المسيحية من خلال التشكيك في نزاهة وصدق القرآن الكـــريم. ولا أظن أنه أصاب شيئاً مما في نفسه لدى أحد من المسلمين هناك.

ولهذا فإننا نشك أن مدافن(كهف الرجيب) ذات الطابع المسيحي– على الرغم من عددها– تأوي رفات (فتية الكهف) وعليه فهي قبور من كانوا ذات يوم رهباناً يلجأون إلى هـــذه الصومعـــة وهـــذا الكهف انقطاعاً لعبادة الله فشكلوا قبورهم على النحو المذكور(حسب استطلاع العربي) الموافـــق لمـــا ذكره علماء المسلمين في صدر الإسلام حيث ينقل لنا (ابن كثير) عن ثلاثة من أساطينهم.

قال **ابن عباس ومجاهد وقتادة : (تقرضهم)** تتركهم وقد أخبرنا الله تعالى بذلك وأراد منا فهمـــه

وتدبره و لم يخبرنا بمكان هذا الكهف بأي البلاد من الأرض[10].... ومما يذكر عن مجاهد أنه كان(**يميل إلى تتبع التصورات الشعبية بالدرس والفحص، والإنتقال بنفسه إلى الأماكن التي يتصل بها شيء من الخوارق الخرافية، ليجد لنفسه تفسيراً لها عن عيان وشهادة.** [11]

ولا شك أن (الكهف) إذا كان موضعه في بقعة ما ببلاد الشام(لا في اليمن) فإن مجاهد كان بوسعه زيارته والتحقق من أمره خاصة وأنّ بلاد الشام كانت محط أنظار المسلمين في عهود الفتوحات الأولى. وعليه فلا تثريب علينا إذا توقفنا عند هذا الحد وضربنا صفحاً عن (كهف الرجيب) وبلاد الشام والعراق. فلنأخذ الإحتمالات الأخرى لموضع الكهف ولكن هذه المرة في جنوب الجزيرة وبالتحديد في العربية السعيدة/ الأرض الطيبة بلاد اليمن.

• أهل الكهف عند الهمداني:

كان لسان اليمن صاحب / صفة جزيرة العرب والإكليل قد ذكر في (قصيدته الدامغة) أهل الكهف أنهم من اليمن :

ونحن بصالح والجدُّ هودُ وذي القرنين و(المتكهفينا)

ويعلق الأستاذ(الأكوع) محقق آثار الهمداني على المتكهفينا- التقويس لنا للإبانة- :

كثير من أهل اليمن بمخلاف الجند وما صاقبه المعافر وغيره يقولون أنّ أهل الكهف في جبل صبر(المطل على مدينة تعز) ثم في قرية (المعقاب) في قمة الجبل المذكور... وفي الكهف كما يزعمون أوصاف ما جاء في القرآن الكريم. [12]

هذا وقد أشرنا فيما سلف أن صاحب(تاريخ المستبصر) قد ذكر أهل الكهف بقوله :

ظهر دقيانوس... وبني في فضاء الجند بلداً عظيماً سماه (الأفيوس) وبه كانت وقعة أهل الكهف مع دقانوس الملك والله أعلم. وصورته على هذا الوضع (مخطط لموضع الكهف/ابن المجاور) ويقال أن القوم في كهف من كهوف جبل صبر نيام حتى الآن [13]. **وبهذا فلدينا دليلان يشهدان أهل الكهف (يمانية)** الأول ما ذكره (الهمداني) في (الدامغة) و لم يحدد موضعه لأسباب سنعرض لها.... والثاني ما قاله (ابن المجاور) بعد انقضاء ما يقارب ثلاثة قرون من قول(الهمداني)... هذا بالإضافة إلى ما ذكرناه من أمر اهتمام أحبار يهود يثرب ذوي الأصول اليمانية (بأصحاب الكهف) وفي هذا دلالة بالغة على ما تواتر لدى الطوائف اليهودية من خبر أهل الكهف في بقعة ما من جنوب شبه الجزيرة. وعلى الرغم من أنّ الكهف قد يكون في(جبل صبر) إلاّ أنني أنصرف عن البحث في تلك الناحية لأسباب منها :

١) **سكوت (الهمداني)** عن ذكر الكهف في ذلك الموضع المشهور الذي أسهب في ذكره في مواضع شتى في (الصفة) فقد عده (أي صبر) في :

- **مخلاف المعافر.**
- **جبال السكاسك.**
- **جبال الجزيرة العربية المشهورة.**
- **الحصون منها المشهورة.**
- **الشوامخ من الجبال التي في رؤوسها المساجد الشريفة ومواضع المساجد.**
- **الجبال المسنّمة.**

والأهم من ذلك كله أنّ في عرض جبل صبر هذا محجة مشهورة ذكرها الهمداني باسم :

محجة عدن العليا على الجند ثم محجة الجند معها إلى صنعاء. [١٤]

وعبر هذه المحجة تسنى (لأبن المحاور) المؤرخ العالم التاجر من زيارة صبر، وما أتى عليه من ذكر الكهف فيه:

وعلى باب الغار مسجد وعلى باب المسجد عين تسمى(عين الكوثر)

وهو موضع فاضل مزار في العاشر من رجب. [١٥]

وحيث أنّ **الهمداني** قد سكت عنه كما لم يذكره من بعده(**نشوان بن سعيد الحميري/ المتوفي عام ٥٧٣ للهجرة**) وهو أي (نشوان) قد عاش فيه وفي ذلك يقول ياقوت في معجم الأدباء:

استولى نشوان على عدة قلاع وحصون، وقدمه أهل (جبل صبر) حتى صار ملكاً. [١٦]

وأكاد أجزم أن المانع لعدم تعرض كل من (الهمداني) و(نشوان الحميري) (لكهف جبل صبر) يرجع في الأساس لعدم قطعهما في أمره وشكهما في أنه ليس (بكهف سورة الكهف)، لما بلغهما أن الكهف باليمن ولكن ليس في (جبل صبر) الذي كانا يعرفانه تماماً ويعرفان قدره ومكانته الأثرية **إذ يقع في سفح غربية مدينة جبأ الأثرية وهو من الجبال المباركة كثير الخيرات.... حتى قيل أن فيه من العيون عدد أيام السنة**[١٧]. لكن كل من المورخين الكبيرين لم يريدا أن ينسب إلى (صبر) ما ليس فيه أي (فتية الكهف) وأن (كهف السورة) في بقعة ما من (سرو حمير/يافع) دون الوصول إليها خرط القتاد... فسكتوا عن المعلوم (أي كهف صبر) تطلعاً للإحاطة (بالمجهول) الذي يقبع في حواز (سرو حمير) الغير مطروقة (فيماأعلم) إلاّمن خائف يتعقبه الناس فينشد الأمان بين أهلها أو ممن غضب أو فلت عليه السلطان فيعتصم بحصونها ويستقوي برجالها.... هذا الصقع الملفع بالأسرار قال فيه (ابن

مقبل العامري تميم ابن أبي) :

من سرو حمير أبوال البغال به   أني تسديت وهناً ذلك البينا[18]

فكم تدل عبارة (**أبوال البغال**) في صدر بيت (ابن مقبل) على وعورة (سرو حمير) وصعوبة مسالكه على السابلة والمطايا التي تطرح أبوالها في عقاب سرو حمير ونجوده كشهادة أبلغ من أن يجأر بها ظاعن أرهقه الوصب. ولهذا السبب وحده نجد سرو حمير(يافع) كحيز جغرافي نادر الوجود في كتب المؤرخين والإخباريين والرحالة.... حتى أشد الوقائع التي خاضها اليافعيون إنما تعسفوها بعيداً عن سروهم أو على أطرافه ليس إلاّ عبر أدوار التاريخ.

٢) كما أسلفنا فإن سرو حمير ككل ظلت مجهولة برمتها فإلى جانب هذا العامل الجغرافي تبرز عدة عوامل منها:

- كانت أسواقها على أطرافها تاريخياً في جيشان العود- وأدمات,عدن.
- لم تقام فيها مراكز للعلم (تاريخياً) تستقطب طلابه فيعرفونها على حقيقتها ويخبرون عنها.
- كانت بالمفهوم (القبلي) بلاد (جبر/ بفتحات. أي لا تخضع لدولة مركزية.... حتى في عصر الإستعمار البريطاني فهي المنطقة الوحيدة في جنوب اليمن التي لم تطأها أقدام الإحتلال.

٣) ليس لأهل الوادي الذي يقع فيه (كهف الفتية) أي مصلحة في الإدعاء باطلاً أن الكهف في واديهم منذ أقدم العصور... فلا أسواق هنالك ولا طرقات للقوافل التجارية ولا أي فائدة ترجى أو منفعة تجنى غير ما حفظته الذاكرة الجماعية لأهالي(منطقة الكهف) المعروفة(بيافع بني قاسد) وتشكل الحماح الحنوبي (لسرو حمير) ةيعرف ذلك الموضع عند أبناء يافع جميعاً ب :

(قبور السبعة أهل الكهف).

في مكتب (حسب التقسيم القبلي = مديرية) السعدي الذي كان يُعرف (بقاع الفلاح) على عهد الدولة الرسولية (ففي طرفة الأصحاب) **ومعوضه بن فلاح وعزلته السرو (سرو حمير) إلى نحو المشرق وهو الأسفل**[19] (يعني يافع السفلى/يافع بني قاسد)، **ومعوضة بن فلاح هو جد (السلالة العفيفية) حيث عرفت بهم السلطنة العفيفية وقصبتها (القارة) إلى الجنوب من الوادي الذي يأوي (قبور السبعة) لا يفصله عنها إلاّ إمتداد جبل (جار بمعنى ظُلم).**

وقبيل أن ندلف لزيارة ذلك الموضع الأثري لتفحصه واختباره، علينا أن نستذكر قوله تعالى :

﴿وما يعلمهم إلاّ قليل ﴾.

أي القليل من الناس. قال قتادة : قال ابن العباس : (**أنا من القليل الذي استثنى الله عزّ وجل**

كانوا سبعة). وكذا روى ابن جرير عن عطاء الخرساني عنه أنه كان يقول : أنا ممن استثنى الله عـــزّ وجل ويقول عدهم سبعة)

وقال ابن جرير حدثنا بن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابـــن عباس : **﴿ما يعلمهم إلاّ قليل﴾** قال :

أنا من القليل كانوا سبعة.... هذه أسانيد صحيحة إلى ابن عباس أنهم كانوا سبعة. [٢٠]

وحيث أن (قبور السبعة) في مكتب السعدي تؤكد قول المفسرين بشأن عددهم.. فلا ريـــب أنّ الذاكرة الجماعية الأهالي (منطقة الفلاح) عموماً وما جاور الكهف من القرى على وجه التحديـد هذه الذاكرة التي جمدت لنا وقائع أصحاب الكهف والرقيم وحدبت أجيالها على هذا الأثـــر الديـني الكريم من حيث عمارة المسجد والحفاظ على قبور الفتية السبعة وكلبهم... وإحياء ذكراهم في أيـام (عيد الأضحى المبارك).... هذه الذاكرة تدخل بلا مواربة في نطاق الإستثناء المحدد بالآيـــة الكريمـة والمحصور (بالقليل) الذي شمل حبر الأمة ابن عباس (رضي الله عنهما).

وبعد فما هي الشواهد والآثار التي تسند وتدعم طرحنا هذا؟

الإجابة نسوقها في الفقرة التالية :

• قبور السبعة و كهف سُنم:

يقع الكهف في الحاز الجنوبي لجبل(سنم) : وزان نقم (جبل صنعاء المعروف) يقف إلى الجنـوب منه جبل (جار) بمعنى ظَلم/ وزان حار- يفصل بينهما وادٍ ضيق يُعرف بوادي (الرفد) الذي ينحـدر شرقاً بين تسنمات جبلية تذهب به إلى وادي (الخضراء) فوادي (سُلب) الشهير المذكور في (صفـــة جزيرة العرب) الذي تتدفق فيه معظم السيول المتحدرة من جبال سرو حمـــير/ الجنـــاح الجنـــوبي المعروف (بيافع بني قاسد) فتروي به أودية يافع الساحل المعروف (بسهل أبين) – ومن محافظة أبـــين هذه يمكن الوصول إلى آثار أهل الكهف عبر الطريقتين:

- **طريق السيلة البيضاء :** وتبدأ من (ام صرة) ثم الماحل (العوذليتين) فالسيلة البيضـــاء فـــوادي (سُلب) فالخضراء فوادي الرفد حيث آثار أهل الكهف على يمين الوافد من أبين.
- **طريق حطاط :** ويمر في (جعار) حاضرة يافع الساحل(والحصن) عبر سيلة حطاط حتى (رُصد) وهو وادٍ يقع في سفح نائف (القارة) حاضرة السلطنة الغفيفية(سابقاً) الواقعة إلى الجنوب بالنســـبة لآثار الكهف- يفصلها كما أسلفنا جبل (جار) ومنطقة الكهف عموماً محاطة بـــأخصب أوديـــة يافع المنتجة للبن إذ يعتبر وادي الرفد إمتداداً لوادي (ذي عسيم) المخضل بحقول البن وفي الجـــوار

يقع وادي (حمومة) ووادي (ذي ناخب) ووديان لا تقل شهرة ليس بمجال ذكرهم هنا.

ويمكن الوصول إلى محيط الكهف من عدن مباشرة عبر الطريق :

لحج ← الحبيلين ← حبيل الجبر. ومنه عبر سيلة وطن(أسافل وادي يهر) حيث يتحول الوافد من عدن من هناك عبر (دخلة معربان) فوادي (معربان) حتى موقع الكهف عبر (العطف) وهو وادٍ (فذي عسيم) (فالرفد). وهذه بلاشك أيسر السبل إلى (كهف سنم/وقبور السبعة)

في ١٦ يناير ١٩٩٦م قمت بزيارة لآثار السبعة (أهل الكهف) فعثرت على الشواهد التالية :

١. **الكهف** عبارة عن (شدق طبيعي) ليس بالمغارة المظلمة يتسع بلا شك لإيواء الفتية الفارين بدينهم من الملك الظالم (دقيانوس) وهو بهيئة (الفم المفتوحة) نحو الجنوب الغربي بحيث يتسم في وضعه مع قوله تعالى :

﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوةٍ منه....﴾. الكهف الآية /١٧

فهذا فيه دليل على أن باب الكهف كان من نحو الشمال لأنه تعالى أخبر أن الشمس إذا دخلته عند طلوعها تزاور عنه (ذات اليمين) أي يتقلص الفيء يمنة كما قال ابن عباس وسعيد ابن جبير وقتادة : (تزاور) أي تميل وذلك أنها كلما أرتفعت في الأفق تقلص شعاعها بأرتفاعها حتى لا يبق منه شيء عند الزوال في مثل ذلك المكان، ولهذا قال الله تعالى:

﴿وإذا غربت تقرضهم ذات االشمال ﴾

أي تدخل إلى غارهم من شمال بابه وهو من ناحية المشرق فدل على صحة ما قلنا وهذا بين لمن تأمله وكان له عِلم بمعرفة الهيئة وسير الشمس والقمر والكواكب. وبيانه أنه لو كان باب الغار من الشرق لما دخل إليه منها شيء عند الغروب ولو كان من ناحية القبلة لما دخل منها شيء عند الطلوع ولا عند الغروب ولا تزاول الفيء يميناً ولا شمالاً ولو كان من جهة الغرب لما دخلته وقت الطلوع بل بعد الزوال ولم تزل فيه إلى الغروب فتعين ما ذكرناه ولله الحمد.[٢١]

٢. ليس أمام الكهف اليوم من الأشجار المثمرة والعين الغزيرة حسب زعم (ابن اسحاق) غير شجرة (السدر) الواسعة الإنتشار في محيط الكهف وتعرف (محلياً) باسم(العلب) وثمرها يعرف ب (الدوم) وهو **(ثمرة النبق وورقه غسول يشبه شجر العُنّاب له سُلاءٌ كسلائه وورقه كورقة غير أن ثمر العُناب أحمر حلو وثمر السدر أصفر مُزٌّ يُتفكه به.**

وفي الحديث: (من قطع سدرةً صوّب الله رأسه في النار).[٢٢]

وعلى كل حال فهذه الشجرة لها منافع كثيرة إلى جانب ما ذكر صاحب اللسان حيث تستخدم أوراقها كغذاء للأغنام والإبل، وأخشابها من أعمال البناء... إلخ. وأفقر الناس في (سرو حمير/يافع) هو من ليس بحوزته حسب المفهوم الشعبي :

(لا جِرِبِه ولا عِلِبه)

والجِرِبِه (بكسرات) : القطعة من الأرض للزراعة.

والعِلِبه (بكسرات) : سدرة مؤنث (مجازاً).

وهذا القول يكفي لمعرفة أهميتها للناس.. وقد ثبت أن بعض الأهالي كانوا يخزنون (ثمرها) تحسباً للقحط والمجاعة.... إلخ.

٣. كما أخبرنا جلّ شأنه بقوله :

﴿ قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذنّ عليهم مسجدا ﴾.

نعم هناك مسجد يُعرف لدى الأهالي **بمسجد السبعة** يبعد عن الكهف بأكثر من خمسين متراً وسقفه مقبب إذ يتكون من تسع قبات الكل في ثلاثة خطوط متوازيات. أما **قبور السبعة** فليس تحت سقف المسجد كما توهم المفسرون للآية إذ يقول شيخ المفسرين(ابن كثير) :

الظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ ولكن هل هم محمودون أم لا فيه نظر، لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال :

{لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد جد}[٢٢]

فقبور السبعة(أهل الكهف) تقع خارج المسجد تماماً قد رصفت خلف المسجد من جهة ركنه الجنوبي الشرقي كل قبر اتصل بالآخر على طوله وكلهم باتجاه القبلة (الكعبة)، ولكلبهم قبر منفصل وكلها مجصصة ويرتفع فوقها سقف بثلاث قباب... ولا توجد في (ضريح السبعة) هذا أي نقوش أو خطوط قديمة ربما قد ذهبت بفعل تعاقب العمران. وخارج المسجد أيضاً بركة ماء للوضوء.

وعليه فالقوم **(الذين غلبوا على أمرهم). هم ممن كانوا على ملّة إبراهيم (عليه السلام) ملّة المتطهرين** التي عرضنا لها فيما سبق من البحث. هذا ولعله من المناسب هنا أن نشير أن (أصحاب الكهف) قد وصفوا في كتب الإخباريين بأمور تؤكد يمانيتهم منها ما نقله لنا(ابن اسحاق) بشأن هيئتهم من قول (عبد بن عمير) :

(كان أصحاب الكهف فتياناً مطوقين مسورين ذوي ذوائب). وقال مجاهد : **بلغني أنه كان في آذان بعضهم القرطة(ابن كثير ص ٧٥).**

ولعمرالله أن في هذا الوصف ما يدل على أنهم من اليمانية فقد اشتهر الملك الحميري **المعروف (بذي الشناتر) وهو (لخيعة تنوف) أنه كان يضع أقراطاً على أذنيه فأطلق عليه اليمنيون هذا اللقب (ذو الشناتر) أي لابس الأقراط.** [٢٤]

وكان بين أمراء بني حمير شاب اشتهر بجمال الوجه وطول الشعر ونعومته اسمه(زرعه) من أسرة أسعد الكامل (أبكرب أسعد) المالكة. وكان لقبه (ذو نواس) أي صاحب الشعر المتطاير. [٢٥]

وبعد ما شأن تلك التخريجات التي أوردها المفسرون والإخباريون بخصوص اسماء أهل الكهف وتسمية كهفهم وبلدهم وملكهم وكلبهم، هل هي محض اختلاق أم لها نصيب من الصحة؟

وهل لهذه الأسماء آثار باقية في (سرو حمير/يافع) ؟

ثم في محيط (الكهف) على وجه التحديد؟

الإجابة هي موضوع الفقرة الرابعة.

- **الآثار الاسمية لأهل الكهف:**

الواقع أننا قد استأنسنا في مطلع (الفقرة٢) بما ذهب إليه لسان اليمن(الهمداني) في قصيدته الدامغة المجاب بها على (الكميت بن زيد الأسدي) بشأن هوية أهل الكهف... والتي قطع فيها بأنهم يمانية غير أن (شارح الدامغة)- الذي يرى فيه البعض أنه ليس (الهمداني) نفسه وإنما ولده محمد- قد ارتاب في هويتهم بقوله :

وأهل اليمن يدعون أهل الكهف وهم عندي من الروم على ما سمعنا في الحديث وأسمائهم تدل على أنهم كذلك... [٢٦]

وحيث أننا قد طعنّا على (رومانية أهل الكهف) وأرجعنا اعراض الهمداني ونشوان عن كهف(صبر) لما نقل إليهم من أن الكهف في (سرو حمير) والتي تعذر عليهم الوصول إليها مما دفعهم إلى اقفال ملف أهل الكهف. أما قول الشارح فيدل على معرفة بما يدعي أهل اليمن غير أنه تعلل بالمنقول عن هويتهم. أما اسمائهم فلا تدل (عقال بعير) من أمر رومانيتهم بل على العكس فهي تؤكد هويتهم الحميرية اليمنية.... فهذه الآثار ما زالت اليوم تطلق على أسماء مواضع وقبائل يافعية حتى اليوم.

أ) **مدينة أهل الكهف :**

ورد اسم مدينة (أهل الكهف) عند المفسرين والإخباريين بصيغ مختلفة نحو :

دفسوس طرطوس أفسوس.

وقد كفانا الأستاذ(الدجاني) صاحب اكتشاف كهف الرجيب هم كهوف طرطوس وأفسوس

فس بلاد الشام حيث أسقط هذه الكهوف من دائرة بحثه بعد أن تبين له مخالفة تلك الكهوف للوصف القرآني.

أما في محيط كهف سنم (كهف السبعة) في (سرو حمير) فقد وجدنا ما يشير إلى هذا الاسم :

- **أم سوسة :** أم سابقة التعريف الحميرية : شِعب (بكسرات) يقع في أسافل وادي (الرفد) وهنالك مقبرة كبيرة تُعرف لدى الأهالي ب(محنّة الجريب/مقبرة الجريب).

  هذا أم سوسة = أفسوس هـ/بإبدال الفاء من الميم.

- **فلسان :** مُن كبريات قرى(قاع الفلاح) (السعدي)، تقع في سفح جبل أم سود في وادي (فلسان) من أخصب أودية (سرو حمير) تخرج فيوضه إلى وادي الرفد- حيث كهف وضريح السبعة- وهي لقبيلة أهل عمر حلال أهل بن سليمان منهم[٢٧]. وأكاد أجزم أن(فلسان) هي التي كانت حاضرة الملك(دقيانوس) بالإستناد إلى هذين الشاهدين:

١. **أفلوس :** جمع تكسير من صيغة النسبة إلى فلسان.... أفلوس صيغة أخرى لأفسوس.

٢. **فلسان =** فلسن (بدون تصويت) = فلسين (بالتصويت).

ينقل لنا (ابن اسحاق) أن الملك العادل الذي بعثوا (الفتية) في عهده.. قد أرسل بصحبة أكبر الفتية وهو هنا (تمليخا) جماعة للتعرف على داره:

(فبعث معه الملك جماعة حتى أتى بهم دار- أرفع دار في المدينة- وقال : هذه داري ثم قرع الباب. فخرج لهم شيخ كبير قد استرخى حاجباه من الكبر على عينيه وهو فزع مرعوب مذعور، فقال : أيها الناس ما بالكم. فقال له رسول الملك : أن هذا الغلام يزعم أن هذه الدار داره. فغضب الشيخ والتفت إلى (تمليخا) وتبينه وقال له: ما اسمك؟ قال : تمليخا بن فلسين!! فقال له الشيخ : أعد عليّ، فأعاد عليه فانكبّ الشيخ على يديه ورجليه يقبلهما وقال : هذا جدي ورب الكعبة وهو أحد الفتية الذين هربوا من دقيانوس الجبار...[٢٨]

نعم إنّ أسماء الأماكن تعد بمثابة شواهد ناطقة بلسان حال من أطلقوها لأول مرة مخبره عن وقائعهم وأحداثهم وتقدم الأسماء عن الماضي البعيد ما تقدمه اللقى الأثرية والنقوش أحياناً.

- **ف/فلسان :** هذه القرية العامرة قد أخذت اسمها من الجد الأعلى لأحد فتية الكهف وهو **تمليخا بن فلسين أي // تمليخا بن فلسان.**

ب) **الرقيم** : ذكرنا في (فقرة١) أقوال القدماء فيه فهو وادٍ عند (العوفي + قتادة) وهو قرية عند (كعب) وهو كتاب بنيانهم عند (مجاهد).

فهل للرقيم من أثر هنالك :

◆ **بنو رُقيم : فرع من قبيلة كَلَد، أحد مكاتب (يافع بني قاسد) .... هاجروا إلى حضرموت وأستقروا هناك[٢٩]. أما واديهم اليوم فيُعرف في كلد ب:**

◆ **رخمة** : وزان عرفة- رخيم : بالتصويت وإهمال التأنيث وعليه (فالرقيم) هو (الرخيم) بـإبدال الخاء من القاف- قرية هي اليوم خلال قبيلة أهل حنش الكلدية يمكن الوصول إليها في أقل من ساعتين مشياً من الكهف[٣٠].

٣) **بنجلوس** : اسم جبل الكهف (فقرة١) بن (**حملوس**) - أحد تفرعات قبيلة يهر حلالهم يُعرف باسمهم(جبل بن حملوس) لا يفصله عن الكهف إلاّ جبل(جار) ووادي (رُصد) وفي هذه المواطن أحد أعيان يافع بني قاسد الشيخ (راجح هيثم بن سبعة) يقول :

وأسند جبل(جار) والمرحل طريق (أشول)

وادي (رُصد) حيث به من يكرم المثوى،

وتنشد الحيد ذي كانت به النقول

ومروحك بيت (بن حملوس) لا تغوي

في معاني المفردات :

أسند	أصعد
ذي	الذي
تنشد	أنشد بمعنى أقصد
المرحل	الطريق المعروفة بطريق (أشول)
النقول	جمع نقيل : الطريق في الجبل مرصوفة بالحجارة

وبعد ف/بنجلوس = بن جلوس = بن حلموس.

٤) **حيزم** : اسم الكهف في قول (ابن جريج) [فقرة١] وقد تخلف هذا الاسم في تسمية قرية هنالك في أعالي وادي (الرفد) المعروف (بالعطف/أي وادي عطف). وهي

أجرم : قرية وجبل في محيط الكهف لقبيلة السرحي (آل سعد/السعدي). [٣١]

حيزم = حزم (بدون تصويت).

أجوم = جرم (بدون تصويت).

حزم = جرم (تصحيفاً).

٥) كلب أهل الكهف :روى الحافظ بن عساكر في ترجمة همام بن الوليد الدمشقي حدثنا صدقة بن عمر الغساني، حدثنا عباد المنقري سمعت الحسن البصري يقول كان اسم كبش إبراهيم (عليه السلام) (جرير) واسم هدهد سليمان (عليه السلام) (عنفز) واسم كلب أصحاب الكهف (قطمير) واسم عجل بني إسرائيل الذي عبدوه (بهموت). [٣٢]

ومع أنه يمكننا ببساطة العثور على مقابلات هذه الأسماء في المواضع والقبائل في (سرو حمير) فعلى سبيل المثال :

- **جرير** : تخلف في اسم أحد قبائل(كلد) والمعروفة بجريري(صيغة النسبة إلى حرير). [٣٣]

لكنني أحدس تخليطاً في رواية الحسن البصري هذه وأرى في اسم الكلب (عنفز) واسم الهدهد(قطمير)، فقد وجدنا أثر هذا الاسم على مقربة من كهف السبعة وهو :

- **تِيّ عمرز** : تي = ذات في (سرو حمير/يافع)
- **عنفز** = عمرز (بإبدال حرفي الشفه الميم والراء من حرفي الشفه النون والفاء).
- **تِيّ عمرز** : تبّة صغيرة أو أكمة تقع مقابل الكهف تماماً يفصلها عنه قاع الوادي ليس إلاّ.

٦) **دُقيانوس** : ما زالت ذكرى هذا الملك الجبار حيّة في الذاكرة الجماعية لأبناء (سرو حمير) حيث ينسبون ما تقادم من الأشياء والمعاملات إلى عهد (دقيانوس) ويذكرونه في قصائدهم الشعبية مما يدل على انتمائه فعلاً إلى (سرو حمير /يافع بني قاسد) وأنه ليس بغريب على المنطقة وإلاّ لما ذكروه لمجرد ورود اسمه في كتب المفسرين والإخباريين القدماء... وفي ذلك يقول الشيخ راجح بن هيثم مفاخراً بأصالة انتمائه وطيب جرثومته :

يقول ابن سبعة ذرو(تُبع) وحمير
وسلطان بن سلطان من عصر (أبوسنان)
ومن زام (دقيانوس) (لمسود) إلى (يري)
وسلطان حيث (أشيب) وسلطان(معربان).

معاني المفردات :

ابن سبعة	بيت الشاعر وفيه رئاسة مكتب يهر (أحد مكاتب يافع بني قاسد وهـــي خمسة مكاتب.
ذرو	نسل
تبع	سلالة التبابعة المعروفة وكذلك حمير.
أبو سنان	سنان أي سنان باشا آخر الولاة الأتراك على يافع.
زام دُقيانوس	عهده.
الزام	الثّلة من الجنود يقومون بالحراسة ليلاً (في لهجة سرو حمير/يافع).

ومن معانيها في (لسان العرب):

زأم : زئم الرجل زأماً، فهو زَئِم،

وازدأم : فَزِع واشتد ذعره؛ وزأمه هو : ذعره. [٣٤]

وعلى كل حال فعهد (دقيانوس) كان عهد رعب وخوف وترقب (حراسة).

- **لمسود:** إلى أم سود : أم/سابقة التعريف الحميرية : سود جبل في سفحه تقع قرية فلسان.
- **يري** : أحد أودية (كلد) الخصبة في منطقة لا تبعد عن الكهف... له فرعان يعرف أحدهما ك (يري يله) على قرب من **جبل بن حلموس = بنجلوس.** مما يدل أن جبل بنجلوس (بن حلمـوس) لا ينتمي إلى (أيلة) في الأردن بل إلى (يري يلة).
- **أشيب** : أسافل وادي (فلسان) يُعرف بوادي (أشيب/صيغة التفضيل من شيبه)
- **معربان** : من عزر وديان يافع بني قاسد تزرع فيه (البن) والذرة...والطريق إلى آثار الكـــهف تمر عبره للوافدين عن طريق يهر(عدن–لحج–الحبيلين–حبيل جبر).

وبعد فقد قرن أصالة جذوره النابعة من أكرم سلالات حمير بالمواضع التي يشملها بنفوذه في إطـار مشيخة مكتب يهر ومنذ غابر الأزمان بما فيها عهد (زام) (دقيانوس).

- **ذو يهر** : لا غرابة في تجبر (دقيانوس) في سرو حمير فهو ليس الوحيد في سلالته الموســـوم بهـــذه الصفة فكتب الإخباريين تشير إلى تجبر **عمر ذي الأذعار وذي الشناتر وذي نواس** وغيرهم كثـير. غير أن أحد الأقيال الملوك كان ينتمي إلى سرو حمير ويُعرف (بذي يهر/أي صاحب يهر) : وهـــو من أكرم أودية سرو حمير (ذكره الهمداني في الصفة/ ص ١٧٣) والرافد الثاني لوادي (بنا) بعـــد وادي حطيب (أحد أودية يافع الهضبة العليا). ففما ينقل الإخباريون عن ذي يهر هذا الآتي :

• **ذو يهر** : ملك من ملوك حمير قال فيه أسعد تُبع :

وقد كان ذو يهر في الأمور   يأمر من شاء لا يُؤمرُ

ويروي أنه أجبر أهل ناحيته على عمل كان له وكان فيمن أجبره ابن لعجوز كبيره من حمير فتهيأ ولدها للمسير بالليل إلى عمل الملك فلزمته أمه إلى أن ارتفع النهار وسارت معه إلى (ذو يهر) فأظـــهر الغضب على ولدها لإبطائه فقالت العجوز :

ترفق بنفسك ياذا يهر   فاليوم لك وغداً لآخر

فاتّعظ بقول العجوز وأطلق الناس عن ذلك وتركه. [٣٥]

• **الأثار الاسمية ل(دقيانوس) :**

١. **دقة يانوس** : الدقة : الخرابة. وعليه ف/دقة يانوس = دُقيانوس بحذف تاء التأنيث لفظاً.

☩ **دقة يانوس** : خرابة على تل يانوس المطل على الكهف وقبور السبعة من جهة الشرق.

٢. **ذو ياوس** : يُعرف بحيد (ياوس) مشرف على قرية (سورق) بـــوادي العرقـــة أســـافل (ذي ناخب) وفيه أحد (مهاجل)- أزجال- البناء :

يا حيد ياوس المقابـــــل   مثلك تـــراجع بالمليحة

ما هل شورك شور عاطل   حارشك بين أهل المدينة

معاني المفردات :

تراجع بالمليحة : أرتد عن الحسنى.

ماهل : غير أن.

حارش : أفتن.

المدينة المقصود بها قرية(سورق).

٧) **أسماء الفتية :**

تضاربت الروايات في اسمائهم وظهرت في كتب الرواة والمفسرين بصيغ مختلفة بعـــض الشـــيء ونجملها في أربع روايات :

I) رواية علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) كما وردت عند ابن اسحاق هم :

١. **تمليخا.**

٢. **مكسلمينا.**

٣. **محسلمينا.**

٤. مرطليوس.

٥. كشطوش.

٦. سانيوس.[٣٦]

II) رواية ابن عباس كما أوردها ابن اسحاق :

١. مكلمينا.

٢. تمليخا.

٣. مرطليوس.

٤. بينوس.

٥. سانوس.

٦. أوتوس.

٧. كشطوش.[٣٧]

III) رواية ابن أسحاق كما أوردها ابن كثير :

١. مكسلمينا.

٢. يمليخا.

٣. مرطونس.

٤. كسطونس.

٥. بيرونس.

٦. دنيموس.

٧. يطبونس.

٨. قالوش.[٣٨]

IV) اسمائهم في اللوح كما وردت عند ابن اسحاق :

١) مكسلينا.

٢) تمليخا.

٣) مرطنوس.

٤) كشطونش.

٥) داسيوس.

٦) **تكربوس.**

٧) **بطيونس.** [٣٩]

ويمكننا إظهار التباين في صيغ الأسماء على هذا النحو :

- **تمليخا** : في ثلاث روايات (يمليخا/٣).
- **مكسلمينا** : في ١/٣ (مكسلينا/٤).
  (مكلمينا/٢).
- **مرطليوس** : في ١ /٢ (مرطنوس في/٤)
  (مرطونوس في/٣)
- **كشطوش** : في /١ كشطوس : في /٢
  كسطونس : في/٣ كشطونش : في/٤
- **ساليوس** : في/١ سانوس : في/٢
- **بينوس** : في/٢ بيروس : في/٣
- **يطبونس** : في/٣ بطينوس : في/٤
- **محسلمينا** : في/١
- **آتوس** : في/٢
- **دنيموس** : في/٣
- **قالوس/ وتكربوس/ وداسيوس** : في/٤.

الملاحظ من هذا التصريف الذي عاملنا به أسماء الفتية أن الأربعة منهم فقط قد ظهرت أسمائهم في الروايات الأربع بصيغ متشابهة مما يؤشر إلى شيء من الصحة والصدق أو التناغم بين ما هو منقول وبين أسماء الفتية بواقع الحال مما يجعلها أقرب أو أجدر بطريقة المقابلات الاسمية في بيئة الواقعة.... فإذا أخذنا أول الأسماء أو أكبر الفتية نجد الآتي :

- **يمليخا** : ملخ (بلا تصويت) نجد أثره في : ملح : وادٍ في كلد لقبيلة اليوسفي.

والثلاثة الأسماء الأخرى الأكثر تردداً في الروايات هي :

- **مكسلمينا** : مكسلم (بدون تصويت)، وأثره في :
- **كلسام** : كلسم (بدون تصويت) وبإدخال التميم في أول الاسم فهو مكلسم = مكسلم (بالقلب).

❖ **كلسام** : وادٍ خصب في كلد هو حلال الجدوس- فرع من قبيلة (المناصرة) الكلدية. [٤٠]

❖ **متره – عبوس** : متربوس [تحت قانون النحت] = مرتبوس [بالقلب] = مرطبوس .

❖ **مرطنوس** : مرطبوس (بالإبدال) نجده في:

❖ **مُتره–عبوس** : مُتره : قرية للعبوس- فرع من قبيلة (بن لحمر) السعدية في نطاق الكهف. [٤١]

❖ **كشطوس** : كسطوس نجده في باب الإضافة أيضاً :

❖ **كساد–طوس** = كسطوس (بالإدغام)

❖ **كساد** : قرية في منطقة طسه أسافل ذي ناخب يُعرف أهلها بالكسادي. [٤٢]

❖ **فهم آكسود طسة** = كسد طس (بلا صوائت وبلا تاء التأنيث) = كسطس (بالإدغـــام) = كسطوس(بالتصويت).

أما بقية الأسماء الواردة في رواية أو روايتين فيمكن أن نأخذ منها بعض الصيغ للمقابلة :

❖ **دنيموس** : ذيموس (بالنحت والإبدال) نجده في :

❖ **ذي يموس** : وادٍ وجبل في مشألة على مقربة من وادي يهر.

❖ **قالوش** : قلش (بدون تصويت) نجده في :

❖ **قرمش** : قلمش(بالإبدال) = قالموش (بالتصويت).

❖ **قرمش** : قرية في الجوار من الكهف لأهل بن سعيد الرأس من قبيلة (القبيلـــة) الســـعدية.[٤٣] ذكرت في أهزوجة بناء (مهجل) :

وأنت اسمعه يابن سعيد الرأس الجار والخربة و(ياقرمش).

لاحظ:

الجار: جبل جار ، الخربة : قرية لهم.نكتفي بهذا القدر من المطابقات الاسميـــة..... فمقاصدنـــا ترتفع عن القول أنّ ما ذكرناه هي أسماء الفتية (أصحاب الكهف) بالضرورة وإنما هدفنا إبطال قول من يدعي رومانيتهم من خلال اسمائهم.... هذا ومن ناحية أخرى فهذا بحد ذاته يثبت عروبية هذه الأسمـاء بل وحميريتها. وفيما يلي نورد نموذجاً من أسماء المواضع والقبائل اليافعية الغربية في بيتها :

◊ **ذي أمشعوش** : جبل في قاع الفلاح (السعدي) ذكره الشيخ راجح بـــن هيشـــم في قصيـــدة أرسلها لطاهر بن عثمان السليماني :

سلم عدة ما الليالي عسعست مقدار (طاهر) زنة حيد (أمشعوش)

◊ **دُخلص** : من اليزيدي : وادٍ خصب إلى الجوار من وادي الخضراء تتدفـــق فيـــه الســـيول في

انحدارها إلى وادي (سُلب).

◊ **دلعوس** : فرع من قبيلة العمري اليهرية يُعرفون بالدلاعيس (أهل دلعوس). [٤٤]

◊ **تعواس** : موضع وفخذ من أهل (محرم) من حميس العمري. [٤٥]

◊ **ال مشوشي** : أحد خمس اليهري- مواطنهم كثيرة منها القمعة-أهم-لمس-الحاجب. [٤٦]

◊ **قادس** : رهوة (قادس) لذي طوق في تي كبابه اليزيدية.

◊ **سثان** : قرية ووادٍ لمناصرة (كلد). [٤٧]

◊ **تي الشرافس** : أحد قرى المفلحي من خمس النعماني. [٤٨]

١

٢

٣

٤

٥

٦

٧

٨

٩

١٠

١١

١٢

١٣

١٤

١٥

١٦

١٧

١٨

١٩

الفصل التاسع

دراسة
جذور الميثولوجيا الرافدية والسورية
في مرتفعات سرو حمير/يافع (اليمن)

ترفدنا الذاكرة الجماعية لشعبنا بلقى وآثار لا نجهد أنفسنا بالإلتفات إليها.... وإذا أشار إليها أحد مثقفينا فعلى استحياء يضعها في (باب الخرافة) التي لا تستحق العناء في البحث على جذورها أو تفكيك رموزها ودراسة أبعادها التي قد تهدينا إلى الكشف عن الغامض من تاريخنا وترميم ما تهدم من بنيانه ونسقه واتساقه. فإذا أحطنا بها وأوليناها عنايتنا باستيعابها واستنطاقها، قد نجد فيها جوهرة نفيسة يليق بها أن تزين محياء حسناء الحضارات البهي(اليمن) ونكون بهذا العمل قد أسهمنا في خدمة الحضارة الإنسانية ككل حيث أنه ما من عطاءات جديدة إلاّ وأسهمت في إرساء قاعدة أبيستمولوجية- معرفية- للوشائج والجذور المشتركة بين شعوب وأمم المعمورة. وبإهمالنا لها يكون حالها لا يختلف عن الأحجار الكريمة الملقاة بمعانيها (الجاحظية) بين أكوام من الزجاج المتهشم والنفايات على قارعة الطريق.

وكما ذكرنا- غير لائمين لأحد- أن اهتمام بعض رجال الثقافة في بلادنا العربية عموماً واليمن على وجه الخصوص بالمخلفات التراثية لا يتعدى (للأسف) لوازم (الأتيكيت) التي يحرص هؤلاء البعض أن يحيط بها اسمه في مجتمعه بدافع مجارات الآخرين ليس إلاّ، والنتيجة التي ترجى من هؤلاء تكون غير ذات نفع بل شائهة أشبه ما تكون بدون دوافع البحث العلمي الأصيلة ومناهجه الفاعلة- قلنا أشبه ما تكون- بمشيام(كوم) جمعته حاطبة بليل.

إنّ أهمية التراث بالمحافظة عليها ورعايته وتعهده بالدراسة لكبيرة بالنسبة لحاضرنا ولعرب اليوم وذلك عبر استدرار قدراته المحفزة وجرعاته الإنعاشية لذاتنا المصابة بالجدب تحت وطئة الشعور بالإحباط بواقعنا المتخلف وتأخرنا عن بقية الأمم... هذه الروح الإنهزامية والتواكلية يأتي في طليعة بواعثها عزوفنا عن ورد مناهل تراثنا الثره والتي لا يمكننا بدونها التعافي مما أصاب نفوسنا من اليبس والخواء الروحي المؤدي في نهاية المطاف إلى حالة من فقدان الذاكرة الجماعية (**لخير أمة أخرجت للناس**). هذه الحلولية المرعبة التي تعبث بنا اليوم وتفقدنا روح المبادرة الناجمة من قطيعتنا المعرفية بتراثنا تدفع بنا إلى هاوية (الذهان) والبله وتكريس واقعنا الذي لا يرضي صديقاً... أما العدو فكما تقول الحكمة : (جثة العدو تفوح بريح طيبة). هذه القرحة الروحية والتقرمد الفكري لا يشفيها إلاّ إعادة التواصل مع تراثنا والتطهر في حسية وينابيعه العليلة. فوظيفة التراث أكبر من أن تقدر في كلمات نفيض بها عنه، فهي حسب تعبير الأديب الإسباني المعاصر(خوان غويتسولو) :

(لا يخلق التراث المعرفة بالوقائع فحسب، وإنما الوقائع نفسها أيضاً). [1]

لقد بيّن لنا هذا الأديب الذائع الصيت عالمياً، وهو ينافح ويفند الروح العدائية العتيقة في (الغرب) نحو الموريين(العرب) وحضارتهم الإسلامية، بين لنا عبر تناوله للآثار الأسطورية ذي المزايا الفحاخية(الحرباتية) بقدرتها المتوقدة القادرة على تشكيل الحاضر عبر بعث الماضي وإذكاء أحقاده الذاوية... نعم فعبر فهمه العميق للوعي الأسطوري الأوروبي استطاع هذا الكاتب الرفيع المقام من تسليط الأضواء على البواعث العدائية لدى الأوروبيين ضد الإسلام وأتباعه وبالذات العرب منهم على وجه التحديد.

فكما (تخلص) الأفاعي من جلدتها تتجدد النصوص الأسطورية وتتقمص أشكالاً جديدة في الحياة... فأسطورة (الخطيئة الأولى) تأخذ لها دوراً جديداً، يدين الفتح العربي للأندلس في القصص والآثار الأخبارية الإسبانية التي ترجع (سقوط الأندلس) بأيدي الموريين(العرب) كعقاب إلهي تستحقه على فجورها المختزل في شخص صاحب الخطيئة الملك **القوطي (لذريق)** وذلك بغوايته وشبقيته الجنسية التي ذهبت إلى حد الزواج من إبنه(دون جوليان) وآلية على المغرب العربي رمز الخيانة في التوظيف الجديدلأسطورة أو واقعة (الخطيئة الأولى) التي أوردت بآدم ونسله من رياض الجنة إلى جعر الأرض ونكدها. [2]

هذا المسخ المسيحي لواقعة (الخطيئة الأولى) ما زال يوظف حتى اللحظة الراهنة في الحياة الإسبانية لمصالح الكتل الداخلية المتنافسة. فسوط النقمة الإلهية المتجسدة في الإجتياح الموري/العربي لإسبانيا وهو هنا عنصر الشر في (أسطورة سقوط إسبانيا) ما زال قادراً على النكاية والإيذاء حتى اللحظة في حياة الإسبانيين.

فكل عمل في السلم أو الحرب يثير حنق كتلة ما في الحياة المعاصرة لشبه الجزيرة الإسبانية ويمكن أن تكون عرضةً للتشهير والإدانة على أنه: شر مورية مستطير.

وهذا يكفي لإصابته بلعنة الفرعون المورية تمهيداً لإسقاطه. هذا الوعي بالأسطورة يشكل نافذة نطل بها على ذواتنا، فالأساطير طاقات عجيبة وقدرات لا تحدد مصير أبطالها الأوائل فحسب بل وتشكل واقع أجيال تفصلها حقب زمنية شاسعة عن الوقائع الأصلية للأسطورة.

من هذه الرؤية الواعية نجد أنّ :

(كل خطوة نخطوها، يقول بيدال : يضعنا نمو الأسطورة أمام(عماء جديد) . فكل صيغة مبتكرة مهما بدأ علينا من الأصالة تتمتع بسابقة لها، وبشكل جنيني تندس فيه قبل أن تتفتح

كزهرة مضيئة، وليس من شك في أن كل تجديد فردي، مهما كانت جرأته، إنما يمثل من جهة فصل قطيعة مع الماضي، ومن جهة ثانية استئنافاً لفعل تقليدي وجماعي). [٣]

ترى هل بوسعنا التواصل مع ماضينا من خلال الإحاطة بآثاره التي تنمو فينا وتدمغ تصرفاتنا ومواقفنا الحاضرة ونظرتنا نحو المستقبل. في هذا البحث سنتناول نمو الأسطورة وبقاياها الحية فينا... أو بكلمة أخرى ما تبقى من مفاهيم وتصورات قدماء اليمنيين عن الخلق والغواية والموت. ولعل أول المواضيع التي نفضل أن نعرض لها هنا، هي مزيج من الخلق والغواية أو قل من النمط الأخير فهي في نظري ليست إلاّ امتداداً لواقعة الخطيئة الأولى، ونعرضها هنا تحت العنوان التالي :

- **التصور الشعبي للإنس والجن في (سرو حمير إيافع) :**

يتلخص المفهوم الشعبي لدى أهالي (سرو حمير/يافع) عن الثقلين والوشائج القائمة بينهما من ما يتوارثه الناس من أقوال عن **أخوة آدمية الأصل بين الإنس والجن. فالأب هو آدم عليه السلام، والأم هي أمنا (حواء) المعروفة في الآثار السومرية باسم :**

(نن تيّ/ Nin Ti) أي سيدة الضلع. ففي الجنة(دلمون) جاء الإبن الإلهي (آنكي) ويعني اسمه (إله الأرض) وبالتحديد (اليابس المزروع)، ممثلا لبداية البشرية على الأرض، لكنه أصيب بمرض في ضلعه، بعد أن أكل ثمار حرمتها عليه الآلهة (ننهور ساج) فخلقت الآلهة إلهة أنثى تحمل اسم(لن تيّ) وحيث أن (نن) قد عنيت بتمريض (آنكي) وتعني (تيّ) بالسومرية (الضلع) فهي (سيدة الضلع). [٤]

هذا ما أوردناه على سبيل الإستطراد الذي سنعود إليه لاحقا، والأهم هنا أن نتعرف على مسألة أخوة الإنس والجن في التصور الشعبي لأبناء سرو حمير ومناطق أخرى من اليمن أيضا.... وقد كشف هذه العلاقة المثل السائد ونصه :

(يّ أمنا حواء أظهره الشتات وأخفه الحسان).

وبصيغة أفصح يمكن إخراجه على هذا النحو :

(مثل أمنا حواء أظهرت الشتات وأخفت الحسان).

ترى من هم الشتات(الشمات) أي الخياب(من الخيبة) ؟

وهم من تباعدوا عن الحسن والجمال، هؤلاء هم من كانت حواء تظهرهم من أبنائها (صبيان وبنات) لأبينا المغلوب على أمره(آدم عليه السلام)، وهم من يُعرفون اليوم ببني آدم أي البشر (الإنس).

أما الحسان (من البنين والبنات) فكانت أمنا (حواء) تخفيهم عن أبيهم آدم، فقد كانت ضانة بهم عليه فلم يكن ليراهم لهذا السبب ووفقاً لهذا التصور فهم المخفأون أي من نعرفهم اليوم

باسم(الجن)... فيبدو أن جمالهم وحسن صورهم قد جر عليهم فلم ولن يظهروا إلى أبد الدهر على أخوتهم (الإنس) بجمال صورهم ولطف أجسامهم ورشاقة جوارحهم.. وإذا كان لهم أن يتعرضون لأحد من الإنس فليس إلا بصور شائهة مبدلة عيوف... على صورة الكلاب السوداء والقطط والثعابين وكل مكروه مرعب أو موحش لا يأنس إليه الإنسان، فقد جعل الله حجابا بيننا وبينهم يروننا ولا نراهم، فيهم الأشرار وفيهم الأخيار تماما مثلنا... هذه قصة الأخوة الأعداء الإنس والجن.

فهكذا احتفظت الذاكرة الشعبية بلغز المخلوقات التي يحدس الإنسان لوجودها وتأثيرها عليه غير أنه لا يراها فهي مخلوقات لطيفة يصعب إدراكها. وفي المعاجم العربية يأتي الاسم ليفسر عدم تجلي الجن للرؤية الإنسانية، فقد أورد ابن منظور أقوالا عديدة فيهم منها :

(... الجن : ولد الجان. ابن سيده : الجن نوع من العالم سموا بذلك لاجتنابهم عن الأبصار ولأنهم استجنوا من الناس فلا يرون)   [لسان العرب/١٣/مادة جنن]

ولا نشك أن عنصر الغواية في هذا المفهوم أمر لايحتاج إلى برهان، فيبدو أن الأم حواء(وفقا لهذا التصور) قد حنت إلى أيام زمان، حيث وسوس لها الشيطان في أهمية تناول ثمرة الشجرة المحرمة وكانت هذه المخالفة كافية لإخراجها من الجنة إلى أرض الشقاء.. التي ما أن مهد الخالق لهم فيها معاشهم ورزقهم من الطيبات والأبناء... حتى أتى الشيطان مرة أخرى ليحفزها على الغواية من خلال إيثار **النفس بحسان الأبناء** الذين أصبحوا يشكلون عالما **لأنفسهم هو عالم الجن**.. غير أن جرثومة الإنس والجن هذه... تعود بنا القهقري إلى أبعد التصورات الميثولوجية عنا. أما في القرآن الكريم فهنالك تلازما عجيبا في مخاطبة الثقلين (الإنس والجن) في كثير من الآيات :

﴿فيهنّ قاصرات الطرف لم يطمثهنّ إنسٌ قبلهم ولا جان ..﴾ [الرحمن / الآية ٥٦]

﴿وكذلك لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن ﴾ [الأنعام /الآية ١١٢]

﴿ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس ﴾ [الأنعام / الآية ١١٨]

﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسلٌ منكم يقصون عليكم آياتي...﴾ [الأنعام/الآية١٣٠]

﴿قال أدخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار... ﴾ [الأعراف/ الآية٣٨]

﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس...﴾ [الأعراف/ الآية ١٧٩]

﴿قل لئن أجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله...﴾
[الإسراء / الآية ٨٨]

نكتفي بما أوردنا من الآيات القرآنية عن التلازم في ذكر الجن والإنس، والآيات أكثر من هذا بكثير. وإنما أردنا لفت نظر أهل الاختصاص، خاصة ونحن نتناول هنا أحد النصوص التراثية التي لا نشك في أقدميته؟! ... ليس هذا فحسب بل أننا نرى في هذا الأثر الحي أصلا مرجعيا لكل ما تحاكيه كتب التراث وما تناقله الاخباريون العرب عن علاقات حميمية بين الثقلين مثل الزواج. ونخص بالذكر ما رواه(وهب ابن منبه) في كتابه الشهير ب(التيجان) عن نكاح الملك اليماني (أبرهة ذي المنار بن الصعب ذي القرنين) من جنية :

(فسار أبرهة حتى نزل بالمشلل، وكان أجمل الناس وجها فرأته امرأة من الجن فعشقته فهجمت عليه ليلا إلى فراشه. قالت له : أيها الملك إني عشقتك وليس لي منك بد وأنا حنيفية على دين إبراهيم وأنا لا أرضى بالزنا ولا أدين به فاختر من أربع خصال خصلة واحدة إن شئت قتلتك وإن شئت أعميتك وإن شئت أبرصتك وإلا فتزوجني. قال لها : العاقل إذا خير اختار. أنا أختار منك العافية ياعيوف، فذهبت مثلا فأتته بنفر من الجن فيهم الرابع(أبوها) فزوجه إياها قال له الرابع : منزلي وادي الجن في المشلل من أرض (جو)– وهي أرض اليمامة اليوم– وأن الإنس ينزلون وادي الجن من (أرض الجو) فتتعرى نساءهم إلى رجالنا ويتعرى رجالهم إلى نسائنا. قال له أبرهة : أنا أبدر إليهم وأمنعهم من أن ينزلوا بوادي الجن، وهم لا ينزلونه ما عشت فمن نزله أحرقوه بالنار، فكان حرما عند العرب حتى أتى رهط من بني حلوان بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير فنزلوه، فبينما هم نائمون في جوف الليل إذ سمعوا دويا وهيمنة وناداهم مناد : إنما هذا محرم الرابع وحمى أبرهة وأتتهم نار عظيمة فأكلت أموالهم وأكلت أناسا وولوا هاربين. ويسمى ذلك الموضع(الحرقانة) فهو اسمه إلى اليوم.[٥]

قال أبو محمد : وأن العيوف ابنه الرابع ولدت لإبرهة ولدين (العبد ذا الأشرار وعمرا ذا الأذعار)، وفي العيوف يقول (طرفة بن العبد) بعد ذلك الزمان ويقال أنه للرابع الجني حيث يقول :

لإبنة الجني بالجو طلل	حلة الرابع حينا وارتحل
حرم الجن على الإنس فمن	شاء بعد الملك والرابع حل
حل منه ذو منار أهله	فتولى الجمع عنه واحتمل
كل ما حل عليه رائد	أوقدت نار عليه فاشتعل
كم به من ذات دل حسن	وقوام ووسام ومقل
وجواد وهمام حازم	عاقة عنهم زمانا ونزل[٦]

كذلك تنقل لنا كتب الإخباريين عن زواج الملك (الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو من سـلالة آل الصوار الشهيرة) وهو الهدهاد أبو بلقيس الملكة(زواجه) من إبنة أحد ملوك الجن وهي رواحـة بنـت سكن(ريحانة بنت السكن/في تفسير الألوسي).[7]

ولا يشذ عن ذلك الملك الحميري الشهير(سيف بن ذي يزن) الذي أرضعته (عند الإخبـاريين) وتعهدته بالرعاية جنية(غوله) وأخته من الرضاعة (عاقصة) التي كانت متأهبة على الدوام لنجدته كلمـا تطلب الأمر إلى تدخلها في الوقائع (الخرافية) التي ينسبها لسيرته القصاصون.

هذا وتاريخ العرب والأدب العربي زاخر بهذه الأمثلة التي تصور علاقات من هذا الضرب بين بـني الإنس والجن (في الشرق كقصة [تأبط شرا] وقصة [عمرو بن يربوع] ورزق منها بنـين، وكثـير مثلها من حكايا زواج الإنسان من الجنيات).[8]

نعم فقصة (عمرو بن يربوع بن تميم) تزخر بها كتب التراث العربي الذي تزوج من (سـعلاة) أو (غول) ويروي :

(إن السعلاة إذا رأت برقا أو سمعت صوت رعد حنت إلى وطنها أين كانت. قال : وتـزوج عمرو بن تميم (معن) سعلاة ، فقال له أبوها : إنها إذا رأت لمع بارقة، أو سمعت صـوت راعـدة لم تنتفع بها. قال : فمكثت عنده حتى أصاب منها إبنا. فبينا هي ذات يوم إذ رأت برقا فأجهشـت، ثم قالت :

أضمم إليك إني آبق   برق على أرض السعالي آلق

ثم لمعت، فذهبت، فكان آخر عهده بها. وروي لعمرو في ذلك شعر منه قوله :

فطالبتها بضعها فالتـوت   بوجه تغول فاستغولا

فمن قال أين ثوت جارتي   فإن لها باللوى منزلا[9]

ومن هذا النبع العتيق الموحد لنسل الجن والإنس يأتي كثير مما يتصوره النـاس حـول الجـدات الجنيات لكثير من البيوت اليافعية وأكثرها شهرة اليوم قصة(عيال قارش) :

- **قصة عيال قادش:**

تقع (رهوة وادي ضول) أي (قريتهم) في فجة(رهوة) بين جبلين في الطرف الغربي لهضبة (ضـهر يافع) في منطقة (مشألة) التي تعد من أشد مواضع (سرو حمير) وعورة وأروعها انحدارا، إذا تحف بهـا الضياح من نواحي كثيرة... ورهوة بن قادش هذه هي : إحدى قرى قبائل (المشألي) التابعة لمكتـب (ناحية) المفلحي من يافع العليا حلال فرع منهم يعرفون بالسعدي.[10]

ولكن ما هي قصة (عيال قادش) هؤلاء؟

قادش هذا هو الجد الأعلى لعيال قادش، أمه ساحرة (جنية)، حيث يتناقل الناس توارثا أن أباه قد تزوج أمه الجنية على عهد منه ألا يدخل عليها يوما فجأة. وعاشت معه هنالك عيشة بنات حواء الآدميات فأنجبت له ولده البكر(قادش) ثم أعقبته بولد ذكر آخر يقال أن اسمه(فدعق). فساورت أبا قادش ذات يوم نفسه أن يباغت صاحبته الساحرة التي كانت تعيش فترة رضاعة وليدها(فدعق) فاقتحم عليها خلوتها على غرة منها إذا كانت آنئذ منشغلة برضاعة صغيرها الذي كانت تحتأه على ظهرها فتلقمه ثدييها الكبيرين في موضعه على ظهرها، فحين رآها زوجها بهذه الصورة الموحشة قفل خارجا دون أن تشعر بفعلته. ثم كر داخلا بيته وهو يزمل منبها لزوجته على عادته... غير أن صاحبته لم يكن بوسعها هذه المرة مقابلته بهيئة بشرية فعلمت أنه قد هتك سرها فكانت نهاية عقد النكاح بينهما فآثرت أن تأخذ معها (فدعق) وتركت له البكر (قادش)... ويروى أن نسل فدعق من الجن وحلالهم إحدى الضياح المنيفة المجاورة لقرية (عيال قادش) رأس (وادي ضول) ما زالوا حتى اليوم على وداد ببني عمومتهم (عيال قادش) فيفرحون بأفراحهم ويحزنون لأتراحهم إذ يزعم (بنو قادش) أنهم يحسون بالنائحة تعوي من جهة الضاحة إذا حلت وفاة واحد منهم.

هذا هو التصور الشعبي عن آدمية الإنس والجن وواقعة استتار الجن واحتجابهم عن الأنظار تعود بنا إلى زمن الانبعاث الثاني للقواية او الامتداد الأرضي لها وذلك حين آثرت أمنا الحكيمة والحليمة (حواء) نفسها **بحسان الولدان فأخذت تخفيهم عن عيون أبيهم (آدم) تحت دبات – واحدتها دبة– نبات اليقطين وأواني المدر المثلوهة** وهكذا أقامت (حواء) بفعلها هذا حجابا ساترا بين بنيها لطاف الهيئة حسان الصور أي الجن من جهة وبنيها ثقال الظل المخلوقات المرئية المعروفة بالإنس من جهة أخرى... وما زالت أفياء هذه الواقعة تغذي مساحة ندية من مفاهيمنا التقليدية إذ كان نبوغ البعض في الشعر أو قص الأثر أو القدرة على كشف المياه الجوفية في بساطن الأرض يعزى لدى أهالي (سروحمير/يافع) إلى لحظة ولادة الموهوب التي لم يعطس خلالها بعد فهو في تلك اللحظة يكون قد خرج من بطن أمه غير أن عزوفه عن العطسة الأولى وما يترتب إثرها من صراخ يدفع أمه للنظر فيه فإذا ألفته في كيس من الصفان فإنها تعمد إلى قطع الحبل السري وتنهض لتخفيه كأمها (حواء) تحت (دبة) من ثمار القرع أو شقفة من مدر قبل أن تقع عليه عين من الإنس فإذا نجحت بنت (حواء) في ستر وليدها المصفن لحظة ولادته على النحو الذي وصفناه كان مرجوا فيه واحدة من المواهب اللطيفة التي يفتقد إليه معظم بني جلدته أي أنه يكون ذا موهبة فطرية لا يمكن اكتسابها بالجهد والمكابدة وإنعام الفكر.

ومن هذا النبع الأسطوري يتشكل عالم الإنس والجن في عقلنا أو ثقافتنا الشعبية. فالجن يشلوكونا حياتنا ويزاحمونا على مصادر العيش في دنيانا فإذا ظهرت على كف(الطفل) في الصباح (لطخة حناء) فإن أمه تفسر هذه الواقعة بقولها :

(تا هي الجارية حنتتك بالليل !).

أي (فهي الجارية التي حنتتك بالليل).

والجارية وفقا لهذا المفهوم (جنية) من خيار الجن تعمد ليلا إلى بيوتنا وتأخذ حاجتها من (دقيق/طحين) أو قبس من نار أو بعض مساحيق زينة النساء وهي تقبل الصغار في نومهم وتعمد أكفهم بالحناء كعلامة على حبها لهم.

والجن عموما لا يقربون الأطعمة المملوحة- فهم لا يأكلون إلا الطعام (المسج) أي الغير مملوح. وفي لسان العرب :

- **ابن سيده** : السمج والسميج : الذي لا ملاحة له (هذلية)؛ قال أبو ذؤيب :

فإن تصرمي حبلي، وإن تتبدلي خليلا ومنهم صالح وسميج[11]

إن هذا التصور الذي يؤمن بأصل واحد للثقلين، أي بآدمية الجن والإنس، ويرجع بنا القهقري إلى اللحظات الأولى لولادة الإنسان على الأرض من أبوينا (آدم وحواء) التي أي حواء ما انفكت تعيش في أجواء (الخطيئة الأولى)، حيث يغويها الشيطان بأكل الثمرة المحرمة، وتكون النتيجة خروجهما من الجنة، وهو ما تصوره الكشوف الآثارية:

(ففي الختم السومري الذي عثر عليه مؤخرا، يظهر فيه ذكر وأنثى يجلسان متقابلين بينهما نخلة، وخلف الأنثى تدلت حية، رأسها بجوار رأس الأنثى، بينما تمد هذه الأنثى يدها في شكل دعوة للذكر الجالس قبالتها، ليتناول من ثمار النخلة...)[12]

نص الغواية الأول المتجسد في الخطيئة الأولى، يندس بشكل جنيني في آثار أسطورية كثيرة يتوارثها الناس شفاها دون أن يحدسوا إلى أبعادها ورموزها الميثولوجية الموغلة في القدم... وسنرى في النصوص الآثارية الآتية تأثير عنصر الغواية فيها واتخاذه وفقا للظروف الزمانية والمكانية أوجها متعددة لكن في سيمائها نلمح إشارات تدل على نفس المنبع.

- **الحية(الأفعى) بين المفهوم الشعبي وميثولوجيا الشعوب السامية:**

لدينا في (سرو حمير) العديد من الأقوال الشعبية التي تبين مواقف الإنسان الثابتة من الحية ونسلها وتعود في جذورها إلى البدايات الأولى للفكر الأسطوري لدى الشعوب المنطقة. ومن هذه الأقوال التي

تجعل من (الحيّة) عدواً وخصم الإنسان الأبدي ما نصها :

(رعهم فيّ الحنش وابن آدم).

(كل صغير رحيم لا خطأ بن الحنش).

والقول الأول يمكن قراءته على هذا النحو :

(ألظر إنهم مثل الحنش وابن آدم).

يصور هذا القول أي نوع من العداوة والتنافر بين (بني البشر) يمكن استفحالها إلى الحد الذي يتعذر معه أي مصالحة.... فالعداوة بين الحنش (الأفعى) وبني آدم لا تحتاج إلى دليل فهي من الرسوخ والأقدمية والديمومة ما يرجع إلى عهد أبوينا (آدم وحواء).... وإذا كان بإمكان الإنسان استئناس أي مخلوق مهما كانت درجة وحشيته في عالم الحيوان، فإنه ما زال يستنكف عن هذا الفعل مع عدوه اللدود والتليد (الحيّة) فلم يخرج من نطاق الرحمة التي شملت كل حدث من نسل كل ذي روح إلاّ سليل الحيّات حسبما صرّح بذلك النص الثاني :

(كل صغير رحيم لا خطأ بن الحنش).

فكل صغير يستدر منا الرحمة ونمنحه إيّاها إلاّ ابن الأفعى الذي لم يخرجه القول الشعبي هذا من دائرة الرحمة والشفقة بأحد أدوات الإستثناء الشائعة في (سرو حمير) نحو (إلاّ وغير ودون...إلخ.) وإنما بأداة النفي القاطعة (لا) التي أجهزت أولاً على العبارة :

(كل صغير رحيم).

وذلك بدمغها بالخطأ (مجانبة الصواب) الذي لم يستدرك (بالإستثناء) وإنما بالنفي الذي لا مجال فيه للريبة... وكأني بهذا القول قد أتى على شكل محادثة نصها:

ـــ كل صغير رحيم (مرحوم).

ـــ لا (هذا) خطأ !.

ـــ ما وجه الخطأ ؟!.

ـــ بن الحنش !

وإذا كان لحاوي الثعابين أن يألف مصاحبة هذا المخلوق اكتساباً للرزق فإنّ النهاية المحتومة نجدها في القول الشعبي الشائع في(سرو حمير) الذي ينص على :

(خاتمة المحنش للحنش).

المحنش : جامع الحناشة (الحاوي).

نعم فمن يسكن إلى مقدرته على تدجين الأفاعي ومداراتها فليحذر من حتفه المتربص بـــه بـين أنيابها.

غير أن أشد أصناف الحناشة ضراوة حسب المفهوم الشعبي هي (الحيّة) بالذات وفيها يقولون :

(لا تأمن الحيّة ولا هي هامدة ياويل من لمة عليه أنيابها).

أي ما نصه بالفصحى :

(لا تأمن الحيّة ولو هي هامدة ياويل من لمت عليه أنيابها).

ترى ما السر في هذا التخصيص ؟

الإجابة نسوقها من (سرو حمير) بالقول الشائع :

(جرح الحنش للذر وجرح الحيّة واحذر)

هذا النص من الفصاحة ما لا يحتاج إلى تقويم، وقبل أن نعرض إلى مراميه وأبعاده، نشـــير إلى أن معنى(الذر) في النص هو نفسه الوارد في معاجم اللغة :

الذّر : النمل الأحمر الصغير واحدتها ذرة.

[ابن منظور/ لسان العرب/٤/ مادة:ذرة]

المفهوم من هذا النص (اليافعي) أنك أن جرحت أي نوع من الحناشة و لم تصبه في مقتل فلا بـأس عليك فإنّ الذر لا تلبث تجتمع على جرحه وتنهش فيه حتى تملكه فهي مسلطة على الحنشان المجروحـة لا تدعها حتى تموت . وأما (الحيّة) فإن النص يحذر من جرحها.. فالظاهر أن الـــذر لا يجتمـــع علـــى جرحها، وهي لا بد آتية إليك لتنتقم لنفسها فإذا ظفرت بها قتلتها ولا تتركها ملقاة حيـــث أجـــهزت عليها فإنها حسب المفهوم عنها لدى أبناء (سرو حمير) لا بد ستعود لها الحياة وستأخذ بثأرهـــا منـــك وهذا ما يرمي إليه القول السابق :

(لا تأمن الحيّة ولو هي هامدة ياويل من لمت عليه أنيابها)

فموت الحيّة لا يتم إلاّ إذا قتلتها ثم تقيدت بالوصفة الشعبية التالية :

- أن تحرقها حتى تصير رماداً تذروه الرياح أو
- تثبتها في الأرض بثلاث رزات(أذلاق) من الخشب تخترق رأسها ووســـطها وذنبـــها.. وإلاّ

فلتحذر انتقام (الحيّة الماكرة) فقد أحسن في وصفها النابغة الذبياني :

صل صفا لاتنطوي من القصر   طويلة الأطراق من غير خفر
داهية قد صغرت من الكـــبر   كأنما قد ذهبت بها الفـــكر

مهروتة الشدقين حولاء النظر   تفتر عن عوج حداد كالإبر[١٣]

نعم فهذه الداهية التي ينبغي الاحتراس حتى في قتلها! يصفها العهد الجديد بالحكمة أيضاً:

(كونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام).   (إنجيل متى/١٠/١٦).

فأين لهذه الهائمة كل هذا؟

تطرقنا آنفاً إلى دور الحية في الخطيئة الأولى كما يظهر ذلك جلياً من موقعها في (الختم السومري) خلف الأنثى توسوس في أذنها :

(ولنتذكر الإرتباط اللغوي بين الحيّة والحياة، وبين الحيّة وحياة الأنثى أو فرجها كمفرز للمواليد والحياة، وبين التسمية حواء(التي تحيي)، أما مالا يغيب على فطن فهو الحيّة المصرية المقدسة على تيجان الفراعنة تمنحهم الحياة وطول العمر). [١٤]

وتشير الميثولوجيا التوراتية إلى دور الحيّة في وقعة (الخطيئة الأولى) حيث أغوت حواء أن تأكل هي وأبو البشر آدم (عليه السلام) من الشجرة المحرمة التي تصفها التوراة بأنها (شجرة معرفة الخير والشر).. حيث تمخض عن خروج أبوينا من الجنة إلى أرض المتاعب والشقاء. وكان للحيّة نصيب من العقوبة الإلهية نصت عليها التوراة:

(لأنكِ فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تسعين وتراباً تأكلين كل أيام حياتك. وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها، هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه).   [سفر التكوين/٣/١٤-١٥]

وفي ملحمة(جلجامش) البابلية تنمو الأسطورة وفي رحمها لم تبرح بذرة الخطيئة الأولى تتفتق عن ثمار تخرج من نفس الأكمام وأغصان تشرب من نفس المعين... فمما يتناهى إلى سمع سليل الآلهة الملك جلجامش تواجد بطل الفلاة المتوحش(انكيدو) يرعى قطعان الغزلان قريباً من مجرى النهر. فيتوق هذا الملك الجبار لنده العتيد(انكيدو) الذي لا تجدي القوة معه نفعاً، غير أنه يقع في فخ الغواية الذي نصبه له الملك (جلجامش) :

حيث أرسل له **(أحد البغايا المحنكات بفنون العشق والغرام، فكمنت له عند نبع الماء، وعندما أتى انكيدو مع قطيع الغزلان لشرب الماء برزت له المرأة كاشفة مفاتنها. ترك انكيدو قطيعه ولبث مع المرأة أياماً وليالي يطارحها الغرام، مما كان له كبير الأثر في تحويله عن حياته الوحشية السابقة، فيصف النص البابلي انكيدو بعد الفعل الجنسي مع المرأة بأنه قد صار واسع الفهم والمعرفة:**

تعثر انكيدو في جريه، لم يعد كما كان ولكنه صار ذكياً واسع الفهم والمعرفة...) [١٥]

وكما في النصوص السومرية والتوراتية تطالعنا ملحمة جلجامش بخلفية العداوة الأزلية بين أبناء حواء ونسل(الحيّة) فقد تمكن جلجامش بعد وفاة رفيق حياته(انكيدو) من الحصول على نبتة الحياة من (أوتنا بشتيم) المختار من قبل الآلهة لإنقاذ بني البشر من جائحة الطوفان البابلي، حيث كانت الآلهة قد منت عليه بالخلود(الألفي) لقاء انقاذه لبذرة كل حي. وإذا كان جلجامش قد خف عائداً بنبتة الخلود التي تسلمها للتو من (أوتنا بشتيم) فقد كانت (الحيّة) له بالمرصاد:

(رأى جلجامش بركة ماء بارد نزل فيها واستحم بمائها فتشممت الحيّة رائحة النبتة تسللت صاعدة من الماء وخطفتها وفيما هي عائدة، تجدد جلدها وهنا جلس جلجامش وبكى). [١٦]

ويبدو أنّ الحيّة استمرت هنا وهي تسحو على أديم الأرض وتأكل من ترابها تمارس فعل الغواية الذي كان سبباً لخروجها نفسها من الجنة... ففي الآثار الحيّة في(سرو حمير/يافع) التي نعرض لها هنا نجد بعض التفصيلات التي غابت عن الميثولوجيا القديمة السورية والرافدية في حين أن لها بعض الحضور في الميثولوجيا التوراتية، ونعني بذلك ما يتناقله أهالي(سرو حمير) عن ضحية وقعت في شرك غواية الحيّة... هذه المرّة لم تكن الضحية من صنف البشر وإنما من أقرب المخلوقات شبهاً بالحية ألا وهو (الحلزون) الذي يعتمد في غذائه على تراب الأرض. فماذا تنقل لنا الذاكرة الجماعية لأهالي سرو حمير عن هذه الواقعة؟

الإجابة نعرض لها تحت العنوان التالي:

- **قصة الحنش والحلبوب:**

أما الحنش فهو سليل الحيّة كما علمنا وأما الحلبوب فهو في لهجة(سرو حمير) ما يعرف في غيرها(بالحلزون) تلك الهائمة الصغيرة التي تنتمي إلى **(فصيلة الرخويات البرية يعيش في صدفة ويتغذى** بالنباتات. منه أنواع عديدة يوكل بعضها). (المنجد في اللغة/مادة : حلزون).

ويوجد في نافع منها النوع الأسود الذي يتجاوز طوله (ثلثي قدم) ويظهر أن تسميته (بالحلبوب) عند أهالي السرو قد أتت من سواد لون.. وفي لسان العرب:

(ابن الأعرابي: احلب السود من كل حيوان.

الأزهري: الحلبوب اللون الأسود، قال روبة:

واللون في حوته حلبوب...) [ابن منظور/لسان العرب/١/مادة حلب].

بعد هذا الاستطراد اللغوي فما هي قصة(وقعة) الحنش مع الحلبوب(الحلزون) :

الوقعة هذه نجدها في(يافع) بقولين ذائعين لدى القبائل اليافعية ونصهما :

(لدمك ندم الحلبوب على عيوله)

أي (لدمت ندم الحلبوب على عينيه).

(صلحت بي قصة الحلبوب هو والحنش نقدف عيوله ومن بعده يعم الجرش)

من معاني المفردات:

صلحت: بمعنى فعلت.

نقدف: فقئ،وفي (لسان العرب) :

وتنقفت الحنظل أي شققته عن الهبيد؛

ومنه قول أمرئ القيس :

كأني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل

والتقفت الشيء: استخرجته. ولقف البيضة : نقبها).

[ابن منظور/لسان العرب/٩/مادة نقف].

يعم الجرش: يتوه على وجه الأرض .

جرشها : قشرتها.

أما القصة المأثورة عن الحلبوب لدى اليافعيين.. أنه ذات يوم في بدايةالخليقة عندما كانت الأحجار والأشجار والحيوان تنطق.. كان الحلبوب(الحلزون) يتنزه على أديم الأرض وبين أعشابها يستمتع بمناظرها الخلاّبة إذ كانت له حينها عينان منهما يفيض النور و لم تكن له أطراف ولكنه كان يتزلق على الأرض بمرونة وسرعة يساعده على ذلك طبيعة جسمه الحلزونية النظام... في ذلك اليوم رأى الحلبوب هائمة تزحف على وجه الأرض بخطى وئيدة إذ كانت لهذه الحائرة أطراف كثيرة غير أنها كانت حاسرة واهنة ولا تكاد تبين لصغرها... لم تكن هذه الحائرة سوى الحيّة ! (الحنش في النص) تائهة دميمة عمياء. أما الحلزون فكان يزهو بجسمه المتناسق وعينيه الآسرتين. في ذلك اليوم المشؤوم أذعن الحيّة أنها بأطرافها الذهبية الواهنة أجمل مخلوقات الكون وأن لا مسحة من جمال لدى مخاطبها أي الحلبوب الذي أراد أن يثبت عكس تصورها. وحيث لم يجدا يومها من يحكم بينهما فقد اقترحت الحيّة(الحكيمة) أن لا سبيل لفض هذا النزاع والتثبت من مفاضلات كل منهما إلاّ برؤية الحيّة لنفسها ولخصيمها فقالت للحلبوب:

ــ أعطني عينيك لأنظر من الأحسن فينا.

ــ وماذا تعطيني من ظمانة كي ترد عليّ عينيّ بعد الحكم.

ـــ أعطيك أطرافي الذهبية.

أثر هذه المقابلة وجد (الحلبوب) نفسه يسعى بلا اتجاه بحثاً عن عينيه المفقودتين وما زال على هـذا النحو فلا هو بمدرك ظالته ولا بقادر أن يحتاط لنفسه أن تمرسه الأقدام، يأكل من أديم الأرض فيا لهـا من ندامة تلك التي سكنت جوف(الحلبوب) منذ ذلك اليوم المشؤوم. ولا نشك مطلقاً أن لأحد مـن الأسف والندامة قدر ما للحلبوب فلا حول ولا قوة إلاّ بالله.

وهنالك تناغم ما بين هذا النص التراثي المدهش وبين النص التوراتي الملثوم ويشير إلى اسـتفحال العداوة وأزليتها بين أبناء حواء ونسل الحيّة ألم ينص على:

(...هو يسحق رأسك، وأنت تسحقين عقبيه) [سفر التكوين/النص السابق]

أفليس العقب في هذا النص هو :

(عقب القدم أي مؤخر القدم) [لسان العرب/١/مادة عقب]

ألا يشير النص التوراتي بكل وضوح إلى عماء الحيّة بحيث يتسنى لبني آدم سحقها بعقب قدمـه أن ظفر بها، وأن تنهش هي قدمه أن زلت أو ضعفت عن سحق رأسها الخشاش.

هذا الطرح يفيدنا في مسألة تحديد واقعة استلاب عيني الحلبوب في حقبة ما بُعيد حلول أبوينـا آدم وحواء على الأرض عقاباً لهما بسبب الخطيئة الأولى.

هذه الحية الداهية التي سلبت جلجامش نبتة الحياة وآثرت نفسها بالخلود كما روت ذلك ملحمـة جلجامش الرافدية وتركته ينتحب نادباً حظه العاثر، كيف لا ونبتة الخلود كانت حقـاً قيـد يـده ومتناول فمه وهو بعد ذلك أحق بها من هذه الداهية المحيطة بفنون المخاتلة وانعام العقل... ألم يركـب جلجامش من أجلها الصعاب والأهوال فوا ندماه حار بها جلجامش الملك الجبار سليل الآلهة كما أنسـت بها جوارح المخلوق اللطيف المسالم حلبوب سرو حمير (يافع) نعم فواحسرتاه على جارحـة الأبصـار والنور المخطوفة وبئس الخاطف المترصد في درب كل من ينشد الخلود والنور... غير أن الخاطف هـذا ينشد لنفسه الخلود والنور والحكمة هذه الصفات الربانية التي ما أن يطلبها حتى يجدها متحفزة للتـألق فيه وكأنها بعضه الذي غوى ثم تاب ليعود إليه. هذه الرؤية تدعونا للبحث عن الوجه الآخر للحية فيمـا تختزنه الذاكرة الجماعية لأهالي(سرو حمير).

- **بركة الأفعى في الآثار التراثية:**

فيما يتداوله الناس في سرو حمير حكاية مفادها أن فتاة كانت تتحرق شوقاً للحظة التي يفـارق فيها والدها الشيخ الطاعن في السن دنيا الأحياء لكي تنعم وصاحبها بما ترثه من والدها من ضيعـات

ومباتل زراعية(مساني وأعتار) أي المروية بمياه الآبار والمروية بمياه الأمطار الموسمية، وما في الزرائب من أغنام وأبقار في المدائر(الحظائر تبنى بالأحجار لتعكم بها الأبقار)... وعندما طالت المدة بوالدها الذي أخذ يتشكى من ضعف بصره وقلة حيلته أي من أمراض الشيخوخة أخذت البنت العاقة تدير الفكر مع عشيقها للتخلص من والدها.. وفي ذات يوم قدم الصاحب وهو يجر خلفه أفعى شنيعة الهيئة قد لفظت الأنفاس للتو بعد معركة نشبت بينهما وبين أحد السابلة الفاتكين حيث مكنه الله منها بالتصدي لها بالنمشه(السيف ذي الحد الواحد) التي كانت شائعة الإنتشار بين أهالي (سرو حمير/يلفع). فهبت الفتاة العاصية وقطعتها ثم أودعتها قصيصاً(قدر ترابية كبيرة) وأذكت نيران(القرظ) لتسلقها بعد أن أضافت قليلاً من الماء، وعندما نضجت اللحمة أنزلتها وهي تفوح بمرقة شهية فقد تعهدتها بالبهارات والبصل والثوم التي تلقي بها في (القصيص) حسب نظام التوقيت الذي اكتسبته من جدتها وأمها. أتى أبوها الشيخ على اللحمة والمرقة بشهية ظاناً كما أخبرته ابنته أنها لحمة(الطلي)، ذبحته من أجل والدها مشفوعاً بالدعاء له بالهناء والصحة والعافية. وبدلاً من أن تفتك به حُمة(سم الأفعى) تفتقت في ذلك الجسد الذاوي براعم الحياة وشبت في جوارحه دماء الشباب من جديد.

هذه القصة العجيبة لا يجهلها كل من عاش أو يعيش على تراب اليمن كلها. وفي كتب التراث العربي نقرأ ما يشير إلى مثلها، فهذا (السليك بن السلكة) ينعي في أبيات شعرية رفيقه الشاعر الصعلوك الفحل الشهير ب/تأبط شرّاً، واصفاً الراحل بمزايا وقدرات جسدية مذهلة :

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي ... بأخرى المنايا من خلال المسالك
إذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل ... له كالئ من قلب شيحان فاتك
ويجعل عينيه ربيئة قلبه ... إلى سله من حد أخضر باتك
يهب هبوب الريح عند انخراقها ... ويسري على نهج النجوم الشوابك
تكل متون الصافنات إذا جرت ... تباريه أو تدمى نسور السنابك

نعم فجابر بن ثابت هذا عندما هوى مضرجاً بدمائه عافت أن تأكل من جثته جوارح الطير وكواسر الوحش، فقد وجد أهله **(أن ما أكل من لحمه من سباع الوحش وسباع الطير وهوام الأرض موتى حوله)**

قال أبو محمد : **(قال الأصمعي : وزعمت العرب أن لحمه سم، قال : وكان غذاؤه (العلهز) وشحوم الحيات وهبيد الحنظل ويحنذ قومة الحيات).**[17]

وتنتشر في (سرو حمير) بين الذكور تسمية حنش وتعرف بيوت عريقة بهذا الاسم نحو (بن حنش)

في مدينة (عشارة) ناحية المفلحي من هضبة ضهر يافع(وبن حنش) في وادي يهر الشهير في يسافع بني قاسد فتعرف قبيلة كاملة بهذا الاسم :

أهل حنش(حنشي) ويتفرعون إلى :

١. عطافي في شعب مورق
٢. ديابي في وادي خردام
٣. بخيتي في ضبه[١٨]

هذه الأمور إلى جانب عدم تعرض أهالي سرو حمير لحنش البيت والنهي عن قتله كعادة توارثتها الأجيال عبر العصور بل والشعور بحضوره في مخازن البيت كعلامة لحلول البركة والخير فهو حسب المفهوم الشعبي ما (يلقس إلا مؤمن).

أي (ما يلدغ إلاّ بقضاء الله وقدره). كما يتناقل الناس حكايات عن **(تبارك العسل) أي (تكاثره) فإذا وضع (العسل) في إناء وتبين أن العسل قد أخذ ينضح عنه.. فإنّ الأمر يرجع في المقام الأول إلى حلول بركة (الحنش) حيث تكون (النوب) النحل قد جنت (نحلت) فيه من دماء أفعى عظيمة قتلها السيل أو نحو ذلك..** ويعتقد الكثير من أهل اليمن أن السر إذا أُحتفظ به طي الكتمان فإنّ الإناء سيبقى يفيض عسلاً إلى ما شاء الله. هذه الأمور إلى جانب ما تعج به كتب الإخباريين العرب عن (الأفعى الحريس) الذي يتولى حراسة دفائن الأرض وكنوز الأقدمين تشير إلى آثار من عبادة الأفعى كانت واسعة الإنتشار عبر بلاد الساميين قاطبة. وكان اليافعيون حتى وقت قريب يلفون **خصر(حقو) الطفل الذي يتبول أثناء النوم بحنش قتل للتو ويعتقد بشفائه من الحالة.** وأعظم الحناشة وأكرمها في نظر أبناء (سرو حمير/يافع) هو:

- **الحنش ذو الجوهرة:**

هو ثعبان ذو قرنين أقرع الرأس كبير الحجم لا يشك أحد من (سرو يافع) بتواجده وأنه يخفي تحت لسانه جوهرة مضيئة تحيط رأسه بهالة من النور يزعم الكثيرون بأنهم رأوها وهو يتجول بها في بهيم الليالي(ومنهم كاتب هذه السطور). ويقال أن هذه الجوهرة النفيسة صغيرة بحجم(صافية البنة) (أي نواة ثمرة البن إذ تحمل ثمرة البن بداخلها نواتين)، هذا يعني أن(جوهرة الحنش) المضيئة ليست إلاّ بحجم ظفر الطفل الرضيع- لمن لا يعلم بثمرة (البن)- والشائع في (سرو حمير) أن هذه الأفعى يتركها في أحوال نادرة كأن يضعها بحافة البير(البئر) أثناء هبوطها إليها فإذا ظفرت به على هذه الحال فما عليك إلا أن تفعل فعل الأقدمين وذلك بأن تغشاها (بضفعة) من روث البقر(الضفعة/هي الدفعة

بالإبدال) فهو يمقت أن يلتهمها.ويقال من حصل على جوهرة الحنش في سالف الدهر كانوا يجـــدون الثعبان قد نفق بجانبها كمداً. غير أن قيمة هذه الجوهرة النفيسة المشعة بهالة من نور لا تحدد حســـب المفهوم الشعبي في(سوق الجواهرجية) وإنما ببركتها ! فهي إن وضعت تحت اللســان تتفتـق لـدى حاملها قوى خارقة نحو رؤية المياه في جوف الأرض (هندسة مياه)...إلخ. وللحنـــش ذي الجوهـــرة صدى في الشعر الشعبي اليافعي وفيما يلي شواهد منه :

- قال الشيخ راجح هيثم بن سبعة اليهري مفاخراً:

دعسنا على الثعبان مولى أم جواهر   وذا لحين با ندعس على رأس يعزفان

ونقرأه بلغة فصيحة هكذا:

دهسنا على الثعبان مولى أم جواهر   وذا الحين بالدهس على رأس يعزفان

أم: سابقة التعريف الحميرية.

يعزفان: حنش رفيع وطويل فضي اللون خاطف الحركة بينما الثعبان الأسود اللون بطيء الحركــة من غلاظته.

وفي موضع آخر يقول:

وطرح من ذهب صافي وجوهر   تقع بطن الحنش وألا براسه

طرح (بتشديد الراء) : نظم

عجز البيت يعني :

فلتقع (هذه الجواهر/ابيات الشعر) ببطن الحنش أو فلتكن برأسه.

هذا وقد ذكر صاحب لسان العرب ما يشير إلى تعظيم نوع من الحيات عند العرب:

(الجان : ضرب من الحيات أكحل العينين يضرب إلى الصفرة لا يؤذي، وهو كثير في بيـــوت الناس.

وفي الحديث : أنه نهي عن قتل الجنان، قال : هي الحيات التي تكون في البيوت، واحدها جـلن، وهو الدقيق الخفيف. التهذيب في قوله تعالى: ﴿تهتز كأنها جان...﴾، قال :

(الجانّ حية بيضاء... قال الزجاج : المعنى أن العصا صارت تتحرك كما يتحرك الجان حركــة خفيفة، قال : وكانت في صورة ثعبان، وهو العظيم من الحيّات).

[ابن منظور/لسان العرب/١٣/مادة جنن]

وإذا كانت مسألة الاستئناس (بحنش البيت) عادة ما انفكت تراعى في مناطق واسعة من بلادنـــا

العربية، فقد ثبت تقديس وعبادة الأفعى في العهود العتيقة، ففي رواية(سفر الملوك) عن الملك حزقيا الذي :

(أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السواري وسحق حية النحاس التي عملها موسى لأن بني إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها ودعوها نحشان) [19]**[سفر الملوك الثاني/١٨/٤]**

ولا نشك أن (نحشان) هذا ليس إلا ما يعرف لدى العرب بالحنش(وبالذات في صيغة الجمع حنشان) **ف/نحشان** = حنشان (بالقلب) كما لاحظ الأستاذ فرج الله صالح ديب. **والأفعى لدى قدماء المصريين المتخذة من بيوت الناس مسكناً لها هي الإله(أجاثو ديمون) الذي يحرص على طرد الفئران من المنزل منعاً لانتشار الطاعون. وكانوا يحرصون على رعاية الثعبان إلى حد عبادته، تماماً كما تظهر آثار أوغاريت في رأس شمرا- شمال اللاذقية- آلهة الخصب وقد أمسكت بكل يد ثعباناً.** [20]

هذا وقد حظيت بلاد العرب في العالم القديم باهتمامات اليونان ومن بعدهم الرومان(فهذا هيرودوتس في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد يصف بلاد العرب والمراد بها هنا بالدرجة الأولى أرض اليمن بكثير من الخيال:

(أن بلاد العرب هي الموطن الوحيد للبخور والمر وخيار سنبر والقرفة(الدارصين) واللادن. والحصول على هذه الأشياء دون مصاعب وأخطار جسيمة، فالثعابين الطائرة تهاجم من يقترب من أشجار البخور وهذه الثعابين، وهي من نفس الصنف الذي طار من بلاد العرب وهاجم مصر صغيرة الحجم متعددة الألوان. ويقوم بحراسة أشجار البخور عدد كبير منها. والطريقة الوحيدة لإبعادها هي حرق صمغ(الميعة) الذي يجلبه الفينيقيون إلى اليونان فتهرب من دخانه وعندما يذهب العرب لجمع خيار سنبر يغطون أجسامهم ووجوههم عدا العيون بجلود الثيران وغيرها ونبات خيار شنبر ينمو في بحيرة قريبة الغور تحوم فوقها والأرض المحيطة بها حيوانات تشبه الخفافيش تصرخ صراخاً حاداً مخيفاً. وينبغي ابعادها عن مهاجمة عيون الرجال أثناء قيامهم بقطع خيار شنبر. وطريقة جمع عيدان القرفة أكثر غرابة من غيرها، فالعرب أنفسهم لا يعرفون من أين تأتي القرفة ولا المكان الذي تنمو فيه). [21]

ويرى في هذه الأخبار صاحب كتاب(جغرافية التوراة: مصر وإسرائيل في جزيرة العرب)وبالذات ما يتعلق بالحناشة الطائرة:

(إن التجار العرب، وبهدف استباق أي مزاحمة ممكنة أو لدفع أي عملية عسكرية محتملة من

القوى الخارجية، وهم الذين نشروا ما سجله هيرودوت.. عن طائر الفينيقيا والأفاعي المجنحة التي تحمي شجرة البخور في بلادهم). [٢٢]

فياترى هل ما نقل هيرودوت عن بلاد اللبان وبالذات حكاية الأفاعي الطائرة ليس إلاّ محض اشاعة أراد بها التجار العرب إطالة أمد احتكارهم لتجارة اللبان والمر وغيره من أنواع الطيوب النادرة والأعشاب الطبية التي كانت محط أنظار العالم القديم وغاية ينشدها أتباع الثقافة الأيجية كي ينتزعوا بإحراقها في معابد آلهتهم بركة ورضوان معبوديهم، كما تاقت إلى ذلك نفس الإسكندر المقدوني في صباه، إذ أراد تقديم أكبر كمية منه لآلهته، وأمام تلك الرغبة **(التبذيرية والطفولية تقول الرواية، بأن مربيه أبلغه أن إرضاء الآلهة بمثل هذه الكمية الكبيرة من البخور يكون ممكناً فقط عندما يخضع الإقليم لسلطته).** [٢٣]

على هذا النحو ينظر الباحثون المعاصرون إلى كتابات الإغريق والرومان التاريخية عن جزيرة العرب وبالذات إقليمها الجنوبي الذي اشتهر لديهم ب(العربية السعيدة) من هذا المنظور المشوب بالريبة التي لا تهدي لليقين ومن ترسبات عهود طويلة عمها الجهل والهارت فيها صروح معرفية تحت وطأة الغزو والاحتلال التي كانت البلاد العربية مرتعاً طبيعياً لها، نجد علماء اليوم من أبناء البلاد العربية سرعان ما يرفعون أيديهم عن بعض الأمور المتعلقة بتاريخ البلاد العربية العتيق وذلك بدلاً من بذل الجهد للتحقق منها وإخراجها إلى النور بدلاً من هذا فإنهم يميلون إلى إلقاء نظرة الوداع الأخير (ويادار ما دخلك شر).

أما أنا فأميل إلى تأكيد ما ذهب إليه(هيرودوت) فالجزيرة العربية ما زالت حتى اليوم تخفي في أقاليمها المختلفة الكثير مما ذكره الأقدمون في أسفارهم التاريخية و لم تكن نصوصهم لمجرد التشويق والسرد الروائي المطعم بالخيال فلعل الحقيقة ما زالت قابعة بين أسطرهم. وإذا كان من رجال الفكر الرومان الكبار من يقول مثل الفيلسوف (ثيوفراستوس) (٣٧٢-٢٨٨)، والعالم(بليسنيوس) :

(أن المرء يدرك اقترابه من جزيرة العرب عبر الروائح العطرة التي تحملها الرياح الهابة عبرها). [٢٤]

وكما كانت (جزيرة العرب) تلوي أعناق الأقدمين اعجاباً فإنها ما زالت تفعل هذا حتى اليوم.. ففي أبريل من عام **١٧٦٣** كتب عالم الأحياء النباتية الشهير(**بيترفورسكال**) عضو أول بعثة استكشافية علمية بعثتها أوروبا إلى البلاد العربية السعيدة وذلك تحت رعاية (فريدريك الخامس) ملك الدنمارك.. كتب **هذا العالم السويدي يزف إلى أوروبا اكتشافه في منطقة من (أعمال إب) لأعظم**

اكتشاف نباتي كانا يأملان (هو ولينوس) الحصول عليه في كل رحلتهم، أنها شجرة البلسم المكـلوي الأصلية. [٢٥]

وإذا كان عالم النبات ما زال حتى اليوم يسجل مكتشفات لأصناف نباتية جديدة على قـــاموس النبات مصدرها اليمن وغيرها من أقاليم جزيرة العرب، فإن طبيعة الموضوع تجبرني للعــودة إلى صلبـــه المتعلق بالأفعى وما ذكره (هيرودوت) عن الأفعى الصغيرة الطائرة المتواجدة في محميـــات اللبـــان وفي طليعتها إقليم (ساكلن) (في النقوش) وهو ما يعرف اليوم بإقليم ظفار غربي سلطنة عمان. فهل كان لهـا وجود حقيقي أو مجرد اشاعة بثها العرب كما ذهب إلى ذلك زياد مني؟

الإجابة نسوقها في ثلاثة شواهد كما يلي:

- **الحيّة الزمردة:**

في رواية وهب بن منبه المعروفة(بالتيجان في ملوك حمير) نجد أن (الحية الزمردة) كانت السـبب في اشتهار الملك الحميري(أبرهة بن الصعب ذي القرنين) بلقبه:

(ذو المنار)، قال أبو محمد:

(كان أبرهة أبيض وسيماً جميلاً، فلما دفن أبرهة أباه ذا القرنين الصعب بن مرائد(بالحنو حنـــو قراقر) في رمل العراق ورجع بعساكره، ظهرت لهم (الزمردة) بعد موت(ذي القرنين) وهي:

صنف من الحيات قصيرة لها رأسان في طرفيها وما أكلت بهذا الرأس القته برأسها الآخر وهـــي لا تظهر إلاّ في النهار وتعمى في الليل لأن جميع حيوان الأرض لا يستطيعها يسري سمها في الأبـــدان كسير البرق في الهواء تفر منها الثعابين والشجعان والأفاعي، فلما كثرت على عســـاكره الزمـــردة ذات الرأسين أضرت بعساكره ضراً شديداً، فكان يعرس نهاراً ويسير ليلاً، فكانت تضل العســـاكر في الليل بعضها عن بعض فأمرهم أن يوقدوا النيران على رؤوس الجبال ليهتدوا بها وهو أول منـــار جعل في الدنيا فسمي بذلك (أبرهة ذا المنار). [٢٦]

هذه الرواية نجد فيها اسناداً لرواية (هيرودوت) حيث تؤكد حقيقة انتشار الأفـــاعي القاتلـــة في الجزيرة وأنها تهاجم الإنسان والحيوان تلقائياً وتشكل بالنسبة له مصدر رعب دائم، والزمـــردة قصـــيرة تماماً مثل الأفعى الطائرة التي كانت في محميات اللبان في جزيرة العرب. وإذا لم يجانبني الصواب فمـــا زالت منطقة جنوب العراق تأوي أشد الأفاعي خطورة على الحياة وقد ترددت أثناء (حـــرب الخليـــج الثانية) أخبار فحواها يشير إلى هلاك بعض (جنود قوات التحالف) في نفس الموضع (حنو قراقر) بفعـــل لدغات الأفاعي!.

- ## جحيم الأفاعي في وادي السرحان:

(مع صبري وخشونتي فقد كان لها(مشاق السفر) القليل من الأثر. وبسبب (لعنة الأفاعي) التي أخذت تساورنا منذ أول ما دخلنا إلى (وادي السرحان) وقد بلغت اليوم حدا مشهودا وغدت الرعب بعينه. ووفقا لما يقول العرب فإن الأفاعي في سائر الأوقات تكون هنا أشد وطأة بسبب الملء في الصحراء من أي موضع آخر: غير أن الوادي هذا العام يبدو هالما بالأصلال القرناء والأفاعي الرداء والكوبرا والثعابين السوداء. لهذا فالتجوال ليلا يكون من الخطورة بمكان، وقد وجدنا في الأخير أنه من الضروري ألا نسير إلا والعصي في أيدينا نخبط بها على الجانبين ونحن نخطو بحذر عبر الأحراش حفاة الأقدام.

وبحلول الظلام لم يعد بوسعنا أن نترح الماء بيسر، لأن الأفاعي إما تكون في الحسي(واحدتها حسوة) عائمة أو على حوافها مظفورة على بعضها عصبا. وإلى حلقة نقاشنا المحنوشة(الحذرة من الحناشة) حيث نجلس لاحتساء القهوة قدمت الأفعى النافخة مرتين. وقد ماتوا بلدغات الأفاعي ثلاثة من رجالنا؛ وبعد هلع شديد وآلام مرعبة وتورمات حارقة في الأطراف المسمومة تعافى أربعة من رجالنا الملدوغين. . . .

والشيء الغريب في طبع الأفاعي يكمن في زوراتها الليلية للاضطجاع معنا، فهي كيفما شاء ربما تنشد بذلك الدفء تحت الفراش أو فوقه. وحالما أدركنا ذلك فإن نهوضنا من النوم كان لاحصل إلاّ بغاية الحيطة والحذر. بحيث يتعين على أول الناهضين أن يفتش بين رفاقه ومن حولهم بعصاة حتى تسكن نفسه بأنهم غير محاطين فيعلمهم بهذا.

لقد كانت مجموعتنا المتكونة من خمسين رجلاً تقتل معدل عشرين حنشاً يومياً؛ وفي نهاية المطاف فقد كان لها(الأفاعي) الغلبة على أعصابنا بحيث صار أشدنا بأساً يخشى أن يمس الأرض، ناهيك عمن يرتعدون على شاكلتي هلعاً من كافة هوام الأرض فقد باتوا يبتهلون بحسن الختام ما دمنا في وادي السرحان).[٢٧]

صاحب هذا النص هو الداهية البريطاني المعروف ب(لورنس العرب) الذي سجل تجاربه ومعارفه عن العرب وحزيرتهم وقصة الثورة العربية الكبرى بقيادة(الشريف حسين بن علي) ضد السيطرة العثمانية في كتابه الشهير(أعمدة الحكمة السبعة) الذي كتبه من الذاكرة بعد أن تعرض النص الأصلي للسرقة و لم يعثر عليه حتى اللحظة. هذا النص الفريد ترجمناه عن طبعة إنكليزية قديمة (١٩٤٠) صدرت في مدينة أوكسفورد البريطانية وهو (أي النص) خالٍ من أي شطحة خيال بل هو الحقيقة

عارية من أي لباس. فإذا كان ما كتبه (هيرودوت) عن الأفاعي الطائرة في مناطق اللبان جنوب شبه جزيرة العرب وبالتحديد المطلة على (صحراء صيهد والربع الخالي) ليس إلاّ محض خيال أو حيلة أراد بها التجار العرب جلب المنفعة ودرء المضرة، ونقلها المؤرخ الأغريقي دون تمحيص أو تعليل من قبل أولئك الذين كانوا ينفقون أموالهم ويبددون ثرواتهم للحصول على اللبان والمر والتوابل...إلخ. ألم يكن بوسعهم التجسس لكشف أكذوبة الأفاعي الطائرة. ثم إذا كان البعض من الباحثين ينظرون من أعالي أبراجهم العاجية باستخفاف بروايات الإخباريين العرب وبالذات مرويات(وهب بن منبه) خصوصاً واقعة (الحية الزمردة) مع جيوش أبرهة ذي المنار في جنوب العراق(حنو قراقر) المطلة على (صحراء النفود الكبرى) ويرون فيها مجرد عناصر تشويق وظفها الإخباريون من أجل تنفيق بضائعهم!.. إذا كان هذا الموقف هو السائد اليوم بالنسبة لتراثنا القديم، فماذا يقول الباحثون المعاصرون في **الصرخات المكتومة والإبتهالات والتضرعات التي ذكرها(لورنس العرب) بشأن وادي الأفاعي المهوسة في مهاجمة الإنسان الوادي المعروف بوادي ال(سرحان) الممتد من منطقة الجوف غرب سكاكة الواقعة في (صحراء النفود الكبرى) شمالي المملكة العربية السعودية حتى حواز عمان في الأردن. هذه الأمور تؤكد صحة ما ذهب إليه هيرودوت بخصوص طقوس جني محاصيل اللبان والمر وغيرهما بسبب الحضور الكبير والمرعب للأفاعي في محميات اللبان**.. والشاهد الثالث في مرافعة دفاعنا عن نص (هيرودوت) قد خف لنجدة طرحنا هذا من الذاكرة الجماعية الحية لأبناء (سرو حمير/يافع) فهم أحفاد حمير :

(فمن كان ساكنا باليمن فإنه أعلم أخبار الأمم جميعا لأنه كان في دار مملكة حمير وفي ظل الملوك السيارة إلى الشرق والغرب والجنوب والشمال. ولم يكن الملك منهم يغزو إلا عرف البلاد وأهلها).[٢٨]

١

٢

الأفعى الطائرة في سرو حمير/يافع

عرفت يافع قديماً باسم(أرض دهسم)، وكانت المصدر الوحيد (للمر الأبيض) تصدره عبر ميناء (عصلة) الواقع على ساحل أبين. وقد ذكرها (يافع) المؤرخ (بلايني) كممر للقوافل التجارية.[٢٩] هذه الأرض البكر ما زال أهلها يتحدثون في مجالسهم عن (الحنش الطائر) ويعرف لدى اليافعيين بتسميتين هما :

- **الزتر** : بفتح الزين ثم تاء مثناة علوية آخره راء.
- **الوجس**: بكسر الواو ثم جيم آخره سين مهملة.

والمأثور عن(الزتر/الوجس) أنه من أصغر الحنشان وهو ليس (بذي جناح) كما قد يتبادر إلى ذهن البعض ولا يقول أحد من أبناء (سرو حمير) عنه أنه من الحنشان السامة فما السر في خطورته؟

السر في خطورة هذا الحنش تكمن في قدرته الخارقة على الطيران فعندما يريد مهاجمة ضحيته يجمع نفسه حتى لا يكاد يرى ثم ينطلق بسرعة مذهلة فإن أصاب ضحيته اخترق جسمها فقتلها وإن أخطأ فإنه يلقى حتفه مزقا. ويزعم البعض أنه انطلق ذات يوم صوب ضمد(الثوران يضمدان للحرالة) فأصابه في مقتل إذ اخترق جسدي الثورين. وهذه لعمري قصة شائعة في (سرو حمير) لا ينكرها أحد. وهذا الشاهد يدل دلالة قاطعة على أصالة ما ذكره (هيرودوت) فالأمر لم يكن بمثابة خدعة أو كذبة أراد بها اليمنيون شيئا في نفس يعقوب(عليه السلام) بل كما بينا هنا فإستمرارية هذا الأثر وتوارثه في سرو حمير عبر القرون كحقيقة لا تقبل الجدل يؤكد صدق ما أورد المؤرخ اليوناني من خبر **الأفاعي الطائرة(لا المجنحة)** التي تمور بها محميات اللبان والمر الأبيض والقرفة والقرظ والورس والمدس(الآس) وغيرها من أشجار منتجات الزينة ومساحيق التجميل وتقدمات النذور بدرجة أساسية.

إن إنسان اليوم على امتداد المعمورة ما زال يخامره الحنين إلى بدايات الإنسان الأولى وينشد في رموزها ما أراده الإنسان الأول تماما. فما أشبه الليلة بالبارحة، فأمام ما يبتلي الإنسان من الأمراض وبالذات متاعب الشيخوخة والضعف الجنسي والطفولة الكسيحة الخاسرة نجده أي الإنسان المعاصر يتطلع بلهفة طفولية إلى استخلاص (ترياق الحياة) من سارقة نبتة الخلود(الحية) التي تبشر كثير من

الإصدارات العلمية الرصينة في الولايات المتحدة على وجــه التحديــد الصــادرة في مطلــع العــام الفائت(١٩٩٦) والتي تؤكد حسب تحقيق أوردته مجلة التايم العلميــة (Time International) الأسبوعية الأمريكية(٥ فبراير ١٩٩٦) أن الهيئات العلمية الطبية قد أصبحت على وشك اســتخلاص **عقار (ترياق الشباب) وقاهر الشيخوخة من (شحوم الحيات) وأنه سيترتب علــى إنتاجــه زيــادة معدل حياة الإنسان وأنه سيضرم الحيوية والشباب في أجساد الشيوخ الواهنة ويخلــص الطفولــة الكسيحة الحاسرة من لعنتها وسيغمر الإنسان بحياة سعيدة مشبوبة بقدرات جنسية أكــثر توقــدا وشبقا. وبكلمة أخرى الحصول على وميض العافية والخلود من(شحوم) سيدة الحكمة (الحية) الــتي علل بها الإخباريون العرب القدرات الجسدية المرعبة لأمير الصعاليك وبيضتهم تأبط شرا ؟!**

نكتفي هنا بهذا القدر من دراسة النصوص الشعبية المتعلقة (بالحية) والتصورات التراثية عنها وعــن دورها في أساطير الغواية وأصدائها في الحياة الشعبية لأهالي(سرو حمير/يافع) تحديدا. ولنلتفت لدراســة تجليات أخرى تظهر في الأفق ذاته لبذرة الغواية الأولى التي تفتقت عن براعم حديدة متكيفة مع ظروف ومعطيات تاريخية وتصورات اختلفت عن البيئة الأصلية والتربة التي شهدت في جوفها انفلاق النــواة الأولى والإنبثاق الأول للفكر الأسطوري. هذا النمو الجديد للأسطورة بطلته حياة أو حــواء الوجــه الآخر للحية فما انفك الأهالي في(يافع يصفون المرأة الداهية التي تظهر عكس ما تخفي بأنها)

(حية ما لها قبر يبخش).

أي (فلانة حية ليس لها قبر يحفر).

بمعنى أن لها من الصفات ما يجعلها صنوا للحية التي لا تموت. ومن دورها في واقعة الخطيئــة الأولى اقتبس الرواة المداحون ما يناسبهم بعد الإسلام لتبرير تكسبهم بالمدح والإنشاد الذي كرسوه لآل بيــت رسول الله(صلى الله عليه وسلم) وما اسقطوه من وقائع ملحمية عتيقة **على آل البيت النبوي لا تمــت إلى سيرتهم في واقع الحال بصلة ويأتي في طليعة هذه التخريجات المحورة أســطورة جعلــوا مســرح أحداثها (المدينة المنورة) وأبطالها بدرجة أساسية الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وزوجــه فاطمة الزهراء**(رضوان الله عليها). هذا الأثر الأسطوري نعرض له في الآتي:

- ## أسطورة الكواهن :

مفتاح هذه القصة الأسطورية يكمن في قول شائع لدى كافة أهالي(سرو حمير) نصه :

(تاهي من ذي اختبأين على (علي) بأغوال الشعيب).

وبلغة فصيحة :

(فهي من الذي (اللوات) أختبأن من علي باغوال الشعيب).

أغوال جمع غيل. والغيل هنا كما ذكره صاحب اللسان:

(الغيل: كل موضع فيه ماء من وادٍ ولحوه.

والغيل: الشجر الكثير الملتف الذي ليس بشوك،.. وفلاة تغول أي ليس بينه الطـــرق فـــهي تضلل أهلها، وتغولها أشتباهها وتلولها).[ابن منظور/لسان العرب/١١/مادة غول وغيل]

وأغوال الشعيب: هي وديان الشعيب البعيدة الغور، إذ بخلاف الشعيب هو أحد أن لم يكن أكثر مناطق (سرو حمير) وعورة حيث يشغل حيزه في الأطراف الشمالية الغربية(لسرو حمير/يافع) فما قصـــة أولئك الكواهن اللائي اختبأن من (الإمام علي) في أغوال(أغوار) الشعيب هذه؟

فحوى القصة المأثورة أن كواهن المدينة (عجائزها المجربات) أضمرن في أنفسهن أمراً حللاً نشـدن فيه الكيد للإمام علي وفاطمة الزهراء(رضوان الله عليهما) فأخذن يترددن على (بيت الإمام علي) أثنـاء غيابه في وقائع محاربة أعداء الله من الكفرة.. وقد اعتادت فاطمة بنت النبي(صلى الله عليـــه وســلم) الخروج إلى عتبة الدار وفي يدها إناء الماء تغسل به يدي وأقدام زوجها العائد من أتون المعارك.. وقـــد حاولن مراراً إفساد ذات البين واستمالة فاطمة إلى الطلاق ومن ثَمَّ الزواج من أحد الصحابة، وعندمـا أعيتهن الحيلة اقترحن على فاطمة(**الحنق**) أي أن تترك بيت الزوجية وتذهب إلى بيت أبيها(**صلـــى الله عليه وسلم**)، وحالما يعود الصحابة من وقعات الجهاد وصولاته.. تدعوهم للإحتشاد بســاحة بيـت رسول الله فإذا اكتمل الجمع ألقت من حبا(شرفة) الدار إليهم بسبع سفرجلات(واحدة واحدة) فمـــن حصد أكثر السفرجلات يكون أصلحهم لها بعلا فوافقت على هذا. وعندما عاد الإمام علي اغتم غمـا شديدا، إذ لم يجد الزهراء في انتظاره على عتبة الدار فصاح شاكيا بقوله الشهير: (**خرجنا من الجـــهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**).

وقد راهنت الكواهن على ثلاثة عوامل ليست في صالح الإمام علي كرم الله وجهه هي:

✠ لأن الإمام أكثرهم بلاء في المعركة فقد راهن على الهاكه وفرسه في المعركة، بالإضافة إلى الهـم الناجم من (حنق) زوجه فاطمة (رضي الله عنها).

✠ أن في الساحة من الصحابة من هو أطول قامة وأرهف عودا.

✠ حثهن لفاطمة بالرمي في تجاه فرسان غير علي.

وتحدث المباراة غير أن (عليا) كان الفائز الوحيد فقد خطف جميع السفرجلات. وعندما يعلم أنـه من كيدهن (الغواية) يتمخض فصل جديد من المواجهة هو فصل (العقاب)في الأسطورة:

- **عقاب الكواهن:**

عند هذا المستوى يستأذن الإمام علي(كرم الله وجهه) عمه النبي محمد(صلى الله عليه وســلم) أن يطلق يده ليأخذ بثأره من كواهن المدينة، فيأذن له على شرط واحد وهو :

(أن يرفع سيفه عن رقابهن عند سماعه الأذان (أذان الفجر)).

وينطلق الإمام الهمام ليفري في الكراهن ذبحاً بسيفه الباتر الشهير بذي الفقار. رؤوس الفتنة تهــوي وعلي ماضياً في انتقامه لا يلوي على شيء غير إزهاق النفوس الأنثوية فيصاب المجمع النسائي بـــالذعر والهلع فتلوذ من استطاعت أن تعطي سيقانها للريح ب:

أغوال الشعيب ..... هرباً من سيف علي الذي لا يرحم. وأمام هذه الجائحة المــهددة لبــني البشر تأتي النجدة فيتوقف حمام الدم المرعب:

- **إنقاذ البذرة المختفية:**

انطلق البطل يتعقب أثر النسوة الهاربات المتواريات في (أغوار الشعيب) ممتشقاً حسامه النازب دماً ليكمل الحساب مع من جنتها أغوار الشعيب وخبائره... وهنالك يبهت فجأة على صوت الأذان يأتيه مجلجلاً من فم (بلال) له لجب يترد في شعف(جبال السرو) وفجاجة كأنه هزيم الرعد. فيقفل الإمــــام علي(كرم الله وجهه) يطوي البطاح لأداء (صلاة الفجر) وهنالك يكتشف أن الفجر لم يحن بعد، ومــا فعل (بلال) (رضوان الله عليه) لم يكن دعوة للصلاة وإنما تلبية لأمر النبي (صلى الله عليه وسلم) ونصــه المعروف شعبياً :

(قم يابلال علي كما أمات الرجال).

أي (قم[للأذان] يابلال علي أكمل[أفنى] أمهات الرجال).

أمام هذا التدخل النبوي الذي لم يكن لبطلنا من حيل (حول) للتمرد عليه خاصة من الوضــوح في كشفه السبب الذي أوجب هذا التدخل وهو انقاذ الأم(أمهات) مصدر الخصب وحاملة أجنة الحيلة في رحمها.

ووفقا لنص الحكاية المتوارثة شفاها في (سرو حمير/يافع) :

يعمد الإمام علي(كرم الله وجهه) إلى أشجار العلب، فيقبض عليها بشدة حتى تسيل مــــن بــين فرعالها ويقول :

(ياعم لا انعدمه النسوان كنك بأعصر العلوب تدي الرجال)

أي (ياعم لو انعدمت النسوان(أمهات الرجال) كنت سأعصر العلوب تؤدي الرجال)

أما العلوب فهي لغة(سرو حمير) : السدر.

وفي لسان العرب : (**وقال أبو زيد : العلوب منابت السدر، والواحد علب**).

[ابن منظور/لسان العرب/١/مادة علب]

والنص يفيد أنه لو انعدمت (هلكت) النساء فإنه أي البطل(علي) سيجعل العوب تلد الرجال عوضا عن النساء.

والحكاية هنا لا تخفي أبعادها الميثولوجية على لبيب (فعلي وفاطمة) ليسا إلا نسخة معدلة من أبطال الميثولوجيا القديمة لهما بلا شك نفس الدور في أساطير الخلق والغواية السومرية والرافدية، فعملية الإبادة بالسيف هنا ليست إلا صورة للجائحة البابلية المعروفة (بالطوفان) الذي أراد به الإله(أنليل) إبادة عالم البشر وكل ذي روح. وإذا كانت العلة في حكاياتنا الشعبية تكمن في مكائد النسوة الموجهة لإرباك النواميس الثابتة للزواج من خلال الدفع بهذه المؤسسة(النظام) للتغيير عبر الطلاق(الإنفصال) هذه المكائد النسوية التي شكلت خلفية (الإبادة بالسيف) إعادة تمثيل علة(الطوفان) التي خلدتها الملحمة البابلية في نص العقاب الموجه إلى (أنليل) إله العواصف من قبل رب الأرباب(أيا) :

(أيها المحارب، أيها الحكيم بين الآلهة آه كيف، آه كيف دونما تفكر جلبت هذا الطوفان حمل المذنب ذنبه والآثم إثمه أمهله حتى لا يفنى، ولا تهمله حتى لا يفسد). [٣٠]

وفي (أغوال الشعيب) نجد وجه آخر لسفينة النجاة التي صنعها أوتنا بشتيم بأمر إلهي وعندما **رآها (أنليل) انتابه الغيظ الشديد).** [٣١]

كذلك فقد استشاط بطل حكايتنا (أسطورة الكواهن) غيظا عندما علم بأن (الأذان) الذي بلغه ليس بنداء صلاة الفجر فعمد إلى إبراز قدرته على خلق الإنسان من جذوع الأشجار كبديل عن نسل المرأة الذي ما أنفك يميل إلى التعرض للنواميس الساكنة بزيادة الضوضاء(المكائد) المزعجة لبعض الآلهة. وإذا كان النص البابلي لم يقدم بديلا محتملا في حالة اتيان الطوفان على بني البشر فإن نصنا هذا النابض بالحياة قدم البديل في(شجرة العلب) (فالسلاء) الذي تنزله أشجار السدر(العلب) سنويا يرى فيه أهالي(سرو حمير) بشاره(دماء) الطلق التي تنزل قبل الولادة وتستمر لمدة أربعين يوما بعدها وتتكرر في دماء الطمث المبشرة دائما بالخصب والإنجاب. ويرجعون(سلاء) الأشجار وبالذات (العلب) لهذه الواقعة التي كما ذكرنا آنفا لا تمت لآل بيت رسول الله بصلة **بل هي صورة من(تناسخ الأساطير) وفقا لما تقتضيه متغيرات الزمان والمكان.** وهنالك في(سرو حمير/يافع) ما زال الناس يستعملون مفردات مشتركة بين المرأة والشجرة مصدري الخصب في عالم الحيوان(الإنسان) والنبات؛ فالفتاة إذا

أعصرت أي بلغت مبلغ النساء يقولون عنها : (**بتخشب**).

الباء(باء المضارعة عرفت في النقوش القتبانية) وما زال أهالي (سرو حمير) يستخدمونها مع أفعال المضارعة حتى اليوم نحو :

بياكل(يأكل) بيشرب(يشرب) ....إلخ.

وتخشب : تحيض، والخشاب هو في لهجة اليافعيين: الإغتسال (غسل الملابس المدروسة).

والخشب: أعواد الأشجار. وبالإيجاز :

(الخشب = الخصب) ومنها نخلص إلى معادلة تكشف الرؤية التراثية قوامها :

الخشب = الخصب (حيض الشجرة).

المرأة = الشجرة.

نعم فهذا المفهوم الآتي عبر قناة التحدار (التراث) يعود بنا إلى عهود الإنسان الأولى حين كانت رؤيته تنطلق من وحدة الطبيعة الخصبة وعالم البشر الخصب وتؤكد هذه الرؤية التي راحت في حدود العالم القديم وبالذات بين شعوب شرق المتوسط فأسطورة فارسية تقول :

(أن الذكر والأنثى إنبثقا عن شجرة وكانا متحدين في جسد واحد، ثم جاء إليهما الإله (آهور) مزدا وفصل كل منهما عن صاحبه وأرسلها إلى الأرض). [٣٢]

وتجد فكرة الشجرة البديلة للمرأة المنجبة للرجال سبيلا لها إلى اليونان القديمة التي قيض لها من أسباب الرقي والتمدن والمعرفة ما لم تكن لتحلم به قبل أن يبدأ المشروع الحضاري فيها على أيدي موجة الاستعمار القادمة من أرض الكناعنة والفينيقيين وقدماء المصريين الذين شرعوا وفقا لروايات المؤرخين الأغريق عند منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، في تمدين العالم الأيجي ونقل معارفهم ونظمهم في الزراعة وهندسة العمران والثقافة والأخلاق والمعتقدات اللاهوتية والميثولوجية التي أفضنا في عرضها في مدخل الكتاب. وإلى بلاد الإغريق ينتقل الإله(الأوغاريتي) بعل العلي إله الخصب والمطر غير أنه هنالك في بيئته الجديدة يغلب عليه أحد نعوته التي اشتهر بها عند قدماء السوريين وهو (آدون)- أي السيد الرب- لهذا فقد أصبح يعرف عند الإغريق ب(أدونيس) حيث تظهر في آخره لاحقة التصريف الاسمية اليونانية (س) :

لقد حمل الكنعانيون(الفينيقيون) في ترحالهم معهم آلهتهم، وكان (آدوني) من أشهر الآلهة المرتحلة. وصل إلى اليونان حيث أغرم الناس به هناك وزوجوه (أفروديت) آلهة الحياة والجمال، والنسخة اليونانية عن (آنانا) أو (عشتار). [٣٣]

ولكن ما الذي أقحم الشجرة في انتقال (آدوني) إلى اليونان:

تحكي الأسطورة اليونانية قصة (أدونيس) السوري مع بعض التحوير في التفاصيل. **فشجرة المر كانت في الماضي آلهة شابة أغرمت بأبيها وتاقت إلى وصاله جنسيا مدفوعة إلى ذلك بعاطفة جارفة زرعتها فيها الآلهة(أفروديت) انتقاما لاساءة سابقة. وقد استطاعت بحيلة ما أن تشبع رغبتها من أبيها دون معرفته بمساعدة وصيفة لها.** [٣٤]

وما كان للسر أن يقبع طي الكتمان خاصة وقد حملت العذراء من أبيها الذي يكتشف الخدعة ويأخذ في ملاحقة ابنته بغرض قتلها وتطهيرها بدمها:

ولكن الفتاة صلت للآلهة وتضرعت إليهم بحرارة لإنقاذها فاستجيب لها وأخفيت عن أنظار الأب بتحويلها إلى شجرة. وبعد عشرة أشهر انفتحت شجرة المر ليخرج منها (ادونيس) الشاب الذي حملت به من أبيها، فلما وقع عليه بصر (أفروديت) بهرها جماله الأخاذ وهامت به حبا فأودعته في صندوق حديدي وسلمته إلى (برسيفوني) آلهة العالم الأسفل لتخفيه عن أنظار الآلهة. [٣٥]

وفي سجنه تعشقه(برسيفوني) وتضن به على (أفروديت) فلا ترجعه إليها ولا يفك أسره من قيود(برسيفوني) إلا حكم كبير آلهة الأوليمب(زوس) :

الذي قضى بأن يقسم (أدونيس) وقته في السنة إلى ثلاثة أجزاء. فواحد لنفسه وآخر(لبرسيفوني) وثالث (لأفروديت). وبذلك كان(أدونيس) يهبط مدة أربعة أشهر في كل سنة إلى العالم الأسفل ليعيش مع إلهته، ثم يغادر صاعدا إلى الحياة ثمانية أشهر أخرى وهكذا دواليك. [٣٦]

هكذا كانت ولادة (أدونيس) في الميثولوجيا الأغريقية التي استلهمت فكرة ولادته من الشرق السامي العربي الذي لم يفت القدماء فيه إدراك أوجه التشابه زالتشاكل بين الإنسان والبيئة التي يعيش فيها وبالذات أوجه الخصب والجدب عند المرأة والطبيعة وعدم استحالة أن تقوم الواحدة بدور الأخرى في عهده من الظروف الخارقة والإستثنائية التي تعمل متفيئة في ظلال الحضور والإشراق الإلهي المبارك لهذا العمل الخارق.

وقد ركزنا في المدخل على عدة من المؤثرات اليمانية في الميثولوجيا الأغريقية ومكانة الفاتح(ذي يقدم) في الصرح المعرفي اليوناني وتحوله عندهم بعد أن لقنهم طرائق الكتابة بالحروف الأبجدية التي كانوا يجهلونها إلى إله للعلم عرف عندهم منذ القرن الخامس قبل الميلاد (باكاديموس/أقاديموس).

- ولادة الذكور في(سرو حمير أيافع) :

لعل أكثر الأسئلة الحاحا على الأمهات في أي بقعة من قريتنا الصغيرة تكمن في السؤال الذي

يطرحه كل صبي لا محالة وهو السؤال الذي لا ينفك يساور المرء طوال حياته في دار البوار وفحـــواه هي:

ـــ من أين أتيت؟

ـــ من أين ولدت يا أمي؟

ـــ من أين خرجت لكم؟

لا ريب أن عمر هذا السؤال يقترن بعمر البشرية منذ فجر تاريخـــها ومغـــامرات عقلـــها الأولى ويتحير العقل البشري فيه وتختصم عنده مدارس الفكر ومناحله العقلية والنقلية... بيد أننا نتوقف هنـــا مع الإجابة التي يتلقاها الصغير في ميعة صباه إذ تلقنه أمه وبقية أقاربه أنه قد:

ـــ اتى من ركبة أبيه !

ـــ ولد من ركبة أبيه !

ـــ خرج من ركبة أبيه !

ويقتنع الصبي في (سرو حمير/يافع) بهذه الإجابة حتى يحيط فيما بعد بحقيقة وكنة هـــذا الســـؤال والإجابة التي يقوم عليها مشروع اكتشاف الذات الإنسانية وموقعها من هذا الكون ولغز وجودها فيـــه ومسؤليتها إزاءه وقضية التكليف والتخيير...إلخ. بيد أن الإجابة التي حصل عليها عند صبـــاه تبقـــى قلادة في ذمته حتى يحين تسليمها لطالبها من خلفه الذين يرومونها. لا غرو أن (حكاية الصغير) الوافـــد على أبويه من (ركبة أبيه) هذه التي ما برحت تلقى على مسمع الصبية في(سرو حمير/يافع) قد أخـــذت طريقها إلى العالم الأيجي ذات يوم فكانت خميرة أسطورة الإله (ديونيسيوس) الهيليني فما قصته يا ترى؟

تروي أسطورة الإله(ديونيسيوس) أنه ابن كبير الآلهة (جبل الأوليمب) إذ حملت به ربه العـــالم الأسفل(بيرسفوني) من (زوس) الذي غشاها بهيئة أفعى، وكانت ولادته في مغـــارة تحـــت رعايـــة الجـــدة(ديتمـــر)... وقـــد شـــق الصغـــير طريقـــه إلى عـــرش أبيـــه(زوس) وعـــرف آنئـــذ باسم(ديونيسوس/وزاغروس). لكن الصغير لا يلبث أن يلقى حتفه على أيدي (التيتان) بتحريـــض من (هيرا) زوجة(زوس) التي لم يكن لها أن ترتضي لإبن إحدى سراري(زوس) أن يتسنم عرش أبيه. هكذا فقد أغرت (هيرا) بعض خصوم (زوس) وهم التيتان الوحوش الذين ينتمون إلى طبقة الآلهـــة من الدرجة الثانية حيث أخذوا بملاحقة الطفل(ديونيسيوس) الذي كان يراوغهم في تخفيـــه عنـــهم بهيئة(أسد ثم حصان فأفعى) :

ولكن دون جدوى لأن (التيتان) قد نالوا منه اخيرا وهو في صورة الثور. فقتلـــوه وقطعـــوا

جسده سبع قطع أكلوها جميعا. ولم تجد محاولة(زوس) لإنقاذ ابنه لأن التيتان كانوا قد أتوا عليه قبل أن يصلهم برق كبير الآلهة ويحيلهم إلى رماد. [٣٧]

لكن ربة الحكمة (أثينا) كانت قد شهدت الوليمة الوحشية فامتدت يدها الرحيمة إلى قلب (زاغروس) أو بالأحرى إلى اشلائه فتنقذ هذه (المضغة) وتسلمها إلى الأب المذعور(زوس) الذي يقوم بتحضير شرابا من مضغة (قلب) ابنه الضحية(ديونيسيوس) فيسلمه ل(سميلي) : التي كان يزورها بهيئة عادية وينام معها تاركا وراءه البرق والصواعق وكل رموز سلطته وجبروته. [٣٨]

هكذا فتنبض الحياة في قلب (ديونيسيوس) وهو مضغة في بطن(سميلي) هذه المرة. بيد أن (هيرا) تحتال هذه المرة على قتل الجنين في بطن أمه إذ تزورها في هيئة وصيفة فتغري(سليمي) :

على أن تطلب من (زوس) أن يتجلى أمامها على صورته الحقيقية كما يفعل أمام زوجته (هيرا) . [٣٩]

ودونما ترو يتجلى(زوس) ل(سميلي) على صورته الحقيقية:

فصعقها البرق وهبطت إلى العالم الأسفل ولكن (زوس) تمكن أن ينقذ من بطنها الطفل الذي لم يصل بعد مرحلة النمو الكامل. ثم قام بشق فخذه وزرعه فيه وخاط عليه تاركا إياه يستكمل نموه.

وعندما آن أوان ولادته فتح ساقه واستخرجه طفلا تاما كاملا. [٤٠]

و لم تكن فكرةولادة الإله (ديونيسيوس/زاغروس) من ركبة أبيه أو ساقه في هذه الأسطورة بجرد واقعة أقتنصها الهيلينيون من التراث الشرقي عموما ومن مرتفعات (سرو حمير/يافع) تحديدا أي من هضبة اليمن الكبرى بل وعلاوة على هذا نجد أن الإله(ديونيسيوس/زاغروس) قد جاء بلحمه ودمه من بلاد العرب الأولى ومن جنوب جزيرة العرب على وجه اليقين وأول الشواهد على ذلك تسميته وصفته العربية الواردة من اليمن القديمة :

***موسم الخصب(الدثا)** : أظهرت النقوش المساند اليمنية القديمة العائدة إلى أقدم الحقب أن قدماء اليمنيين كانوا يطلقون على فصل الصيف المطير(الدثا) وهذه تسميات الفصول الأربعة كما وردت في نقوش المساند الحميرية:

حسب ترتيبها من الصيف حتى الربيع:

(دثا، خريف، سعسع، ملي). [٤١]

كما أظهرت النقوش أيضا أن أحد أشهر الصيف(دثأ) يعرف ب(ذي دثان) ويرجح بعض أهل الاختصاص أنه شهر حزيران. [٤٢] كما عرفت غله ذلك الفصل بـ (الدثأ). وقد حبذ بعض أهل

الاختصاص التفسير القائل بأن :

الدثأ : فصل الربيع. ثمار الربيع وغلاله مطر الربيع الموسمي. [43]

غير أننا نميل إلى تفسير (الإرياني) خاصة وأن أهالي (سرو حمير/يافع) ما زالوا يطلقون على الصيف هذه التسمية (الدلأ / بإبدال اللام من الثاء). **وهذا فإنني أرجح أن(ذا/دثان) هو الأصل في تسمية الإله الهيليني(ديونيسيوس) أي بإبدال السين الأولى من الثاء المثلثة(دثن/دسن = دنس) فبالتصويت وإدخال لاحقة التصريف الاسمية اليونانية (س) يظهر لنا اسم الإله الهيليني هذا(د[يو] ن[ي] س[ي] + وس) (ديونيسيوس) فهورب الخصب أو موسم الرخاء والخير والديونة– بمعناها العامي /أي الخير– ويؤكد طرحنا هذا أيضا الصيغة العربية التي عرف بها هذا الإله كتسمية ثانية ونقصد(زاغروس) فهو بدون اللاحقة اليونانية (س) (زغر/بدون تصويت)** فما زال الناس في(سرو حمير/يافع) يستخدمون هذا الفعل بمعنى (حمل/فعل) فإذا سألك أحدهم عن زوجتك :

شي زغرة معك المرأة؟

من هنا فقد أخذ (ديونيسيوس) تسميته الثانية من مادة(**زغر/ بمعنى حمل**) فهو المحمول أو(**المزغور**) **حرصا على حياته في فخذ أبيه(زوس) وبهذا يكون نعته ب(زاغروس) له ما يبرره وثبت ما ذهبنا إليه أن فكرة الأسطورة قد استمدت من التراث اليمني الذي ما برحت آثاره الحية تشهد على ولادة الصبي من (ركبة = ساق أبيه).**

وكما دل موسم (الدثأ) على الخصب والرخاء والنعمة دلت تسمية الرجل(الديوث) على ليونته وتراخيه في مسألة الغيرة على أهله وفي الحديث :

(تحرم الجنة على الديوث؛ هو الذي لا يغار على أهله). [44]

وحيث أن الصبي في اليمن لا تنطلي عليه كلما اقترب من لحظة نضوجه واقعة (خروجه من ركبة أبيه!) وهو لا محالة سيكتشف دونما مساعدة من أحد أنه خرج من فرج أمه فإن السنوات التي تفصله عن لحظة الفطنة هي فترة يمكن إعتبارها فترة إخبات وحين من الذكر (الصبي) يتوق فيها لإكتشاف النصف الرخو أو الضعيف من كيانه الذي لم يورثه من أبيه بل من أمه التي يمثل الإهتداء إلى سرها عند الصبي حدا فاصلا تبدأ عنده قضية اكتمال شخصيته وعلو قدره.

وهكذا كان على (ديونيسيوس) كما تروي الأسطورة الأغريقية أن يبحث عن أمه (سميلي) وأنى له ذلك دون التنازل عن بعض من خشونته أو رجولته كثمن لا محيص من تقديمه لقاء حصوله على الدليل المرشد إلى العالم السفلي:

فالمساعدة لم تقدم له إلا بشرط واحد، وهو أن يخضع لفعل جنسي خضوعا أنثويـــا كـــاملا: فقام(ديونيسيوس) يصنع قضيب من غصن شجر التين وأولجه في إسته.

وقد أعتبر هذا الفعل رمزا للخضوع المطلوب قدمت على إثره له المعونة المطلوبة وعاد بأمـــه من العالم السفلي وأصعدها إلى السماء. [٤٥]

وهكذا فـ(ديونيسيوس/زاغروس) لم يشذ عن القاعدة فهو مثل جل آلهة العالم الأيجي قـــد قـــدم باسمه ورسمه لا من الشرق الأدنى فحسب، بل الإقليم الجنوبي لشبه جزيرةالعرب فهو(رب الدثـــأ) أي رب الخصب(ديونيسيوس) وهو الإله (المزغور) أو (الزاغر) أي (المحمول) في فخذ أبيه كما بينا اعتمـــادا على لهجة(سرو حمير) الأمر الذي يعززه معنى المفردة (زغر) في المعاجم العربية:

زغر الشيء يزغره زغرا : اقتضبه وفي القاموس اغتصبه. [٤٦]

والمعنى الأخير (اغتصب) يشير إلى مسألة تخليص(ديونيسيوس) المتكررة من شرق الموت الرهيـــب الذي كان يترصده فهو إذا المغصوب في إعادة سيرة حمله ثلاثا، أي هو(زاغروس) المحمول هربـــا مـــن الموت الذي يترصده في بطن فخذ أبيه والخارج من ركبته وفقا للموروث الشعبي اليمني.

وهذه قرينة أردنا بإظهارها رصد فضائل الشرق الأدنى على حضارة (الأغريق والرومان) وبالتـــالي ابراز دور العرب في التاريخ العالمي واسقاط الحواجز المصطنعة بين الغرب(المتقدم) والشـــرق(المتعـــثر) وفضح الخرافة(الآرية) المحبوكة في القرنين(١٨-١٩) للميلاد والتي أراد بها المفكرون الأوروبيون تهميـــش الوعي التاريخي بحقيقة ما ذهب إليه قدماء الإغريق من أن الفينيقيين والمصريين هم أصحاب الفضـــل في تمدين العالم الأيجي منذ أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد، وهو ما يؤكده اليوم عدد من رجـــال الفكـــر الأوروبي الإنساني النزعة ومنهم (د/مارتن بيرنال) صاحب كتاب(أثينا الســـوداء) الـــذي ذكرنـــاه في مدخل الكتاب.

٢٩

٣٠

٣١

٣٢

٣٣

٣٤

الفصل العاشر

البدبدة وأبعادها الميثولوجية

لعل فيما تختزنه الذاكرة الشعبية عن (البدبدة) وفعل(البدة) القادرة على مسخ نفسها من إنسية فاتنة! إلى (أتان) بعد مسخها لمن تهوى ممارسة الجنس معه من الرجال إلى حمار، ومن ثم عودتها إلى سيرتها الأولى بعد نيل وطرها... إذ تعمد :

(إلى موقع رماد أوقدت ناره قبل أيام من حطب(القرظ) فتتمرغ في ذلك الرماد حتى تسترجع صورتها البشرية). [1]

لعل في هذا الأثر تجلي لما لدى الإنسان من رغبات دفينة مشحونة لممارسة الإنسان التملك والسيطرة على نصفه الآخر حيث أخذت الشقة تتسع بين نصفي الكيان الواحد في الأصل. ولكن كيف يتسنى لآنسة حسناء فعل هذا المسخ (الرهيب) كما يتصوره العقل الشعبي وينقله لنا شاعرنا الكبير عبد الله البردوني :

(أول ما تحتاج الشابة إليه هو الكيان القوي لكي تتحمل صعود الجبل مرة قبل الصبح ومرة بعد الغروب مدة سبعة أيام، بعد هذا تنهض الشابة قبل شروق الشمس لكي تكشف سوئها لأول بزوغ شمسي مدة أربعين يوماء، بعد هذا تغتسل الشابة أربعين ليلة تحت النجوم ثم تدلك جسمها بورق شجر اسمه(الضرو) وهذه آخر الطقوس). [2]

فماذا نستطيع أن ندركه من قراءة عميقة لهذه الشعائر الغريبة؟ التي نرى فيها ترسبات متواضعة لملحمة أسطورية عظيمة تكشف لنا بعضا من أسرار النسيج الإيماني لقدماء اليمنيين قبل الإسلام.

فمن خلال معطيات (البدبدة) التي عرض لها البردوني وبالمقارنة مع ميل الإنسان اليمني الى المحافظة على علاقات تقليدية منظمة ليس فيها حرية حسية مفرطة أو تهتك في نسيج هذه العلاقة حيث أثبتت النقوش القديمة العائدة إلى عهود ما قبل الميلاد كنقوش منطقة يلا- بني ظبيان خولان الطيال العائدة إلى عهود مكاربة سبأ مكانة المرأة الرفيعة في المجتمع اليمني القديم كزوجة مثل صاحبة (بيت يثع آمر) المعروفة في(أ/٤٣) بمجموعة نقوش(يلا) ب/حححمه... ويثع آمر هو أحد مكاربة سبأ المعروفين.. ولذلك فهذه السيدة (حححمه) من النساء ذوات الشأن الكبير في ذلك المجتمع). [3]

وهذه الشعائر (البدبدية) تنم عن فنون ذات أسرار متواترة النقل تتوارثها البدات عن طريق التدريب ومجاهدة النفس... وذلك عن طريق التلقي والاختبار فالبدات حسب المفهوم الشعبي من علية القوم:

(من بنات الأغنياء أو أنّ لهنّ جدات يعرفن أسرار البدبدة!)   [بردوني/نفسه/ص ٣٨]

هذا التخصيص للبدبدة عبر التوارث أو الاقتراض بالمال! (بنات الأغنياء) يعد بمثابة مؤشر إلى حنين المرأة (الأم) الجارف إلى تبؤ مكانتها السابقة كحاكمة مطلقة في العهود العتيقة وأنها فقدت سلطتها لهذا للرجل وأصبحت تابعة له مما يعني أن هذه المتغيرات قد دفعت إلى تحالف الشريحة العليا من المجتمع النسوي وهي الشريحة الأكثر وعياً بالمتغيرات والأرهف حساً ولوعة بحجم الخسارة الناجمة من فقدان سلطتها للرجل الذي ينبغي أن يبقى رهينة حبوسها المشبوبة بالحب وأغلاله المتعددة الوجوه. فمن محبسه في بطن أمه إلى محبسه على صدرها أثناء الرضاعة والتنشئة إلى محبس الزوجية... وإذا كان من المتعذر بقاءه في محبسي الأمومة بحكم الضرورة فإن ولعه في ممارسة السلطة والتناحر في توسيع دائرة نفوذه يجعل قلب المرأة يخفق بقوة كلما خطر لها أن صاحب النفوذ يمكن أن يتخلص من شرك المحبس الثالث وهو الزواج فينطلق في ممارسة أهوائه وسلطاته بطرا ودون قيود... فتصنع له المرأة في داخلها محبسا شيطاني الفكرة وذلك عبر المسخ المقيت الذي لا تسلم هي منه لتمارس سلطاتها القهرية عليه. هذه باختصار الأجواء التي شهدت مولد أسطورة البدبدة. أما أدواتها فيمكن قراءتها على النحو :

- **المرحلة الأولى:**

بإلقاء نظرة على النسق التصاعدي للطقوس المطلوبة لإجادة(البدبدة)، نجد أنه إلى جانب قاعدة (الاصطفاء) في اختيار (البدات) من حسان(بنات الأغنياء) أو من جميلات (حفيدات البدات) تأخذ الطقوس مسارا تطوريا ذا نفس تصاعدي يبدأ في طوره الأول بتمرينات جسدية تشتمل على صعود الجبل وهبوطه مرتين قبل شروق الشمس وبعد غروبها في (برنامج) تنشيطي يومي قوامه الأسبوع الأول من مدة فترة الاختبار الثلاثية الأطوار.. وعند نهاية الأسبوع الأول تكون الحسناء المرشحة قد اجتازت الطور الأدنى باكتساب لياقة بدنية كبيرة مقترنة بمستوى من الصفاء الذهني والإنعاش الروحي من خلال الخضوع لقيود هذه المرحلة السبعية ذات النفس المحاكي لما يعرف اليوم عالميا بجلسات (اليوغا) الروحية الهندية الأصول وقد ذكرها الرحالة العربي الشهير ابن بطوطة في كتابه : (تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار).

وسماهم بالجوكيه (**والظاهر من حالهم أنهم عودوا أنفسهم الرياضة. ولا حاجة لهم في الدنيا وزينتها. ومنهم من ينظر إلى الإنسان فيقع ميتا من نظرته، وتقول العامة: أنه إذا قتل بالنظر، وشق عن صدر الميت، وجد دون قلب، ويقولون أكل قلبه. وأكثر ما يكون هذا في النساء. والمرأة التي تفعل ذلك تسمى[كفتار]**). [٤]

- **المرحلة الثانية:**

بعدما اكتسبته المتمرنة بفعل المرحلة الأولى من المرونة البدنية واللياقة النفسية، تنـــهض المتدربـــة لتواجه مرحلة أخرى أربعينية العدة مع إشراقة كل يوم تنهض لتعرض مواضع العفة فيها لأول شـــعاع تفض به الشمس ما انطوت عنه أستار الليل وانقشعت عنه أحداره. ومع تواري اليوم الأربعين،ومـــن الطور الثاني تكون الفتاة قد دلفت عبر بوابة المرحلة الأخيرة ذات الأربعين ليلة المنشودة.

- **المرحلة الثالثة:**

ثالثة الأثافي هذه لا تبلغ المتدربة أربها إلاّ بانعقادها وانقضاء آخر ليلة من لياليها الأربعين... ففـــي كل ليلة تنسل المرشحة خارجة من مخدعها لتنضح قدها المتهتك الأستار إلاّ ما جنته أو شحه الظـــلام بالماء، مستهدية في جلسات التطهر بوهج النجوم الشوابك ثم تعمد إلى تدليك جسدها بورق شـــجر اسمه (الضُرو) إمعاناً في التطهر... وبحلول تلك الليلة تبلغ شعائر البدبدة ذروتهـــا وذلـــك باكتســـاب العروب القلمة قدره (المسخ المقيتة) التي عبرها يمكن أن تنال وطرها من فحول الرجال... في الهـــواء الطلق بهيئة أتان وحمار فإن رغبت العودة إلى سيرتها الأولى ما عليها إلاّ التمرغ في رماد نـــار حطـــب القرظ(الإكاسيا).

(أما الرجل الممسوخ فلا يستعيد صورته البشرية إلاّ بيد المرأة التي مسخته أو بيـــد (المبدبـــد) الذي يكتب له تميمة ويمسح رأسه (بالزباد) وهو دهان معجون من فضلات الغزلان والظباء).

[بردوني/نفسه/ص ٣٨]

ولا شك أن الإنسان قد عرف منذ أقدم العصور أن المرأة تمر في أحـــوال وتغـــيرات كـــالدورة الشهرية المنتظمة في ثمانية أو تسعة وعشرين يوماً تتبع فيها دورة القمر وقد رسم الإنســـان (الأم الأولى) مقترنة بالقمر هلالاً أو بدراً في معظم الأثريات المكتشفة. بينما المدون من الأساطير والديانـــات الأولى بعد اكتشاف الكتابة يربط عبادة الآلهة الذكور بالشمس.[٥]

ومن رموز(إله القمر) عم عند القتبانيين، المكتشفة في معبده(لبخ) الهلال وبداخله دائـــرة صغـــيرة ورؤوس الثيران ومن شكل حرف(Y/ الهاء المسندية).... ورمز الهلال والدائرة الصغيرة يشـــير علـــى وجه التقريب إلى معتقد التزاوج المقدس بين القمر والشمس عند قدماء اليمنيين، أما شكل حرف الهـــاء مسنديا فيشير إلى البرق المبشر بالمطر كدلالة واضحة لارتباط المعبود(عم) بالري. كما ترمـــز قـــرون الثيران إلى القوة والتناسل.[٦]

وعليه فإننا نرى في شعيرة تعريض الفتاة المتدربة في(أسطورة البدبدة) (جرجـــها) لأشـــعة بـــزة

(بتشديد الزين) الشمس ولمدة أربعين يوماً دليلاً على معتقد قدماء اليمنيين (بأن خصب المــــرأة (الأم) وما تفيض به على أطفالها هو خصب الطبيعة التي تهب العشب معاشاً لقطعان الصيد وثمار الشجر غذاءً للبشر، وعندما تعلّم الإنسان الزراعة وجد في الأرض صنواً للمرأة فهي تحبل البذور وتطلق من رحمــــها الزرع الجديد...).[7]

ونحن نرى في شعيرة طواف الحجاج عراة (بالبيت العتيق) مكة قبل الإسلام كان لنفس الغــــرض فهذه إعرابية ترتجز وقد نضت عند الكعبة ثيابها قائلة:

(اليوم يبدو بعضه أو كله

وما بدا منه فلا أُحلّه

أجثم مثل القعب بادٍ ظله). [8]

وقد نهى الإسلام عن الطواف بالبيت عراة كما نهى عن التبول في اتجاه الشمس حيطة مما قد يعلق بالمسلمين من آثار الشرك وعبادات الأقدمين. ومن الشواهد الحيّة التي وصلتنا عبر قناة (التحدار) وتــدل على شعائر عبادة الشمس عند قدماء اليمنيين، أن الناس في (سرو حمير/يافع) كانوا يلغــون بالشـــهادة عندما تلفح وجوههم شمس الصباح الباكر، أي أنهم بنطق الشهادتين يؤكدون انتمائهم لملــة الإســـلام بعدما كانوا يعظمون الشمس قبل الإسلام، وقد ذكر لنا(لسان اليمن) بعضاً من طقـــوس أو مناســـك (رئام) :

(وقدام باب قصر مملكته حائط فيه بلاطة فيها صورة والشمس والهلال، فإذا خرج الملــــك لم يقع بصره إلا على (أول منها) فإذا رآها كفر لها بأن يضع راحته تحت ذقنه عن وجه يستره ثم يخــر بذقنه عليها. وهو في معنى قول الله عز وجل في بعض التفسير:

﴿ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا﴾. [الإسراء/ الآية ١٠٩] [9]

ومن آثار عبادة الشمس في(سرو حمير/يافع) :

- **مشاهد الشمس:**

كانت تنتشر عبر نقول(جمع نقيل) وطرقات (سرو حمير/يافع) ودروبها (مشاهد) تبنى على قارعــة الطريق وذلك برص الأحجار فوق بعضها البعض اعتباطا من قبل السابلة وكل من طرق هذا الموضـــع في الصباح الباكر بحيث تلتقي عيناه بأول شعاع شمسي فيلزمه أن يلغي بالشهادتين ثم يضع حجـــرة في الكوم(المشهد/ من إظهار شهادة الإسلام) وبعض أغصان عضة (العضرب) فإن تعذر فيكتفي بإظـــهار التشهيد ووضع الحجر. والظاهر أن هذه الشعيرة العائدة إلى عهود عبادة الشمس كانت واسعة الانتشــار

عبر بلاد الساميين جنوبها وشمالها... فهذا صاحب(أعمدة الحكمة السبعة) الشهير ب/لورنس العرب يقل لنا ما شاهده على درب الحجاج بين (رأبغ) في السعودية وبلدة (مستورة) على الطريق إلى (ينبع البحر) :

(هنا على قارعة الطريق بنى الحجيج أكواما (حجرية)، وهي في بعض الأحيان مجرد (دعامات) من ثلاثة أحجار رصت فوق بعضها، وأحيانا أكوام عادية يمكن لأي عابر سبيل أن يتصرف بحرية بأن يضع حجرته عليها- هكذا لا لعلة معقولة ولا بدون قصد، ولكن مجاراة للآخرين الذين فعلوها(من قبل) ربما لسبب كانوا يعرفونه). [10]

نعم فعندما ترجع العادة إلى حقب موغلة في القدم فإن الناس يفعلونها تلقائيا ودون أدنى معرفة بأصلها ولهذا فإننا توقيرا لآثارنا الحية التي أخذت تختفي بفعل متغيرات كثيرة قد آلينا على أنفسنا قيافة أثرها حتى مراتعها الأولى وعهود صباها الندية.

فهذا هو السبب الذي جهله شيطان الثورة العربية الكبرى ضد الأتراك في مطلع القرن. أما شعيرة وضع أغصان غضة(شجيرة) العضرب ذي الرائحة الفيحاء رأس هذه المشاهد مع إشراقة الشمس مطقس من طقوس عبادتها عرفته معظم بلاد الساميين العتيقة. فهذا (سفر حزقيال) يخبرنا عن ارتداد بني إسرائيل عن عبادة (الله) إلى عبادة(الشمس) :

(فجاء بي إلى دار بيت الرب الداخلية وإذا عند باب هيكل الرب بين الرواق والمذبح نحو خمسة وعشرين رجلا ظهورهم نحو هيكل الرب ووجوههم نحو الشرق وهم ساجدون للشمس نحو المشرق... وها هم يقربون الغصن إلى أنفهم.).   [حزقيال/٨/١٦-١٧]

ولهذا فالعلة واحدة في تصلية مرشحة البدة سوتها لأول بزوغ شمسي وفيما ذكرها (الهمداني) من صورة الشمس والهلال (معبد ريام) بحيث تكون أول ما يقع عليه بصر الملك.. وفيما تساءل عنه لورنس العرب.... ألا ترى أن(غصن العضرب) الذي يشم مشفوعا بإظهار شهادة الإسلام (تجنبا للشبهة) قبل وضع الغصن على)مشهد الشمس) في سرو حمير هو نفس الغصن في (سفر حزقيال) الذي يقرب من الأنوف، تقربا من إله (الشمس)... وكل غصن فواح نحو الشقر(الريحان)، والخزام، والبرحس، والعيثران(بعيثران/ في مناطق أخرى من اليمن) .... وغيرها تشمه أنوف اليافعيين يشفع بالجهر بالشهادة.

أما في الطور الأخير من اختبار المرشحة الذي تقضي فيه الفتاة لياليها الأربعين تكرر شعيرة الطهارة عبر الاستحمام بالماء البارد على مرئى من كل هذا الوهج الكوني العظيم المتمثل فيما لا يحصى

من نجوم السماء وأجرامها ونيازكها وشهبها وفيها الكثير مما عبده قدماء اليمنيين وبـــالذات (القمـــر) الذي عبدوه بأسماء شتى فهو معبود سبأ المعروف في نقوش المساند ب(أل مقـــة/ ثـــهوان بعـــل أوام) وهو(عم) عند القتبانيين و(سين) عند الحضارمة...

ومن بين هذه الأجرام السماوية المعبودة في اليمن القديمة (نجم الصباح/ الزهرة) المعـــروف لـــدى ممالك اليمن القديمة بالإله (عثتر/عثر) وله من النعوت ما نتعرض له في الدراسة اللاحقـــة. وليـــس في شعيرة التطهر هذه إلا شاهد على تقديسها وما زال اليوم من يتجنب زف ابنته في أشهر معلومة تجنبـــا للأنجم النحسة. وفي كل الأحوال فقد كانت ديانة العرب وبخاصة عرب الجنوب (**تقوم على أســـاس تقديس النجوم**) كما ذهب إلى هذا القول د/جواد علي. [١١]

أما شعيرة (الطهارة) فلا حاجة لنا بإظهار فحواها فقد أثبت نقوش المساند أنها كـــانت ركـــيزة أساسية في عبادة الإله(ذ/سماوي) أي ذي سماوي = إله السماء، وقد تصدينا لهذه القضيـــة في (الجـــزء الأول من كتابنا) في موضوع(ملة المتطهرين)، وتناولنا فيـــه بعـــض النقـــوش المكتشـــفة في خربـــة همدان(هرمم/قديما) وبالذات نقش (كوربوس/٥٢٣) و(ربرتوار/٣٩٥٨) المكرسين لنذور الطـــهارة. ولا شك أن تطهر العذراء المرشحة (للبدبدة) لمدة أربعين ليلة هي قوام المرحلة الأخيرة أمام هذا الحضـــور الكوني الهائل وفي طليعته يأتي الإله(ذو سماوي) أي رب السماوات بكل ما فيها من الأفلاك والنجـــوم والكواكب لجديرة بوضعها (المرحلة) آخر أطوار الاختبار لمن تنشد هذا الامتحان المرعب.

وإذا كانت هذه دلالة التطهر فماذا تعني عملية التدليك لجسم العذراء المرشحة بـــورق شـــجرة (الضرو) عقب الانتهاء من حمام الطهارة ؟

قبل أن نجيب على هذا السؤال، دعونا نتعرف على هذه الشجرة من خلال مـــا ورد في (لســـان العرب) بشأنها:

***الضرو، والضرو :**

شجر طيب الرائحة يستاك به ويجعل ورقه في العطر؛ قال النابغة الجعدي :

تستن بالضرو من براقش، أو

هيلان، أو ناضر من العتم.

ويروي : أو ضامر من العتم، براقش وهيلان موضعان، وقيل : هما واديان كانا للأمم الســـالفة والضرو : المحلب، ويقال : حبة الخضراء؛ وأنشد:

هنيئا لعود الضروشهد يناله   على خضرات، ماؤهن رفيف

أي له بريق، أراد عود سواك من شجر الضرو إذا استاكت به الجارية. قال أبو حنيفة: وأكثر منابت الضرو باليمن، وقيل : الضرو البطم نفسه. ابن الأعرابي: الضرو والبطم الحبة الخضراء؛ قال جارية بن بدر:

وكأن ماء الضرو في أنيابها　　　والزنجبيل على سلاف سلسل

قال أبو حنيفة : الضرو، من شجر الجبال،وهي مثل شجر البلوط العظيم، له عناقيد كعناقيد البطم غير أنه أكبر حبا ويطبخ ورقه حتى ينضج، فإذا نضج صفي ورقه ورد الماء إلى النار فيعقد ويصير كالقبيطي، يتداوى به من خشونة الصدر ووجع الحلق. الجوهري: الضرو، بالكسر، صمغ شجرة تدعى الكمكام تجلب من اليمن. [12]

المفهوم شعبيا أن في الريح العطرة الزكية إذا وضعها المرء على ثيابه أو مسح بها بشرته أو شعره خطورة كبيرة على حاملها فيما إذا دعت الضرورة للخروج من البيت ليلا فالروائح العطرة تجلب الأرواح الشريرة والجنة... ومن هذا المفهوم نرى أن تطييب الحسناء الشابة بأوراق الضرو بعد كل حمام يهدف إلى استحضار الأرواح واستطلاع النجوم عبر ما يشبه الإشراق عند المتصوفة، ويشير إلى ازدواجية في جلسات التطهر(البدبدية) أريد بها تطهير ثنائية الإنسان العجيبة وهي الروح والجسد نحو اكتساب قدرة المسخ الدميمة كتعويض عن عجز الإنسان وقصوره دون البلوغ إلى صنو المسخ المتألق وهو القدرة على الخلق المباركة... هذا العجز في من أنيط بها حمل بذرة سيد المخلوقات وهو الإنسان في جوفها هو في الواقع صورة من رغبتها في السيطرة الشاملة أو المطلقة على بعضها المتمرد وهو هنا كما تجسده أسطورة(البدبدة) الرجل (الفحل) الذي يتعرض لعبث المسخ الدميم كما تصوره الأسطورة هذه... وهو نفس الأمر الذي يحدث في الأسطورة البابلية في صراع الإله الذكر(مردوخ) مع الأم الأولى(تعامه)، حيث يسلبها جبروتها المتمثل في (ألواح الأقدار) ونجد تجليات هذا الصراع أيضا في شعيرة دخول العروس بيت زوجها في (سرو حمير/يافع) حيث تمنع (الحريوة/العروس) من الدخول إلا بمباركة أم (الحريو/العريس) التي تتلكأ حتى يطرق سمعها زجل صفي(المهدنات/المستقبلات) على عتبة الدار يرتجزن:

ألا يأم (الحريو) إبدي　(تردد مرات)
بنش تاقا وصل مهدي　(=== ===)
على سبعة جمال إدي　(=== ===)
وروح مركب الهندي　(=== ===)

ألا يأم الحريو أبدي   (=== ===)

سلم وقآ إكتسر ضلعي   (=== ===)

ويمكن توضيح نص الدان هذا على النحو التالي :

ألا يأم الحريو(العريس) إبدي(اظهري).

بنش(ابنك) تاقا(فقد) وصل مهدي

على سبعة جمال إدي (أدى)

وروح مركب الهندي

سلم(أسلم) وقآ (أوقد) إكتسر ضلعي)

هذا النص يخاطب أم العريس بما لابد منه من خروجها لإستقبال الوافدة الجديدة مهما كان شعورها بفقد الابن، فالمقطع الأخير من الدان فيه تساؤل أهل في(الوقعة) هذه سلامة أم أن ما حدث قد هشم للأم ضلعا فيها ؟!

هذا هو التراث الشعبي زاخر بالآثار العتيقة التي تجمد التاريخ وتفسر وقائعه العائدة إلى آلاف السنين. وتحدثنا التوراة عن خلق حواء:

(فقال آدم: هذا الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي. هذه تدعى امرأة لأنها من امرء أخذت لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا)

[التكوين/٢/٢٣-٢٤]

ثم ماذا تعني شعيرة تمرغ البدة في رماد نار حطب (القرظ) لتستعيد صورتها الآدمية ؟

يشير هذا الطقس إلى تقديس النار، كما ذهب إلى ذلك (وهب بن منبه) : **(فقد كانت تعبدها حمير... وكانت فيما يزعم أهل اليمن نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه تأكل الظالم ولا تضر المظلوم شيئا).** [١٣]

وبعث البدة من قاع المسخ الدميم هذا إلى رحاب الحياة لا يمثل في نظرنا إلا وجه آخر لانبعاث العنقاء (طائر الفينيق العربي) من رماد انحراقه وتفحمه. فعبر الرماد تعود البدة إلى سيرتها الأولى.... ومن الرماد تنطلق العنقاء خافقة أجنحتها بالحياة.

والمأثور في(سرو حمير) أن (المرمادات /مواضع جمع الرماد) تعد من أنسب المواضع التي تعشعش فيها الجن والأرواح الخبيثة... وبها نخلص إلى أن شعيرة التمرغ في رماد نار القرظ وهي الشجرة العظيمة الكثيرة المنافع كأعمال الدباغة وبناء البيوت وحطب المنازل.

وقد ذكره (ابن منظور) في (اللسان) وحدد بلاده بالقول:

(... وقرظي: منسوب إلى بلاد القرظ، وهي اليمن لأنها منابت القرظ).

[ابن منظور/لسان العرب/٧/مادة قرظ]

نعم فهذه الأسطورة الحية بكل أبعادها وأجوائها تشير إلى أصالة انتمائها إلى اليمن ومن ثم أصالة الأبعاد الميثولوجية التي عرضنا لها في هذه الدراسة.

وليس بنا حاجة للقول بأهمية توظيف الأرقام المقدسة في بناء الأسطورة هذه ونقصد بذلك :

- **الثلاثة:** حيث قسمت فترة تدريب البدة إلى ثلاثة أطوار، بحيث أن

١. **السبعة** : يشكل رقم السبعة المقدس قوام أو عدة المرحلة الأولى (الطور الأول) من فترة الترشيح،

٢. **الأربعون** : عدة كل واحدة من المراحل الثانية والثالثة أربعين يوما/ليلة.

وقد تصدى كثير من أهل الاختصاص للبحث عن قدسية هذه الأرقام في الميثولوجيا والتراث الشعبي.

فهذا الأستاذ/ فرج الله صالح ديب قد خصص فصلا كاملا من كتابه- ذي الأربعة فصول- (حول أطروحات كمال الصليبي) لهذا الشأن، حيث جعل الفصل الثالث يناقش فيه:

(تقديس أرقام الثلاثة والسبعة والأربعين في النصوص والثقافة الشعبية).

فالتقديس لهذه الأرقام يرجع بشكل رئيسي إلى مكانة الأم الأولى القمرية الطابع:

إذ القمر يشابه المرأة في دورتها الشهرية وما يحيط به من نجوم، فإنه يمر بمراحل ثلاث:

هلال يتزايد، بدر في كبد السماء، تناقص وغياب. ثلاثة أطوار، وغياب عن العين المجردة لثلاثة أيام، يطلع بعدها مجددا. وبهذا القمر كانت التقاويم الأولى التي ما زالت حتى اليوم عند العرب والعبران وشعوب أخرى... وإذا كانت طقوس بعث القمر وتجدده بعد أيام ثلاثة من الغياب عن النظر، فإن اقتران رسم الأم مع القمر هلالا يمتد في معظم الأثريات المكتشفة، في نفس الوقت الذي يرتبط فيه الهلال مع نجوم سبعة. ونجد الأم الأولى سيدة المعارك معتلية عربة تجرها سبعة أسود.

أما الأربعون فهو رقم مقدس واضح الإرتباط بالخصب والمرأة... فانقطاع الطمث يبدأ عادة بسن الأربعين، وبعد عملية الخلق والولادة تتمدد فترة الطمث لأربعين يوما). [١٤]

ويروي لنا سفر التكوين عن مدة الطوفان : (وكان الطوفان أربعين يوما على الأرض).

[سفر التكوين/٧/١٧]

غير أنه ونحن نشارف على إقفال دراسة هذا الأثر الأسطوري بأبعاده الميثولوجية الموغلة في القدم نجد من اللازم علينا الأجابة عن الأصل في تسمية هذا الأثر الحي (بالبدبدة) حيث لم نجد لدى شاعرنا الكبير(أمد الله في عمره) البردوني جوابا لهذه المسألة... وقد عثرنا على ظالتنا في الآثار التي خلفها لنا علامة اليمن ومؤرخها الشهير في القرن السادس للهجرة (نشوان بن سعيد الحميري) :

(البد: الصنم بلغة الهند، وجمعه بددة، وهي أصنام ينحتونها بأيديهم ، ثم يعبدونها ويجعلون لها بيوتا كمساجد المسلمين، وفيها بنات رؤسائهم موهوبة لتلك البددة على وجه التقرب بها، والنذور والكفارات، وتلك النساء واقفة للفساد والفجور، يأمرها أهلها بذلك، ويرون أن لهم فيه أجرا عظيما، ولهم عباد ورهبان في تلك البيوت، متجردون من اللباس، يدعون الزهد في الدنيا، لا يمسون الماء، يتبركون بأوساخهم، ويختبرونهم بتلك النساء وملاعبتها، فمن اشتاق من أولئك العباد إلى تلك النساء وأنعظ، فقد كفر كفرا عظيما عندهم، وأتى بأعظم منكر، وألحقوه أنواع العذاب والنكال وقتلوه). [١٥]

بهذا نكون قد انتفعنا بما فيه الكفاية من دراسة الأبعاد الميثولوجيةلأسطورة(البدبدة) وبالذات فيما يتعلق بعبادة الشمس في اليمن على العموم وفي (سرو حمير/يافع) تحديدا، خاصة في ضوء ما ترسب في(سرو حمير) نقصد بذلك ما وصلنا منذ آلاف السنوات عبر قناة التحدار أي التراث الشعبي عن شعائر عبادة الشمس وبالذات في لحظة طلوعها. وفيما يلي نتناول عادة أخرى واسعة الانتشار في الجزيرة وبلاد الرافدين وسوريا فيما أعلم وهي عادة لها ذكرى في نفس كل واحد عاشها في طفولته، فما هي هذه العادة وما علاقتها بالشمس ؟

- ## عين الشمس وأسنان الأطفال:

من العادات السارية المفعول حتى اليوم، ما علمناه عن والدينا (أبوينا)، وقد آتاهم توارثا عن آبائهم عادة تعرف في (سرو حمير/يافع) ب: (تخسير الأسنان) والتخسير في معاجم اللغة هو : الهلاك.

[لسان العرب/٤/مادة خسر]

فإذا بدأ الطفل بتخسير أسنانه (اللبنية) وظهرت في موضعها فلجات التخسير، فإنه يثير الضحك عند أقرانه فيدعونه ب(الخشري) : من خشرة (بالشين المعجمة/ وزان حشرة) وهي الفلجة بين الأسنان. وعند ابن منظور نجد: خشر (بفتحات) يخشر خشرا: نقى الرديء منه، ومخاشر المنجل: أسنانه، أنشد ثعلب: **ترى لها، بعد إبار الآبر، صفر وحمر كبرود التاجر مآزر، وأثر المخلب ذي المخاشر** يعني الحمل). **[اللسان/٤/مادة خشر]**

فإذا خرج الصبي أو الصبية ذات يوم وفي يده أحد أسنانه في الصباح الباكر، فإنه ينظر شرقا نحـــو قرص الشمس الفاتق ويقول مغتبطا ما تعلمه من أهله:

(واعين الشموس هاليش ضرسي لسود واديني ضرس بنتش لبيض)

وبالفصحى يمكن قراءة النص على هذا النحو:

(يا عين الشموس هآ ليك (هآ اليك) ضرسي الأسود، وأديني(أعطيني) ضرس إبنتك الأبيض)

هذه الشعيرة كانت من الانتشار بسعة بلاد الساميين كلها، فقد كانت موجودة عند العرب قبـــل الإسلام وفي ذلك ينقل لنا صاحب(نهج البلاغة) الإمام علي بن أبي طالب(كرم الله وجهه)، ما يقولـــه الغلام عند قذف سنه تجاه الشمس ونصه :

(يا شمس ابدليني بأحسن منها ولتجر في ظلمتها أياتك).

أشار إلى ذلك (طرفة بن العبد)، بقوله:

شادن يحلو إذا ما ابتسمت	**عن أقاح كأقاح الرمل غر**
بدلته الشمس من منبـــته	**بردا ابيض مصقول الأثر** [١٦]

هذه العادة الراسخة الجذور الواسعة الأثر كما رأينا لها علاقة أكيدة بشعائر عبادةالشمس، فلمـــاذا الشمس لا غيرها معنية بتعويض الطفل عما خسره (بتشديد الراء) من أسنانه اللبنية بمعنى أن تأخذ مـــا يرمى إليها من تالف الأسنان (لسود/المتسوس) وأن تبدله عنها في الثغر ذي الخشرات (الأخشر) مـــن أضراس ابنتها البيض.... كما يذهب إلى ذلك النص اليافعي الحي. ولا نرى حتى في نص نهج البلاغـــة ما يدل على توسل واستعطاف للشمس فالبديل وإن لم يكن من أسنان بنتها، ينبغي في كل الأحوال أن يكون أحسن مما حذف نحوها. فغياب روح الاسترحام من هذه النصوص، وخلوها من صيغة التوســـل والاستدرار للمعطي، واشتراط النص اليافعي(الحميري) أن ينتزع البديل من ثغر(بنت الشـــمس) الـــتي نجهلها... هذه المعطيات تدل مجتمعة على أن في الأمر حق أو دين يطلبه صاحبـــه، وأن الشـــمس لا تستطيع فكاكا من مطلب(بني آدم) هذا الذي توديه غير مشفوع بالقرابين والابتهالات. وعليه فـــإن في الأمر سرا تكشفه لنا تعويذة كتبت على لوح عثر عليها في خرائب مدينة(أشور) وفيمـــا يلـــي نـــص التعويذة كما وردت في كتاب : (مغامر العقل الأول/د.فراس السواح)

- **السوس ووجع الأسنان:**

بعد أن خلق آنو السماء

وبعد أن خلقت السماء الأرض

وبعد أن خلقت الأرض الأنهار
والأنهار خلقت القنوات
والقنوات خلقت المستنقعات
والمستنقعات خلقت السوس
مضى السوس باكيا إلى (شمش) [إله الشمس/سواح]
وذرف الدموع في حضرة أيا
ـــ ماذا تعطيني لطعامي ؟
ـــ ماذا تعطيني لشرابي
ـــ سأعطيك شجر التين
ـــ أو أعطيك المشمش
بماذا يفيدني شجر التين
بما يفيدني المشمش
دعني أصعد واتخذ لي مسكنا
بين الأسنان وعظام الفك
حيث أمتص دماء الأسنان
وأنخر فيها
عند جذور وعظام الفك
(أدخل الأبرة وامسك بالسوس) [الكلام هنا موجه للطبيب المعالج/سواح]
لأنك نطقت بهذا أيها السوس
فليسحقك أيا بجبروت
(وعزم) يديه
(تعويذة ضد وجع الأسنان)

(الطريقة: أحضر بيرة وزيتا وامزجهما معا وأتل التعويذة ثلاث مرات وضع المزيج على الأسنان)[17]

هذا النص البابلي يرجع لنا سبب هذه الشعيرة التي ما زالت تنبض بالحياة في (سرو حمير/يافع) إلى تقاعس الإله(شمش) مع السوس، حيث ما زالت الشمس حتى اليوم تدفع ثمن تهاونها مع (السوس)

بانتزاع أسنان ابنتها لتعويض الإنسان عما حل به من داء تسوس الأسنان... و لم تغني عنه فطنة (أيـــا) وحكمته شيئا.. غير أن ما يهمنا هنا هو قيافة الأثر حتى منابعه المدرارة الأولى. وتبقى لدينا أحداث مـــا زالت بجهولة بخصوص هذه الواقعة يلخصها سؤال مصدره النص (اليافعي) وفحواه : من تكون بنـــت الشمس، وما موقعها في تلك الواقعة ؟

لعل بعض الإجابة على هذا السؤال تكمن فيما نعلمه من تصورات قدماء المصريين لمفهوم العدالـــة التي مثلتها عندهم الآلهة (ماعت) بنت(رع) الشمس.[18]

من هذا تستشف أن (تداعيا) قد حصل ذات يوم بعد أن ابتلى الإنسان بداء القملـــة(التســـوس) ينخر أسنانه وبين(الشمس) التي أذنت للسوس بذلك وأن ربة العدالة قد حكمت في قضيـــة (تداعـــي الإنسان على الشمس) :

بأن يعوض الإنسان في صباه عما يخسره من أسنانه يطلب يرفع إلى الشمس على أن تتول بنـــت الشمس (ماعت/عند المصريين) (ربة العدالة) التعويض بأسنان (كشخوب الحليب) تترع مـــن ثغرهـــا الباسم. غير أننا ما زلنا بحاجة لمعرفة اسم بنت الشمس عند قدماء اليمنيين وشيء مـــن وقـــائع هـــذا التداعي عبر دراسات شاملة لآثارنا التي ما زالت تحت الرمال أو تتعرض للنهب هذا من ناحية ومـــن ناحية أخرى يتعين علينا الإسراع في مسح شمولي وتفصيلي لآثارنا الحية وبالذات في(سروحمير/يـــافع) قبل فوات الأوان.. فقد أخذت السوس أيضا تنخر في جذور تراثنا وتمتص دماه !.

١

٢

٣

٤

٥

٦

٧

٨

الفصل الحادي عشر

آثار الإله عثتر الحيّة

في

سرو حمير/يافع

من أكثر الآلهة أهمية في حياة الحميريين الذين سكنوا سرو حمير/يافع كان الإله عثتر. ولا أدل من الآثار الحية والاسمية الباقية في نجد حمير التي جمدت ذكرى إله البرق والصواعق والأمطار وشهدت على أهميته بين قدماء اليمنيين الذين حلوا مرتفعات يافع. ولا غرو فقد كان عثتر بمقام الإله الوطني لليمن القديمة... فقد كشفت حفريات البعثة الفرنسية للآثار في منطقة(سوداء) بالجوف. بعد أن خلصت من أعمال التنقيب في الربع الأول من عام ١٩٩١م عن محرم (بيت عثتر ذي رصف) = (شلا عثتر رصف). وقد ظهر أن بيت عثتر هذا يزخر بالنقوش والزخرفة البديعة وكان ملك (نشن) :

(سمهفع بن لبأن)

قد كلف المعماري: (أبا أمر صدق) ببناء بيت(لعثتر ذ رصف)، فهذه الأسماء وأخرى ظهرت منقوشة على أعمدة المحرم ومذابح القرابين المقدسة التي أزيح عنها تراب العهود العتيقة تجلت عن معبد في غاية الروعة. [1]

هذا الكشف يرجح أن اليمنيين قد عبدوا عثتر في الألف السادسة(ق.م). [2]

هذا الكشف فيه ما يكفي لدعم الطرح القائل بالهوية الأصلية لعثتر المحددة باليمن... غير أن إله النجم فينوس (عثتر/نجم الصباح) المعادل المذكر لعشتار البابلية (وعشتروت) الفينيقية... قد تعرض على مدى تاريخه إلى عمليات من إعادة التأهيل عند مختلف شعوب منطقة شرق المتوسط وبالذات جزيرة العرب الأمر الذي يجعل مسألة القطع بهويته قضية خلافية. غير أن (نيلسن) يرى في تغيرات الخصائص الجنسية للشمس والزهر عند الساميين أمرا : **(يشير إلى انتقال الديانة السامية القديمة من الجنوب إلى الشمال وتغييرها بسبب البيئة التي أثرت في الدين تأثيرا بعيدا).٣**

فمثلا : (ملك) الاسم الكثير الانتشار كأسم من أسماء الزهرة يصير عندهم (ملكه) (وعثتر) يصير عند الكنعانيين (الفينيقيين) (عشتروت) (وكوكب) يصير عند الأراميين(كوكبه) (وخلص) يصير عند النبطيين وغيرهم من عرب الشمال(خلصه) ونتيجة لهذا الإستقراء يرى (نيلسن) هذا التمييز تذكيرا وتأنيثا يمثل حدا فاصلا بين الساميين الشماليين والجنوبيين. [3]

وقد عزز هذا الطرح بما ذهب إليه (د/رواح) في (دراسة فيلولوجية) أظهرت المتغيرات الطارئة التي تعرض لها(عثتر) أثناء إعادة التأهيل التي حدثت له خلال تجوابه في التخوم السامية الواسعة :

فمن الناحية الصوتية يلاحظ أن الاسم قد ورد في العربيات اليمنية القديمة مشتملا على

صوتي: العين(الذي فقد في البابلية الآشورية) بأن تحول إلى همزة (أشتر) والتاء(الذي تحول في الساميات الشمالية: الأكادية بقسميها البابلي/ الآشوري، والعبرية والأرامية والسريانية إلى صوت الشين...[4]

ويؤكد د/ أنيس فريحه أن صوت الثاء لم يتغير في الأوجاريتية وأنه ورد في نقوش (رأس شمرا) (عثتر) كما في النقوش اليمنية [5]

من هنا فهذه الأصالة الصوتية الواردة في(عثتر) تدل على أصالة المواطنة فإلى جانب شواهد أخرى سنعرض لها تشير هذه الشواهد مجتمعة إلى جنوب جزيرة العرب كموطن شهد الانبثاق الأول لعبادة(نجم الصباح/عثتر) ومنها انتقل إلى مواطن أخرى من بلاد الساميين... ولا عجب فقد تكيف(عثتر) مع الأحوال الأيكلوجية والثقافية لكل شعب انتقل إليه فقد أصبحت ذكراة اليوم في أوروبا ذات وجه إيماني آخر، ففي الثالث من أبريل تحتفل في كل عام شعوبأوروبا(المسيحية) بعيد الفصح (إيستر/Easter) المكرسة للقديس إيستر وتذكارا لبعث السيد المسيح.

والملاحظ في مفردة (إيستر) هذه تجميدها لمعنى الشروق أو الإشراق فيها وهكذا كان معنى الاسم في اللغة الانكليزية القديمة.

وفي نقوش المساند اليمنية القديمة عرف بنعوت عديدة أهمها (عثتر ذو شرقن) أي (عثتر الشارق) وسنعرض في آخر الدراسة لعدد من أسماء القرى والوديان (اليافعية) التي ما زالت تحمل اسمه. نعم فقد ذكرنا أهمية (عثتر شريقان) بالنسبة لقدماء اليمنيين عامة و(لسرو حمير) خاصة.

وأكبر شاهد نسوقه لدعم طرحنا هو:

- **الأرض العثر:**

ما زالت الأرض الزراعية التي يعتمد في سقايتها على ما جادت به السماء من مياه القطر الموسمية تعرف في سرو حمير/يافع (بالعثر) : جمعها أعثار... وهي نفس الأراضي الزراعية المعروفة في نواحي أخرى من اليمن وفي مختلف أقاليم الجزيرة العربية بالأراضي البعلية(صيغة النسبة من بعل/إله الخصب) وهكذا فالمدرجات الزراعية الواقعة في حواز الجبال والتي لا يمكن سقايتها بالغيول ولا بمياه الآبار فهي(عثر) وعثر هي الصيغة المعروفة لعثتر في بعض النقوش كما في (ربرتوار/٣٩٥٨) وهو بلا شك إله الخصب والزراعة وكثير ما تذكر في قصائد شعراء يافع الشعبيين :

وفي ذكرها قال الشيخ راجح بن سبعة اليهري :

يسقي بلاد المساني والعثر   ولا يروينا الوقت الضرير

في معاني المفردات:

المساني: المسنى: عكس العثر تسقى من مياه الآبار.

يرويها: يرينا من رأى : أبصر.

ولا أحسب (فيما أعلم) غير(سرو حمير) أن قبيلة أو شعباً عرفت لديهم هذه التسمية غير إشـــارة وردت في سيرة الإمام الهادي:

(العثري: بكلام أهل اليمن، هو الأعذاء بكلام أهل العراق)

ويفسر محقق(النور المشرق) العثري على هذا النحو : العثري: هو ما سقته السماء من الأشـــجار والزرع.[٦]

نعم فالأعثار : هي الأراضي التي خصصها قدماء اليمنيين بالأعشار(العشور) تجمع منــــها تقربـــاً لمعبودهم عثتر/عثر إله الخصب والنماء تماماً مثلما عرفت بعل وبالذات (أوجاريت/رأس شمراء).

- ## قوس عثتر اليافعي:

يعرف العالم الناطق بالعربية ما ينتصب أمام السماء المحتجبة بجوالب القطر بألوانه المتوقدة (بقـــوس قزح) فمن هو قزح هذا ؟

- **قزح : طرائق متقوسة تبدو في السماء أيام الربيع... وفي الحديث عـــن ابـــن عبـــاس: لا تقولوا قوس قزح فإن قزح اسم شيطان، وقولوا: قوس الله عزّ وجل... وقالوا قوس الله أمـــان من الغرق.[٧]**

أما في (سروحمير/يافع) فلا يعرفه الناس إلاّ بهذه الصيغة: (قوس عنتر).

وينطقونها من باب الإمالة أي : (قاس عنتر).

فعندما تتجهم السماء ويظهر قدامها (قوس عنتر/عثتر) يخف الصغـــار لرؤيتـــه صبيـــة وبنـــات وينشدون (شلة واحدة/كورس) أهزوجة توارثها الآباء عن الأجداد نصها:

وآ قاس عنتر توتر توتر

وآ قاس عنتر توتر توتر

وآ قاس عنتر توتر توتر

والليل يدني والشمس تطلع

في معاني المفردات:

وا : ياء النداء

قاس: قوس

عنتر: عثتر

توتر: (فعل أمر) بمعنى اشتد [8]

نعم فقد تحول الاسم(عثتر) إلى (عنتر) تحت قانون (المخالفة) المعروف. هذا إلى جانب عدم شيوع الاسم(عنتر/بالنون) في سرو حمير/يافع البتة فلا أعرف أحداً من أهالي السرو يدعى (عنتر) كأسم لا كنية أو لقب...وأرى أن هذا التحول قد حصل بعد اعتناق اليمنيين لليهودية أو للإسلام فيما بعد.

لقد احتفظ لنا هذا النص بذكرى الجائحة الموسومة في النصوص الرافدية الميثولوجية بالطوفان:

أن طوفاناً سيهلك مراكز العبادة وتهلك ذرية البشر....

إن هذا هو القرار الذي أصدره الآلهة في مجمعهم

قم فابن فلكاً

[من ملحمة جلجامش] [9]

نعم فقد حدثت جائحة الطوفان كما تصورها النصوص البابلية:

يجتاح الأرض الطوفان فيموت كل ذي جسد. إلاّ من حملتهم سفينة أوتنا بشتيم. ويندم الإله(أنليل) وبقية الآلهة لما ألحقوه بالإنسان من ويل.. عندها قامت الآلهة(عشتار) بتعليق عقدها الثمين الملون في باحة السماء، ليصبح (قوس قزح) رمزاً لميثاق البشر بعدم تكرار الطوفان. [10]

عقد عشتار البابلية هو قوس عثتر اليماني المتنازع عليه في الميثولوجيا الرافدية والميثولوجيا التوراتية. فالآلهة(عشتار) تخاطب مجمع الآلهة عند قربان (أوتنا بشتيم) قائلة:

(أيها الألهة الحاضرون:

كما لا انسى هذا العقد اللازوردي الذي يزين عنقي، فإنني

لن أنسى هذه الأيام قط وسأذكرها دوما. تقدموا جميعا واقربوا

من الذبيحة إلا(أنليل) وحده لن يقترب لأنه سبب الطوفان دونما

ترو وأسلم شعبي للدمار). [11]

أما سفر التكوين فيروي لنا قصة القوس:

(وضعت قوسي في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض. فيكون متى أنشر سحابا على الأرض وتظهر القوس في السحاب أني أذكر ميثاقي الذي بيني وبينكم وبين كل نفس حية في كل

جسد. فلا تكن المياه طوفانا لتهلك كل ذي جسد). [تكوين/٩/ نص ١٣-١٥] ١٢

إن أهزوجة اطفال السرو (يافع) التي بلغتنا تواترا عبر ما يعرف اصطلاحا بقناة التحدار وصلت إلينا منتوفة الريش عارية الجسد فالنص على تواضعه:

(وآ قاس عنتر توتر توتر (تكرر ثلاثا)

والليل يدني والشمس تطلع)

هذا النص بلا شك يشكل العمود الفقري لملحمة شعرية فقدت (للأسف) من ذاكرة أبناء سرو حمير و لم يبقى منها إلا هذا النص الذي جمد التاريخ وبرهن على صحة الطرح القائل:

بالأصول اليمانية للميثولوجيا الرافدية وبالذات ملحمة(جلجامش) كما ذهب إلى ذلك الباحث نجيب البهبيتي.١٢

فماذا يقصد الصغار (براعم الحياة الندية) في أهزوجتهم أنهم يحثون (قوس عنتر/عثتر) على الثبات والتحفز. فالمطلوب أن تستمر الحياة التي ينشدونها دون تهديد من جائحة (طوفانية أخرى) ففي تعاقب دورة الزمن (الليل والنهار) وطلوع الشمس علامات دامغة تدل على استمرارية الحياة كما هي مألوفة وكما أرادت لها المشيئة الإلهية... أما اختفاء الشمس لأيام يخيم فيها ظلام الليل ويجوبها العماء(الضباب) وتغشاها غوادق السحاب وتمور الأرض (بالخسف) فإمارات تذكر بالطوفان... غير أن تجلي (القوس العثترية) تبعث بلا شك على الإطمئنان على حياة بني البشر وكل ذي نسمة وبعد فإن عقد عشتار الآلهة البابلية (الأنثى) هو (قوس عثتر) المحارب إله الخصب والعواصف. الأمر الذي يتناغم مع هيئة **(عشتروت/البابلية) التي تظهر في تماثيل أشور جالسة على عرش قائم على عربة يجرها سبعة أسود وتحمل بيدها قوسا مشدودة**

.... وكذلك اعتبرها الفلسطينيون القدماء حيث أنهم قتلوا ملك العبريين (شاوول) على جبل(جلبوع) أخذوا سلاحه ووضعوه أمام عشتروت في هيكلها...)[١٣] هذا بحد ذاته يوكد أن عشتروت المحاربة ما هي إلا نسخة عن عثتر المحارب الذي اقتضت ظروف البيئة الجديدة ونعني بها الشمالية(الرافدية) إلى إعادة تأهيل له فأصبح آلهة أنثى عرفت باسم عشتار(عشتروت) ولهذا الاعتبار نفسه طالت يد التغيير أيضا(قوس عثتر) التي أستعيض عنها ب(عقد عشتار) كما يبين هذا النص السابق... واحتفظت عشتروت لنفسها بهيئة المحارب الأصل(عثتر) الذي ما أن فرغ من محاربته لقوى العماء البوهيمية وإلحاق الهزيمة بها بأسلحته التي كانت فيها **قوسه السلاح الأكثر فاعلية** في حربه مع قوى الشر بزعامة (انليل) الطامحة إلى إخماد وجيب هذا العالم والقضاء على الإنسان الذي أفقد بوجوده

الكون صيغته الأولى القائمة على السكون والرتابة. وحيث تمخضت المعركة عن انتصار(عثتر شـيمن) أي عثتر الحافظ (وهو نعت آخر يرد له في النقوش) **فقد حبذ أن يخلد ذكرى هذا الصراع في تركـه لقوسه المسحورة ماثلة في باحة السماء لتردع بتجليها أمام القوى المائية التي قد يعاودهـا الحنين الأول لعالم السبوت المغمور بالمياه عبر القضاء على عالم الحركة العاج بالمخلوقات الحية وسيدها الإنسان...** وأننا بهذا الطرح نتحرق شوقا لوضع أيدينا على الحقيقة كاملة بخصوص (الإلـه عثـتر) ووقائع كفاحه كما تصورها قدماء اليمنيين ولن يحصل هذا الأمر إلا عبر الشروع بحفريات أثريـة في (سرو حمير) وبالذات في المواضع التي ما زالت تحمل اسم نجم الصباح والتي سنعرض لهـا في الفقـرة التالية.... ومسح أكثر شمولية للموروث الشعبي قبل ضياعه بفعل المتغيرات الهدامة المختلفة.

- لمسة القوس المباركة:

المفهوم الشائع لدى الناس في (سرو حمير/يافع) أن (قاس عنتر/قوس عثتر) **إذا لامست أي شجرة من أشجار الأخشاب لحو (العلب/ السدر، القرظ/ الأكاسيا، الصر...إلخ) فإن أعواده (عيـدان) تصبح ببركة هذه اللمسة أكثر جودة ونفعا في أعمال البناء وكما المثل الشعبي المقتضب يقـول : (من جالس جانس).**

ولايحتاج هذا إلى تفسير فهذا القول فيه من الموعظة ما يفوق القول الفلسفي المعروف: **(قـل لي من تعاشر أقل لك من أنت).**

نعم فأبعاد هذا المفهوم توحي بحلول البركة القوس العثترية المتروعة من أكرم العيدان في الشـجرة المحظوظة بهذه اللمسة(الألوهية) التي تكسبها من مزايا قوس عثتر النادرة ما يجانسها مرونـة وصلابـة وتماسكا وديمومة....الخ. وبعد فإن لإله كوكب الزهرة المطير هذه من الحضـور في أسمـاء القـرى والوديان اليافعية ما يوكد على أن في اليمن كانت نشأته الأولى. ويأتي في طليعة تلك المواضع مـا ورد ذكره في نقوش المساند وهو مع بقية الأسماء التي سنعرض لها موضوع هذه الفقرة:

- محرم الإله (عثتر) في صناع:

وردت(صناع) في نقش (ربرتوار/٣٩٥٨) حفر على صخرة في أسفل (جبل قرنين) ٢ كم شمـال بيحان القصاب. ويعود تاريخه إلى القرن الثالث الميلادي عصر ملوك سبأ وذي ريدان المرحلة المعروفـة عند علماء الآثار (بالمرحلة التبعية الهمدانية)، وصاحبه:

(نصر يهحمد بن معاهر وذي خولان) قيل ردمان وخولان الذي كانت ردمان في وقته تابعـة لحضرموت على أيام ملكها : (العزيلط بن عم ذخر)[١٤]. فعلى هذا النحو وردت فيه:

(وبردا/ عتر/ بعلت/ صنعتم).

أي (وبعون/ عتر/ بأعلي/ صنعه).

والمقصود ب/صنعه: صناعة (بالتصويت) والميم في (صنعتم) لاحقة التنوين في لغة نقوش المسـاند.

وتعرف (بصناع) أحد الجبال وأودية العناق غرب البيضاء ويلتقـــي (وادي صنـاع) في أسـافله (بوادي حمره) :

واد في البيضاء يصب إلى أبين ومنابعه من غرب البيضاء ومن جنوب الطفـة ومـن جنـوب السوادية. [15] نعم فهذه (صناع) تقع مع(وعلان/المعسال) مركز الأقيال المعاهريين الردمانيين... وقـد ذكرها الهمداني كأحد حصون وجبال سرو حمير الشهيرة. [16] وفي(الإكليل/٨) جعلها قصرا لشـمر تاران. [17] وفي قلعتها تحنث علي بن الفضل الجيشاني الحميري. [18] وفي (الإكليل/٢) ذكرها الهمـداني كبطن حميري من نسل وائل بن سدد بن زرعة :

وأولد وائل بن سدد بن زرعة بن سبأ الأصغر: سبأ بن وائل.

وأولد سبأ بن وائل: زرعة بن سبأ. فأولد زرعة: حبه(مخففا)

بن زرعة. وإليه ينسب وادي حبه بالسرو. فأولد حبه بن زرعة:

الأسموع بن حبه. فأولد الأسموع بن حبه: سماعة بن الأسموع.، بطن. [19]

وفي ذلك يقول الأطوع:

- **السرو** : سرو حمير، وهو بلاد يافع ووادي حبه بالتحريك نسب إليه وهو محتفظ باسمـه إلى هذا التاريخ، وهو في يافع العليا، ويرى(جبل حبه) من بلاد البيضاء، إذ حبه مـن يـافع غـرب البيضاء، وآل حبه من قبائل يافع. [20]

والبطن (سماعة) هو صناعة: بإبدال السين والميم من الصاد والنون. ويعـرف هـذا البطـن بواديهم المعروف: صناع العليا وصناع السفلى. وهم بعض قبيلة الفردي وأهل الحرفوف. [21]

- **ف/صناع اليافعية** هذه كانت في أقدم العصور موقعا هاما ذات منشآت أثرية يأتي في طليعتـها (محرم عتر) الذي ينبغي أن توجه إليها بعثة من علماء الآثار للتنقيب عن آثارها فلعلـي أول مـن يتعرض لهذا الموقع بهذا المستوى من البحث.

وحيث أن (عثتر) قد اشتهر عند قدماء اليمنيين بنعوت أهمها : (عثتر ذو شرقن/أي عثتر الشـارق) و (عثتر ذو خلص) و (عثتر ذو كبد).

فقد تخلفت له آثار اسمية كثيرة في يافع بعضها خلدت اسمه والبعض الآخر خلدت نعوته ومن هذه

المواضع التي تؤكد أصالة(عنتر) في سرو حمير القرى والأودية التالية:

١) عنتر: تصحيفا ل/عنتر: قرية عامرة حلال العنتري من مكتب (ناحية) الضبي(هضبة ضهر يافع)، والقرية كائنة على تلة صخرية عالية وعلى مسافة قريبة منها يبدو(جبل ثمر) شامخا في الشمال الشرقي / حمزة لقمان/ص ٢٠٨

٢) ذي الشارق: (ذو/ دائما تنطق في يافع بصيغة الكسر والجر أي [ذي]) : قرية في الجوار من قرية عنتر لا تبعد عنها إلا بنحو مئتين مترا شرقا.. حلال لقبيلة الشراني مكتب الضبي / لقمان/ ص ٢٠٨.

٣) ذي الشارق : قرية في مكتب السعدي (يافع بنو قاسد) حلال النهدي من قبيلة الدوادي. / لقمان/ ص ١٨٩.

٤) أل/ شراقين: قرية في (الشعيب) حلال الحنشلي من سهم السيال. /حمزة لقمان/ ص ٢١٩.

٥) كبد: قرية مرفدية مكتب(ناحية) الحضارم(حضرمي) في الجوار من سوق السلام. /لقمان / ص٢١٠.

٦) ذو خلص: (ينطق بالدال المهملة) : واد خصب من أودية قبيلة(أل نفاحي) مكتب السيزيدي متفرع من وادي(الخضراء) في يافع بني قاسد. /لقمان/ ص ١٩٢.

٧) عتر: قرية في نطاق(حله/ أحلة تاريخيا) المفلحية حلال أل عتور. /لقمان/ ص ٢١٤.

١

٢

٣

٤

٥

٦

٧

٨

٩

١٠

١١

الفصل الثاني عشر

في ميثولوجيا الموت

لم يلهب خيال الإنسان شيء كما ألهبته فكرة الموت ولم يثر عقله من أفكار كفكرة انعدام العقل ذاته. فما الذي ستكون عليه الحال عندما يمضي إلى النوم ولا يفيق أبدا ؟ وكيف كانت قبل أن يحمل ضيفا على هذا العالم. [1]

ولعل أعظم التصورات حول عالم الأحداث ما توارثه الناس شفاها عن ظاهرة المـــوت ومحاولـــة الإنسان التصدي لها فما زال الناس يرددون في سرو حمير قولا يلخص ظاهرة الموت الأولى ونصه:

(عزك بملك الموت لعور)

لعور: الأعور.

هذا القول الشامت المتهكم يردد تعبيرا عن السخط والقرف من جلافة شخص ما حيث أصبح لا يطاق فيحمل الناس على قذفه بهذا القول الذي يدعى به له بالعاجلة على يد ملك الموت الأعور!

ترى ما هي قصة الموت الأعور هذا ؟

يحكى أن ملك الموت كان يظهر للشخص الذي حل أجله عيانا فيقبض روحه وهـــو يـــراه. وفي ذات يوم خف إلى أرملة(معولة) وقد عادت أدراجها من الوادي... كانت خـــائرة القـــوى يتفصـــد جبينها عرقا وبينما هي على عجلة من أمرها إذ مهدت لبقرتها مذودها وزودتها بالعلف وقدمت لها المـــاء (وشلشلت) نفسها استجابة لتوسلات يتاماها الصغار الذين استحيروا أمهم وإبطائها عليهم بالطعام... فبينما هي تسارع إلى الداخل إ ذا برجل يعترض طريقها فيدور بينهما هذا الحوار على عتبـــة البيت:

ـــ **الأرملة:** بسم الله الرحمن الرحيم... من انته وآ رجال؟ (من أنت يا رجل؟)

ـــ **الرجل:** أنا ملك الموت.

ـــ **هي:** وايش آتعوز مني؟ (ماذا يعوزك مني؟)

ـــ **هو:** حلة ساعتش وأنا جاك آقبض روحش. (حلت ساعتك وهاأنا جئت لأقبض روحك)

ـــ **هي** : ويلك من الله وعيالي من لهم؟

ـــ **هو** : هيا فلا وقت عندي لهذا الكلام.

ـــ **هي:** بحق من كدك بهذه الساعة خلني آصلح آدي لعيالي. (بحق من أرسلك بهذه الساعة خـلي

سبيلي لكي أصلح = أطبخ غذاء لعيالي)

ـــ هو: هيا قيام تانا بعينش.

(هيا [قومي بسرعة] إني في انتظارك)

نفخت الأرملة في(الصعد/ بين الأثافي) فأخذ القدر يعفر بالماء المشوبة باللبن... الصغار عند ركبة أمهم يستحثونها بعويلهم وخناقاتهم وهي منكبة على القدر تذر فيه طحين الذرة بشمالها وتخبط هذا المستحلب الفائر بعود متشجنة الطرف وملك الموت قائم على رأسها يهم باستلاب روحها وهي تخاطبه بالإشارات أن أصبر حتى تنضج العصيدة التي بدأت بالتشكل فنزعت منها العود اللطيفة المتشعبة وأبدلتها بعود متينة غير ذي شعب.. العصيدة تجاوزت حد الرتك والأرملة ما انفكت تشمر عن ساعديها تعصدها بخفة ورشاقة فتميل إلى الإشتداد بفعل العرك المتواتر وذوارب النار المتوقدة في (الصعد) وعرف العصيدة المنضودة يملأ أنوف الصبية فيخيم على الجميع سكون مشفوع بالرضا... والملك يقترب من الأم الملهوفة وهي تتوسل إليه أن يمهلها كي تنكت العصيدة إلى صحن خشبية هيئتها لهذا الغرض وهو يأبى إلا أن يداهمها في تلك اللحظة تعزف الأم عن التضرع وتجمع قوتها في ساعدها الأيمن فتنزع من جوف اللظى العود المكتسية طرفها بعزلة من العصيدة الملتهبة فتهوي بها في وجه الملك بما لديها من قوة ويصيب الكون ذهول من الصعقة التي حار بها ملك الموت جراء الضربة التي فقئت عينه اليمنى... وفي ملكوته جل وعلا يصدر أمر فحواه:

١. تمديد عمر الأم المتمردة إلى ما شاء الله.

٢. إعفاء ملك الموت من الظهور عيانا لمن حلت ساعته من بني آدم.

إن قصة كهذه لا تخفى أبعادها الميثولوجية فاختفاء ملك الموت قد نجم هنا عن احتدام الصراع بين الأم الأنثى(مصدر الخصب والتجدد) المتشبثة بالحياة والحفاظ على النسل(الأولاد/العيال) وملك الموت الغاشم المجسد للفناء.. نعم فرغبة (الأم) في البقاء وإن لم تكن هدفا بحد ذاته بمعنى الجنوح نحو الخلود السرمدي بل كانت تمثل خلودا من وجه آخر غايته استمرار الحياة في البراعم الندية من خلال تعهدها بالرعاية والتربية خاصة في ظل غياب الأب الذي كان هو حينها في عداد الأموات... نعم إنها تمثل انتصارا للحياة على قوى الموت وعالم الأحداث المظلم الأمر الذي نجد فيه تناغما **والسجاما مع اختفاء سيد(الكور) العالم السفلي ومن غيابه عن النصوص السومرية اللاحقة لواقعة اختطافه للربة الأنثى(أرشكيجال) وجعله منها سيدة مسيرة لشؤون العالم السفلي في يدها أقدار الموتى ومصيرهم... أما هو فلم يعد يذكر وكأنما اندمج في(أرشكيجال) ومحض فيها وقصة اختفاء ملك**

الموت الأعور[٢] هذه فيها أصداء من صراع إناث الآلهة مع قــوى العـالم السـفلي في الميثولوجيـا الرافديةفي دنيا الحيوان فإن الأنثى تظل دائمة التحفز والاستعداد للدفاع عـن صغارهـا في وجـه الخطوب والأخطار المهددة لحياتهم.

أما في كتب الحديث والسيرة فالقصة منسوبة لكليم الله موسى المصطفى(عليه السلام) في حديث رواة البخاري في صحيحه على هذا النحو:

حدثنا يحيى بن موسى ، حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ابن طاووس، عن أبيه عن أبي هريـرة قال:

(أرسل ملك الموت إلى موسى(عليه السلام) فلما جاء صكه
فرجع إلى ربه عز وجل، فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد
الموت، قال: ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور، فله
بما غطت يده بكل شعرة سنة. قال : أي رب... ثم ماذا؟
قال : ثم الموت. قال: فالآن).

وقد روى مسلم نفس الطريق. أما الإمام أحمد فقد رواه منفردا في رفعه إلى رسول الله(صلـى الله عليه وسلم): قال الإمام أحمد : حدثنا أمية بن خالد ويونس قال: حدثنا حماد بن سلمة، عمار بـن أبي عمار عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم)، قال يونس: رفع هذا الحديث إلى النبي (صلـى الله عليه وسلم) قال:

(كان ملك الموت يأتي الناس عيانا، قال: فأتى موسى(عليه السلام)
فلطمه ففقأ عينه، فأتى ربه فقال: يارب... عبدك موسى فقأ عيني،
ولولا كرامته عليك لعتبت عليه. وقال يونس: لشققت عليه، قال
له: اذهب إلى عبدي وقل له فليضع يده على جلد- أو مسك
ثور- فله بكل شعرة وارت يده سنة. فأتاه فقال له، قال: ما بعد هذا؟
قال: فالآن. قال : فشمه شمة فقبض روحه).

قال يونس: فرد الله عليه عينه وكان يأتي الناس خفية. وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريـب، بن مصعب بن المقدام عن حماد بن سلمه، فرفعه أيضا. [٣]

غير أن الإنسان لم يأل جهدا لكشف أستار المحجوب من خلال محاولة الإتصال بعالم الأحـداث

لمعرفة مصيرهم بعد الموت. وقد تعرض شاعرنا الكبير عبد الله البردوني لهذا الموضوع في كتابه:

(الثقافة الشعبية تجارب وأقاويل يمنية).

حيث وضع المأثور في التراث الشعبي بخصوص الإتصال بالموتى في باب(الخرافة الدائمة).

فعندما تأنس روح المتوفي للدار الآخرة بعد مفارقته للحياة تقوم(المتسفلة/زوارة العالم السفلي) بمهمة الاتصال فيه... وتتولى (المتسفلة) أخبار أهله بما يمكن عمله لكي يرقد المتوفي هناك بسلام نحو قضاء دين في ذمته، أو طلب السماح له من أي شخص أو أشخاص تجنى عليهم المتوفي قبل مفارقته لهم بلا رجعة... **(هذه وظيفة اجتماعية لا تقوم بها إلا امرأة في العقد الخامس من عمرها بمعنى أنها وظيفة نسائية مسرحها مقابر المدينة).** و**(المسفلة... تنزل إلى أسفل القبور بعد دفن الميت بأيام كما تدعي فتشاهد أحواله وتسمع أقواله ثم تعود إلى أهل الدفين مخبرة لهم عن ما رأت وسمعت).** [4]

وفي أغلب الأحيان لا يطلب منها أحد (التسفل) بل تقوم بذلك من تلقاء نفسها ولا تحكي أخبار الميت إلا لمن تثق في سذاجته من النساء والرجال كما:

(لا تخبر عن الشيخ الذي مات في سن الهرم وإنما تكثر الأخبار عن الموت الإعتباطي الذي اختطف الشاب أو الشابة، لأن لموت الشاب أو الشابة حسرة أعنف فتسبب هذه الحسرة تقبل أخبار المسفلة وتنفيذ اقتراحها الذي لا تلح عليه وإنما تطرحه برفق). [5]

(كما أنها لا تحدد أجرا على عملها... وإنما على قدر المروءات والقدرة)

بردوني/ نفسه/ص ٥٤

ومن صفات المتسفلة أيضا عدم انغماسها مع الناس في المناسبات الإجتماعية كأفراح الزواج، وتتجنب الإختلاط بالآخرين زيادة في إضفاء السرية على شخصيتها، حتى في حالة تزوج أحد أبنائها ف**(انها تبتعد عن بنيها، وإذا لم تبتعد فهي في فترة ترك المهنة لكي يظهر غيرها).**

بردوني/ نفس المصدر/ ص ٥٤

وهي رغم كثرة طوافها**(على البيوت بعد خروج كل جنازة)** **بردوني/ ص ٥٥**

فمن النادر أن تعرف نساء المدينة إلى بيتها سبيلا. فإلى جانب هذه الحالة الغريبة التي تحيط(بالمتسفلة) وأن تخصيص عملها في المدينة قد يكون ذا جدوى لزيادة مستوى الوفيات الناجمة من الكثافة السكانية الكبيرة.. إلا أن هذا لا يمنع من اشتغالها بهذه المهنة في الريف لقلة حظ الناس من التعليم وسهولة إنزوائها بعيدا عن الناس.

ويرجع البردوني تخصيص هذه المهنة المخيفة بالمرأة لسبب يتلخص في :

(أنها أقرب لحزن الثكالى وأدرى بما يعزى عن الفقيد وبالوسائل التي تريحه في قبره)

بردوني/ ص ٥٥

وبما يتناقل شفاها عن (المسفلة) أن عملية الاتصال بالموتى تحدث جسديا عبر:

(انشقاق القبر عندما تمسه بيدها ثم يلتئم بعد دخولها وينفتح عند خروجها ثم يلتئم، فلا يراها أحد كيف تدخل القبر ومتى، إلا أن الكثير يرونها بين القبور وحول المقابر).

بردوني/ ص ٥٥

غير أن المأثور في (سرو حمير/يافع) عدم تخصيص هذه الشغلة في النساء على الأقل من باب ظروفها التي تتطلب فيمن ينشدها رباطة الجأش الأمر الذي يندر وجوده عند المرأة... غير أن هذا التخصيص له أبعاد ميثولوجية ترجع إلى آلاف السنين حيث تطالعنا نصوص الأساطير الرافدية عن (تسفل) ربات الخصب والحب إلى عالم الأموات(العالم السفلي) في غمرة تصارعهن مع آلهة الموت والجفاف... ففي الأسطورة السومرية نرى الإلهة(أنانا)، تهبط إلى هناك لتعزي أختها(أرشكيجال) إلهة العالم السفلي(المطلقة) في موت زوجها نرجال(الموت في عالم الموت!)، فتميتها(أرشكيجال) وتشد وثاقها إلى وتد هناك... ولا يتم تخليصها إلا على يد الإله الفوقي (آنكي) بعد تسليم زوج (أنانا) الراعي(دموزي) كرهينة لآلهة ذلك العالم المظلم.

وإذ تصبح (أنانا) في الميثولوجيا البابلية الآلهة (عشتار) فإنها وفقا لنواميس الخصب والدورة الزراعية يأخذها الحنين للوصل بزوجها (الرهينة) الراعي دموزي الذي يعرف في الميثولوجيا البابلية ب(تموز) فتهبط إلى (العالم السفلي) لإنقاذه من أغلال عالم الثبور والفناء إلى عالم التجدد والخصب والنور.

كذلك تقوم آلهة الخصب والحب والحرب(عناة) (الفينيقية/الكنعانية) بالتداول مع زوجها (بعل العلي إله الغمام والصواعق في الإنحدار(التسفل) في أتون الصراع ضد الإله(موت) ورهطه من أرباب عالم الجدب والفناء الرهيب.

وحيث أن البردوني لم يعرض للكيفية التي يتم بها التسفل غير ما قال عن انشقاق القبر والتأمه أثناء عملية التسفل والتعلي فإننا نعرض لهذه الكيفية وفقا للموروث الشعبي أيضا في (سرو حمير/يافع) فيما نسوقه أدناه:

١. يقصد (المسفل) أو المسفلة المقبرة في هيم الليل حتى يقترب من الموضع الذي ينشده.

٢. يتنصل من كل ثيابه بما في ذلك الخاتم وحتى (الحواقة) : وهي ما يحيق بالحقو من(سير) رفيع

جلدا كان أو صوفا أو غيره حيث كان من المعتاد تقلده على الجلد (البشرة) منذ أيام الطفولة ولا يقرع عادة إلا أثناء تجهيز صاحبه للدفن بعد الوفاة...

٣. بعد التعري تماما، يعطي المتسفل الموضع المنشود ضهره ثم يخطو القهقري (سبع خطوات) وهو يلهج (تمتمة) بأدعية لا يعرفها إلا هو، عندها تتشقق الأرض فيتسفل ويتم له الإحاطة بأسرار الموتى وأحوالهم في الدار الآخرة. وبنفس الطريقة ينسل خارجا من(العالم السفلي) مبدلة طلعته شائهة صورته أشعث فيه مسحة من عالم الأموات ولهذا فالناس يصفون من أمتقع لونه وذهبت عنه النظارة:

(فلان قل مسفل).

أي (فلان مثل المسفل).

لاشك أن هذه الطقوس ليست إلا تجلي آخر لنواميس العالم السفلي وفقا للميثولوجيا الرافدية فربة الخصب والحب(أنانا) السومرية تخضع لنواميس العالم السفلي عندما تتردى إليه فعند كل بوابة من بوابات العالم السفلي تطرح (أنانا) بعض من كسوتها وحليها:

(ولدى دخولها من البوابة السابعة رفعت عنها جميع أثواب السيادة والسلطان)

فتجتر(أنانا) نفس السؤال الذي لهجت به عند كل بوابة وهو ما نصه:

(ما هذا الذي تفعلون ؟)

لتلقى نفس الإجابة الرتيبة:

(أي أنانا لقد صيغت قوانين العالم الأسفل بعناية واكتمال فلا تناقشي يا أنانا شعائر العالم الأسفل). [٦]

وتتكرر هذه الشعائر على نفس النسق في الأسطورة البابلية، المستوحاة من الأسطورة السومرية حيث تختتم بعودة(أنانا) إلى الحياة وهبوط زوجها(دموزي) بديلا عنها وتكتمل الصورة في المبسوط الثاني(لعناة) التي تصبح(عشتار) انقاذا لزوجها(دموزي) الذي يصير(تموزا) في النص البابلي...**(بحيث يشكل النص بمجموعه مثالا ناطقا عن التأثر الشديد للفكر والأدب الأكادي بالنماذج السومرية).**[٧]

فعند وصول (عشتار) إلى بوابة العالم السفلي تأمر (أرشكيجال) الحارس قائلة:

(امض يا حارس البوابة وافتح لها الأبواب ثم عاملها وفقا للشرائع القديمة). [٨]

(فلما مر بها عبر البوابة الأولى رفع عن رأسها التاج العظيم.. وعن سؤالها أجاب:

ـــ أدخلي سيدتي فهذه شرائع ربة العالم الأسفل.

وعند كل بوابة من البوابات السبع تسلب من(عشتار) بعض أثوابها أو زينتها فتلقى نفس الإجابة عن أسئلتها الاحتجاجية...

فعند البوابة الثانية **تنزع من أذنيها أقراطها** ويرفع الحارس **عن جيدها العقود** عند الثالثة، وفي الرابعة يجرد **صدرها من الحلي**، وفي البوابة الخامسة أنتزع **عن وركها تعويذة الولادة الموصعة بجواهر الميلاد**... وعند السادسة **تنصل من يديها وقدميها الأساور.**

(ولما مر بها عبر البوابة السابعة نزع عنها ثياب جسدها.

ـ لماذا يا حارس البوابة نزعت عن جسدي ثيابي؟

ـ أدخلي سيدتي فهذه شرائع ربة العالم الأسفل.....).[٩]

وبعد هل يحتاج الأمر إلى القول بأصالة أو بأصولية واحدة للميثولوجيا الرافدية والسورية من جهة وتراث اليمن العتيق خاصة في ضوء ما ذهبنا إليه آنفا بخصوص الموطن الأول لإله الخصب والمطر المحارب عثتر: وهل نحتاج هنا إلى حتى بمجرد الإشارة أن بوابات العالم الأسفل عالم ألا عودة السبع ما هي إلا تشكل آخر ربما أتقن صناعة وأحسن إخراجا من النسخة الأصل ذات الخطوات السبع (إلى الوراء) في وقائع التسفل الحميري. فالمعروف لدى أهل الاختصاص أن ما تأتي به قناة التحدار أو الآثار الحية يدل بما لا يدع مجالا للشك بالإنتماء الأصيل لهذا الأثر إلى المنابع الثرة لذلك الشعب أو الأثينوس لا باقتراضه من بيئة أخرى فقد عرضنا آنفا (لقوس عثتر/عشتار) وعدم ذيوع هذا الاسم في الأقاليم التي تبنت عبادته في التراث الحي لشعوبها(السامية الشمالية بالذات) الذي يعرف بها اليوم باسم(قوس قزح) خلافا للوطن الأول(لعثتر) الذي ظل وفيا (لا شعوريا) لذلك الأثر المتلخص في قوس (عثتر) المعروف في(سرو حمير/يافع) بنفس الصيغة أي قوس(قاس) عنتر(تصحيفا) في حين **أنه يعرف ببعض مناطق اليمن(بقوس علان) حسب رواية صاحب: (النور المشرق في فتح المشرق)**[١٠] أحد علماء اليمن في القرن الحادي عشر للهجرة.... **وعلان (علن/في النقوش اليمنية القديمة) وهو موسم الخير يأتي في ذيل الخريف.**[١١]

وفي (سرو حمير/يافع) يقول عنه المزارعون:

(لا شحشح علان بدي لجم الشتاء).

أي (لو شحشح (شح المطر) علان طلع لجم الشتاء).

نعم إن الحديث عن (عثتر/عشتار) يكلفنا الإسترسال في التطرق عن الخصب والنماء في حين أننا ينبغي أن نرجع إلى صلب مهمتنا وهي الإيغال في البحث عن تجليات ميثولوجيا الموت وآثارها الحية في(يافع).

فقضية الاتصال بالموتى عند قدماء اليمنيين كانت ترمي في اتجاه اصلاح الشاهد عبر الإحاطة بالغائب قلبا لما يعرف في علوم الفقه : **(حكم الغائب على الشاهد).**

فقد يحصل أن ما تواريه الأحداث كان ضحية لفاعل بجهول فيبقى يتوجع في قبره ويسمع أنينه كلما حلت تلك الليلة التي شهدت مصرعه فيقوم(المتسفل) بمهمة الاتصال بالمغدور به في نفس الليلة التي ينوح فيها وبنفس شعائر (التسفل) التي عرضنا لها من خلع الأثواب وكل ما له علاقة بعالم الأحياء يعقبها السير(قهقري) بسبع خطوات ثم يسأله بالله(جل شأنه) عن خطبه ومن قتله بعدها يسأله بالله أن يتوقف عن النواح ولهذا فإن القبائل تترفع عن القتل غيلة ويعتبرون فاعله خسيس النفس لا يؤمن مصاحبته ويقولون فيه:

(العايب ماله صاحب).

العايب: العائب.

ولا تقام أي شعائر لعزاء(القتيل) ويسوى قبره فلا ينصب عليه شاهد قبر حتى يؤخذ بثأره. وإلى هذا الأمر ينقل لنا نشوان الحميري:

(ويقولون أيما رجل قتل، فلم يطلب وليه بدمه، خلق من دماغه طير يسمى (هامة) فلا يزال يزقو على قبره وينعي له عجز وليه، حتى يبعث، قال الشاعر:

فإن تك هامة بهراة تزقو فقد أزقيت بالمروين هاما

وقال(حريبة بن أشيم الأسدي) ، وهو أحد شياطين بني أسد وشعرائها:

لا تزقون لي هامة فوق مرقب فإن زقي الهام أخبث خابث

ويقول توبة بن الحمير:

فلو أن ليلى الأخيلية سلمت علي ودوني تربة وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة أو زقا إليها صدى من جانب القبر صائح [١٢]

وفي هذا قال أيضا (عبيد بن الأبرص) مستعطفا الملك حجر والد امرئ القيس على بني أسد التي شقت شملهم:

في كل واد بين يثرب فالقصور إلى اليمامة

تطريب عان أو صياح محرق أو صوت هامة

والهامة، طائر يألف المقابر ويقال له(الصدى) وكانوا يقولون أن القتيل تخرج من رأسه هامة فلا تزال تقول:

(أسقوني أسقوني حتى يقتل قاتله) [١٣]

(وكانوا أيما شريف قتل، فوطأته مقلاة عاش ولدها قال(بشر بن حازم):

تظـــل مقاليت النساء يطأنه   يقلن ألا يلقى على المرء مئزر [١٤]

وقبيل أن ندلف خارجين من عرصات الموت الموحشة أحبذ أن نعرج على عادة كانت شائعة بين سلالات حمير العريقة المعروفة بالأذواء والأقيال وتتلخص في موقف غريب من الموت وذلك عبر إخفاء وقائع زوراته التي تتخرم آجال سادة القوم وأعزهم جراءها فكان الخلف يتكتمون ميتة الآمر فيـــهم... ومما يحكى في (هضبة ضهر يافع) **أن امرأة في غابر العهود هرولت إلى صخرة عالية وأخذت تنـــوح وتنتحب على عزيز فقدته منذ سنين ولكن الناس لم يعلموا بخبر الموت إلا تلك الساعة التي سمعـــوا فيها نواح تلك المرأة.. فأطلقوا على تلكم الصخرة: (حيد الناعية).**

وقد عرض صاحب (لسان العرب) لمعنى الحيد بأقوال منها:

(**الحيد (بالتسكين)** : الحرف شاخص يخرج من الجبل، ابن سيده: حيد الجبل شاخص يخرج منـــه فيتقدم كأنه جناح....[١٥]

نعم ومما يذكر أنها كانت وهي تنعي مصابها تردد أشعارا منها:

(يافع مجانين وأمهم مجنونة

لا اتعالموا حد بيتوا يازونه

يافع مجانين وأمهم مجنونة

والمات سرمد عندهم يخفونه)

نعم فهذه السيدة قد دمغت نفسها وأبنائها بالجنون لا من أرزاء الموت وإنما من نير كتمانـــه.... والواضح من قولها: **(لا اتعالموا حد بيتوا يازونه).**

إن هذا البطن الحميري العريق منشغل على الدوام في أعمال الغزو والسراية من أجل ذلك ليلا... ولعمري أن في تعسف هذه الخطوب والأهوال وكتمان الموت عند حمير ما يذهل العقول حقا.

والنص يمكن عرضه على هذا النحو لمن غربت عليه لهجة سرو حمير/يافع:

(يافع مجانين وأمهم مجنونة

لو علموا حد بيتوا يغزونه

يافع مجانين وأمهم مجنونة

والموت سرمد عندهم يخفونه)

الجلد: هو التحجم.

وقد ذكر(الأستاذ/محمد بن علي الأكوع) في تحقيقه لوفاة أبي حسان أسعد بن إبراهيم الحوالي الملك الذي تم في عهده القضاء على دعوة علي بن الفضل الخنفري الجيشاني: **(ولما مات أسعد في التاريخ المذكور (٣٣٢ للهجرة) أخفي موته مدة مديدة بعدما جعل في تابوت عليه من الحنوط الغالية والأطايب الشيء الكثير، وظل في (كحلان) إلى سنة(٣٣٧ هـ) حيث أستدعى علي بن الحسين مشايخ صنعاء ووجوههم للصلاة عليه.** [١٦]

وهذا دليل على استمرار هذه العادة في حمير حتى بعد الإسلام!.

١

٢

٣

٤

٥

٦

٧

٨

٩

١٠

١١

١٢

١٣

١٤

١٥

١٦

الفصل الثالث عشر

صيغة الزواج الحميرية

دراسة

مزاياها الفريدة وابعادها التاريخية العتيقة

طقوس الزواج وأفراحه في سرو حمير / يافع ، تعبق بأنفاس الازمنه الغبرة وتلجب فيه زفرات ولهه آتيه من صدور عشاق العهود العوادي فتشهد على أثارهم وتلهج بعتيق أخبارهم ولعل في مفردة (صيبة) التي يطلقها أبناء (سرو حمير / يافع) حتى اليوم على مناسبات " الزواج " أول الأسرار التي نود الإحاطة بها :

- **صيبة العمر:** ينطقها اليافعيون على هذا النحو :

صيابه / بكسرات) وهي إذ تطلق على مراسيم الزواج وأفراحه عندهم فهي في التراث اليهودي تدل على نفس المعنى :

فسبت اليهود (سابات) هو اسم إلهة أنثى تمثل لدى بعض الطوائف اليهودية العلاقات الجنسية التي تكتسب عندها ساعة الدخول بالعروس أهمية دينية خاصة إذا تمت بعد دخول يوم السبت فتقام وليمة طويلة جدا مساء يوم الجمعة تتخللها ألوان مختلفة من الطعام والمشروبات وصلوات وأناشيد موجهة إلى الإلهة (السابات) التي تمثل العروس بها . وتنتهي هذه الوليمة عند منتصف الليل وهو الوقت المحددة تلموديا للمعاشره .

وهذه ترنيمه يرددها العريس على عروسته في مخدعها :

(ما أحلى رقادك ، رقادك أيتها الملكة السابات فلنسرع لحوك . تعالي ايتها العروس المختارة).[1]

إذا فاعز مناسبات العمر الحميرية هي " الصيبة / صابة جمعها صابات (صيبات) هي إلهة " الخصب " المعنية بالعروس عند بعض الطوائف اليهودية . وفي معاجم اللغة نجد :

صياب القوم خيارهم وأطيبهم أصلا [2]. فالدلالة واحدة في التراث العربي العامي والخاص أي في اللغة الفصحى إذ تدل على خيار المناسبات " الزواج " وخيار القوم أي أطيبهم أصلا .. ويتسق هذا المعنى مع قرنيه في التراث اليهودي .

مما لا شك فيه أن معظم شعوب المعمورة يعتبرون " الزواج " محطة ذات أهمية فريدة في دورة الحياة الإنسانية .. ولهذا خص الزواج بطقوس احتفاليه بهيجة ومتنوعة تتظاهئ في الوان منها وتتباين في بعضها الآخر :فعند بعض الشعوب (**مثلما عند قبيلة اليونانيين في جزيرة كاليمنتان) يكفي لعقد**

الزواج ان يعلن العريس والعروس بحضور شيخ القبيلة اتفاقهما المتبادل على الزواج . ولدى بعض الشعوب (مثل قبيلة كوشي في أفغانستان) قد تستمر مراسيم العرس يومين ، وعند شعوب أخرى (بعض شعوب الهند) تستمر ثمانية أيام . [٣]

وإذا كانت قضية الزواج والاتصال بمن تهفو إليه النفس تحت سقف واحد مما يلهب خيال الطفل ويستحوذ على اهتمامه ، فعادة ماترى فتاة صغيرة تجهد أناملها محاولة ان تصنع لنفسها حريوة أي عروس بل أنه من المألوف على نطاق واسع من العالم أن يلعب الصغار لعبة " العروس والعريس " أو " لعبة الأب والام وهلمجرا بمتعة لا حدود لها وهذه بلا شك هي الميول الأولى أو الباكرة التي تحفز الذكر والأنثى على اكتشاف الذات الغير مكتملة الا بالوصل النصف الآخر عبر مؤسسة الزواج أو الأسرة .

ولقد احتفل قدماء اليمانية بالزواج وجعلوا منه مناسبة توجب الادخار والاستعداد اللائق بها .. بل وتكشف نقوش المساند الحميرية أن تحقيق هذه المناسبة كان يسبقه تقديم النذور وإحراق البخور والإنابة للآلهة كي يمنوا على صاحبها بالتوفيق والسداد اللازم للاقتران بالمحبوبة التي تظهر في النقوش بصيغة (حشكت /زوجة) أما في العبرية فهي (ء شه) فهذا مثلا :

رب عثت يغنم من بني (صعقان /وتزاد / وفهمان) يتقرب إلى الإله

(تهوان بعل أوام "ال مقه") بصنم برونزي ذهبي اللون . وفاء بنذره

وحمرا لما من به " المقه " تهوان بعل أوام من تحقيق أمله في زفافه

ولم شمله على محبوبته (تحي إل) بنت جراف والصعق . [٤]

وترفدنا كتب التراث بجمله من الطقوس الغريبة للزواج ولعل أقربها ما كان سائدا في عهد (طسم / وجديس) البائدتين فما درجت عليه العادة عند طسم أن :

لاتهدى امرأة من أهل اليمامة إلى زوجها حتى تهدى إلى ملكهم عمليق . [٥]

وقد أدت هذه العادة في نهاية المطاف الى هلاك " طسم وجديس " . فبدلا من أن تزف (عفيرة بنت غفار الجدسيه) الى بيت وزجها " الطسمي" عرج بها جريا على عادة طسم على عمليق الملك :

فبات معها ثم سرحها فعمدت إلى نادى قومها متجردة من ثيابها

وفزعتهم بالأشعار فقام إليها أخوها الأسود سيد جديس فغطاها بثيابه " [٦]

فكادت جديس " لطسم وملكهم عمليق" إذ دعتهم إلى مؤدبه في صحراء اليسامة .. فبينما أنشغل الضيف بالطعام امتشقت (جديس) سيوفها من جوف الرمال وأتت على رجال طسم حصدا

بالسيف والأسود سيد جديس يترنم بالأشعار:

يا صيحة يا صيحة العروس

حين تمشت بدم جميس

ياطسم ما لقيت من جديس

هلكت ياطسم فبئس البئس [7]

هذا وكانت نهاية جديس على أيدي رجال الملك الحميري (حسان يهامن) بن الملك (ابي كرب اسعد الكامل) الذين خفوا لنجدة (طسم) كما تروى كتابات الإخباريين العرب . واكدتها نقوش (ماسل جمحن / **ماسل الجمح**) كما نص عليه نقش (**ريكمانس / ٥٠٩**) الذي سجل زيارة (ابي كرب أسعد) وابنه (حسان يهامن) لذلك الموضع في الأطراف الجنوبية لنجد في ركب من أعراب (كنده) [8]

أشرنا في المدخل إلى التسمية الشائعة في عموم اليمن وهي " الحريووالحريوه " أي العريس والعروس في البلاد العربية الأخرى .وفي معاجم اللغة :

وفي الحديث :

إن هذا الحري إن خطب أن ينكح " [9]

وهكذا فالتسمية اليمنية لها ما يسندها في اللغة العربية الفصيحة واختيار الزوجة في (سرو حمير/ يافع) تتم عبر عملية انتخاب عمل فيها جملة من المؤثرات المتوارثة نحددها في التالي:

- **الزواج من بنت العم :**

كانت العادات في " سرو حمير/ يافع " تقتضي تفضيل الزواج من بنات العم .. وقد كرست هذه العادة في المثل العامي :

" **بنت العم نزلة من عل الجمل** "

أي بنت العم نزلت من فوق ظهر الجمل ، نعم فهذا المثل يصور الى أي مدى كانت تصرفات الناس مرهونة بالعادات المتوارثة . فظهور " ابن العم" فجأة بعد غياب طويل أدى إلى ابطال مراسيم زفاف "بنت العم " وإنزالها من فوق ظهر الجمل الذي كان سيحملها الى بيت الزوجية حيث العيش مع زوج غريب . وأحقية الزواج من "بنت العم " تقليد سائد حتى اليوم في الأرياف والعشائر والقبائل .: **أبويا قال لي يا لوزة بين الجناين**

أولاد العم هم عوزة بين الجناين [10]

هذه الأهزوجة الشعبية اللبنانية التي نقلها لنا (ديب) تؤكد على وحدة المـــوروث الشـــعبي في جنوب وشمالي شبه جزيرة العرب بوجه خاص وإقليم الشرق الأدنى بوجه عام هذا التقليـــد الواســـع الانتشار أخذ له موضعا بين النصوص التوراتية :

هذا الزواج الداخلي أضفي عليه في التوراة وفيما بعد التلمود صفه التقديس
وقنن بواجب عدم الزواج من يهودية [١١]

وفي هذا السياق ترى المستشرقة الروسية (بيغولوفسكايا) أن سر هذه الظاهرة يتعلـــق بنظـــام الوراثة المتبع لدى :

العشائر التي لم تكن أملاكها عرضة للتقسيم أو الانتقال بالوراثة خارج
العشيرة قد وجد بينها من المصالح الاقتصادية المشتركة . وارتبط بهذا
في العادة تقاليد الزواج في الأسرة . [١٢]

ومن هذا المفهوم درجت العادة عند قبائل " سرو حمير/يافع " على "حرمان البنت " من المـــيراث ويترتب على هذا الأمر المخالف لقواعد الشرع الحنيفية تعويض البنت عن حقها في الميراث "بسلة غذاء " تتكون من " **ربعي وضلعي** " ويشير هذا العرف الشعبي إلى وصل الرحم في الأعياد عيد الأضحـــى المبارك وعيد الفطر المبارك والصيبات التي تحل ببيت الاخوة ومواسم الصراب (الحصـاد) .. الخ ب (ربعي) ويشير هذا إلى " مكيال الحبوب " أما "الضلعي " فتشير على حصة البنت أو العمة من لحـــم الأضحية التي يذبحها أهلها في الأعياد أو الثيبات .. الخ ويطلق على " سلة الغذاء" هذه أيضا " الهديـــة والغدية " ويتقيد أهل المرأة بها يؤدونها لها ولو طال بها العمر مئينا حتى عهد أحفاد الأحفاد يتوارثـــون الواجب دون الانتقاص منه حتى يتوفاها الله –عز وجل ويقولون :

بيت أبوها يصولها من شين أوضين

ويسمولها " بنت البيت إكراما لها وكانوا يتعللون بعدم إيفاء المرأة حقها من المـــيراث المعـــروف شرعا بالقول أنه سبق أن أعطت المرأة حقها ولكنها تضيعه عند زوجها فإذا طلقها زوجها بعد ذلـــك فقد لا تجد في أهلها من يكرمها بعد أن بددت نصيبها من الميراث . وعلى الرغم من تفقه الناس اليـــوم في شئون دينهم فأن العادة ما برحت تفرض نفسها على البعض في قضايا الميراث .

وينقل لنا الإخباريون العرب عن شيوع عادة عدم توريث الفتاة " في معظم جزيرة العرب:

أما في نجد بجبالها وباديتها فأنهم " يزوجون بناتهم ولم يورثون البنت شيئا ،
بل إذا كانت البنت بكرا تجهز وتزوج " [١٣]

وإذا كان الاقتران "ببنت العم " واجباً مازال الكثير من اليافعيين يودونه حتى اليوم فـــأن قضيـــة الاقتران بأرملة الأخ المتوفى تعتبر في نظر أبناء "سرو حمير/يافع " فريضة لا مناص من أدائها خاصـــة إذا كان للمتوفى أبناء منها فأي تلكو من قبل أخوة " الفقيد " يعني فقدان المرأة الأمل في الزواج ثانيـــة لأن نداء الأمومة يغلب عندها على رغبة الزواج من أجنبي وهكذا ترى الكثير ممن فقدن أزواجهن يضربـــن دون الزواج من شقيق المتوفى صفحاً وينذرن أنفسهن لاحتضان التيامئ فحسب . ويغدو واجباً إطـلاق أسم الفقيد على أول مولود ذكر وضعته إمرأة المتوفى للأخ الذي إقترن بها . وفي بلاد الشام ينعت :

أخ الزوج في الثقافة الشعبية بتسمية دارجة (السلف– سلفي)،

وغالبا ما يتزوج امرأة أخيه المتوفى [14]

وفي التوراة :

أخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة ويقوم لها بواجب الزوج .

والبكر الذي تلده يقوم باسم أخيه الميت لئلا يمحى اسمه من إسرائيل .

(سفر التثنية /٢٥ /٦٥)

- **العامل الجغرافي :**

يعد سرو حمير/ يافع في جباله الصخرية المتحارئة من اصعب تضاريس هضبـــة اليمـــن وأشـــدها وعورة ولا غرو أن للوسط الجغرافي أثر كبير في تحديد أفاق السلوك الانساني وصقل خيم من يـــترلون في محيطه ولهذا فقد كان " لسنان اليمن " [سروحمير /يافع] بأنهم : **من الجد رجال اليمن .. والجـــد حمير باليمن وفرسانهم قليل .** [15] هذه الجبال الصعبة المسالك العصية على السلطان هي التي إرغمـــت أحد الفاتحين المحليين في عصر " البارودة " ليرضى من غنيمتها بالاياب " ولسانه يلهج بالشعر :

يافع قبل ما يعرفون الدولة

ولا معاهم للسفاط إمزاحي

وارضهم ما تستعف للعامل

وهي شوامخ عاليات ضياحي

السفاط والمزح بنفس المعنى في البيت الاول أي أنه لا سبيل للعب معهم باي شكل كان .

العامل: في البيت الثاني هو قائد الحملة وحاكم المنطقة في العهود الامامية .

لكنهم على لجدهم وشده بأسرهم في الحروب تماما كما وصفهم الهمداني : **" فرســـانهم قليـــل "** ولاريب أن هذه صفة ها يشترك جميع سكان الجبال أينما كانوا ، ولهذا يقول (جوستاف لوبـــون) في

حديثه عن منطقة(هذيل):

أن هذه المنطقة الجبلية.. ليست بالمنطقة الصالحة لتربية الخيل،

لأن الخيل لا تربى إلا في البقاع الخصبة. [16]

و لعل أبلغ وصف لهج به لسان أضنته أوتاد يافع العصية هو ما قاله (ابن مقبل العامري):

من سرو حمير أبوال البغال به   أني تسديت وهنا ذلك البينا [17]

نعم فبيئة ترغم البغال و الدواب على طرح أبوالها في كل عقبة ونجد منها، قمين بها أن تأوى بين فجاجها رجال أشداء و نساء من نفس العيار فصعود الجبال و هبوطها يقتضي قوة بدنية غير عادية وهي صفة يكتسبها المرء ضرورة:

إن الطبيعة تمنح سكان الجبال عضلات في سيقانهم من حديد ليتسلقوا بها المرتفعات. [18]

إن هذه الظروف الصعبة جعلت المرأة اليافعية تتخرج عبر قانون الإنتخاب الطبيعي هذا فلاحظ في الزواج في يافع إلا المرأة القوية و فيها يقول (صلاح البكري):

و النساء سافرات الوجوه و العفة أبرز صفة تحتفظ به المرأة اليافعية و تعتز به وهن يشاركن الرجال في فلاحة الأرض و ريها و زراعتها و في تربية المواشي و الأغنام. و قد يشاركنهم أيضا في الحروب. [19]

هكذا فالمرأة في (سرو حمير/يافع)، كانت تؤهل لحمل أعباء الحياة بصبر لانظير له.و يروي لنا الرحالة العربي (ابن المجاور) طريقة زواج اعمال (ذمار) و هي المنطقة المجاورة ل(سرو حمير) من جهة الشمال- فعندما يرغب الرجل في الزواج يذهب إلى ولي أمرها فيقول:

"أريد أن أشاهد جمال كريمتك" فيقول له أبوها:"أقدم إلى السوق الفلاني فإنها تتوعد به وشاهدها في بيعها وشرائها وجمالها". فإذا أعجب الرجل حالها وشيلها وبيعها وشراؤها وقوة صبرها على الثقيل، فعند ذلك يملك بها ويدخل عليها وتبقى على شغلها ذلك حتى الممات. [20]

وحيث أن المناطق الجبلية تعرف لدى علماء الإجتماع بميل أهلها للمحافظة على العادات والتقاليد و الأعراف المأثورة، و على رغم من إرتخاء قبضة القديم المأثور على أبناء يافع بفعل المتغيرات الحديثة مثل التعليم و الهجرة و الإختلاط و الوسائل الإعلامية المقروءة والمرئية المعروفة اصطلاحا باللغة الإنكليزية/**media** / فإني أرى حتى أكثر العقول تحررا ليس بمقدورهم تجاوز بعض الحواجز الاجتماعية البالية و بالذات في قضية الزواج نحو قبوله بين من ينتمون إلى الفئة الدنيا في المجتمع كالمزانية

المعروفين في يافع بإسم (الشحاذ/بتشديد الحاء المهملة) وهم الفئة التي كانت تقوم بإعمـال خدميـة للقبيلة مثل الحلاقة و الجزارة...الخ، و بين جل أبناء القبيلة الذين كانت تجمعهم تسمية(قبيلي/صيغـة النسبة من قبيلة). و كان القبيلي يحرص على عدم مصاهرة أصحاب المهن أيضا نحو الخرازين والدبـلفين و أهل المدر و الحياكة...الخ. كما كانت فئة العبادلة (جمع عبادي) وهم السادة الذين يدعون إنتمائهم للبيت"الهاشمي" يحصرون الزواج داخل رابطتهم. و كان رجال القبيلة يعزون هذه الحواجز بالقول بـأن الولد تغلب عليه صفات الخال (أخ الأم) و كثفوا هذا المفهوم بالقول الشعبي:

إعتن بالخال يأتيك الولد و البنت تأتيك لا(إلى)عمالها

و لكن عامل الزمن و المؤثرات التي ذكرناها آنفا مهدت اليوم لبعض الإختراقات لهذه الحواجـز البالية نحو حصول مصاهرات بين القبيلي و الخراز و اقتران القبيلي من بنت السادة. و قد يأتي اليـوم الذي تنهار به هذه الحواجز كلية لا في (سرو حمير/يافع) حصرا بل و في أرجاء بلاد العرب قاطبة.

ومهما تشابهت عادات الشعوب و تقاليدها في صورها و ألوانها إلا أن بعض أنواع الفن لا وجود لها عموما إلا عند شعوب قليلة. [21]

وحتى في نسيج الأثنوس الواحد تقدم بعض القبائل صورا من الفنون والعادات والتقاليد هي مـن الغرابة بحيث تظل مقصورة على ذلك البعض من القبائل دون غيرها من القبائل التي تنتمي إلى نفـس الأثنوس –أو الشعب– فإذا كانت عملية ختان أو تطهير الفتاة المأثورة لدى بعض القبـائل الأفريقيـة المسلمة هي التي أضرمت الرغبة الجامحة لدى بعض أعضاء البعثة الإستكشافية الدنماركية الموجهـةعام ١٧٦١م لاكتشاف اليمن–العربية السعيدة– ففي حين تنزل البعثة في (مصر) في طريقهم إلى (اليمـن) نجدهم يتحرقون شوقا للإحاطة (عيانا) بآثار عملية الختان التي يمكنهم منها ثري مصري، إذ يعمد إلى:

إحضار فلاحة في الثامنة عشر من عمرها و سمح لهم بمشاهدة كل شيء أحبا مشاهدته فيها، و تم كل هذا أمام سمع و بصر الخدم الأتراك، واستطاعا أن يرسما كل شيء على الطبيعة مباشرة و يداهما ترتجفان خوفا من رد الفعل السيء من المسلمين، ولأن سيد المنزل كان صديقنا فلم يجرأ أحد على إبداء أي معارضة. [22]

قد تبدو هنا الإشارة إلى عملية ختان الأنثى عند بعض المسلمين إقحاما ليس له علاقـة بعـادات الزواج اليمنية، غير أن هذا الأمر يرتبط عند بعض القبائل اليمنية في صميم عادات الزواج و طقوسـه الغريبة، فالمدهش أن ختان الذكر و الأنثى على السواء لا تحصل مطلقا في نواحي الشام اليمنية الشهيرة

بـ(تهامة اليمن) و أرجاء (ظفار و المهرة) شرقي حضرموت، إلا في ليلة الدخلة (الدخول) على العروس. و في هذا الشأن يروي لنا (ابن المجاور):

أن ما بين (زبيد) و (غلافقة) لا تطهر الفتاة إلا إذا عقد نكاحها و قطع مهرها وسلم دفعها، و بعد ذلك تطهر البنت بطبل و زمر وعلى رؤوس الأشهاد بالمهامين و الضيافات و الطرح و التسليم، و يقال أن جميع بلاد الشامية عن (زبيد) على هذه السنن. [٢٣]

وما برحت عادة ختان (الحريو و الحريوة) سارية عنهم حتى اليوم. و تدخل المسألة في إطار إشهار شرف أبناء القبيلة، و المفاخرة في الأنساب عند قبائل (المهري) و(ظفار) و تحدث العملية: **وسط دقات الطبول و طلقات الرصاص، و في بعض النواحي ترفض النساء الزواج ممن يصرخ من الألم وقت إجراء العملية.** [٢٤]

و يبدو أن عادة الختان المرتبطة عند قبائل تهامة في غربي اليمن و قبائل المهري و ظفار شرقي حضرموت بليلة الدخول على العروس، تناظر ختان أبناء الخروج و التيه التي تمت على يد (يشوع) في (تل القلف) وفقا للنص التوراتي:

فصنع يشوع سكاكين من صوان
وختن بني اسرائيل في تل القلف
يشوع/٥/٣

فلم يكن بوسع (يشوع) أن يدخل أرض الميعاد (كنعان) دون أن يطهر الأبناء الذين ولدوا خلال سنوات التيه الأربعين. إذا فعملية الدخول بالعروس عند بعض القبائل اليمنية تضارع عملية الدخول إلى أرض الميعاد, خاصة في ضوء طرح (د/كمال الصليبي) الذي حدد (تل القلف) في:

ذي غلف التي تقع في غربه، في وادي أضم،في مرتفعات منطقة الليث جنوب الطائف. [٢٥]

كما نجد قرينا لعادة الختان هذه في :

عادة ختان الكهان بعد عمادقم بالماء في مصر القديمة . [٢٦]

أما تقاليد الزواج اليافعية فلها نكهتها الخاصة و المتفردة أحيانا حيث يمكن أن تطول فترة (الحرولة/الخطوبة) -و الحرولة هي "**الحرورة**" أبدلت فيها الواو الثانية لاما- وفيها ينبغي على (الحريو) أن يداوم على وصل اهل الحريوة و بالذات في يومين في السنة هما:

***يوم الوقوف على عرفة.**
***أول خميس من رجب.**

وفيهما يلزم الحريو أو من ينوب عنه من أهله معاودة الحريوة و أهلـــها و يــهدي لهـا بعــض الإحتياجات النسائية نحو ثوب و مساحيق الزينة حيث كانت تضم (سابقا):

الورس و الهرد و الحناء و الزباد و الحسن و الخضاب و زيت السمسم...الخ. ويمكن أن تحـــوي قائمة الهدية الحلوى و العسل و التنباك، وفقا لقدرة (الحريو) و جوده، غير أن المادة الأساسية في الهديــة هي اللحمة و مقدارها نصف رأس من الضأن أو الغنم على أقل تقدير، و تسمى (الكرامة)-من إكــرام الأهل في الأعياد- و إذا رغب (الحريو) زيادة في إكرام الحريوة و أهلها، فالكرامة رأسا من الغنـــم أو الضأن يؤتى بها مربوطة، أي تجر حيّة إلى بيت الحريوة. ولا تحصل (الحرولة) في يافع إلاّ بتسليم الطـوح لــ(الحريوة) وهو في الأساس مبلغ ما من المال وساعة يد وخاتم. و في السنوات الماضية كانت الفتـــاة أو الشاب يعرف الواحد منهما بأنه يعيش فترة (حرولته) إذا أخذ دوره في الرقص في مناسبات الأفـراح و الزواج حيث تعمد النساء لمباركته أو مباركتها حينها بإطلاق (المحاجر)-واحدتها محجرة:وهي زغللــة النساء أو هلهلتهن في البلاد العربية الأخرى، وهي تسمية أخذت من حجر أو حبس المــرأة لصوتهــا بأصابع يدها بحركة سريعة تحصل منها المحجرة- هذا الترحيب أو المباركة بـــ(المحـــاجر) يشـــهر امـــر (الحراوئ) في (سرو حمير/يافع). غير أن اقتراب أفراح الزواج لا تتحقق إلاّ بحلول يوم (الظهرة) فمـــا شأن ذلك في عادات الزواج اليافعية ؟

• **الظـــهرة:**

بالظاء المعجمة، يحل يوم (الظهرة) بالإتفاق المسبق بين أهل (الحريو) و أهل (الحريوة) وفيه يقـــدم (الحريو) مع بعض من أهله ومعهم الهدايا لإهل الحريوة نحو الثياب و الحلوى وأدوات الزينة و العطـــور و غيرها. وفي مقدمة الهدايا راس من البقر أو بضع رؤوس من الماعز أو الضأن، تؤخذ حيّة معهم إكراما لـــ(الحريوة) و أهلها الذين يستقبلون (الظهّارة) على عتبة بيت الحريـــوة و يرحبـــون بهـــم بـــإطلاق الرصاص حوّا، أما النساء فيرحبن بالضيوف (الظهّارة) برفع عقيرتهن بـــ(المحاجر) و إيقاد البخـــور. وفي نهار (الظهرة) تذبح الذبائح إكراما للضيوف و توزع الحلوى على أهالي القرية أو الجـــيران و يدعـــون جميع أهل القرية لحضور وليمة (الغداء) في بيت الحريوة حيث يقدم فيها اللحم و المرق و عصيدة الـذرة و أطباق الرز و الفاكهة (أحيانا). ثم يجلس الضيوف (الظهّارة) و أهل الحريوة وبعض من أهالي القريـــة في ديوان البيت ليبدأ (المقيل) التقليدي حيث يفضل الكثير من الرجال في (يافع) مضغ القـــات بُعيـــد صلاة العصر، و يواصلون هذا الطقس على مدى ساعات طويلة يتخللها النقاش و المجـــابرة و تبـــادل النكات...الخ. ولا يفضل اليافعيون مشاهدة (التلفزيون) في مجالسهم العامرة لأنه يفسد متعة القـــات

التي تبلغ ذروتها بالمسامرة و المؤانسة و تطييب جلسة القات (المقيل) مع حلول الظلام، فبعد ان يفرغ (الظهّارة) من عشائهم المكون عادةً من الخبز و المرق و اللحم، تستأنف جلسة القات ، و يتم فيها الإتفاق على الشرط (المهر) و موعد الزفاف و أمور أخرى تتعلق بالزواج وفي بعض الأحيان يكتب فيها عقد النكاح الشرعي كما تحيا ليلة(الظهرة) بالرقص و الطرب الذي يشارك به كافة أهل القرية و الضيوف و تطلق نيران البنادق جوّاً احتفالاً بالمناسبة.. و قد تستمر (الظهرة) لعدة أيام وفقاً لرغبة الجانبين. و تسمى (ظهرة) لأنها تحدد المسئوليات فيها و الواجبات وتظهر شروط و نوايا الجانبين.

- **أيام الخَبْؤ أو الاختباء:**

بعد (الظهرة) تبدأ الحريوة (فترة خبؤ) كما تدعى في لهجة (سرو حمير/يافع)و تصل إلى أسبوعين أو اكثر وفيها تنقطع (الحريوة) عن العمل خارج البيت و تلزم بعض الأعمال داخل البيت و تتجنب التعرض لضوء الشمس و تتعهد بشرتها بالدهن للتنعيم و تندف وجهها بردّع الهرد المورّس و شعرها بمسحوق الهدس و الدهن ولا تقرب العطر لأنه في المفهوم الشعبي يعرض (الحريوة) لخطر المسّ بالأرواح الخبيثة و تحرص على عدم الإلتقاء بـ(الحريو) حتى في حالة أن يكون عقد نكاحها قد أنجز في الظهرة.

وفي كل الأحوال فإن مسألة (يوم الزفاف) كانت لا تحصل في يافع عرضاً بل إنّ أهل الحريوة بالذات كانوا يوقتون لذلك اليوم:

(حتى لا تخرج الحريوة و النجم بالوجه)

كما كانوا لا يحبذون زفاف الحريوة في بعض الأشهرنحو:جمادي الأول و صفر و شوال.

كما كانوا يعدون ربوع-أربعاء-آخر الشهر، يوم نحس مستمر.

و أمور التوقيت هذه كان العرب يأخذون بها في مختلف الأقطار، و كان أهالي (مكة المكرمة) يحددون موعد الزواج حصراً في يوم بعينه.. و قد ذكر (ابن المجاور) ذلك بقوله:

{في العشر من ذي الحجة يخطب زيد بنت عمر وفي العاشر من محرم

يدخل كل واحد منهم على عروسه بالنظرة و التظهير}. [٢٧]

و التباشير الأولى لأفراح الزواج كانت تتجلى في فترة (الخبو) هذه بـ(أهازيج الخدمة) فما هي ياترى ؟

- **أهازيج الخدمة:**

تصدح النساء من أقارب الحريوة و جيرانها بأهازيج عذبه يكرسنها للتباهي المشبوب بروح

الدعابة يمدحن فيها محاسن الحريوة و يرفعن من قدرها و تعرف هذه الأشعار بأهازيج الخدمة لأنها مكرسة لخدمة (الحريوة) و الواقع أنّ عادات الزواج في (سرو حمير/يافع) كانت معنية بتقديم ألوان عديدة من الغناء الشعبي التقليدي الشهير بـ(اليافعي) أو كما يحلو لبعض الدارسين تعريفه بـ(اللّون اليافعي) الذائع الصيت عبر الجزيرة و الخليج العربي بأعلامه المعروفة(يحيى عمر اليافعي) و (ابن زامل) و(ابن الشريف) وغيرهم من أعلام الأغنية اليافعية. فكم حريّ بأهل الإختصاص في دراسة الأغنية اليمنية الإحاطة بالأغنية اليافعية التي يقول فيها الشاعر اليمني المعروف (محمد سعيد جرادة)-رحمه الله:

{الأغنية اليافعية تكاد تكون معاصرة للأغنية الصنعانية. فهي إذن أقدم من الأغنية اللّحجية و الحضرمية... وهي ذات طبيعة فولكلورية لأنّ قائليها مجهولون لا يُعرفون إلاّ بداية الكلمات مثل:(قال ابن جعدان) و (يقول ابن شريف) و (يحيى عمرقال) . وما أحرى المختصين بدراسة تاريخ الغناء اليمني بتتبع هذه الأسماء. [٢٨]

وأهازيج الخدمة كانت تسمع في (سرو حمير/يافع) في طرقات القرى و دروبها و مسالك الجبال وفي الأطيان وحين تترح النساء الماء من الآبار أو ترده في القلاّت و الحسي-جمع حسوة- و المكال- واحدتها مكلة- و فيما يلي قطوف من دوحة أهازيج خدمة الحريوة اليافعية:

بخدمش وآ عود لبريق (الإبريق)
وآ مدعلك وآ رشيق
بخدمش وآ عود لبنوس (الأبنوس)
بعلي الحامل ينوس
بخدمش وآ ختي أصيبا (غُصيبا)
ما معانا بش سخا
بخدمش وآ ذ البنية
واين كنشي مخفية
مخفية ي دار أبوها
بالمناظر عليه
بخدمش في سعد أبوش
أو بسعد الوالدة

بخدمش في سعد أبوش

ذي يوفيّ ما قصر

بخدمش في سعد أبوش

وإن عصر حيد اعتصر

بخدمش وآ ميل فضة

و اهلش أميال الذهب

بخدمش و جلجل أبين

وآ ذرة وادي خبان

حيث أبوش لا(إلى) لحج و أبين

لا(إلى) رداع العالية

بخدمش وآ ماز(موز) عنّه

و ترلجه على الأيول(الغيول)

[الشين] في: بخدمش/و أبوش/و كنش/و أهلش/و بش .

ضمير المخاطب للمؤنث في لهجة(سرو حمير/يافع)

[وآ] للمنادى المندوب و هو هنا الحريوة .

وعود لبريق(الأبريق) هو في اللغة العربية:

*البروق: ... قال: أخبرني أعرابي قال:

"البروق نبت ضعيف ريان له خطره رقاق .

قال جرير:

كأن سيوف التّيم عيدان بروق   إذا نضيت عنها لحرب جفولها [29]

و عود الأبنوس و الآبنوس: شجر من فصيلة الأبنوسيات، يعيش في البلدان الحارة، خشبة ثمين أسود اللون صلب العود للغاية (يونانية) . [30]

و مما يلفت النظر في هذه الأهازيج اليافعية تكثيفها لوحدة الأرض اليمنية و سبك عود الحريوة من طينه أختمر فيها عود الأبنوس الصلب بخرعو به البروق الندية دلالة على رشاقة القوام و عجنت بغلال الأرض اليمنية الخصبة، مثل:

جلجل أبين وذرة وادي خبان وموز وادي عنة العديم النظير. فسهول دلتا أبين الواقعة شرقي

عدن ، تسقيها سيول (سرو حمير/يافع) المتدفقة عبر (وادي بنـــا) الشـــهير و وادي (سُـــلب) و وادي (خُبان) من غرر أودية سرو حمير:

يقع بذي رعين شرقي ظفار و جنوبه وهي ما تعرف اليوم بإسم (السَدّة) . [٣١]

وهو أي (خُبان) يعرف عند الأخباريين بـــ(كهف خُبان) الذي بدأ منه عصيان عبهلة العنســـي الملقب بـــ(ذي الخمار) [٣٢]. أما **(وادي عنّه):واد مشهور في بلاد (العدين) غربي (إب) و يصـــب في وادي (زبيد) .** [٣٣]

وهكذا نجد وحدة الجغرافيا اليمنية في أهزوجة مديح الحريوة اليافعية .فإلى جانب خُبـــان وعنّـــه وأبين لسنا بحاجة لتقديم (رداع) و (لحج) فهما في غنىً عن التعريف .

ونحن هنا نهدف بالإطالة ، المسح الشامل و الحصيف للأبعاد التاريخية و الثقافية لعادات الـــزواج وطقوسه العتيقة في النجد الحميري المعروف بـــ(سرو حمير/يافع) خاصةً في ظل التآكل المستمر لبنيـــة التراث تحت عوامل شتى ، ويكفي الإشارة هنا إلى اختفاء معظم عادات الزواج الـــتي نتناولهـــا هنـــا بالدراسة و البحث ومنها (أهازيج خدمة الحريوة) التي لا أسمع لها في أيامنا الحاضرة حسّـــاً في الوقـــت الذي كانت فريضة تترنم فيها أمهاتنا في الماضي القريب. ولعل عوامل النحت المواظبة على تدمير تراثنـــا هي الحافز المُلح الذي يقض مضاجعنا و تستثير منا معشر الباحثين العرب الهمم للتصدي لتيار التصحـــر الذي يهدد دوحة تراثنا باليباس و الاندثار .

وقُبيل حلول أول ليلة في الزواج تكون الاستعدادات قد بلغت ذروتها في بيت الحريـــو و بيـــت الحريوة أيضاً ، نحو شراء الأبقار و الأغنام و عكمها عند بيت الحريو من أجل ذبحـــها في المناســـبة و تفيض من أجلها النحاء بالسمن و العسل و يطحن البن و الذرة و تُملئ الأسقية باللّبن و يسحق الحنـــاء و الهدس و الورس و الذريرة... و تُسدّ الحاجة للحلوى و الثياب و العطور و هلم جرّا . و أهم مـــا في ذلك قيام نساء القرية بعمل يعرف في (سرو حمير/يافع) بـــ: **الطبّان** : و يقصد به توزيـــع الطحـــين و اللّبن على بعض نساء القرية لإعداد العصائد في بيوتهنّ لأجل الولائم التي تقام على شرف المناســـبة . و يظهر أنّ هذه التسمية لها علاقة باشتقاقين من مادة (طبن) في العربية الفصحى:

***الطّبَنُ: بالتحريك : الفِطنةُ .**

*** و طَبَنَ النار يطبنها طبناً : دفنها .كي لا تُطفأ ، و الطابون: مدفنها .** [٣٤]

و أول أيام الزواج تعرف بـــ(ليلة الحناء) في سرو حمير ، أي أنّ مراسيم الزواج الفعليـــة تدخـــل بحلول ليلة من اثنتين هما: ليلة الأحد أو ليلة الأربعاء .

و تسمى (ليلة الحناء) فما شأن الحناء بهذا الاسم ؟

- **ليلة الحنـــاء:**

إذا حلّت (ليلة الحناء) تداع الناس إلى بيت (الحريو) لإحياء تلك الليلة بالرقص و الطرب و يلبس الجميع أفضل ما عندهم من اللّباس . و الرقصة اليافعية لا تؤدى جماعياً ، فالإيقاع فيها و نظام حركتها لا يسمح إلاّ بأن تؤدى ثنائية ، أي يؤديها راقصان كأن يرقص رجلان أو امرأتان وهي وإن تعـــددت أسماءها واختلفت فيها بعض الحلاكات وفقاً للناحية أو القرية التي لُعِبت فيها لأول مـــرة لا تعـــدو أن تكون في الأساس ألآ:

- **رجالية : ويؤدي الشوط فيها رجلان أو صبيّان .**
- **نسوانية: ويؤدي الشوط فيها امرأتان أو رجل وامرأة.**

وإذا كان الشريك في الرقصة امرأة نحو الزوجة أو أحد المحارم... فلا يهم أن تكون ضربـــة الإيقـــاع رجالية فإن الرقصة تبقى نسوانية... وفيها يُقبل الراقصان ويُدبران كتفاً لكتف بخطوات متّزنة وعنـــد رغبة أحدهما يتبادل خُطى الرقص ، فيمكن له ذلك ببساطة من خلال جرٍّ شريكه برشـــاقة للطـــواف الدائري معه في الاتجاه المغاير لدوران عقارب الساعة دون الحاجة إلى التوقف ، وهكذا يمكـــن تبـــادل المواقع عدة مرات في كل شوط من الرقصة النسواني. وليس في رقصة اليافعيات ما يغري بمشاهدتها فـلا ترتج فيها أرداف ولا تهتز فيها صدور و أعطاف.

أما (**الرقصة الرجالية) اليافعية** فيغلب عليها سرعة الإيقاع وخفة حركة أقدام الراقصين صعـــوداً وهبوطاً ، وهي مثل النسوانية يتحرك فيها الراقصان في نفس الاتجاه جنباً إلى جنب ، غير أنّ في حركـــة الراقصين ريح من عملية الكر والفر في صولات الوغى ، أو قل هي أقرب إلى حركة انقضاض الخـــواتي . وتبلغ الرقصة ذروتها في اللحظة التي يعقبها تبادل الراقصين للمواقع إذ لا يتم ذلك بسهولة الـــدوران المتلازم للراقصين في الاتجاه المعاكس لدوران الساعة ، كما يحدث في الرقصة النسوانية فالأمر وإن كـان يقتضي الدوران المتعاقب في الاتجاه المعاكس لدوران الساعة إلاّ أنه **يقتضي من المهارة و المرونة وخفـــة الحركة مع ضرورة التقيد بإيقاع الرقص ما يخلب لبّ المشاهد فيخيّل إليه مأخوذاً بروعة الرقصـــة أنه أمام حلبة لصراع الدِّيَكَة–وهي عادة ما زالت سارية في (سروحمير/يافع)– التقت فيـــها هامتـــا الراقصين واختلط الساق بالساق وانفردت أذرعهما في دوامة الحركة الدائرية ، لا يخامرك شـــك وهي تنشد الإحاطة بالجسد الراقص أنها أجنحة الدِّيَـــكَة الملتحمة في صولة دامية. لهذا فأنا أفضّـــل** تسمية رقصة رجال يافع بـــ(رقصة الدِّيَـــكَة المقتتلة) . والرجال في (يافع) لا يصطحبون (الجنــــابي)

في رقصات الزواج بينما يؤدون رقصة(البرع/البرعة في مناطق أُخرى من اليمن) بالنمش-واحدهما نمشة، وهي السّيف ذو الحد الواحد- و الجنابي في مناسبات الأعياد وحيثما دعت الحاجة لالتقـــاء القبـــائل اليافعية في تجمعات احتفالية أو مخارج حربية ، ولها نظامها الخاص ليس المجال لذكرها هنا . وتنحصــر الأدوات الموسيقية المصاحبة لرقصات الزواج في (سرو حمير/يافع) بالطّبل والشبابة التي يتناوب الضـرب والعزف عليها رجال محترفون من فئة تُعرف في (سرو حمير/يافع) بـ(الشُّحاذ /واحدهم شاحذ) وهــم كما ذكرنا آنفاً المزاينة في المناطق الأخرى من اليمن . كما تنداح من فيه (المطبل / ضــارب الطبــل) أثناء الرقص أغانٍ طربه تؤدى بألحان مدرسة الغناء التقليدية اليافعية الشّجية. والواقع أنّ تقاليد الــزواج اليافعية تعتبر بمثابة قابلة الأغنية اليافعية بألوانها المختلفة لأنها مصاحبة لطقوس الزواج وتقــاليده علــى مدى الأيام التي يعمر بها الفرح . وقد عرضنا (أهازيج خدمة الحريوة) وسنعرض لألوان أخرى علـــى التوالي، الذي تفرضه طبيعة الدراسة. وكما قلنا آنفاً أنّ رقصات الزواج في (يافع) مهما تعددت أسمائــها لا تعدو أن تكون في نهاية المطاف واحدة من الثنائيات الثلاث:رجالية أو نسوانية أو نســـوانية(رجــل وامرأة)

وفيما يلي نشير إلى أهم الرقصات اليافعية:

- **رقصة المخموس (رجالية).**
- **الرقصة القاسدية (لسوانية).**
- **الرقصة البنائية (لسوانية).**
- **الرقصة الشويلية (لسوانية).**
- **رقصة السفيخ الحدِّية (رجالية).**
- **الرقصة الموحسية (رجالية).**
- **الرقصة العسكرية (رجالية).**
- **الرقصة الخموسية (لسوانية).**
- **الرقصة البدوية.**
- **رقصة الطلق (نسوانية)** [٣٥]

وفيما يلي نماذج من الأشعار التي تُغنّى أثناء الرقص مصاحبة للطبل والشبابة:

سالم علي قال: بنقش شاكتي (شوكتي) بيدي

وان حد نقشها وصل عل اللّحمة الحيّة

سالم علي قال: بنقش شاكتي بيدي

يستاهل الشاك (الشوك) من ساير بنات الناس

سالم علي قال: وا رجلين شليني

لا تعتيريني و أنا محنون بالسيرة

سالم علي قال: مانا سبتي لخجف(الأخجف)

ذي لا(لو) دخل سوق ما يدري كم اسعاره

سالم علي قال: بالشبه حبس فضة

واليوم سالم علي يمشي على الصعرة

جزعت وادي ومضنوني جزع وادي

ياليت أنا وانت يالمضنون سيارة

وكل هذه الأبيات يجمعها لحن واحد وقائلها واحد من شعراء الأغنية اليافعية يُعرف بـــــ(ســـا لم علي) وهو من الأعلام الذين ينبغي أن تعنَّ بهم الدراسات... وهذا لحن آخر:

قال سالم علي أُبني(غبني) عل أول زماني

كنك(ت) بخصر عسل واليوم شُحرة بواني

وهكذا تتوالى الألحان الشَّجية المصاحبة للرقص مثل:

أهل السلاء في سلاهم

وأهل البلاء في بلاهم

وأهل العبادة يصلون

وهذا لحن آخر:

قلبي عزم عالسفر وآ حالي المبسم

وآ ذي كلامك عسل واحلى من السكر

واتعبتني وآ حنش وآ هالي المدرب

وآ ذي لك أعيان مثل الجمر قتاله

وهذا لحن آخز أيضاً:

قال شلال صالح بالقبيلة

ليتهم با يقولون من شل له

ولحن آخر أيضاً:

قاله(قالت) الجارية وآ عبد وايش أنت ناوي

قال ناوي تشقارة من الحاط(الحوط) راوي

هذه ليلة (الحناء الحميرية) إذا انصرم منها جُلّها صعد الرجال إلى جُبـــا (ســـقف) دار (الحريـــو) فيرشقون الفضاء بطلقات رصاصهم المضيئة إيذاناً بحلول (ساعة الحناء) وفيها تمحض كفا وقدما الحريـــو بـــ•عجينة الحناء) وهي عادة تليدة واسعة الانتشار في سائر جهات جزيرة العـــرب ، ففـــي تعرضـــه لزواج أهل مكة واليمن وحضرموت يقول (ابن المجاور):

إذا تزوج رجل من مكة وقطع المهر وأراد الدخول على المرأة يخضب الرجال أيديهم وأرجلهم تُزيّن، وكذلك جميع أهل اليمن وحضرموت. [٣٦]

بيد أنّ أهم ما في ليلة الحناء يكمن في طقوس إخراجه إذ تعمد النساء إلى الصعـــود بـــالحريوة إلى (جُبا) بيت أهلها وقد أسبلت (الجوال) على وجهها وهناك يجلسنها في وسط حلقتهن التي يقفن فيـــها وقد انعقدت ذراعا كل امرأة منهنّ حول خصري من يجاورها يسرةً بيمنة. ثم يشرعن بالإنشاد علـــى وتيرة واحدة (كورس) بترنيمة إخراج الحناء . ويبدأ نص الترنيمة باستهلاله دينية:

بسملوا وآ ذي حضركم (كورس مرات عديدة)

عالبنية بنتكم

بسم الله بسم ياسين بسم قرآن عظيم (كورس مرات عديدة)

بسملوا عالدار وأهله =====

والملك ذي حل به =====

بعد استهلالة الافتتاح التي صدحت بها الحلقة مرات متعاقبة (نظام الكورس) تنتقل المجموعـــة دون توقف إلى (إخراج الحناء) على هذا النحو:

وآ خرج حناء لجهدي

وآ خرج عل العافية (تكرير)

وآ خرج والشهر سامر

والثريا ناكسة (تكرير)

وآ خرج حناء لجهدي

وآ خرج عل العافية (تكرير)

وآ خرج عالحف والزف

والطبول الرعدية (تكرير)

واين صوت الطبل ينقح

واين صوت المحجرة (تكرير)

ومن خارج الحلقة تتسامق الأيدي لترش الحريوة المحفوفة بأعواد القنا الماءسة بعبق الزهر الفائح، وأريج العطر الموجه إلى الحلقة المنشدة بعتيق الألحان المصحوبة بقرعات الطبل ومزامير الشبابة... من صوت الطرب الجماعي الهاتك لأستار الليل وسدفه تنداح ترنيمة الحناء:

خرجه شمعة من الدار

وآ خرج فرخ الحمام . (تكرير)

خرجه شمعة من الدار

وآ خرج بيضاء رخام (تكرير)

خرجه شمعة من الدار

واستضاءة ذي السفال (تكرير)

والشمعة(هنا) ليست سوى (الحريوة) التي أشرقت بحضورها لا محافد(سرو حمير/يافع) فحسب بل وأنارت كذلك حواز (ذي السفال) الواقعة من (إب) في السفح الجنوبي من جبل (التعكر)... [٣٧] الشهير بأنه أحد محافد حمير التليدة.

وتنتقل الحلقة المنشدة (بترنيمة الحناء) إلى لحن شجي آخر:

تستاهل الفنية العبد والجارية (تكرير)

تستاهل الفنية بريم بربعمية (تكرير)

(الفنية) هنا أيضاً (الحريوة) تستحق أن يقصر عليها نفيس الهدايا مثل حزام الفضة المعروف بـ(البريم).

وهذا لحن آخر مكرّس لاخراج الحناء للحريو والحريوة :

على الحناء على الحناء

نعيمه من تحنّى به (تكرير)

على الحناء على الحناء

تحنّى به نمر سرحان (تكرير)

على الحناء على الحناء

تحنّي به حنش ثعبان (تكرير)

على الحناء على الحناء

نعيمه من تحنّي به (تكرير)

على الحناء على الحناء

تحنّي به جويهلنا

والحريو هو المقصود هنا بنعت (نمر سرحان) و(حنش ثعبان). أما الـ(جويهل /تصغير جاهل وهو الطفل) فالمقصود به (الحريوة) المعنية بطقس إخراج الحناء وترنيمته اليافعية. وإذا كانت كفّا وقدما الحريو هدفاً للتخضيب (**كيفما حلّه وظله /كيفما حلت وظلت**) وفقاً للقول العامي فإنّ الأمر يختلف مع (الحريوة) التي تولي أحد قريباتها نقش أناملها وقدميها بخطوط نميمة دقيقة بماء الحناء لهذا السبب يُعرف يوم الحناء عند أهالي صنعاء بـ(**يوم النقش في اليمن ، وفيه يجتمع نساء العائلتين وأقاربهما في بيت العروسة وينقشن يديها ورجليها بصبغ أسود ويفعل ذلك أقارب الزوج والزوجة.** [٣٨]

وفي بعض النواحي من (سرو حمير/يافع) تعمد بعض النساء من أهل الحريوة إلى كسر أربع بيضات يهرقن كل واحدة منهنّ في أركان البيت الأربعة.. وهي عادة كان يقصد بها درء عين الحسود واحراز زوايا البيت الأربعة أن تنفذ عبرها الأرواح الشريرة فتمس (الحريوة) في اللحظة التي تنتهي من طقوس الحناء.

• ليلة الزواجة:

إذا انصرمت ليلة الحناء طلعت شمس يوم الزواجة وهو يوم حافل بالترتيبات والتهيئة في بيت الحريو وبيت أهل الحريوة على السواء. وتقضي العادة أن تُرسل من لدى الحريو هديته للحريوة وأقاربها وتقوم اليوم سيارة بنقل (الهدية) التي تضم فيها إلى جانب المون الغذائية مثل السكر والأرز والحليب... الخ . وقد تطول القائمة وفقاً لمقدرة الحريو وسعته ، غير أنّ المفروض في الهدية أن تضم (شنطة) أو أكثر مليئة بالأكسية والعطور للحريوة وأقاربها من النساء والرجال. وكان (الشّحاذ) في الماضي يتولون إيصال الهدية في يوم (الظهرة) الذي وصفناه آنفاً ، وتستقبل من لدى قرائب الحريوة بالمحجرات والمباخر. وفيما بعد تتولى أُم الحريوة أو واحدة من أقاربها عرض ما تحتويه شنطة الهدية المبعوثة من (الحريو) أمام نساء بيت الحريوة ونساء الجيران وغيرهنّ من الزائرات لـ(الحريوة) التي تعيش فترة (الخبوء) وفي هذه الحالة تكون طبيعة الهدية وقيمتها مادة لحكي النسوان ، فإطراء الهدية يترتب عليه

الثناء على كرم (الحريو) ، في حين أنّ الانتقاص منها والهزء بقيمتها يجر على (الحريو) ويسمه بشُح النفس. هذا فيما يتعلق بهدية (الحريو) المقصورة على (الحريوة) وأهلها .

• *الضيفة:*

قضت تقاليد الزواج اليافعية أن يتحمل (الحريو) وأهله أعباء (وليمة عشاء) كافة أهل (قرية الحريوة) في ليلة الزواجة وتحدد في (الظهرة) عادةً نفقات هذه الوليمة الشهيرة باسم (الضيفة) وهي في الأساس عبارة عن رأس أو رأسين من البقر يبعث بها (الحريو) إللى بيت (الحريوة) فتذبح على (العتبة) وتوزع حصص من لحمها على كل عائلة في القرية لا يستثنى منهم أحد.

ويحدد في (الظهرة) أيضاً عدد (الشواعة) المرافقين لـ(الحريو) في يوم الزواجة ، حيث كانت العادة تقضي أن يقصر لإطعام كل سبعة منهم رأس من الغنم أو ما يعادله من لحوم الأبقار، وكيله من الحبوب تُطحن لكل أربعة منهم . أما اليوم فإن الأمر يقتضي الأرز والزيت والحليب والسكر وغيرها من الميرة.

• **الشواعة:**

جرت العادة في (سرو حمير/يافع) أن يتوافد إلى بيت (الحريو) في ساعة الغداء من نهار **الزواجة غُصبة من رجال القرية.. وهم في هيئة المحاربين الذين ينشدون الغزو والإغارة على أكتافهم أسلحتهم وعتادها من (القذائف) يلتحفون المآزر القصيرة يشدونها في اواسطهم بأحزمة تحمل في مقدمتها الخناجر اليمانية التقليدية المعروفةبـ(الجنابي/واحدها جنبيَّة)... بيد أنهم يكتسون مع هيئة المحارب هذه أزهى الملابس لديهم.** وفي بيت (الحريو) تحتلق الجماعة منهم حول عصيدة الذرة-باللّبن الرائب تعصد- يصيبون منها حاجتهم من اللُّقم يخصرونها في فجوة وسط العصيدة مليئة بالسمن والعسل إذا نزحت أفاضوا فيها المزيد من السمن والعسل. وإذا شبعت الجماعة الأُولى خلفتهم جماعة ثانية وثالثة يأكلون إثرهم من نفس العصيدة التي قد يأكل منها المئة من الرجال وهي من عمل (الطّبان) الذي ذكرناه آنفاً. ويصدق في (عصيدة يافع) قول الله جلّ شأنه:

﴿ ... وجفانٌ كالجواب وقدور راسيات﴾ [سورة سبأ /١٣].

أما عملية (خصر اللُّقمة في الفجوة) فقد أُخِذت مما يعرف في معاجم اللغة العربية الفصحى بـ**(المخاصرة: أن يأخذ الرجل بيد رجل آخر... وتخاصر القوم: أخذ بعضهم بيد بعض)** [٣٩]

وهكذا إذا فرغ الجميع من تناول الغداء خرجوا إلى خارج بيت (الحريو) ثم يأخذون بـالتدريب على الرماية بالذخيرة الحيّة على أهداف من الحجارة تُعرف عندهم وفي أغلب نواحي اليمن

بـ(النصاع/ أو النصع) وحيث أنّ الرماية تسدد على أهداف بذاتها فقد أُخذت هذه التسمية الشائعة من المعنى في:

ولّما أن دعوت بني ظريف أتوني ناصعين إليّ الصياح

وقيل: إنّ قوله في هذا البيت (أتوني ناصعين) أي قاصدين وهو مشتق من الحق الناصع أيضاً.

أجل فعملية التدرب على الرماية (النصع) تُعد بمثابة التهيئة للحرب وفي العربية الفصحى:

أنصع الرجل: أظهر عداوته وبيّنها وقصد القتال . [٤٠]

فإذا خرج (الحريو) أطلقوا النيران جوّاً ترحيباً به وبمخرجه المصحوب بالطبل والشبابة والبخور المتصاعد من أيدي النسوة يحملن المباخر ويلعلعن بـ(المحجرات) فيسلمنه إلى هذه العُصبة المحاربة من الرجال الذين يُعرفون في (سرو حمير/يافع) بـ(الشوّاعة/ واحدهم شويع) ويعهد إليهم بمرافقة (الحريو) وحمايته إلى بيت (الحريوة). فالشويع هو هنا : ظهير أو نصير (الحريو) .

وفي النقوش اليمنية القديمة ورد بصيغة: (شوع) الواحد شعي (اسم) تابع أو نصير. وعلى وجه التحديد في نقش [ربرتوار/٢٧٥٤] وهو أحد النقوش المعينية المكتشفة في خربه [هرم / هرمم في النقوش]. [٤١] **والعبارة المأثورة في النقوش:شوعو / مراهم / ملكن**

تعني: **(شايعوا[ناصروا] سيدهم الملك).**

وهكذا فـ(الشوّاعة) في طقوس (صيبة حمير) أي زواج حمير هم أنصار (الحريو) في هيئة المحاربين يرافقونه و(يتنصعون) بالذخيرة الحيّة ! وهم علاوة على ذلك يأخذون (الحريو) إلى بيت [حريوته / عروسه] في تظاهرة عسكرية (شعبية) يرعد فيها الطبل والشبابة ، وتسمع فيها طلقات النيران وتلعب رقصة المحاربين بالسيوف الشهيرة بـ(البرع) وهي رقصة تقليدية (رجالية) ثنائية تلمع فيها الجنابي في أيدي (البرّاعة / راقصوا البرع) عالياً فوق الهامات المتوثبة. وفي هذه التظاهرة تزبجر عُصبة الشواعة- بنظام المجموعة(كورس)-بأشعار (الزامل) ذات الألحان التقليدية الحماسية الذائعة عند معظم القبائل اليمنية. وفي العربية الفصحى: (الأزمل) : الصوت ، وجمعه (الأزامل) ؛ وأنشد الأخفش:

تضب لثات الخيل في حجراتها وتسمع من تحت العجاج لها ازملا

يريد أزمل...

والأزمل: كل صوت مختلط.

والزوملة: مثل الرفقة.

والزَّمل: الرجز ، قال:

لا يغلب النازع مادام الزَّمَل   إذا أكبَّ صامتاً فقد حمل [42]

وأشعار الزامل المعروفة بـ(الزوامل) عادة ما تقصر في أفراح الزواج على إظهار الاعتزاز بالصهارة والتأكيد على أهميتها بين أهل (الحريو) و (الحريوة) وفقاً للحكمة الشعبية المكثّفة في القول الشعبي:

(لا ما معك أخ صاهر) أي [لو ما معك أخ صاهر]

ويشير إلى مقام (الصهر) العزيز بمقام الأخ في حالة انعدام الأخير. هذا وقد تطرق الزوامل في الزواج أبواباً أخرى ذات صبغة محلية أو قومية.

وفيما يلي شذرات من زوامل الزواج نظم الشاعر الشعبي (يحيى أحمد عباد البرق) الذي كان مسكوناً بألق الشعر ولو قُدِّر له فيما أتاح قسط من علوم العربية وثقافة الفصحى ، لكان يتبوأ اليوم أرفع المقامات في ديوان الشعر العربي... وهيهات لهذه الأمنية أن تتحقق بعد إذ فقدناه منذ بضع سنين ولات أن ينفعنا عضّ بنان الندم على أضرابه من شعراء العامية في (سروحمير/يافع) الذين يتخطفهم المصير ذاته. وأسوتنا لا ريب تكمن في رعاية وتعليم من يراودهم هاجس الشعر من جيل النشئ. وحسبنا هنا عرض نماذج من نظميات الزامل للشاعر (البرق) المكرسة لأفراح الصيبة(الزواج) :

- ## زوامل الخروج معيَّة الحريو:

من حد مقفل ذي به أخيار العول
يا عازم توكل مع خيره وديع
فوج النسيم أقبل من أطراف القبل
والسيل سيَّل يرزع الدنيا رزيع
سلام واجب للقبايل مجملة
لأهل اليمن لمجاد وابطال الحروب
من عاصمة نجران لمّا مزبله
لا(لو) لّموا الوحدة شماله وجنوبه
سلام من شمخ جبال اتقاطره
وازن جبل يافع والي نصبا كساد
بايسمعونه من عدن لا(إلى)مسورة

والعاصمة صنعاء وحكام البلاد
سرنا من الزاهر بساعات الظفر
بأحسن مناشر والسلوك اتواصله
صات(صوت)المسيرة والمسيرة تستمر
تقدموها شاعر وبعد مرجلة
سرنا براية ذي خلقنل من عدم
والفجر شعشع واشرقه شمس الصباح
الجيد من أصل الشهامة والكرم
معروفة اسبال القُبل كمّن شباح

- **زوامل الترحيب بالشواعة:**

يامرحبا ترحيب وافي منّنا
وزن الشوامخ والجبل لّما يلين
كم هي تجر ذي حملوا من أرضنا
من السفرجل والعنب والياسمين
يامرحبا ما لبحر طلّع بالنوى
لا(إلى) مطرح الناموس والحيد النفوف
شامخ منيع أنصب رفيع المستوى
مد النظر لا حيثما عينك تشوف

- **زوامل الخروج بالحريوة:**

في رايكم ياهل المعزّة والشرف
والكرم والجادة وثيقين العهود
شرع الصهارة من قطف زهرة قطف
لاهل الصيانة شمها يجلس ينود
وآ اكرمكم الله كل ما الريح أقبله
ما يذكر إلاّ بالحسينة كل جيد

محسن بلدكم بالمحاجين اسبله

واحسن سبوله ذي على رأس الجنيد

ياذيب شليلك الحسينة هب لك

أهل الشرف والعز هم ذي قدّروك

ما تدري إن يافع سمك ياكل سمك

وانته على خزنه خلاقه قدموك

على هذا النحو يقدم (الحريو) في يوم الزواجة وبصحبته عُصبة الشواعة. فإذا اقترب الجمع الزاحل من مطارح (الحريوة) استقبلهم أهلها بالطبل والشبابة والزامل ويعهد لنفر من المقربات لـ(الحريوة) التعرض لـ(الحريو) وعُصبته بالمباخر والمحجرات اكراماً لهم ويُعرفن باسم (اللّواقي/ واحدهّن لاقية) ، وقد جرت العادة في (سروحمير/يافع) على إكرام (لواقي) الحريو ومن معه من (الظهّارة) في يوم (الظهرة) الذي تعرضنا له آنفاً . في حين يتعين على والد (الحريوة) إكرام لواقي (الرفادة) وهم أهل (الحريوة) الذين يرفدونها بعد يوم (الزفة) . وإكرامهن يتم عادةً بإعطاء كل واحدة منهنّ (كسوة) كاملة وكانت في الماضي القريب عبارة عن ثلاث قطع هي :

- **ثوب نسائي طويل.**
- **مصرّة للرأس.**
- **معجر أو فعجز**:كانت المرأة اليافعية (سابقاً) تلفُّه حول خصرها وتعقده تاركة طرفيه يتدلان أمامها... وتسميته أُخذت من طويه حول (عجز) المرأة ، أما الآن فقد أخذ محله حزام يتنطقن به.

وفي اللّحظة التي يلتقي فيها (الشوّاعة) بزامل المستقبلين تدوّي طلقات الرصاص جوّاً ترحيباً بـ(الشوّاعة) الذين يردُّون بالمثل ثم ينقسم الجمع في صفين متقابلين واحد يضم الشوّاعة والآخر يضم المرحبين لتبدأ محاورة تقليدية بين لسانين ناطقين بلسان حال طرفي الحوار وهما الشوّاعة والمرحبون ويُعرف هذا التقليد بـ(المحاولة) والمحاور في (الحوال)أو (المحاولة) يُعرف باسم (المحاول) . والمحاولة تجري على نحو أشبه بـ(سجع الكُهّان) ويبدأها محاول الشواعة بـ(السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) ، فيرد عليه محاول المرحبين بالسلام ثم يسأل :

ـ حالكم ما حالكم جمّل الله حالكم

وايش الأخبار من لحوكم ؟

ـ أخبارنا سكون والشر مدحون.

جينا على سُنّة الله والرسول لأخذ ابنتكم صاحبه
الشرف المصون والدر المكنون على ابننا صاحب
المعالي ، الفتى المفتون ومعه حمران العيون
(الشوّاعة) لأجل فرضٍ كان مقضياً ومسنون
بعون الله نقضي الشف وفي كرمكم راجون
نسهر ونسلى معكم وغداً راجعون
ـــ حيًا وسهلا بكم في ديارنا والحصون
مع فتاكم صاحب المقام الميمون
وبإذن الله نقضي شفكم وما تطلبون
وذي(والذي) من أجله كان وصولكم
في الحفظ والصون وفي الدار مركون (المعني في هذا الحريوة)
على السعة ترحبون سلا ورقصة
ولله في خلقه شؤون.مكرمون
مع وافر السعادة والبنون
والصهارة باقية أولون ولاحقون
والله على مانقول وانتم شاهدون [٤٣]
هذا وقد تنحو المحاولة منحى الظرافة كأن يقول محاول الشواعة:
ـــ جينا على حاجة ماتخفى عليكم
على سُنّة الله ورسوله
ونرجو العشاء عندكم
فيأتي الجواب محيِّراً:
ـــ حاجتكم ما نعلم بها
وعشاكم في بلاد بعيدة
ولا تقطع الحيرة إلاّ ضحكة المحاول وقوله:
ـــ أرحب وقل حيًا ميه(مائة)
و آلاف ذي جيكم(جيتم) لها

ثم يطلق الشوّاعة لممارسة الرماية (النصع) ويجدر بهم إسقاط (النصع) المرفوعة ودك أحجار (المرو) المكنونة في الحقف والأشظار. ويبقى (الشاحذ) في تلك الظروف متيقظاً في مراقبته للعملية ، وكلما هوت (دعامة/نصع) أو طارت مروة هتف صائحاً:-(**يا مليحاه مليحاه لسيدي فلان بن فلان... وهكذا**).

غير أنّ أهل الحريوة يُلحُّون على الشواعة بالدخول إلى (الديوان/ المجلس) وقد درجت العادة أن يسلب الشواعة من بنادقهم على عتبة الدار ويتولى حمله رجال من أهل الحريوة يعلقونه في الديوان في متناول أيدي الشوّاعة. فترى البنادق متدلية على الحيطان تحملها علاّقات خشبية مثبّتة أدنى من السقف تُعرف بـ(المعاليق/ واحدها معلاق). وفي بعض نواحي (سروحمير/يافع) يعمد بعض المرحبين بـ(الحريو) والشوّاعة إلى معاكسة (الحريو) لحظة وصوله مع الشوّاعة والنزول فيه (بقصاً وقرصاً) وهم بذلك يظاهون ما يفعله المقربون من أصدقاء (الحريو) به وقت الزفة في (صنعاء):

وكثيراً ما يداعبه أصدقاؤه أثناء سيره بقرصه- والقرص يسمى في اليمن (قبص)- وهو لا يستطيع أن يظهر اعتراضا أو رداً . [٤٤]

هذا في صنعاء أما في (سروحمير/يافع) فإنّ الاعتراض يأتي من الشوّاعة المنوطين بحماية (الحريو) و (الحريوة) أيضاً أثناء طقس الزفاف الذي سنعرض له لاحقاً.

وفي ديوان بيت (الحريوة) ينصرف الشوّاعة إلى مضغ القات وتبادل طريف الحديث و(المحابرة) مع أقارب (الحريوة) ويتقاطر ذلك اليوم أرباب العوائل المقرّبة من (الحريوة) وجيرانها على مجلس الشوّاعة من أجل الترحيب بهم ورشّهم بالعطور. أما في الماضي فكانت مهمة نسائية يقمن فيها بإحراق البخور وتقديمه لـ(الشواعة) الواحد تلو الآخر في طقس كان يُعرف بـ(التجبية/ من حباء بمعنى عطاء). وفي مجلس الشواعة هذا يُحمد الرماة منهم ، وفي حالة إخفاقهم في التسديد إلى الأهداف (النصع) فإنّ الرماة من أهل (الحريوة) يحاولون بعد دخول الشوّاعة إصابة الأهداف التي عجز عنها الشوّاعة ، وبذلك يحرزون الفخر والشرف ويتباهون بذلك على الشوّاعة ويدمغونهم بالقول:

(**ألهم ما شئ بهم بندقة**) أي أنه لاحظ لهم في البندقة (وهي الرماية هنا)، وهي مذمّة يلزم الشوّاعة درئها أن تحل بهم أثناء (التنصاع/ الرماية).

وإذا تأجل عقد القران عن (الظهرة) فيحبذ تحقيقه قبل أن تجنح شمس (يوم الزواجة) للغروب. وبُعَيد الفروغ من إبرام (عقد النكاح) يؤتى بـ(الحريو) لرؤية حريوته في غرفتها فيسلّم عليها ويجلس بجوارها ، حينها يدلف (الشاحذ) وبين يديه كبش أو تيس يرفعه فوق رأسي الحريو والحريوة ويذكر

اسم الله ثم يلوي به عليهما... وفي اللّحظة التي ينتهي بها الشاحذ من طقس (الفـداء) هـذا ، يُنْسَبُ الحريو وحريوته بُغية الوقوف بسرعة مدهشة، فمن أفلح في الوقوف قبل صاحبه (حَسُنَ فأله وخَـفَّ حمله) في حياتهما الزوجية المنتظرة وفقاً لهذا الأثر الشعبي. ولعل (الحراوئ) اليوم يتوقون لحلول لحظـة التسابق هذه معتبرين أنها الدعابة الأولى في حياتهم الزوجية.

ويُخفُّ مساء ذلك اليوم الرجال والفتيان الصغار لحضور وليمة (الضيفة) وعادةً ما تكون العصيدة تؤكل بالمرقة والسمن بالإضافة إلى اللّحمة.. أما الشيوخ والنساء والفتيات الصغيرات فنصيبهم من اللّحم وحلوى (المضروب) والتمر ، فقد تسلموه في كل بيت نهار ذلك اليوم (يـوم الزواحـة). أمـا الشوّاعة فيتناولون العشاء لوحدهم وعادةً ما يتكون من خبز القمـح بالسـمن ويسـمى في (يـافع) بـ(المسمن/أو المعطف-بتشديد الطاء) يؤكل مع اللّحم والمرقة. وعندما يخلص الشوّاعة مـن طعـام العشاء في بيت الحريوة يعودون للسهرة في ديوان القات ، حيث يواصَل مضغ القات الـذي يشـدهم للاستمتاع بوقائع ليلة الشرح البهيجة التي يتداعى الناس للرقص فيها على ضربات الطبل وأنغام الشبابة المصحوبة بأصوات الأغنية التقليدية اليافعية التي عرضنا لبعض ألوانها الشّجية في (ليلة الحناء).

• هدانيات ليلة الشرح:

ورد في معاجم الفصحى في باب (هدن):

هَدَنَ الصبي وغيره، يهدنه وهدّنه : سكنه وأرضاه.... ويقال هدّنت المرأة ولدها :تسكينها له بكلام إذا أرادت إنامته. [45]

أما في (سروحمير/يافع) فـ(الهِدان) هو لون من الغناء التقليدي (ثنائي الاختصاص) فهو:

ـ **أولاً**: نسائي الأداء وجماعي الطابع ، أي تؤديه مجموعة منهنّ ، مثل ترنيمة إخراج الحناء الـتي تجمعه بها بعض الألحان.

ـ **ثانياً**: اختصت أفراح الصيبة(الزواج) بهذا اللّون ، فهو إذن لا يؤدى في أي مناسـبة أخـرى. هذا النمط التقليدي تؤديه النساء في طقس الترحيب بـ(الحريو) و(الشوّاعة) في ليلة الزواحة . كمـا تودّع به (الحريوة) في طقس خروجها من بيت أبيها ، أي أنه يحدث في بيت (الحريوة) مرتين. أمـا في المرة الثالثة فيه تُستقبل (الحريوة) على عتبة بيت الزوجية.

هكذا إذا تنفس من ليلة الشرح(الزواج) هزيعها الثالث توقف الرقص وخرجت (الحريوة) إلى حُبا البيت محفوفة بالنساء ومصحوبة بالطبل والشبابة ، فتأخذ (الحريوة) موضعها وسط الحلقة النسوية تمامـاً كحلقة إخراج الحناء. وتبدأ عندها هدانيات إطراء (الحريوة) والترحيب بـ (الحريو) وعصبته المعروفـة

بالشواعة. ويبدأ (الهدان) بالطريقة التقليدية:

بسملوا وا ذي حضركم عالبنيه بنتكم (تكرير)

بسم الله بسم ياسين بسم قرآن عظيم (تكرير)

واطرحي مُر الحبيشي

ذي يباعد كل شئ (تكرير)

واطرحي طرحة من العود

ذي يعكي باللّهوج (تكرير)

نعم فــ(المُر) المطلوب هنا إحراقه من لدى أُم (الحريوة) يقصد به طرد الأرواح الخبيثة من محيـــط حضرة (الحريوة) بعدها ترتفع وتيرة (الهُدانيات) مدحاً في (الحريوة) ويقصد بذلك تبليـــغ (الشـــواعة) نحو:

بنتنا عسل بصيني

من لحس منه أُشي(غُشي عليه) (تكرير)

تبهجلي وا مبهجل

وا عابلي وا مسجل (تكرير)

وا عابلي وا نفيضه

ملاش عينه وفيضة (تكرير)

وا حُمحُمِه وا روّه

وا مسقيه من عشيه (تكرير)

في هذه المدائح التي نُعتت بها (الحريوة) بأنها (عسل) ليس في أنواع الشهد له مثيل فله من الفاعليـــة ما تجعله يضرب على النقيض ، فخصته الصب(بالصاد المهملة) في حين ينشد فيما دونه (الطـــب)! وإذا كانت (الحريوة) جناً نبتة عجيبة، فهي مرجانة حبوب الذُرة البيضاء المنسوبة إلى (العوابل) في الأطراف الشمالية الغربية لـــ(سروحمير) وهي في النساء الريحانة الندية. بعد هذه الرسالة تترنم (المهدنات) بفضيلة حضور (الحريو) وعُصابته (ليلة الشرح) بهدانيات :

ألا هديني وا هيداني

حريونا جي(جا)على جمل

بحري من الدلاعيس (تكرير)

ألا هديني وا هيداني

وأقبل بعصبة لها زجل

تهدد المناعيس (تكرير)

ثم يلهجن بنداء يستحث (الحريو) على المجازفة برؤية (الحريوة) وأنّى له ذلك وهي محوّلة في لجّــــة من الحضور الأنثوي الآسر والمترنم بـــ :

ألا هديني وا هيداني

وا (حريو) آد لا(إلى)هنا

وا نرويك بنتنا (تكرير)

بنتنا وا كما كما

وكما النجم في السماء (تكرير)

ألا هديني وا هيداني

وا حريو آد لا هنا

وا نرويك بنتنا (تكرير)

وا حريو آد لا هنا

ود(وإد) كبشك شوى لنا (تكرير)

ألا هديني وا هيداني

وا حريو آد لا ها

وإد سمنك لجعدنا (تكرير)

ألا هديني وا هيداني

وا حريو آد لا هنا

وإد بُرك غلي لنا (تكرير)

ألا هديني وا هيداني

وا حريو آد لا هنا

ونراضي عيالنا (تكرير)

ولمغالبة النعاس تراهن قد انتقلن إلى لحن آخر يطلبن فيه القهوة:

وا هيداني

ألا وا خرمتي (تكرير)

وا نعاسي ألا هديني (تكرير)

وا هيداني

ألا من قهوة (تكرير)

البُن ما شئ ألا هديني (تكرير)

بعدها يكرسنا (الهان) للشواعة ويطلبنهم واحداً تلو الآخر وبالاسم:

وا هيداني ألا اتقادروا (تكرير)

وا شواعة ألا هديني ====

وا هيداني ألا اتقادروا ====

بينكم بين ألا هديني ====

هكذا فالمطلوب من (الشوّاعة) أن يقدموا بعضهم إلى حلقة الهدان كل حسب قدره ، فـــالمقصود أن يكرموا (المُهدّنات) بطرحات من البخور في (المجمر) المتّقد بين يدي (الحريوة). لهذا السبب فـــالمعنى في أول الأمر كبير الشواعة:

وا هيداني ألا من هو كبير (تكرير)

الشواعة ألا هُديني ====

وا هيداني ألا الطيب وا ====

الحمحمه له ألا هُديني ====

ولا بُد من تلبية نداء الغواني إذ على كبير الشواعة أن يحرق لهنّ البخور أو بالعطور يضمخـــــهن، وهو عادةً أكبرهم سناً وأجلّهم قدراً فإذا كان كبير الشواعة هو عم (الحريوة) فشكره منـــهنّ يُســـمع على هذا النحو:

وا هيداني ألا وا دين من (تكرير)

كف عمش(ك) ألا هديني ====

ويشرعن بعدها في طلب الشواعة:

وا هيداني ألا هاتوا بخور (تكرير)

الغواني ألا هديني

وكل من سارع إلى أداء الواجب يذكرنه بالاسم نحو:

وا هيداني ألا وِدِين من (تكرير)
كف علان ألا هديني =====
وا هيداني ألا وِدِين من =====
كف حمدان ألا كف المصا =====
حف ولقلام ألا هديني =====
وا هيداني ألا ودِين من =====
كف قسمين(قاسم) ألا هديني =====
وا هيداني ألا وِدِين وا =====
يكرمك دين ألا هديني =====

ثم ينتقلن إلى فقرة من (الهدان) فيها مرافعات طريفة ومواقف تبعث على الضحك ، لأنّ المقصود بها (ذريع الحريوة) وهو الوسيط الذي تمّت على يديه (الحرولة/الخطوبة) ويفترض أن يكون بين الشواعة.. كما يعرضن بأي (شويع) تلكأ عن خدمة الغواني و لم يحرق البخور في حضرتهن:

وا هيداني ألا من هو ذريع
الحسينة ألا هديني
وا هيداني ألا بنربطه
للقرينة ألا هديني
وا هيداني ألا لا(إلى) حبل سبع..
ين سينه ألا هديني

هذا مصير (الذريع) أن تربطه الغواني في حبل مضفور بسبعين(سينه/ضفيرة) من شَعَرهنّ ويدلين به في قرينة البيت العالية. ومع هذا التهديد فلا محيص من احراق البخور عند أقدامهن. أما الشويع الذي لم يودي الواجب فتأيه الدعوة على هذا النحو:

وا هيداني ألا عباد أيب(غيَّب)
علينا ألا وعجبتي
واين آيّب ألا هديني

فإذا عجّل بالقدوم سَلِمَ من التعريض به وإلا فإنّ موضعه وسط الزرائب لا يعرف منها فكاكاً أو في متاهة(حلّة) مما تنقفه السيول وتراكمه من الأحجار والشجر ليس له مخرج منها:

وا هيداني ألا وهو حذ

ب وسط مزرب ألاهديني (تكرير)

وا هيداني ألا وهو حذ

ب وسط جلّه ألا هديني (تكرير)

وا هيداني ألا هو غُدم وا

هي فساله ألا هديني (تكرير)

وهكذا فإن جميع الشواعة يتحشون الوقوع في هذا الموقف الحـرج. أمـا المـهدنات فيعرجـن على(لحن) آخر فيه دعوة لقرائب الحريوة:

هيدان واين عمات الحريوة (تكرير)

واين هن خالاتها هيدان

ويذكرن بحتمية خروج (الحريوة) من دار أهلها:

تمشي في صراح أهلش

و إدوه(غدوة) في بيوت الناس

ثم يشهدن الحضور بفور (الحريو) ويطلبن إطلاق المُسرحات في الهواء احتفاءً بذلك:

و اضربوا له ياهل بيته

و اضربوا له تمسيه

وخاتمة (الهدان):

وصلوا عالنبي والنوا

جميع الكل وا حُضّار

• يوم الزفـة:

إذا انبلج فجر (يوم الزفة) تناول الشواعة صبوحهم –طعام الإفطار– وهو (المسـمن) عـادةً أو أقراص (اللُّحوح) الطرية اللّينة المصنوعة من دقيق الذُّرة البيضاء باللّبن الرائب ومثلها (المشروعة) غـير أنها مكرودة من دقيق القمح وتناظر في هيئتها أقراص العسل المعروفة في لهجـة(سـرو حمـير/يـافع) بـ(شرع النوب[النحل]) من هنا اشتقت تسمية (المشروعة) التي تؤكل ومثلها (اللُّحـوح) بالسـمن البلدي الشّهير بـ(الرضيف) ويشرب معها (الشاهي)و (القهوة). بعد وجبة (الصبوح) هذه إلى سـاحة بيت (الحريوة) يخرج (الشواعة) ويأخذون في ممارسة الرماية(النصّع) وهـم في غايـة اللّهفـة لرؤيـة

(الحريوة) تودّع بيت أهلها وطقس وداع الحريوة في (سرو حمير/يافع) يثير الشّجن وتبعث (هدانيات) الوداع في نفوس أهل (الحريوة) لوعة الفراق التي لابد منها ويتسنى لـ(الحريو) أن يرى آثار لحظة (الحُرقة) هذه-فيما بعد- على وجنتي (الحريوة) المردّعة بالزعفران فليس لحريوة (سرو حمير) أن تنضح وجهها بالماء والصابون إلا في بيت الزوجية ويصدق في اليافعيات (حتى اليوم)! قول الضرير الجاهلي شاعر الأزد (عديّ ابن وداع):

يدفن الزعفران على خدودٍ نواعمٍ لا كلفن ولا بَهاق [٤٦]

- ## هدان الوداع:

على نفس المنوال يبدأ الهدان بذكر اسم الله ثم ترعد النسوة بأبيات يهدن بها (الحريو) المتحرق شوقاً للفوز بأميرة قلبه:

وا حريو رود (روض) الجمل
ما بينما شويه (تكرير)
طين ما (طالما) جزَّب الحريوة
جويهله سليه (تكرير)

فإذا فرغن من حزّاب (تزيين) الحريوة خرجن بها مصحوبة بالطبل والزمر وتصاعد البخور ولعلعة المجمرات المسموعة رغماً عن قصفات البنادق ترعد في الهواء تحية لخروج الحريوة.. على عتبة دار أبيها تقف (الحريوة) بين يدي الغواني المازجات بهدانيات الوداع باسمها:

ألا يا به(أبي) كثر خيرك (تكرير)
ألا ها ليك مفتاحك =====
ألا ما عادني بنتك =====
ألا ما اليوم بنت الناس =====
ألا و استودعك يابه =====
و استودع بني عمي =====
ألا و استودع الديوان =====
ذيني(الذي أبي)بنقشه يوهي =====
ألا و استودع الوادي =====
ذيني خيلته يوهي =====

وعلى الرغم من الوقت المبكر الذي لم تكد تلفح به الشمس قيعان الأودية فإنّ على (الحريـوة) — إذا كانت من قرية بعيدة- أن تقطع بخطواتها الوجلة المتهيبة صفوحاً ووهـــاد قبـــل وصولهـــا بيـــت الزوجية.لهذا فمسحة الأسى التي محضت (هدانيات الوداع) تخفت حين ترتفع وتيرة الهــــدان مخاطبـــة الحريوة أن تنهض برفقة الحبيب (القانص) قانص الأحلام! لا فارسها الأمر الذي يتناسب مـــع طبيعـــة (سرو حمير/يافع) الجبلية التي لا تألفها الخيول:

الليل يا ثربه العليف

سيري بلا هماجه (تكرير)

شُدِّي مع (القانص) الظريف

يروحش بلاده (تكرير)

ثم يَعُدن إلى اللّحن السابق:

تشلشل وا شليل اشتل

تشلشل وا عسل مترل (تكرير)

ألا تشلشلي قومي

ألا وباشه الرومي (تكرير)

ألا تشلشلي قومي

ألا ما عاد لش قولي (تكرير)

- ## المسايرات:

على هذا النحو تترك (الحريوة) بيت أبيها (مُحوَّلة) تتهادى بين وصيفتين من أهلـــها يُعرفـــن في (سرو حمير/يافع) بـــ(المسايرات). وإذا كانت (الحريوة) **عادةً ما تزف في معظم أقطار العالكم بـــين وصيفتين من (الصبايا) فإن تقاليد الزواج اليافعية تقضي في مسايرات (الحريوة) أن يكنَّ متزوجـات أو ممن سبق لهنَّ التزوج . فما السِّر في هذا التقليد ؟**

الخروج من دنيا العذراء والعزوبية إلى عالم التزوج والإقتران يوجب على الفتاة (الحريوة) أن ترافق في طريقها إلى ذلكَ العالم الذي لم تأنس إليه بعد من دخله وفَقِهَ شئونه وهو الأمر الذي تعكسه وظيفـة المسايرتين(الوصيفتين) في طقس زفاف (الحريوة) في (يافع). ويتناغم طقس تخريج الحريوة هــــذا مـــع طقس تخريج طلبة العلم في الجامعات الأوروبية —وبالتحديد في جامعة ويلز(Wales) التي تخرَّج منـــها كاتب هذه الدراسة— **حيث قضت تقاليد التخرج الجامعية أن يقود كل مجموعـــة مـــن الخريجـــين**

مرشدان سبق لهم التخرج من نفس الجامعة ، بحيث يقف واحد منهم في المقدمة بينما يقف الآخــــر في ذيل المجموعة القاصدة منصة التخرج.

ويقف (الحريو) من (الحريوة) والمسايرات على بضع خطوات خلفهنّ حاملاً سيفه وكأنه يقـــوم بدور حامي الحمى بينما يجلجل الشواعة بالزوامل الحربية أمامهنّ يتقدمهم قارع الطبل وزاعج الشـــبابة ، وفي الطليعة ترى العجاج يتطاير من تحت أقدام البرّاعة(راقصوا البرعة) الذين تبرق الجنابي في أيديـــهم وهم يتوثبون إلى الأمام ثم يرتدُّون برشاقة وخفة إلى الخلف ، فتحسب الجمع في هيئتهم هذه عُصبة مـن المحاربين عائدة للتو من صولة الوغى يكللها غبار الظفر وترف على هاماتهم بيارق النصر. هذه المظـاهر الحربية السائدة في طقوس الزواج في (سرو حمير/يافع) **هي نفس المظاهر التي صاحبت طقـــوس زواج الملك في أسطورة الملك كارت(الأوجاريتية) فحسبها بعض أهل الأختصاص أنها استعدادات حربيـــة من قبل (كارت ملك الصيدونين) لصد شعب الخروج بقيادة موسى الكليم(عليه الســـلام) علـــى كنعان ارض الميعاد. وقد أعتبرنا هذا الأثر شاهداً في (المدخل) على وحدة تاريخ أقليــــم الشـــرق الأدنى والأصول اليمانية للأقوام الذين أطلق عليهم قدماء الأغريـــق اســـم (الفينيقيـــين) الذيـــن استوطنوا سواحل بلاد الشام الغربية [انظر المدخل]**

ويعزز طرحنا هذا العادة التي تفردت بها قبائل (سرو حمير/يافع) حيث شـــرعت المفاضلـــة بـــين (الشواعة) في وليمة (الضيفة) التي تقام على شرف (الحريو) ليلة الزواجة في بيـــت (الحريـــوة) وهـــي مفاضلة لا تَمُتُّ بصلة إلى نظام الأحساب والأنساب السائد لدى معظم القبائل العربيـــة ، وإنمـــا إلى نوعية وشهرة البندقية التي ينتبلها (الشويع) فقد فرضت الضرورة التاريخية أن يكون القبيلي-الفـــرد في القبيلة- محارباً بالفطرة متأهباً على الدوام لتلبية داعي الحرب ، ولهذا العامل ترجع عـــادة المفاضلـــة في توزيع حصص اللّحمة بين الشوّاعة في أفراح الصيبة الحميرية. فقد عهد لـــ(الشاحذ) أثنـــاء تقســـيم اللّحم أن يسأل كل شويع قبل أن يعطيه حصته من اللّحمة عن البندقية التي يحملها على هذا النحو:

ـــ من معي ؟

وبعد التعرف على هوية الشويع من نص اجابته:

ـــ فلان ابن فلان.

يأتي السؤال الأهم:

ـــ وما سلبك ؟ ثم يكرر وما سلبك ؟

فيرد عليه:

ـــ أبو ناظور مثلاً..

فيقرر القسم(الحصة) على ضوء الرد(صغيرة/كبيرة) أما الذي يأتي بلا داعي فيكون الرد:

ـــ سمعها وجي(وجاء). [47]

لا شك أنّ هذه العادة هدفت إلى إكرام القناصة من رجال القبيلة ولا أعتقد أنها مستحدثة ، أي أنها ترجع الى عهد دخول البندقية النارية إلى اليمن على أيدي الغزاة الجراكسة(الشركس) والتي بفضلها كانت لهم الغلبة على رجال دولة الملك الظافر عامر ابن عبد الوهاب (الذرحاني) [48] في مستهل الربع الثاني من القرن السادس عشر للميلاد [49]. وأميلُ إلى أنّ الحميريين كانوا يكرِّمون بهذه العادة كتائب الرماة منهم خاصة على ضوء ما ذهب إليه (الهمداني) في قوله عن فيلقي (سرو حمير/يافع) أنّ: (فرسانهم قليل) [50]

من هنا انبثقت عادة تكريم (رماة حمير) الراجلة (الشواعة) الأمر الذي ينسجم مع طبيعة (سرو حمير) الجبليو الوعرة.

• طقوس دخول الحريوة:

تخبرنا كتب التراث العربي عن (ذيل العروس) الذي تجُره خلفها آتياً على أثر أقدامها المتعفرة وهو في وظيفته الطامسة أحدر به في السهول والفيافي أن يمسح الرسوم والآثار منها بحرص ربما تقصر عنه لطائف الروامس التي تمحو آثار الأحبَّة ، فهكذا نفهم من قول عبد الله ابن سلمة الغامدي-شاعر جاهلي- :

وكأنما جرُّ الروامس ذيلها   في صحنها المعفو ذيل العروس [51]

ومما لاشك فيه أنّ (ذيل العروس) ينتشر على نطاق واسع من العالم غير أنّ البيئة الصخرية والشديدة الانحدار في (سرو حمير/يافع) جعلت لاغرو (الحريوة) تتنازل عن ذيلها لصالح سلامتها ، في حين أنّ ثوبها الفضفاض لا يقصر عن كعبيها مهما دعت الظروف البيئية لذلك. وهي أي (الحريوة) إذا اقتربت من بيت الزوجية أفسح الشواعة لها الدرب وعلى شرفها يذبح ثور أو أكثر إكراماً للضيوف والشواعة والمسايرات وهي عادة قديمة لها من المدى ما يتجاوز جزيرة العرب غرباً حتى مواطن قبائل البربر شمالي أفريقيا المعروفة بالمغرب العربي وهي متأصلة الحضور في تقاليد استقبال العروس في بلاد الشام: **وتهدف لرد الإثم والحسد وإيفاء للنذر وتكريماً للضيوف والزعماء عبر ذبائح يعبرون فوقها.** [52]

غير أنّ ما يدهش المرء في تقاليد (صيبة حمير) يكمن في طقوس الزواج المصحوبة حتماً بألوان

وترانيم الأغنية اليافعية التقليدية المتجسدة في أهازيج الخدمة وترنيمة الحناء وهدانيات الترحيب بـالحريو وشواعته ثم هدان الوداع الذي يتم به طقس إخراج (الحريوة) من بيت أبيها يليـه هـدان الـترحيب بمقدمها في صحن بيت الزوجية ، ناهيك عن زوامل الشواعة وألوان الغناء العتيقـة الـتي يـترنم بهـا (الشاحذ) مصحوبة أثناء الرقص بخفقات الطبل وقطرفات القصبة(الشبابة) فلاريب أنّ تـراث حمـير وفنونه التقليدية الأصيلة كانت حتى الأمس القريب تخلد في حضن (صبية/زواج) [سرو حمير] الدافـئ. نعم وهذه حريوة (سرو حمير) تدنو من بيت الزوجية محجبة الوجه تراها وقد أسلمت قيادها لبـسهيتين غير ذاتي نقاب تقطف في مشيتها وكأنها بين أيديهنّ-أي المسايرتين- المعنية بقول امرؤ القيـس-مـع حفظ الفارق- :

فجاءت قطوف المشي هيًا به السرى يدافع ركناها كواعب أربعا [٥٣]

فعلى شرفها ترى الغواني قد انتظمن بأزهى الزينة في صفـين متقـابلين أمـام العتبـة يرتجـزن بـ(هدانيات الترحيب) وقد انعقدت الأيدي حول الخصور النائسات:

- **هدانيات الترحيب:**

يبدأ الهدان بفاتحة تقليدية:

تبدعنا بربي والصحابة بالنبي (تكرير)

وقبل أن تلتحم الحريوة ومسايراتها بحرس الشرف الأنثوي هذا يسجع الجمع (بطريقة الكـورس) ابتهاجاً بهذا الصباح الطيب:

تصبَّحنا بلفلاح (بالا فلاح)

من طلوع الفجر لاح (تكرير)

تصبَّحنا بلزهر (بالأزهر)

ذي من المشرق ظهر (تكرير)

تصبَّحنا بجهدا

وا صباح العافية (تكرير)

تصبَّحنا بجهدا

وا خطر وا راوية (تكرير)

تصبَّحنا بظبية

والنمر قوادها (تكرير)

تصبّحنا بظبية

أخت حُمران العيون (تكرير)

وعلى لحن أسرع إيقاعاً:

تصبّحنا بغصن أخضر

شبيه الصيف لا(لو) بكّر (تكرير)

تصبّحنا برمّانة

شحيح الخصر والقامة (تكرير)

ألا يا عيلة الضاحة

وشلش نسر بجناحه (تكرير)

وتزامناً مع اللّحظة المشبوبة بتردد الحريوة للوقوف مخفورة على رؤوس المُهدنات ترى من صفـــي المُهدنات وقد انسحبن بحركة جانبية موحدة وسلسة نحو العتبة دون أدنى تعطل في هيئة حرس الشـــرف هذه ولا في نغمة الأداء التي اكتست صفة الترحيب المباشر:

ألا يا مرحبا حيًا

بذي جينا(جاءنا) ولاقط جي (تكرير)

ألا يا مرحبا حيًا

بذي جينا دخيل اليوم (تكرير)

بذي جينا ولا قط جي

ولا يعرف مطارحنا (تكرير)

وفي عودة إلى اللّحن الأول –وهو لحن رتيب الإيقاع– تسجع المرحبات بـــ:

و أرحبي حيًا حيّانش(ك)

و أرحبي حيًا ميه(مائة) (تكرير)

و أرحبي ترحب رجالش

يرحبون أهلش ميه (تكرير)

و أرحبي ترحب رجالش

لا(لو) هم ألنعشر ميه (تكرير)

و أرحبي لا دار عالي

ذي بُني لش تعنيه (تكرير)

ذي بُني عالسمن لصفر(الأصفر)

والعسل له جانيه (تكرير)

و أرحبي لا دار عمش

خير لش من دار أبوش (تكرير)

و أرحبي لا دار عمش

ذي هوجه شرقيه (تكرير)

و أرحبي أنتي ولغصان

ذي يسارش واليمان (تكرير)

والأغصان هنا هما المسايرتان اللّتان لا تخطو (الحريوة) خطوة واحدة بدونهما خاصة مع كل نقلة تقتضيها مرافعات الهدان ومساجلاته الغنائية المتوالية بما فيها من شد (الحريوة) نحو عتبة الدار في الوقت الذي تظهر فيه (الحريوة)-باستشارة وصيفتيها- عزوفاً عن ذلك الأمر الذي تفشيه خطواتها الوئيدة المتقاصرة. بيد أنّ مجرى الهدان يستمر في اندفاعاته حيث يتصاعد منها هذا اللّون العتيق داعياً لبيت (الحريو) بدوام العزّة بمن حلّ فيه من الرجال والضيف عند أعتابه:

حماك يا دار أبو عباد

يا دار إيش من دار (تكرير)

يا دار حلت بك الرجال

والسارحة على الباب (تكرير)

يعقب هذا دعوة موجهة لأبي (الحريو) ليؤدي واجب الترحيب بالحريوة:

ورحب وا عباد رحب (تكرير)

ورحب وا افصح المرحب (تكرير)

غير أنّ الأمر لا يقتصر على الترحيب وإحباء البخور أو رش العطور من عم الحريوة وحماياها (أخوة الحريو) وسواهم من الأقارب إكراماً لـ(الدخيلة) أي الحريوة- ومسايرتيها ، فالأمر يتعلق بمسألة اعتبارية ترمي إلى المن بما هو أكبر شأناً على هذه (الدخيلة) عبر مراعاة طقس تقليدي يُعرف بـ(الخُتامة) لما شأن هذا الطقس في تقليد دخول (حريوة سرو حمير) بيت الزوجية ؟

• الخُتّامة:

جرت العادة في طقوس دخول (الحريوة) في(سرو حمير/يافع) أن تنبه (الحريوة) قبيل دخول بيت الزوجية إلى حق من حقوقها ينبغي أداؤه لها من لدى سيد بيت الزوجية مثل عمها ويأتي التنبيه على لسان المهدنات جهراً وترنماً:

ألا لا تدخلين الدار

ألا إلاّ بختّامة (تكرير)

ألا و إلاّ ذبح لش ثار(ثور)

و إلاّ كبش ردماني (تكرير)

ولش بُنه ولش قاته

ولش حبلين(حبلان) بالمسنى

إذاً فختامه الحريوة تعني تمنعها من الدخول بيت الحريو حتى يقطع سيد البيت على نفسه وعداً على رؤوس الأشهاد(المهدنات) أنه قد منَّ عليها بالعطاء بالشئ الفلاني ويحدده بالإسم فهو أن كبُر قد يكون قطعة أرض(تقاس بالحبل) زراعية مرويَّة بمياه الآبار(مسنى) أو شجرة بُن وشجرة قات تُعرف من حينها باسم (الحريوة):

(بُنه مريم /قاتة نظرة /شدحة فاطمة) وهكذا. وتحتم الحريوة يعني تحكمها وفي معاجم اللُّغة :

الحتم : القضاء وحتمت عليه الشئ : أوجبت. وفي حديث الوتر:

الة تر ليس بحتم كالصلاة المكتوبة، والحاتم: الحاكم. ٥٤

وقد مكنّنا طقس الختّامة هذا من تصويب التفسير الذي ذهب إليه بعض أهل الاختصاص بشأن افادات نقشية مثل:

جحمه / ذت / بيت / يثع آمر

في نقش [أ / ٤٣] العائد إلى منتصف القرن السابع قبل الميلاد.

و: تحي إل / ذت / تزاد.

الواردة في نقش [أ / ٢٤] ويعود إلى القرن الثالث للميلاد. حيث فهم من النصين (اكتساب المرأة) في اليمن القديمة (اسم عائلة زوجها) ٥٥ بيد أن الصحيح يكمن في قراءة النصين على هذا النحو:

ــ حجمه ذات بيت يثع آمر.

ــ تحي إيل ذات تزاد.

وحيث أنّ مفردة(بيت) تعني في لغة نقوش المساند اليمنية القديمة (القصر) فجملة (بيت سلحن) تشير في النقوش إلى قصر الحكم في (مأرب) حاضرة سبأ الشهير بـ(قصر سلحين) عند الإخباريين العرب. إذاً فالأمر يتعلق بـ(حتامه) وهبت لهاتين السيدتين قوام الأولى (قصر يثع آمر) والثانية (قصر تزاد) وقد يعترض البعض بالقول أنّ لفظة (بيت) لم تظهر في:

(تحي إل / ذت / تزاد) غير أنّنا نجد في مطلع النقش ما يؤكد طرحنا أنّ (تزاد) كان قصراً حيث ظهرت العبارة التالية:(عدى / بيتهو / تزاد)

أي (في نطاق بيته تزاد). وما يهمنا هنا هو إظهار حقيقة أنّ طقس (حتّامة) حريوة سرو حمير يرجع إلى غابر القرون من تاريخ حمير واليمن القديمة.

هكذا وقد ظفرت الحريوة بحقها (الحُتامة) فإنّ عليها أن تقترب أكثر من العتبة:

فرشنا لش حرير أخضر

وسجادة من البندر (تكرير)

دفعنا بش ميه والفين

من الصندوق ما هي دين (تكرير)

وعلى عتبة الدار لابد لـ(الحريوة) من لقاء عمتها-أم الحريو- التي فقدت بزواج ابنها بعضاً من ناموس سيادتها ، وكي تأن هذه اللذحظة بما فيها من حرج تطرق حنبات الدار دعوة المهدنات متحرية في الأم تلبية النداء:

عادها تخرج من الدار

حُمحمه أُم الرجال (تكرير)

وفي حالة تلكؤها:

ألا يُم(يا أُم) الحريو ابدي

بنش تاقا(فقد) وصل مهدي (تكرير)

وروح مركب الهندي

على سبعة جمال ادي (تكرير)

حينها يحسن في (أُم الحريو) المبادرة التي تفرضها الضرورة للترحيب بالحريوة و إلاّ سمعت من بنات جنسها(المهدنات) ما يشي بسر الأُنثى الأبدي:

ألا يُم الحريو ابدي
سلم وقا اكتسر ضلعي !

وبعد القيام بواجب الترحيب من (أُم الحريو) تنحني الحريوة للسلام على عمتها-أُم الحريو- حسب الطريقة التقليدية اليمانية التي توجب توقير كبار السِّن ووجهاء القوم وإكبار المرأة لزوجها بتقبيل (الركبة) وهي عادة تكاد تختفي نهائياً من عادة (الصفاح) اليمانية. في غضون ذلك يستمر الهدان:

على ام-سيري على ام-سيري

بخطوه قسميها اعشار (تكرير)

• طقس اجتياز العتبة:

على مردم العتبة تتوقف الحريوة هنيهة لتقبض بكفها الموشّاة بالحناء ثلاث قبضات من (حَب الذُّرة) **-تأخذه من صفيحة يمدها إليها عمتها- وتسفيها في الهواء لتقتات عليه الطيور والدواجن.**
وفي هذه الطقس نجد إلماحاً يجسد تبرك (الحريوة) بغلال الأرض الطيِّبة وعهداً تقطعه على نفسها قُبيل ولوجها سدة البيت أن تكرس مع أهل زوجها جُلّ حياتها لتنمية حفنة الغِذاء الضرورية للحياة. **وفي صينية مليئة بمزيج من السمن والعسل وثفل(عُصارة) الجلجل(السمسم) تغمس الحريوة يمناها ثم تطبع كفها على العارض الأعلى لعتبة الدار وعلى(الكابتين) أي قائمتي العتبة.** وفي تلك الأثناء يقرع صوت الهدان مرشداً الحريوة:

ومدي رجلش اليمنى

وقولي يا الخضر واليأس (تكرير)

فتمد قدمها اليمنى فتغسل وكذلك قدمها اليسرى ثُم تدخل البيت برجلها اليمنى مشفوعة بدوي الطلقات ولعلعة المجمرات ومصحوبة بعكي البخور وفائح العطور.هذا وتشترك (سرو حمير/يافع) مع بلاد الشّام في طقس طبع الحريوة لكفها الندية على قائمتي العتبة وعارضها الأعلى ، غير أنّ المعتاد في بلاد الشّام

(أن تطبع العروس كفها بدم الذبيحة فوق قائمتي المنزل قبل دخولها) [٥٦] **وهي عادة موغلة في القِدَم لها صلة بوصية الرَّب لموسى(عليه السلام) ليأمر قومه بأن:(يأخذون من الدّم ويجعلونه على القائمتين والعتبة العليا في البيوت...)**

[سفر الخروج /١٢/٥]

ويدرء هذا الطقس عن بيوت المؤمنين غضب الرَّب في يوم الفصح الذي حلّ ببيوت المصريين الغير ممهورة بالدّم:

(وأنتم لا يخرج أحدٌ منكم من باب بيته حتى الصباح. فإنّ الرّب يجتاز ليضرب المصريين، فحين يرى الدّم على العتبة العليا يعبر الرّب عن الباب ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب).

[سفر الخروج /١٢/٢٢-٢٣]

وبالنظر إلى ما ذهبنا إليه آنفاً في تفسيرنا لُلغز الاستعدادات الحربية في (ملحمة كارت الأوغاريتية) على هدى المظاهر الحربية في طقس زفاف الحريوة في (سرو حمير/يافع) والمتجسدة في عُصبة المحاربين المرافقة للحريو والمعروفة باسم الشواعة ، وبعقد الصّلة مع طقس (طبع الحريوة) لكفها على قائمتي العتبة وعارضها الأعلى المنتشر في بعض القُرى السُّورية واللّبنانية وغيرها من بلاد الشّام ، وفي سرو حمير وما صاقبه من اليمن ، نحصل على شواهد وأدلّة تتظافر لإثبات الطرح القائل بوحدة التاريخ والتراث السّامي ، وأن اليمن هي النّبع الذي تدفقت منه المياه التي أينعت عليها شجرة التراث والثقافة السائدة في الشرق الأدنى القديم الذي تدخل في نطاقه حضارة قدماء الأغريق بكل معالمها المعرفية والفكرية والميثولوجية واللّغوية كما بيّنّا في [مدخل الكتاب].

وظاهرة زف العروس مصحوبة بالأدعية والأناشيد الدينية لدى الطوائف اليهودية التي كانت تتوسل بها للآلهة الأُنثى (سابات) إلهة الحُب والوصل التي تتمثل بها العروس هي لون من ألوان (الهدان) الذي أفضنا في تقديم صور منه في هذه الدراسة المكرَّسة لتقاليد صيبة(الزواج) الحميرية اليافعية.

وتخبرنا كتب التراث العربي عن العروس التي تزفها القيان منشدات على خفقات الدُّف الأناشيد ، ولعل أغربها الأنشودة التي رددنها وهنّ يُدخِلن سيدة جديس(عفيرة بنت غفار) على ملك طسم (عمليق) رغماً عنها:

أبدي بعمليق المليك فاركبي   وبادري الصُّبح بأمر معجب
فسوف تلقين الذي لم تطلب   فما لبكر دونه من مهرب [٥٧]

ومن الأمور الملفتة للنظر في (صيبة سرو حمير) طابعها الذي تغلب فيه شمولية الفرح حيث نجده قد عمّ كل بيوت القرية.ففي يوم زفة(زفاف) الحريوة يتولى (الشاحذ) توزيع لحم الذّبيحة إلى حصص توزع على كل أُسرة في القرية، ولكل شويع من خارج القرية ولكرائم الحريو وللأصحاب الذين جرت العادة على تبادل (الشجرة/ هدية اللّحم) معهم في مثل تلك المناسبات. أما (مسايرتا الحريوة) فنصيبهنّ لحمه الرجل من الذبيحة يؤبنا بها مع هدية عينيَّة يكرمن بها من يد (الحريو) مثل الثياب والمصاون(أغطية الرأس) والعطور إضافة إلى هدية نقدية تدفع لهنّ نظيراً لما قمن به من (مسايرة الحريوة)

ورعايتها في الطريق إلى بيت الزوجية. وظاهره الفرح الجماعي في تقاليد الزواج اليمانية عموماً تبـــدو فريدة بالمقارنة بأفراح الزواج الأوروبية التي يغلب عليها الطابع العائلي، فقد تَبيَّن لأهل الاختصاص أنّ:

(الأعراس المميزة لأغلبية الشعوب الأوروبية..لا يحضرها إلاّ أقرب الأقربـــاء والمعـــارف). [58]

بينما نجد ميول الفرح الجماعي الطابع في بعض الأثنوسات-كما هو عند عدد من شعوب **القفقـــاس- والتي تدعو إلى العرس مئات الضيوف.** [59]

- **النقطـة:**

لـــ(الشاحذ) في (سرو حمير/يافع) حضور لازم في كل مناسبات الأفراح والأتراح المتعاقبة في دور حياة أبناء(سرو حمير) فدوره يغطي مساحة شاسعة في الحياة ، فمن خدمات الجزارة والختانة(الختان) في مناسبات الولادة والقيام بفنون التزيين والحلاقة لجميع أفراد العائلة(الذكور على وجه الخصــــوص) إلى التطبيب-سابقاً- بالحجامة ، وفي أفراح الزواج نلقاه في كل طقس من طقوس (صيبة سرو حمـــير) وفي الأعياد يؤدي خدمات لا تضاهى (كالحلاقة والجزارة وضرب المرافع والطاسات للبرّاعـــة). وحـــتى في ولائم العزاء نجد للشاحذ حضوره المكرس للخدمة.

هذا في أوقات السِّلم أما في فترات الحرب فنجده إذا نشبت المعارك في طليعة المحـــاربين يقـــرع طبول الحرب وتدوّي بين يديه مرافعها ، وهو بدوره هذا يلهب حماس المحاربين ويشـــد مـــن أزرهـــم ويُسن لهم سيوفهم وحرابهم ويشحذ الهمم فيهم ، **ولعل تسميته ترجع في أصلها إلى وظيفتـــه هـــذه بالذات المتعلقة بدور(الشحذ) الذي تفاخر بأدائه شاعر جاهلي هـــو (عـــدي ابـــن وادع الأزدي)** بقوله:

أيُّ فتىً أعمـــى عـــدي إذا	**ما باشر الكيدَ على التَّلتلِ**
قد أشحذ الصحب إلى موطن	**يكلح منه ناجذ المصطلي** [60]

فهكذا نرى الشاعر يباشر الكيد في نوازل الحروب ويشحذ كتيبة الصحب إذ يكون لسوقه لمـــا من الشِّدة ما يجعل من يصطلي بنيران الحروب يكشر عن ناجذة تبرماً منها خشيةً على نفسه من شـــدة وقعها أي شحذها.

لاريب **أنّ** قبائل (سرو حمير/يافع) قد تفردت بإطلاقها هذه التسمية-شاحذ جماعته(شُحَّاذ) ممـــا يليق بدور هذه الفئة الخدمية التي كانت تقوم بأعمال جليلة خدمة للقبيلة التي في حكم الواجب عليـــها تأمين لقمة العيش لـــ(الشاحذ) الذي كان يفتقر لإمتلاك الأراضي الزراعية وهو إن حازها لا يُحســـن بطبيعته المجبول عليها حراثتها نظراً لعدم تكريس وقته لها. **وتعد النقوط-واحدهـــا نقطـــة- وســـيلة**

يستدر بها الشاحذ رزقه في شتى المناسبات فما هي وظيفة النقطة في أفراح (صيبة سرو حمير/يافع) ؟

يعمد (الشحاذ) إلى التطريب فوق جُبا (بيت الحريو) و(بيت الحريوة) أيضاً ، ويتم لهـــم ذلـــك بقسع الطبل مصحوباً بتراتيم القصبة(الشبابة) وذلك حول شاله-قطعة من القماش- يفرشونها فيصعـــد الحريو وأقربائه أو أقارب (الحريوة) فيغدقون بالهبات النقدية وقد كانت النقطة فيما مضى صيعان مـــن غلال الحبوب والبُن تُجبى للشاحذ لامن أقارب العرسان فحسب ، بل ومن كل أُسرة في القريـــة، وفي حالة امتناع أُسرة بعينها عن تقديم (النقطة)فإن مصيرها يتحدد أثناء العصرونيات والأماسي الراقصـــة إذ يمتنع الشحاذ عن ترقيص أفراد هذه الأسرة ، إذا حاول أحدهم اقتحام حلبة الرقص. ولهذا فالنقطـــة في تقاليد الزواج اليافعية حق لا مناص من تأديته، وكلما قدمها واحد من المغنين صوّت الشاحذ بشـــكره بطريقة نحو:

وا دين واكرام سيدي فلان ابن فلان

و(النقوط) عادةً لا محالة واسعة الانتشار في معظم البلاد العربيـــة وهـــي إذ تـــودي في (ســـرو حمير/يافع) في رابعة النهار. وما ذكرناه باسم(التطريب) في نقطة العرس اليافعي يُعرف في بلاد الشـــام باسم(الشوبشة):

{الشويشة في العرس الشعبي العربي الممتد طولاً وعرضاً ، مقدمة لتقديم الهدايا-النقوط- تبـدأ المناداة فيها بصرخة (شاباش)، وفي بعض المناطق تشويش الراقصة أو الغازيـــة ،... والأصـــح في معناها كما وردت في أوغاريت بمعنى الشمس، لأنّ الشوبشة تدل علـــى الإعـــلان والوضـــوح، والهدايا معلنة كدين ووفاء، إضافة إلى أنّ الخوري في الكنائس يشوبش، أي يعلن بوضوح الشـــمس على الحضور، أنّ فلانة ستتزوج من فلان بعد مدة، وذلك إعلان لمن لديه اعتراض. [٦١]

وعلى كُلٍّ فإنّ الشوبشة في (نقوط) العرس الشامي هي (التطريب) في الصبية(الزواج) الحميريـــة أثناء تقديم النقطة أو النقوط وتعني لا غرو في العرس الشعبي **سواءً في اليمن أم في ســـوريا إلى إشـــهار الزواج وإشاعة أفراحه في رابعة النهار.** وهذه قرينة أُخرى تعزز طرحنا القائل بوحدة التراث العـــربي وواحدية المنبع الذي تمخضت عنه شتى العادات والتقاليد والطقوس المتوارثة في بلـــدان الشـــرق الأدنى قاطبةً.

وفيما عدا ذلك فإنّ أهل الحريوة يتبعونها إلى بيت الحريو في اليوم التالي للزّفة ويُعرف هذا اليـــوم بـــ(البراك).

• البـــراك:

وفيه كما قلنا يقدِّم أهل الحريوة وفي معيتهم من الهدايا ما يضارع (هدية الضيفة) التي عرضنا لهـــا آنفاً وفيها من البقر رأس-ثور أو تبيع- يساق إلى بيت الحريو ولإكرامهم يُذبح ثـــور أو بعـــض مـــن رؤوس الخرفان والأغنام ويستقبلون في حوية البيت بما يليق بهم من ارعاد النيران وقرع الطبول وايقـــاد البخور من لدى حسان اللّواقي يتعرضنهم بالمباخر وهنّ يزغردن بالحجرات ترحيباً بمقدمـــــهم الـــذي يدشن انعقاد مجلس الرفادة لمدة قد تتجاوز عدة أيام الأسبوع بكثير وفيه يأتلف أهل الحريـــوة بـــأهل الحريو وأصهاره وأصدقائه الذين يلزم الواحد فيهم أن يرفد في أضعف الأحوال برأس من الماعز يظـــاهي مايصيبه من اللّحم على مدى ثمانية أيام من مجلس (الرفادة) ويحرص كل رفاد أن تبلغ هديته من الجـــود ما يجعل طلعته تفيض سناءً. وفي صبيحة يوم البراك تقدم إحدى قرائب الحريوة من بيت أهلها ، حيـــث تتولى تزيين الحريوة من تخضيب أناملها واقدامها بالحناء إلى تسريح ضفائر شعرها اللائي لازمنها طيلـــة عهدها بـــ(العذار). فقد كانت العادة في (سرو حمير/يافع) أن **تنسع العذراء شعرها سيّناً—واحدهـــا سينة— وهي غدائر دقيقة تُسن أو تضفر من منبت الشعر وتنسدل عبر القذال والصدغين في هيئـــة تناظر برائم سنابل الشعير ولم تكن لتجرؤ على تسريح ضفائرها مجاراة للنســـــاء المتزوجـــات وإلاّ جلبت على نفسها الريبة وحامت حولها الشكوك.** أما وقد حلّت ببيت الزوجية فإنّ قريبتـــها هـــذه تعمد في صبيحة يوم البراك وهو الرابع من أيام العرس إلى حلّ ما انعقد من شـــعر الحريـــوة وتتعـــهده بالمشط والتسريح بالدهن ومسحوق ورقة الهدس(الآس) فتعيد شعر القـــذال إلى ســـيرته الأولى —أي سيّن(سنن)— **وتبقي ما انسدل عبر الصدغين يندلق طليقاً في هيئة عثنونين قد تجـــاوزا بريـــح الآس ينفح من ثناياها الندية حواز صدر الحريوة الناهد إلى ما يصالي من نائس قدّها ضـــامر الكشـــحين وتُعرف هذه التسريحة بالنبع—واحدها نبعة—إذ تتربع جبين الحريوة ثالثة النبع، حيث تعمد قريبتـــها إلى قص ما كان من الشعر منبته مقدمة الرأس بحيث لايتجاوز الشبر طولاً ثم توسعه فركاً بـــالدهن ومسحوقه الهدس وتسمى أيضاً القُصة...** وتعتبر تسريحة الحريوة هذه علامة فارقة وشـــاهدة علـــى دخول الحريوة دنيا المتزوجات من النساء وقطع صلتها بعالم العذار مطلقاً. هكذا كان بوسع المرء تمييـــز المرأة في (سرو حمير/يافع) من نظام تسريحة الشعر. **أما في (أزمير) من تركيا، فإنّ الأمر يتعلق بلـــون الحجاب الذي تستتر به المرأة وجهها، فالنساء غير المتزوجات يضعـــن الحجـــاب الأبيـــض علـــى وجوههن، والمتزوجات الحجاب الأسود.** [٦٢]

وفي يوم البراك تكتسي الحريوة أنفس ما أهداها الحريو في(يوم الزواحة) وهو في العادة من ثيـــاب

المخمل الزاهي الألوان.. أما في يوم الزّفة فتلبس ثوباً يُهدى إليها من أبيها. وبعد الظهيرة من هذا اليوم تخف نساء القرية لمباركة الحريوة والتعرف عليها وكانت العادة تقضي على قرائب الحريو أن ينثرن على رؤوس المباركات (**مسحوق الفحوس) وهو عبارة عن أُزاب أبيض وقرنفل وكادي مع الهُرُد(الزعفران) وهذه الخلطة تُعد من قِبَل أم الحريوة التي تحضرها مع مسحوق الهدس في صبيحة البراك.** ٦٣

وكانت الطريقة التقليدية لـ(نثر الفحوس) تترافق مع تخريجات (الهدان) من قبل النساء المهنئات حيث يهزجن بعتيق الألحان:

يا الله اليوم لا جين

نا بقهوة ولا قوت

جيت شفي بنظرة

منكم قبل لا موت

ألا جيت أبارك

وطرّح الف آية وسورة

عالحريو المزلّب

هو وغصن الظلاله

الا وافرش البيت واما ..

لي تقع لك جلاله

فرش بيتك حرير ا

أخضر من الهند جاله

والمرادم ذهب وا

أقفال من حيث قاله ٦٤

• مجول الحريوة:

لم يؤثر لدى النساء في(سرو حمير/يافع) لبسهن لقناع الوجه، فهو ظاهرة لها صلة بترف المرأة في المدينة المزدحمة بأغراب الناس، بينما تقف الجبال بمسالكها الصّعبة إضافة إلى نُدرة الغرباء فيها حائلاً دون إعقار المرأة لنقاب الوجه الذي تنفر منه لأسباب عديدة ليس المجال لذكرها هنا. نساء الجبال كافة، وقد نقل لنا الأوروبي [نيبور/١٧٦٢] عن لباس نساء أرياف اليمن:

(وفي مناطق الجبال تبدو النساء أكثر انطلاقاً من نساء المدن، فلا يسترن وجوههن،... ويلبسن قمصاناً طويلة وسراويل من القماش المخطّط باللّونين الأزرق والأبيض، والقمصان مطرّزة عند الرقبة وتحت الركبة بألوان مختلفة، أما السراويل فمطرّزة في الأسفل حول السّاق). ٦٥

لهذا فقد كانت المُدة التي تستر فيها حريوة سرو حمير وجهها ما بين(يوم الظهرة) و(ثالث السبراك) فترة لا تتكرر مدى العمر، وكانت محاولة الحريو إماطة المجول المرّقط بالأصفر والأسود عن وجه حريوته في ليلة دخولها بيت الزوجية تطلب قدر من الكياسة في (الحريو) وهدية نقدية يجزل بها على(الحريوة) المعتصمة لا محالة بالصمت، وتسمى هذه الهدية التي تحتفظ بها الحريوة عادةً لأمها بـ(الفُتّاشة)-لأنّ الأمر يتعلق بطلب الإحاطة بوجه الحريوة المستور- ويلزم في الحريوة تسليم(الفُتّاشة) إلى أمها في (يوم المصافحة) الذي تعود فيه الحريوة وحريوها لزيارة أهلها بعد انقضاء أيام(العُرس والرفادة). وإذا دخلت الحريوة للرقص مع حريوها في (يوم البراك) وفي اليوم الذي يليه ويُعرف بـ(ثاني البراك) فإنها تدلف بحولة(منتقبه) تصحبها قرائب الحريو يقطرفن بالمحجرات احتفاءً بها، ويجلسنها خفرة حبيه في صدر المسمر الدوي بالرقص والغناء وتراها تقطف في رقصتها وقد زمت برخص البنان على أطراف مجولها كأنها بصدرها النّاهد تتحيز ظل مجولها المتقمص هيئة الهرم أمام وجهها، وهي بهذا الحال ألصق بقول أمرئ القيس:

إلى مثلها يرنو الحليم صبابه إذا ما اسبكرت بين درع ومجول ٦٦

ولـ(مجول الحريوة) أو حجاب وجهها حضور ملموس في تراث منطقة الشرق الأدنى فتحت نسيجه زفت(ليئه بنت لابان) لنبي الله يعقوب بدلاً من شقيقتها الصغرى(راحيل) وفقاً للرواية التوراتية:

(وفي الصّباح إذا هي ليئه. فقال للابان:ماهذا الذي صنعت بي. أليس براحيل خدمت عندك. فلماذا خدعتني ؟)

[سفر التكوين/٢٩/٢٥]

وفي الميثولوجيا الرافدية نجد للحجاب أثراً في ملحمة (جلجامش) الشّهيرة:

(غطّى جلجامش وجه أنكيدو كما تحجب العروس). ٦٧

وقمين بنا أن نستدرك ونحن نؤسس لإقامة صرح معرفي يمكن لنا به الإحاطة الصادقة والدقيقة بتراث وتاريخ المنطقة العربية، ما ذهب إليه بعض أهل الاختصاص بشأن جذور(**ملحمة جلجامش**)

التي يرى فيها الباحث (نجيب البهبيتي)

أنها ملحمة من أصل يمني. ٦٨

لآريب أنّ في(بحول الحريوة) قرينة أُخرى تُسند طرحنا القائل بوحدة(التراث السّامي) الذي يقتطع الأوروبيون منه (التوراة) ويلحقولها عنوة بتراث وتاريخ الغرب(بالغين المُعجمة) في حين أنّه بواقع الحال لم يكن سوى تلميذ أخذ كل معارفه وثقافته برمتها من تراث الشرق الأدنى كما بيّنا ذالكم في [المدخل].

وإذا كان (حنجاب العروس) قد شكّل مانعاً حال دون تنبه نبي الله يعقوب(عليه السلام) للخديعة التي ألمّت به جرّاء زف أكبر بنات خاله(لابان) وهي هنا(ليئه) لتكون حليلة اسرائيل-رغماً عنه- بدلاًمن أثيرته الصغرى(راحيل)، فإنّ الأمر يتعلق بعادة خلدّها(سفر التكوين):

[فقال لابان لا يفعل هكذا في مكاننا أن تعطى الصغيرة قبل البكر]

[سفر التكوين/٢٩/٢٦]

هكذا فالأمر يتعلق بعادة تزويج الكبرى قبل الصغرى عند قبائل(الأباء الإسرائيلية). بيد أنّ هذه العادة على سعة انتشارها لدى القبائل العربية، كان لها من مديد العُمر ما جعلها تتحدى تعاقب الدّهور وتنبري لنا رغماً عن ظروفه غضه نديه، وكألها من بنات اليوم الذي ما برحت فيه قبائل(سرو حمير/يافع) تحترم فيه هذه العادة:

فمن عادات الزواج البدء بالكبيرة من البنات ولا يمكن التجاوز إلى ما دولها سنّاً لأنه يعني عرفاً بوار الكبرى، وغالباً ما تدفع الصغيرات ثمناً لقسوة الكبيرات، وذلك برفض كل العرسان الذين يتقدمون لهنّ. إلاّ أنّ هذه الحالة أخذت في الآونة الأخيرة تضمحل إيماناً بالقسمة والنصيب.[٦٩]

وكانت العادة أن تستمر في (يافع) أفراح الزواج بعد(ثالث البراك) الذي تنفض فيه الحريوة بحولها وترقص سافرة الوجه.. نعم فقد كانت تتجاوز أفراح الزواج ومجلس الرفادة ثمانية أيام، إذا كان أقارب الحريو والحريوة يستطيبون ذلك وإلاّ ففي اليوم الثامن يختتم الفرح ويعود الأهل إلى بيوتهم. بعدها في يوم لاحق ترجع الحريوة يصحبها زوجها الحريو إلى بيت أهلها للمصافحة-أي مصافحة أبيها وأمها وبقية أقربائها- وفي عودتها هذه تحمل معها لأهلها هدية قوامها في الأساس ذبيحة من الضأن أو الماعز و(حلوى المضروب) والحلوى التقليدية التي يمزج فيها الجلجل(السمسم) المحمص بالعسل وتُعرف باسم(اللّتيت)-لأنّ الجلجل يُلتُّ بالعسل- أما حلوى المضروب فتقسّم إلى حصص توزع على كافة الأُسر اللائي تضم القرية.. ويمكن أن تضم هدية الحريوة لوازم أُخرى تخص فيها أهلها، هذا بالإضافة إلى مبلغ(الفتّاشة) الذي سبق لنا ذكره. وبعد انصرام ليلة(عاده) أو أكثر في ضيافة أبي الحريوة تعود

وزوجها إلى بيت الزوجية. و لم يكن لها حسب تقاليد الزواج اليافعية أن تُقحم نفسها بالحياة اليومية المعتادة لأهل القرية إلاّ بالتدريج، الذي قد يأخذ شهراً أو أكثر، وهي إذ يتعين عليها تحاشي الحياة العامة، **فإنه يلزمها في هذه الفترة أن تثقل جيوبها بالحلوى تجود به على الأطفال والنساء كلما صادفت مجموعة منهم في طريقها إلى البئر مثلاً، أو في دروب القرية وحظائرها.** ويُقصد بهذا التعارف بين الحريوة-خاصةً إذا وفدت من قرية أُخرى- ومجتمع سكان القرية تمهيداً لانخراطها فيما بعد في الحياة العامة وقد اكتسبت بهذه الطريقة صداقات ترفع عنها أعباء حياتها السابقة كخفر العذارى وعزلة الخبؤ وشعور الغريب في مواطن لم يألفها بعد. هذه الحالة تضارع ما لدى الصناعنة(أهل صنعاء) حيث:

(تستمر الأفراح لحو شهر يأتي فيها النساء لينشدن
ويتسامرن وبعد اليوم الأربعين ستتطيع الحريوة
أن تخرج من المنزل كلما دعا شيء إلى ذلك
وتحيا حياتها الجديدة). [٧٠]

١

٢

٣

٤

الفصل الرابع عشر

يافع في عتيق المصادر

دراسة على ضوء نقوش المسند

والمصادر الكلاسيكية (اليونانية -الرومانية)

كنا قد تعرضنا في (الفصول الأولى) الى دور يافع في صناعة التاريخ التوراتي وحضورها الفاعل في وقائع العهد القديم وبالذات فيما يتعلق بالعهد الابراهيمي وعهد نبي الله "أيـــوب" (عليـــه الســــلام) ، وموقعهم من الوقائع التاريخية ذات العلاقة بالخروج الاسرائيلي من مصر التوراتيه (مصر جزيرة العـــرب) ووقوفهم كحاجز منيع في وجه الزحف الاسرائيلي بقيادة (موسى المصطفى/عليه السلام) علـــى أرض الميعاد التوراتيه (كنعن) ، ففقد كانت يافع راس القبائل العملقيه (عمالقة حمير) فمنها أشد الجابره بأساً وأبعدهم صيتاً بنوعناق (عنقيم/توراتيا) ومنها قبائل القاسدي (كسديم/توراتيا) المعروفة في تاريخ العراق القديمه ، حيث اشتهر (الكسديم) هؤلاء بدولة بابل الثالثه التي أُسست على أيـــدي أحـد تفرعـات القاسدي الشهيرة حتى اليوم باسم قبيلة (كلد) اليافعية . فالي (كلد-القادسية) الحميريه أنتسبت دولـة بابل الثالثة المعروفة لدى المؤرخين بدولة الكلدان (الكلدانيه) بحاضرتها (أور) الشهيرة (بأور كســـديم) أي (أور القاسدية) . ولسنا هنا بصدد ما فندناه في (الجزء الاول) من كتابنا فمـن ينشـد الاحاطـة بطرحنا هذا نحيله الى الجزء الاول . أما الان فإنني سأتناول الغامض من تاريخ (سرو حمـــير/يـــافع) في عهود ممالك اليمن القديمة والتي كشفت التنقيبات الأثرية بعضا من تواريخ تلك الممالك السبئية والمعينية والحضرمية والاوسانية والقتبانية والحميرية .

وأول القضايا التي ينبغي التصدي لها هنا هي ما يتعلق بالتسمية القديمة (لسروحمير/يافع) :

- **بلاد دهسم :**

يرى الكثيرون من المورخين والاختصاصيين في نقوش المساند اليمنية القديمة أن المقصود (بـــأرض دهس) في أقدم النقوش اليمنية (ربرتوار/٣٩٤٥ و ربرتوار/٣٥٠٠) هي البلاد المعروفة بـــ(يافع) فمـــا هي الادلة والشواهد على صحة هذا القول :

1. أما النقش (ربرتوار/٣٩٤٥) العائد على أقل تقدير الى منتصف الالف الاول قبل الميـــلاد — الفترة المعروفة بعهود المكربين السبئيين — الى هذه الفترة التقليدية يعود هذا النقـــش الموســـوم بنقش النصر الكبير — والمكتشف في معبد المقه الكبير في صرواح — استحق هذه التســـمية لأنـــه سجل الوقائع الحربية التي خاضها المكرب السبئي الشهير "كرب ايل الوتر" بن ذمار علـــي "الــتي شملت منطقة واسعة خارج الهضبة اليمنية الكبرى من أنحاء المعافر (الحجريه اليوم) في الجنوب الغربي قريبا من باب المندب مرورا بدلتا تبن (تبنو) ودلتا أبين (تفض) حول عدن فيافع (دهس ا) ودليلـــه

وسلسلة جبال الكور واوديتها حتى أطراف حضرموت من ناحية أخرى ولهذا يعتبر هـذا النقـش أقدم مرجع يعرفنا بالجغرافيا السياسية لليمن حوالي منتصف الآلف الأول قبل الميلاد" [1]

نعم هذه الحرب الشاملة التي احتدمت معاركها في هذه الرقعة الراسعة من جنوب جزيرة العـرب وسجلها هذا النقش أين موقع (سروحمير/يافع) منها ؟

الاجابة خلدها النقش في سطره (السابع والثامن) :

"يوم هاجم دهسم وتبني وكـان قتلاهـم ألفـين (٢٠٠٠) والسـبي منـهم خمسـة الاف (٥٠٠٠)وأحرق مدنهم ... (تلف في النقش). [2]

لقد تعرض النقش لـ (دهسم) بالتلازم مع تبني (تُبن):

(حيث تبن يطلق اليوم على الجزء الشمالي من وادي (لحج) قبـل التقائـه بـوادي (ورزان) وتنحدر اليه مياه الأمطار من جبال (الضالع) الشماليه والشماليه الغربيـه ومـا يليـها شمـالاً الى المرتفعات الجبلية الواقعة شمال غربي مدينة (إب) [3]**. هذا التلازم في ذكر (دهسم) (يـافع) وتبنـو (تبن) هو أحد الأسباب التي حدت بالمؤرخين لاعتبار (دهسم) هي (يافع) خاصـة وقـد وردت في نفس النقش في الأسطر (٨-١٣) المكرسه لتفصيل المناطق ومدنها .**

فبعد (التلف) الذي لاندري ماذا جاء فيه نجد النقش يذكر الشروط أو الاجراءات الـتي طـالت (دهسم) (وتبنو) حيث يقول :

((ووهب دهسم وتبني ودثنت لـ (المقه) ولسبأ (أي للدولة) ووهب عـودم (الـتي لم يـرد ذكرها من قبل ولعلها وردت في الجزء التالف من النقش) ، لملك دهسم (؟) وانتزع مـن أوسـان ولد عورم وممتلكاتهم لأنهم حالفوا المقه وسبأ (؟؟) [4] وبعد إسهاب النقش في ذكر المناطق الاوسـانية منها : **"لسم ورشاى وجردان الى فخذ الوو وعرمه (عرمو) التابعة لكحد (ذت كحد) .. وسـيبان واراضيهم ومدنهم أنخ وميفع ورتحم وكل أرض عبدان ومدنهم وسرهم ومرعاهم وجنـد عبـدان حرهم ورقيقهم اقتطعهم** [5]**.." نجده اي النقش يتعرض لدثينه بحرها وحدودهـا ثم يعـرض لذكـر (دهسم) :**

"وكل مدن ومناطق (أبضع) حول منطقة تفض (أبين) باتجاه (دهسم) يافع والتي على البحـر وكل البحار التابعة لهذه المنطقة ..." [6].

أما (أبضع)حول منطقة أبين (تفض) فالمرجح ان المقصود بها أحد المدن الابينية ونرجح :

★ **أم وضيع : أم/وضع (بدون تصويت) وأم :**

سابقة التعريف الحميرية وعليه فان أبضع = وضع (بابدال الواو من البـــاء) لتقـــارب مخرجـــي الصوت. "وهي اليوم في المنطقة الشرقية من أبين عاصمة لقبيلة (أهل بكَيْل) الفضليه " . [٧]

هذه الإحداثيات تشير الى أن (دهسم) تشمل منطقة شاسعة تمتد من تفض (أبـــين) شمـــالاً عـــبر مرتفعات يافع حتى العود والضالع وما يحيط بمجرى تبن حتى مصبه في بحر عدن .

ترى ما هي (عورم) وولد عورم في نص الاسطر (٨-١٣) التي لم يفت (د/بالفقيه) ملاحظة عـدم ذكرها في إطار (دهسم) نص الأسطر (٦-٨) ونبه الى انها ربما ظهرت أصلاً في الجزء التالف اي فيمـــا بعد عبارة :

★ **(... وأحرق مدفهم (....) / ٦-٨)**

نعم فهذا الشاهد يشير الى حرائق أحداثها جيش المكرب السبئي في مدينة تقع علــــى الأطـــراف الشمالية (لسرو حمير/ يافع) الا وهي :

★ **العود : " مخلاف يسكنه العرويون من ذي رعين وغيرهم من أقياض حمير وفيه جبل حـــب وسخلان ووارا خ لبني موسى من الكلاع وسخلان والعود للعدويين مـــن رعـــين ومنـــهم مجيـــب الفاكهي بالمسمطه التي تسمي السهمانيه "** هذا ما ذكره الهمداني باسم **(مخلاف العود وذي رعـــين)** [٨] . وما زالت العود باسمها فهي :

"بلدة في النادرة بالشرق الشمالي من إب ، نسبها الاخباريون الى العود بن عبدالله بن الحـلوث ذو أصبح ، وهي من المناطق الغنية بالآثار خاصة في المصفه وحصن حده وحصن مضرح ..." [٩] .

ونحن هنا لايخامرنا الشك في ان (عورم) المذكورة في نقش النصر هي (العود) الواقعة اليوم شمـــالي قعطبه فقد كانت في الآلف الأول قبل الميلاد ومن قبل ومن بعد جزء من (سروحمير/يافع) وعلى مختلف العصور كانت مناطق شاسعة تمتد مابين عدن وتعز ومابين أبين حتى ذمار تعد نفســـها أجـــزاء مـــن (سروحمير/يافع) والى هذا يشير صاحب "طرفه الأصحاب" السلطان الملك الاشرف :

"عمر بن يوسف بن رسول" المتوفي في نهاية القرن السابع للهجرة بقوله في سرد قوائـــم الملـــوك التابعة:

★ **"ومنهم يافع ، ويقال لهم الايفوع، وهم قبيلة كبيره ، وأكثرهم من (المفاليس) ألي عـــدن ومنهم (الاكلول)** . [١٠]

★ **(فالمفاليس)** : جبل وناحية في الحجرية . [١١]

★ **و(الاكلول)** : هذا خطأ أوقعه النساخ والصحيح :

الاكلود (من كلد) : القبيله اليافعيه التي نوهنا بتاريخها في مطلع البحث .

هذا النص المتأخر أنما أردنا بطرحه هنا أن التلازم الذي أبرزه النقش في تعرضه (لدهسم/وتبنـــو) يشير الى وحدة الجغرافيا السياسية في (إطار سروحمير) لكل القبائل المستفيدة بشكل أو آخر من ميـــاه الواديين (تبن/وبنا) منذ أقدم العصور حتى اليوم عبر عصر "بني رسول" مثلا حيث يشير النص (آنفـــا) أن (لحج) بواديها الشهير "تبن" كانت في عداد يافع ومواطنها المنتشرة من (المغالبيس الى عدن...)علـى أيام دولة بني رسول بحاضرتها (تعز) .

وقبل ان نعمد الى تناول المادة التاريخية لنقش النصر وأثرها على (سروحمير/يافع) أو (دهسم) وفقا للنقش نفسه (ربرتوار/٣٩٤٥) نعرض فيما يلي لبعض الآثار الاسمية الباقية اليوم في (سروحمير/يـــافع) كشواهد حيه تجمدت فيها ذكرى هذه التسمية العتيقة أي (دهسم) :

★ **دهسم** : فهي بلاد (دهس) لأن الميم هو لاحقة التنوين العربية الجنوبية القديمة ... هذا الاسـم نجده قد تخلف في عدة مواضع من (يافع بني قاسد) منها :

I. طسه : طهس = دهس (بالقلب والابدال) وطن وقبيل أسافل (وادي ذي نـــاخب) الشـــهير بزراعة البن وينقسم أهالي طسه الى عدة فخائذ :

- **العصري** : موطنهم (ثلث) (وعطف الراح) في وادي طسه .
- **أم ناخبي** : أم سابقه التعريف حميرية و ناخبي (صيغة النسبة لذي ناخب) ومنهم :

★ الغبران في وادي حدق .

★ والكسادي في وادي شيوحه .

★ وأهل مرصع في وادي مرصع ويوجد بينهم بدو رحل . [١٢]

II. دعسي : نسبة الى (دعس) = دهس

(بإبدال العين من الهاء) : ينتمون الى أحد بطون حمير الشهيرة عند الاخباريين بـــ (الابقور) وأهـــم مواطنهم في (وادي شقصه) في ناحية (كلد) . وأهم المواقع الأثرية الكلديه تقع في ذالكم الحيز من كلـد أهمها مدينة "دخان" العتيقة .

(أنظر دعسي : عند حمزه لقمان / نفسه /ص ١٨٨) .

III. دهشلي : صيغة النسبة الى (دهش) نحو عبدلي من عبدالله ، فهو (دهش آله) :

- **دهش** = دهس (بابدال الشين من السين) :

والدها شل هؤلاء يشكلون ربعا في (**خميس**) حمير الجبل من ناحية اليـــهري (ذي يـــهر) وأهـــم قراهم: * **القران** * **والحصن** . [١٣]

هذه هي أهم الآثار الاسميه وأقربها الى تسمية (سروحمير/يافع) (دهسم) في نقشنا هـــذا ونقــوش أخرى سنعرض لها لاحقا .

واذا كان صاحب (نقش النصر) سخيا في سرده لقائمة المواطن والمدن التي طالتها جيوشه في كــل من المعافر وبلاد أوسان في وادي حضرموت ودثينه وبيحان ونشق ونشـــن ... الخ (أنظـــر الأســطر (٨-١٣) حيث أوردناها كمثل على وقائع الحرب الشاملة التي طالت معظم البلاد الاوسانيه) .

في حين ان هذا المكرب السبئي العظيم لم يتعرض بالتفصيل لوقائع المعارك مع القبائل الحميريـــــة العظيمة ولا لمدن حميريه طالتها جحافلة في بلاد دهسم (يافع) وتبنى (تبن) سوى ما ذكـــره بخصــوص عورم (العود) وعليهٔ فاننا نستنتج ان :

بعض المناوشات ليس الا قد حدثت على أطراف (سروحمير/يافع) و لم تجرؤ القوات السبئية علــى مهاجمة القبائل الحميريه المتحصنة في سروها المعروف اليوم "بيافع" وانمـــا اي القـــوات الســبئية قــد اصطدمت بأحد المراكز الحميريه في مخلاف العود وربما لبعض المناطق الواقعة على جانبي (تبن) غير انـــه لم يشر إلى مدن عظيمة نحو "عدن" فلا تكفي عبارة (وكل البحار التابعة لهذه المناطق ..(٨-١٣) . [١٤]

والمفهوم من نص الإجراءات المتخذة بحق (دهسم) (وتبنى) و (دثنت) إلحاقها في دائـــرة النفــوذ السبئي غير ان اقتطاعه لعودم (العود) ومنحها للملك (دهسم) يؤكد طرحنا القائل بعدم نشوب المعـــارك داخل حدود (دهسم) في الأصل وأن هذا العطاء الذي خص به ملك دهسم يخلص بنا إلى القول بـــأن (كرب أيل وتر) قد مارس مع (يافع القديمة) سياسة الاحتواء لانه كان يدرك أنها اســـــاس التحـــالف المشرقي الذي تظهره فيما بعد نقوش مكاربه قتبان باسم **(ولد عم و اوسان وكحد ودهس وتبــــني)** نعم فكما سنلاحظ لاحقا أهمية هذا التحالف المشرقي .

نود هنا التأكيد أن لا تبعات أو عقوبات قد أفرزتها تلك الحرب بحـــق (دهســـم و تبـــني) وأن الأضرار المذكورة في النقش لم يتحملها أحد من (دهسم أوتبنى) ، "فدهسم" على العكس من ذلك قــد غنمت "مخلاف العود" الذي كما يبدو كان خاضعا مباشرة للدولة الاوسانية حينها والـــتي خســـرت وملكها (مرتوم) تحالفها مع (دهسم و تبني) وتعرضت أملاكه **(ربما قصــــوره ومراكـــز إدارتـــه) في (دهسم وتبني) للمصادره** ، **(أسطر ٨-١٣)** ونرى في هذه المصادرات غنائما سلمت في الأصل للملــك (دهسم وتبني) ضمن سياسة الاحتواء الموجهة أصلا ضد أوسان وملكها (مرتوم) وذلك مـــن خـــلال استمالة أقوى حلفائه من القبائل الحميريه النازلة في (سروحمير/يافع) وماصاقبها جنوبا وغربا من بـــلاد (تبني) . هذا على اعتبار أن المقصود بـــ(دهس) وفقا للشواهد التي أوردناها هي بلاد يـــافع اليـــوم أو

بعض منها وهو الاحتمال الاكبر، أما في حالة أخذنا بقول القاضي محمد بن علي الاكوع :

- **دهس : بفتح أوله وسكون ثاليه وآخره سين مهمله ، و**
- **تبنى : بفتح التاء المثناه من فوق وسكون الباء الموحدة وآخره ألف مقصورة : موضعـــان متاخمان لمرخه وشرقي مسوره (سرومذجح) بلاد البيضاء .** [١٥]

الأخذ بهذا القول يترتب عليه أمور أكثر تعقيدا أيسرها منالا هو ىلغياب (المطلق!) لبلاد حمـــير (سروحمير) من نص النقش مما يعني غيابها أيضا عن تيار الاحداث والوقائع التي سجل لهـــا النقـــش .. وهذا الأمر بدوره يثير معضله فحوأها أين كانت (سروحمير/يافع) حينها من زخم الصراع الذي كانت تعيشه اليمن القديمه ؟!

مما لاشك فيه أن الاجابة على مثل هذا السؤال ليست ميسوره خاصة في ظل غيـــاب النصـــوص النقشية المضاده وكذا المصادر المحايده . من هذا المنطلق فأننا نعود الى طرحنا السابق القائم على القـــول بأن بلاد (دهس) قد كانت بالفعل ما يعرف اليوم (بيافع) أو حيزا منها وأن صاحب نقش النصر قـــد عرف كيف يستميلها بعد مناوشات طفيفه وقعت على اطرافها ومعارك كان مسرحها على أبعد تقدير بعض أراضي ردمان القديمة (السواديه اليوم) وذي هصبح بحاضرتها المعروفة تاريخيا بــ (حصي) حيـــث مدينة البيضاء اليوم تشكل التخم الشرقي (لسروحمير/يافع) ، ولانستبعد حدوث مناوشـــات أيضـــا في قاع وادي تيم ناحية ردفان ... هذه الاحتمالات نطرحها هنا لان هذه المواقع التي تجاوزنـــا بذكرهـــا حدود المنطوق في نص النقش هي المواقع التي شهدت في عهود لاحقة وقعات كبيرة في اطار الصـــراع التقليدي بقطبيه السبئي والحميري .

II. يبدو أن هذه التسمية (دهسم) قد استمرت تطلق على يافع أو على بعضها الى نهاية الالـــف الاول قبل الميلاد فكما تظهر النقوش القتبانية العائده الى القرن الثانية قبل الميلاد أن يافعا ظلت محتفظـــة بهذه التسمية في اطار التحالف المشرقي أو أرهاصاته الاولى تحت المظله القتبانيه وبرعاية معبودها (الالـــه عم) الذي ما أنفكت أثاره الحيه شاهدة على مكانته في (سروحمير)وثقافة قبائله حتى العصـــر الراهـــن والتي سنناقشها فيما بعد . نعم في القرن الثانيه قبل الميلاد تشترك بعض القبائل الحميريه تحـــت هـــذه التسمية (دهسم) في مشاريع للبناء وشق الطرق ورصفها في قلب البلاد القتبانيـــــة .. ففـــي النقـــش (ربرتوار/٣٥٥٠) الذي اكتشف محفورا على صخره في ممر مبلقه (مبلقت/قديما) الذي يصـــل الى وادي بيحان بوادي حريب نقرأ مانصه (بالحرف العربي هنا) :

يدع اب/ذبين/بن/شهر/مكرب/قتبن

وكل ولدعم/واوسن/وكحد/..د/ودهسم

و تبنو/ مخض/وبرر/ووزل/وصلل

منقلن/مبلقت/اسن برم/وحرب/وبين

وسحدث/بيت/ورم/واثرت/ومحتن

ملكن/بقلي/عنشا/قتبن/واخيل/ذبرم

وهربت/بعثتر/وعم/وب/أبي/وب/ حكم

وبذت/صنتم/وبذت/ظهرن/وبذت/رحبن/ . [١٦]

وهو ما معناه:

يدع أب ذبيان بن شهر مكرب قتبان وكل ولدعم وأوسان وكحد /../ودهس وتبن ، شـق وبرح ونعم وصلى (بلط بالصلاالقطع الرفيعة من الاحجار) "نقيل مبلقه" بين برم (بيحـان الاسـفل) وحريب . وبني وجدد بيت ردم (أله) وأثره (الهه) ومختن الملك بقلي ، بزجى (قوه) قتبان وحـول ذي برم وهربت (حنوالزرير) ، بعون عثتر (الاله الوطني لليمن القديمة) وبعون (الاله) عم وبعون أبنى (الـه) وبعون حكم (اله) وبذات صنتم (الهه) ، وبذات ظهران (الهه) وبذات رحبن (الهه) .

هذا النص يفيد باشتراك (دهس وتبن) في هذه الاعمال الانشائية القتبانية الكبرى في القرن الثانيـة (ق.م) تحت رعاية مكرب قتبان (يدع أب ذبيان بن شهر) ويذكرنا بصيغة الارتباط السياسي القـائم بين (دهس وتبن) .. ولاغرابه انه حتى في عهد (الهمداني) وفي مالحقه من العصور ظلت هذه الرابطـه قائمه بين قبائل **(سروحمير وحلالهم وأحلافهم من بني جعده) (الاعضود الضالع وحالمين وردفـان) /** أنظر صفة جزيرة العرب ص١٧٣ .

وهنالك العديد من النقوش من نفس الفترة تظهر فيها (دهس وتبن) في اطار التحالف المشـرقي المشار اليه آنفا ومنها :

- **ربرتوار/٤٣٢٨**
- **ركمانز/٣٩٠**
- **ربرتوار/٣٨٧٨**

وهذا الاخير يتلقب فيه (يدع أب ذبيان بن شهر) بالملك . [١٧]

وفي القرن الأول بعد الميلاد استمر هذا الاسم عالقا (بسروحمير/يافع) كما ذكر العالم الرومـاني (بلينيوس/٢٤-٧٩ للميلاد) :**"حيث ذكر ان المر الأبيض كان ينتجه مصدر واحد هو بلاد دهـس**

المعروفة اليوم ببلاد يافع التي كانت ممرا للقوافل التجارية "[18] في تلك العهود الغــابرة. وكــانت تصدره عبر ميناء (عصله) على الساحل الابيني.

ولاينبغي هنا ونحن نعرض لاقدم تسميات (يافع) كمــا وردت في نقــوش المســاند والمصــادر الكلاسيكية ، لا ينبغي ان يتبادر الى الأذهان ان قبائل سروحمير (يافع) لم يكن لهم حضور تــاريخي الا في النطاق المشار اليه بصيغة هذا الاسم (دهس وتبنو) ، فقد كان لهم من الحضور الفاعل في مجريــات وأحداث اليمن القديمة ما يعود الى عهود سابقة بكثير على عهد صاحب نقش النصر الكبير **(كــرب إل وتر يهنعم بن ذمار علي بين) .**

- **أقدم الشواهد النقشية:**

على الوقائع الحميرية في حضرموت القديمة :

سجل النقش (ربرتوار/٢٦٨٧) المحفور على لوحة طويله توجد (اليوم) على الجدار الذي يقطــع وادي (البناء) (قلت / قديما) "سجل" وقائع الضغط الحميري في عهود حضرموت الاولى المعروفة :

نظام المكربين الذي يفترض أن يكون سابقا للتحول الى نظام الملكية الخاصة . وفي عهود أولئــك المكربين تعرضت حضرموت لغارات حميريه على مناطقها الساحلية (ربرتوار/٢٦٨٧) [19] وفيما يلــي نص النفش (ربرتوار/٢٦٨٧) بالابجدية العربية : [20]

(١)شكمم / سلحن / بن / رضون / قتدم / همراس/ يشكر أل / يهرعش / بن / ابيــدع / مكرب / حضرمت / مت / امرس / مراسوو (٢) هيسع ال / علهن / بن ال / ورّوسم / مســبض / بن / ظرب / هبنا / عقبتهن / وعقبت / حجر / علهتيهن / بن / بحرهــن / قدمــم / علــهي / جربت / وهمت / وجسممي / جنا / قلت / وعقبهن / مت / حذرو / بحميرم / وتبع / هيســع أل / ودوسم / وعم سمن / بن / أبهني / حضرمت / ومتسك / بــ(٤) ميفعت / وضيفتهن / قرهــم / وبني / ويعر / عقب / ضيفتهن / وبني /جناهن / ومحفديهن / يذان / ويزتان / وخلفهن / يكــن / بمعرب / وسلام / وضويم / (٥) / وابري / بنمو / ربىم / أد / شقرن / بنمو / لبن / شمــس / ذهي / يشرح ال / ذعذذم / شلست / أورخم / بعشري / ومات / أسلم / جسمهم .

وهو بما معناه على غريب الفاظه ، وبصورة أوليه :

شكم سلحان بن رضوان (من بني رضوان) تقدم لسيده (مولاه) : يشكر ال يهرعش بن ابيــدع مكرب حضرموت ، وحالما أمره سيداه هيسع أل علهان (من بني أل) ودوس "مضبس" **(بالقلب : مــن معانيها الشكس ، المهر / ابن منظور / اللسان / ٦/ ماده ضبس)** من بني ظارب .. تقــدم لبنــاء

العقبه (عقبة قلت) وعقابه بحيث حجر عليهما من جهة البحر بحائط مطوى بالحجارة الجسمه . **هـــذه التحصينات من حين حذروا من حمير (اي من الغارات الحميريه)** وما اعقبها من مرابطـــه هيســـع ال ودوس ومن معها من بيوتات حضرموت من (ميفعه) (وضيفتهن) في القرنه (مركز الحراســـة) ، وقـــد تفانى في بناء حصن ضيفتهن والسور وقصريهما (يذان ويزتان) ومن وراء هذه التحصينـــات المعـــراب وسدوم والضاوي (قبائل) ، ووثقها من ساسها الى رأسها باللبن المجفف بالشمس بما في ذلك مخارجها.

كان هذا في العشرين بعد المئه الموافق الثالثة من تولي يشرح أل ذي العز منصبه .

(+) حدد أصحاب مختارات من النقوش اليمنية القديمة هذين الموضعين :

* **ميفعت** : هذا الموضع في رأي (فون ويسمان) و(هوفنر) هو الخربـــة المشـــهورة المســـمأه الان (بنقب الهجر) ، وهذا ارجح الاراء وان كان (رودوكاناكيس) قد ارتأى انه موضع آخر بمسافة يومـــين شرقا والمقصود قرية (ميفع) التي يصب عندها نهر حجر ماءه في البحر . ومما يرجح الرأي الاول هـــوان (ميفعه) يطلق على الوادي الذي يعد امتدادا (لعماقين وحبان) بعد التقأهما اسفل (عزان) . وتقع (نقـــب الهجر) الى جوار هذا الوادي .

* **ضيفتهن** : كثر في النقوش ذكر قبيلة بهذا الاسم تسكن جزاءا من وادي (حبان) صاعدا مـــن (نقب الهجر) ، فاما ان يكون الاسم هنا اسم المنطقة القبيلة حول (نقب الهجر) او اسم أحد المجـــلورتين له .[٢١]

* يرى اختصاصيو الاثار في بالالفاظ الواردة بعد يذان ويزتان : وخلفهن يكن بمعـــرب وســـدم وضويم . اسماء حجارة استخدمت في ترميم الجدران الخلفية لقصري (يذان ويزتان) غير انهم لم يقطعـــوا بشأنها .

وأرى في وهذه العبارة افتخارا بقوة قبائل قديمة هي المعراب وسدوم وضاوى مهمتها الدفاع عـــن هذين الصرحين رمز السيادة والعزة في حضرموت القديمة مثل سلحين (في مأرب) وريدان (في ظفـــار حاضرة الحميرين) . واذا لم يجانبني الصواب:

* **المعراب : تعني المعراب المنطقة الساحلية الواقعة الى غرب الشحر كزغفه والمعينه وهي الحـــد الفاصل بينهم وبين المناطق السيبائيه الحميريه .** [٢٢]

أما سدوم فهو اسم احد الموتفكات مدن قوم لوط وقد تصدينا لهذا الامر بـــــالبحث الدقيـــق في (الجزء الاول من كتابنا) ورجحنا القول بأن قلب بلاد نبي الله لوط (عليه السلام) كانت دثينه:

*** دثينه : (دثنت/ذت/ثبرم)**
(ربرتوار/ ٣٩٤٥)

أي : دثينه الشبور

وتطرقنا الى مدن المؤتفكات في منطقة تمتد من سهل (برامس) الابيني الى الشحر (امعين في النقوش) ولن يخفى أمر (ضاوي)على الباحثين .. فان من كلف هذه التحصينات لمدينتي (ميفعه وضيفتن) كان لايعول على التحصينات فحسب بل ويستثير همم تلكم القبائل للدفاع عن تلك المراكز الحضارية في وجه الزحف الحميري القادم من مرتفعات يافع . نتيجة لتلك الغزوات الحميريه المكثفة على سواحل حضرموت في عهد مكاربتها يرى بعض أهل الاختصاص أنه :

في نحو ذلك الوقت خسرت حضرموت بعض الاراضي التي استولت عليها
اوسان والتي أعادها اليها فيما بعد (كرب ال وتر) السبئي (ربرتوار/٣٩٤٥)
التي شملت حروبه مناطق أمتدت من (ميفع) الى (عرمه) وكان على
حضرموت وقتها حليفه (يدع ال) . [٢٣]

هذا التحالف الحميري الاوساني الذي يمكن عودته الى الالف الثانيه قبل الميلاد والذي أدى في ذروه زحمه الى بسط النفوذ الاوساني على المناطق الساحلية في تلكم العهود الغابره **"وما يقوم عليها من ثغور وموانئ تقوم بالمتاجرة مع السواحل الافريقية والتي ربما كان من بينها ميناءا (عدن) (وقنا)"** [٢٤].

"ويؤكد هذا الظن اشارة عابره جاءت في (البريبلوس) تصف الساحل الافريقي شمالي زنجبار بالساحل الاوساني . وهذه الاشارة ، التي جاءت بعدما يزيد عن خمسمائة عام من انتصار سبأ على اوسان ، انما تدل على عمق الأثر الذي خلفه الاوسانيون في تلك البقاع ، وهو امر لايمكن أن يحدث الا نتيجة لتاريخ طويل من الوجود المستمر والنشاط الفعال والنفوذ الحقيقي". [٢٥]

والقوات الحميرية التي كانت تقاتل في تلك الوقائع تحت الرايه الاوسانيه لم تكن لتفعل ذلك ارتزقا بل كانت تندفع متوسعة على حساب حضرموت وسبأ نفسها وفي سبيل توسيع النفوذ الاوساني الذي يكن شيئا آخر سوى النفوذ الحميري نفسه تحت يافطه (أو عائلة حكم) عرفت باسم السلاله الاوسانيه . ولا نرى غرابة في قولنا هذه خاصة وقد ذكر لنا لسان اليمن (الهمداني) نسب (ذي أوسان) في شجرة نسب حضرموت بن سبأ الاصغر فهو أي أوسان (السلاله الاوسانيه) :

أولد حضرموت بن سبأ الاصغر :مره بن حضرموت ، وفيه البيت والحارث
وشبيبا وربيعه وفهدا وتريم ، بالتاء ، وتنعم بضم التاء بطون كلها ويقول ابن
الكلبي : ودعيما . فاولد مرة بن حضرموت : يعفر بن مره . فاولد يعفر
معاويه والقيل ، ابني يعفر . فاولد معاويه بن يعفر : واللابن معاويه : كنيعا

كذا رواه أبو نصر ، وأحسب ان بعض الحضارم قال متيعا ، ولعل ان يكون بطنا منهما أخر صغرى قد ذكرناه ، (وذا أوسان) وذا صائد بني وائل " [٢٦].

واذا كانت عاصمة الدولة الاوسانيه مازالت ضائعة حتى اليوم فان بعض أهل الاختصاص يرون في : **"هجر الناب من أعمال وادي مرخه . خرابه قد تكون خرابه العاصمه لمملكة أوسان الضائعه ويرى آخرون خلاف ذلك "** [٢٧].

نعم فان البعض الآخر يرون في أحد خرائب (بيضاء حصي) المتاخمه للحدود الشرقية (لسروحمير/يافع) حاضرة الدولة الاوسانيه . ففي منطقة (العناق) اليافعيه الشهيرة اليوم باسم (الحد) غربي البيضاء توجد خرائب أثرية عتيقة منها خربة (هديم وديم) التي عثر فيها على لقى أثرية منها (نقش) (روبان/بني بكر) الذي سجل لوقائع الصراع الريداني "السبئي" وثورة بني ريدان في مرتفعات يافع في مطلع الالف الاول بعد الميلاد .. **نعم "فخربة (هديم وديم" هذه تقع على تبه جبلية بعيده من قرية "قطن" المتاخمة حدود "مسوره" عاصمة مملكه أوسان القديمة ، ومساحة التبه أقل من كيلو متر طولا وأقل من ٢٠٠ متر عرضا "** [٢٨].

من هذين القولين يتضح لنا الى أي مدى كانت الدولة الاوسانيه حميريه البيئة بالفعل ، ومازالت أحد المواقع الاثرية في منطقة العناق (عنقيم/توراثيا) تحمل ذكرى هذه السلاله الحميريه الاوسانيه :

* **شرف أوسان** : تعرف هذه القرية اليوم الواقعة في رأس وادي (دان) المذكور في كتب الاحباريين بـ : **"شرف بن عوسان" ، وشرف تعني مرتفعا يطل على وادي-حافه جبل-(وعوسان) تحريرا لاسم (أوسان) ، هكذا يروي محمد حسين الشرفي ، وفي القرية خربتان (خربة العنس وخربة الريد) وفي هذه القرية تجد ملامح أثرية كثيرة ، إذ تجد على القمم صخورا مسوده وناعمة مرميه على عرض الجبل وفوق الجبل وعلى الصخور كتابات كثيرة . بخط مسند دقيق ، وهي خطوط قديمه محفوره على الصخر وقد امحت تدريجيا بسبب تعرضها للشمس والرياح والامطار والاتربة ، ولا يستبعد وجود آثار أخرى في هذه المنطقة ، وبالذات تحت كتله الصخور التي يحتمل الها كانت جدار واحد فارتمت على ظهرها"** [٢٩].

ويبدو أن كلا من **(هجر الناب)** في وادي مرخه **(ومسوره)** الواقعه على حدود يافع الشرقيه كانت حاضرتين للدولة الاوسانيه في عهدين مختلفين ، تماما مثلما كانتا **(صرواح)** و **(مأرب)** بالنسبة للدولة السبئية . ولعل الضربة القاصمه التي وجهها نابليون اليمن القديمه (كرب أيل وتر يهنعم/I) في منتصف الالف الاول قبل الميلاد للمستوطنات الاوسانيه في المناطق الشرقيه بما فيها (نصاب) من

العوالق العليا ووادي (خوره ومرخه) ونواحي (ميفعه) كانت السبب في بعض التغييرات التي حصلت في العهود اللاحقة للسلالة الاوسانيه التي ظلت أحد أعمدة التحالف المشرقي حتى القرن الثانية بعد الميلاد حيث أعلن عن ولادة هذا التحالف بهذا الاسم (مشرقيتن/ المشرقيه) **بحيث تولى قيادته القيل الروماني (وهب إل يحوز بن معافر) وذو خولان وكل ولد عم وأوسان والملك الحضرمي (يدع إل) (ونبط) ملك قتبان (نقش جام/٦٢٩)** [٣٠] . فكما ذكر صاحب نقش النصر اسم الملك المنكود الحظ الذي شهدت أوسان إنهيارها على يديه وهو :

* **(مرتوم)**

حيث لم تسلم قصوره في (مسور) من التخريب :

"وطمس كل كتابة ثالت من كرب إل من بيته .

(مسور) وكتابات بيوت المتهم ... بيته .

مسور" الاسطر (٤-٧) . [٣١]

ويعلق (د/بافقيه) على أن هذه الكتابات التي تعرضت للطمس لانتقاصها من (كرب إل) ربما " **سجلت هزائم سابقه الحقت به** " . [٣٢]

هذه الامور التي حلتبالعائلة المرتوميه (نسبة الى مرتوم) دفعت بها في محل اقامتها في (هجر النساب) للانتجاع الى الطرف الشرقي من السرو (يافع) كي تأمن على نفسها من نكاية الاعداء القدماء هذا ما يقوله أهالي الحد (العناق) عن قبيلة (أم ردامه) التي ضعنت من وادي (خوره): " **أهم روافد وادي مرخه .. الذي تقع فيه مدينة (خوره) : المركز التجاري الذي أشتهربغابات النخيل التي يقدر عددها بحوالي أربعين الف نخله ، وتقع خوره الى الشرق من البيضاء** " [٣٣].

واليوم لها قرية كبيرة في منطقة (العناق) يحيط بها (غيل الفلاحي) ووادي (قنطنان) من الشمال والغرب (ومثنان) الى الشرق منها وتعرف بقرية (أم/مردامه) :

* **ام** : سابقه التعريف الحميريه
* **مردامه** : مردم (بدون تصويت وبدون الهاء)
* **مردم** : مرتم (بابدال الدال من التاء) وهو الملك الاوساني(مرتوم) ورهطه أو عائلته هم المرادمة (مراثمه) وقريتهم أم-مرتامه(ام/مردامه) .

هذا فيما يخص التاريخ المشترك للسلالة الأوسانية (الحميرية) والقبائل الحميرية العتيدة في(سرو حمير/يافع) .

- **سرو حمير في العهود القتبانية:**

إذا كانت المملكة الأوسانية قد شتتت ووزعت مناطقها على الدولة السبئية ومعبودهـــا(المقـــه) وحلفائها من الحضارم والقتبانين الذين كانت لهم ثارات مع الدولة الأوسانية المنهزمة. فخص(كرب ال وتر يهنعم/I) حلفائه الحضرميين بما خسروه في وقائع سابقة مع الدولة الأوسانية:

(ووهب لسين وحول[إلهي حضرموت] وليدع إل ولحضرموت أراضيهم من تحت ذي أوســان (بن تحتي ذا أوسان). [أي التي كانت تحت يد أوسان]). [٣٤]

وخص القتبانيين أيضا بنقل أراضيهم وتخومهم التي فقدوها سابقا في الغزوات المتكررة التي كـانت تشنها الدولة الأوسانية على البلاد القتبانية وجعلها في حيزة سبأ ومعبودها وملكها:

(ووهب أراضي عم وانبي(إلهي قتبان) وورو إل من تحت ذي أوسان نتيجة لمخالفـــة (بـــذات آخو) حضرموت وقتبان ل المقه وكرب إل وسبأ). [٣٥]

غير أن بعد هذا الإجراء التأديبي يعود عن قراره بعد أن لمس الإخلاص من(ولدعم) للكيان السبئي كما نص عليه نقش آخر (ربرتوار ٣٩٤٥/ب) :

(كما قام بإصلاح مسايل المياه حول [تمنع] وسور عددا من المدن هناك. وأعطى ل(ولد عـــم) كل مدنهم لأنهم حالفوا المقه وكرب إل وسبأ). [٣٦]

فيا ترى كيف آلت مصائر الحميريين في سروهم(يافع) إبان الازدهار القتباني هذا ؟

- **سرو حمير إبان العهد القتباني:**

كما ذكرنا آنفا أن الوجود الحميري القوي في (سرو حمير/يافع) لم يتأثر في مستوطناته المحصنـــة في مرتفعات يافع ، وكلما عمله المكرب السبئي العظيم(كرب إل وتر) تجاه هذا الزخم الحمـــيري في(أرض دهس) كان يهدف إلى احتوائه وعدم الإصطدام به مباشرة... وتعرض جحـــافل جيوشـــه الســـبئية الفيشانية(للعود). كان في اطار الحرب على مناطق النفوذ الأوساني على وجه التحديـــد ولامتصـــاص النعرة القبلية لدى البطون الحميرية(اليافعية) التي قد تحصل من جراء الاستيطان الســـبئي في (العـــود) المحسوبة بلا شك في نطاق حمير قام المكرب السبئي بكسب أبناء (دهسم) من خلال إعـــادة (العـــود) لملكهم بينما أنتزع من السلالة الأوسانية ، البطن المعروف ب(ولد عودم) وهم الفئة المتنفذة في شـــؤون خلاف العود ، ولكنهم كما يظهر من النقش كانوا متواطئين مع كرب إل وتر:

(وقاموا بدور الطابور الخامس في صفوف أوسان كمـــا يستشـــف مـــن الإشـــارة إلى (ولـــد عودم)). [٣٧]

فدورهم هذا جعلهم يطلبون الانضمام بأهاليهم وأملاكهم إلى داخل الأراضي السبئية خوفا من سطوة القبائل الحميرية(دهسم) التي تسلمت(مخلاف العود). على هذا النحوفأبناء(دهسم) قد أخذوا يميلون بثقلهم في اتجاه الدولة المنتعشة ، ونقصد بها القتبانية وانغمسوا في مراكز النفوذ فيها و لم يكونوا على الإطلاق حسبا غريبا عنها... ولا أبالغ في القول أنهم كانوا بيضه القوم وأصحاب الكلمة فيها لا من خلال انغماسهم في مشاريعها الإقتصادية الإنشائية فحسب كما رأيناهم يشتركون في شق وبناء دروب القوافل الكبرى مثل(نقيل مبلقة) على عهد مكاربة قتبان في القرن الثاني قبل الميلاد (ربرتوار/٣٥٥٠) بل وفي الشواهد الحية التي ما زالت باقية حتى اليوم في(سرو حمير/يافع) الدالة على مكانة أبناء سروحمير في الشؤون القتبانية وثقافتها الدينية على وجه التحديد.

- **آثار الإله(عم) في يافع:**

اشتهر القتبانيون بمعبودهم(عم) وأقاموا له المعابد والأربطة :

(في مناطق مملكتهم، يزوروها ويتقربون إليه بالقرابين فيها، وأهم معبد وجد في قتبان، كان في منطقة تسمى(لبخ) تقع جنوب غرب مدينة(تمنع) العاصمة القتبانية ، وكان لهذا المعبد أراض زراعية موقوفة له... وقد كان إله القمر عندهم. [٣٨]

فإذا كانت (سرو حمير/يافع) تقع في نطاق السيادة القتبانية آنئذ ، فيا ترى هل عبدت إله القمر الشهير عند القتبانيين ب(عم) وهل أقامت له معابدا فيها ؟

- **معبد الإله عم في العر:**

ورد ذكر الإله (عم) في نقش (جامع بني بكر) وهو نقش تعرض له بالتحقيق (د/ محمد عبد القادر بافقيه + أحمد باطايع) ضمن دراسة نشرتها حوليه(ريدان) تحت عنوان: (نقوش من الحد).

ونص هذا النقش بالحرف العربي عوضا عن المسند في الأصل:

1. **..../ووترم/ ودوسم/ بنو/يشرن/وسيض.** ؟؟؟
2. **...و/عبدعم/وهوفعم/بنو/ذسفرم/أقول/شعبن/سفرم.**
3. **عشقو/وسقح/ابرت/شمسهو/بعرن/...**
4. **عم(؟) بأخيل/شعبسمو/ومأدبتهمو/سفر.** [٣٩]

لقد تصدى (بافقيه/باطايع) لمفردات النقش بالشرح وفيما يلي نسلط مزيدا من الضوء على العكر والغامض في النقش :

ذكر أصحاب النقش في السطر الأول اسمائهم وهم:
وترم/ودوسم/بنو/يشرن/وسيض.

لم يفت محققنا النقش ملاحظة غياب أول الأسماء في النقش للتلف الحاصل أول السطر ولثبوت حرف العطف(الواو) قبل اسم (وترم) الذي يكون (وتر) إذا اعتبرنا (الميم) لاحقة التنوين = أي التميم في العربية الجنوبية القديمة . أما(دوسم) فهو (دوس) لأن الميم لاحقة التنوين الحميرية. وهما من بني (يشرن) وهي عشيرة حميرية بلا شك الأمر الذي لم يغب عن محققي النقش ، فهل ل(يشرن) اليوم من باقية ؟

عثر على هذا النقش في (جامع بني بكر) ولهذا فقد نسب إليها ، أي إلى (بني بكر) وهي أكبر القرى اليافعية ، وتقع في التخوم الشرقية ل(سرو حمير/يافع) ، **وهي تعج اليوم بالآلاف من سكانها المنتمين إلى قبيلة (البكري) اليافعية...**[40] وإلى الشمال منها تقع منطقة السوادية الشهيرة بآثار(ذي معاهر)...وهكذا فينبغي البحث عن(يشرن) في نطاق منطقة (الحد):

*يشرن: (ريشن/بالقلب)-والقلب معروف في لغة نقوش المساند الحميرية، فمدينة (نشق) في الجوف يظهر اسمها في بعض النقوش (ربرتوار/٣٩٤٥) في صيغة القلب(نقشم/أي نقش)- أما عشيرة (ريشن) فهي اليوم ما زالت حية في تسمية تطلق على واد من غرر أودية(سرو حمير/ يافع) وهو:

ريشان /: بالتصويت: واد كبير في منطقة (الحد) وهي الطرف الشرقي ل(سرو حمير/يافع) ومخارج (ريشان) تسيل عبر وادي(حمره) ومنه عبر وادي (حطيب) الشهير بأنه الرافد الأول لوادي (بنا) ووادي(ريشان) هو اليوم حلال قبيلة (الجوهري) اليافعية وهي أحد أرفاد(مكتب الموسطه).[41]

غير أن أصحاب النقش لا ينتمون إلى(يشرن/ريشان) فحسب، بل وإلى عشيرة أخرى تظهر في النقش أحرف تسميتها شائهة ، وقد وضع (بافقيه/باطايع) الاحتمال التالي بشأن بقايا أحرف ذلك الإسم:

ما بعد (يشرن) أغلب الظن يبدأ بواو بعدها سين أو ألف أو صاد أو سين ثم حرفان ففاصل فواو.[42]

وبناء على هذه الفرضية القائمة على تجانس تلك الأحرف في هيئتها حسب خط المسند ، فإننا نرجح أن تكون العشيرة المقصودة هي :

* أذان: (أذانم في النقش) : (أذان): قبيلة ذكرها لسان اليمن الهمداني في عداد قبائل (سروحمير/يافع) :

(فالعر لأذان من يافع).[43]

هكذا وردت في الصفة)بالذال المعجمة) ، بينما **ذكرها الهمداني في (الإكليل/٢) في عداد**

البطون الخارجة من صلب (يافع بن قاول) استنادا إلى رواية محمد بن مسلم اليافعي ، غير أنها وردت بالدال المهملة، فهي(أدان). [44] وتعرف قبيلة(أدان/بالدال المهملة) اليوم بواديها المنحدر من سفح جبل(العر) المذكور في النقش. **نعم فقد تخلف اسم تلك العشيرة في واديها الذي يحمل نفس التسمية أي (وادي دان)** [45]. وقد أهملت الألف الأولى في الأسم كما أهملت في كثير من أسماء المواضع التاريخية نحو(أخر) المعروف اليوم في بيحان بهذه الصيغة (خر) و(أخله) الوادي المعروف في الأطراف الشمالية ل(سرو حمير/يافع) بصيغة اهمال الألف الأولى فهو وادي(خله).

وهكذا فأصحاب النقش من عشيرتي (يشرن = ريشان) و (أدان).

أما بقية أصحاب النقش فهم (عبد عم) و(هوفعم) وهي من الأسماء المركبة التي يظهر فيه اسم إله القمر عند القتبانيين(عم). وهذا يكفي دلالة على مكانة الإله(عم) عند قدماء الحميريين... وهم من سادة القوم وأكابرهم ، فقد وصفوا أنفسهم ب(اقول شعبن سفرم) أي (أقيال شعب سفار) هؤلاء الأقيال الملوك من (بني ذي سفار) فهل ل(ذي سفار) من باقية ؟

* **سفار:** اكتفى(بافقيه/باطايع) في وضع اسم (سفار) كسلالة حكم وتحالف قبلي (شعب) على شطر من خارطة الأطراف الشرقية ل(سرو حمير/يافع) أي على منطقة (الحد/ بالحاء المهملة) . غير أن هذا لا يكفي في مسألة تحقيق ذلك الاسم ، وهل من أثر يذكرنا به في الحيز الجغرافي الذي عثر على النقش فيه. أما أنا فأرجح أن الاسم قد تخلف في موضعين يقعان في نطاق الأطراف الشرقية ل(سرو حمير/يافع) وهما:

١) **الصبر:** صبار (بالتصويت) وابدال الصاد والباء من السين والفاء في (سفار) : الصبر-أحد أودية منطقة الحد الخصبة ، وتتجمع عبره فيوض أودية: الحصن/ وقريضة/ وقطنان . ومنه مثل وادي (ريشان) إلى وادي(حمره) ف(حطيب) ف(بنا). **ووادي الصبر هذا هو حلال قبيلة (الصبري/أو الصابري) المنسوبة إليه.** [46]

٢) **سمارة:** سمار(بإهمال التأنيث) وابدال الميم من الفاء في (سفار) ، إذا فهذا شاهد آخر عن شعب سفار... إذ (**سمارة) هي اليوم أحد قرى مكتب(ناحية) الحضرمي الواقع في الأطراف الشرقية(سرو حمير/يافع) ، و(السمارة) اليوم هي حلال بعض قبيلة (الثلثي).** [47]

بيد أني أضرب صفحا عن هذين الاحتمالين لأن أيا منهما لا يصلح أن يستوعب بمفرده وحدوده المعروفة لدينا اليوم قضية وجود تحالف قبلي كبير يقيم في نطاقه ، فكما بينا ف(وادي صبر) مهما رحبت جنباته فإنه يضيق أن يستضيف أحد شعوب حمير الكبرى ونعني به (سفار) وكذا هو الحال

بالنسبة لقرية(سمارة) الواقعة في نطاق (مكتب الحضرمي) غير أن هذه العلة لا تنفي مسـألة تخلف أو ترسب (ذي سفار) في هذين الموضعين. أما تعسف (بافقيه/باطايع) فيرجع في المقام الأول إلى عدم إلمام هذين الاختصاصيين في علم آثار اليمن القديمة بجغرافية وثقافة(سرو حمير/يـافع) ، فـهما (أولا) مـن حضرموت البعيدة نسبيا عن يافع. وجل معرفتهما عن تلك المنطقة مستقاة من القراءة عنها على نـدرة الآثار الكتابية عن (سرو حمير/يافع) خاصة فيما يتعلق بتاريخها العتيق.. ومن زوراهم القصـيرة لتلـك المنطقة الجبلية الصعبة التضاريس التي تستوجب في زائرها أن يقتحم شناخبها ووهادها تقحمـا ، وأن يوطن ذاته لتحمل متاعب السفر إليها ، الأمر الذي يحرم كثيرا من زوارها متعـة كشـف أسـرارها والمعكر من شأنها.(ثانيا) عزوف أبنائها أنفسهم عن تكريس جهودهم لقضية تعريف الناس بها وكسـر طوق العزلة الذي طالما أحاق بها منذ قديم العصور. وعليه فقد أشرنا إلى إخفاق محققي النقش في مسألة هوية(سفار)... إذا فماهو أكثر الاحتمالات أو الشواهد عن (سفار) التي انتسب أصحاب النقش إليـها ، وكانت لهم كيانا اعتصموا فيه وأداروا شؤون (القيالة) فيه دونما حاجة لأن يتبعوا ملكا محـددا مـن ملوك اليمن في تلك الحقب المجهولة ! إذا فهل ل(سفار) من باقية ؟

- **مقوالة سفار اليافعية:**

هي اليوم ما يعرف عند اليافعيين ب(السفال/أو ذي سفال) أي بالابدال بين حـرفي الـذلاق وهما الراء واللام ، حيث أضحت (ذوسفار) تعرف مع تعاقب الدهور(ذي سفال) وتضـم رقعـة واسعة من (هضبة ضهر يافع) أي ماذهب غربا من (جبل العر) مرورا بما تحلق من القرى والمواطـن حول (جبل حبة) و(ثمر) وما وقع بين (جبل أحرم) رأس لحد العياسي و(سنام) و (ذي كرسـوع) في الصميم من (مكتب الموسطة) وبكلمة أخرى ف(ذي سفار) كانت تشمل على أقل تقدير ما تضمـه اليوم أربعة مكاتب (نواحي) من يافع بني مالك وهي : الموسطة والضبي والبعسي والحضرمي. وقـد تجمدت ذكرى قيالية أو مقوالة(ذي سفار) اليافعية في طقوس خروج الحريوة-العروس- من بيـت أبيها مصحوبة بترانيم (الهدان/الدان) حيث تمزج الغواني مفاخرات بطلعة الحريوة التي غمر سـنائها أرض(ذي سفار)! :

طلعه(طلعت) شمعة من الدار　　　　واستضاءة ذي سفال(سفار)

فهذه (سفار) المقوالة الحميرية التي حفظتها ذاكرة الأجيال في صيغة التسمية الشـائعة (سـفال) الممتدة ما بين حدود مكتب (المفلحي) غربي يافع وجبل(العر)شرقيها.

وهكذا تتفكك لنا غوامض النقش الذي كرسه أصحابه لأعمال تأسيس معبد لمعبودهم(شمـس)

فلفظة (أبرث شمسهو) الواردة في السطر٣ من النقش تشير إلى هذا المعنى الذي ما زال يدرج على لسان أهالي (سرو حمير/يافع) فـ(البرت/ بالتاء المثناة) : تعني تسوية العرص أو العرصات للبناء. أما موضع معبد الشمس فهو (عرن/السطر٣). وقد نوه (بافقيه/باطايع) بهذا المعنى غير أنهما لم يحققا ذلك الموضع–ونحن هنا نحقق ذلك الموضع:

* **العر:** (عرن) حيث النون هي لاحقة التعريف في لغة نقوش المساند اليمنية القديمة.. إذا **فالموضع هو (العر) وهو الموضع الذي ذكرناه آنفا عندما عرضنا ل(أذان) وقول الهمداني فيه:**

(العر لأذان من يافع) [صفة/ص ١٧٢].

فهو عند (محمد بن علي الأكوع) محقق الصفة:

العر: وهو جبل عال منيف وفيه قرى ومزارع. [48]

و(العر) هذا هو ثالث ثلاثة جبال تشمخ برؤوسها في شرقي (هضبة ضهر يافع) وهم:

(العر وثمر وحبه) وقد ذكرهم صاحب (صفة جزيرة العرب/ص ١٧٢) على هذا النحو– وللجبل (العر) مكانة خاصة في نفوس القبائل اليافعية ،حيث يعتبرونه حارس الثغر الشرقي ل(سرو حمير/يافع) وفيه يقولون:

(العر باق ويافع بالوجود)

والمعنى هنا لا يحتاج إلى توضيح. وما زالت خرائب وآثار سدود تقبع في قمته حتى اليوم. وما يهمنا هنا هو أن (العر) كان موضعا لعبادة الشمس وفقا لنقش (جامع بني بكر). أما الأعمال التي قام بها أصحاب **النقش فقد كانت (بردء) أو (أخيل) أي (حول) الإله(عـم)...** وهذا لعمري أول الشواهد القطعية على مكانة الإله(عم) في (سرو حمير/يافع) في عهود القيالة التي ترجع حسب بعض آراء أهل الاختصاص إلى أقدم العهود من تاريخ اليمن القديم. بهذا نكتفي في شرح (نقش جامع بني بكر) وعليه يكون محتوى النقش على النحو التالي:

- **محتوى نقش جامع بني بكر/يافع:**

هؤلاء.... ووتر ودوس من (بني ريشان واذان) وعبدعم وهوفعم من (بني ذي سفار) أقيال شعب سفار (سفال)–زبروا هذا النقش– بمناسبة حسن اختيارهم وتوفيقهم في تمهيد (عرصه) معبد الإلهة شمس رأس جبل العر، وذلك بعون الإله عم وعزم شعبهم (تجمع قبائل) سفار وديدبونهم في العمل... [49]

ويشير هذا إلى عادة (المعاون-جمع معون) في سرو حمير/يافع.

وفي الفقرة التالية شاهد نقشي آخر عن مكانة إله القمر(عم) عند قدماء الحميريين في (سرو حمير/يافع) :

• معبدا الإله عم في اللم وسلم:

في نقش يرجع إلى القرن الثالث للميلاد عصر ملوك سبأ وذي ريدان (المرحلة البتعية الهمدانية)، اكتشف محفورا على صخرة في أسفل قرنين [٢كم شمال بيحان القصاب] ، هذا النقش (ربرتوار/٣٩٥٨) صاحبه القيل الردماني (نصر يهحمد المعاهري) ، الذي كانت (ردمان) في عهده تابعة للملك الحضرمي(العزيلط)، حيث ذكرت هذه المواضع فيه:

وعم/ذمبردم/بعل/سليم/ولمم/. [٥٠]

أما (سليم) فنرى فيها سلم(بدون تصويت) :

*** سلم: (بفتحات) قرية ذكرها الهمداني وهي عامرة في الجنوب الغربي من السوادية بمسافة ثلاثة كيلومتر ويقال لها(ذو سلم) .** [٥١]

وأما (لمم) فيقع بالناحية الشرقية من هضبة ضهر يافع (يافع العليا) وهو ما يعرف اليوم بقرية (اللم) لأن لمم هي (لم) فالميم الثالثة هي لاحقة التنوين العربية الجنوبية القديمة (لغة النقوش وعليه فإن (لم) هي :

***اللم : قرية تقع في حاز جبل (ثمر) الشهير، فيها أحد مساجد يافع العتيقة وتجن مقبرتها رفات أجداد سلاطين الدولة القعيطية في حضرموت. وقد ذكرها (حمزه لقمان) في عداد قرى الموسطة ثم القعيطي:**

(أحمدي: ويسكنون المناطق الجبلية في قرى: (اللم) وتسمى أيضا اليم و(بعاله) و(ردهيه) و(الحلوه). [٥٢]

فالتسمية العتيقة لهذه القرية هي (اللم) وتعرف لدى الأهالي (على مستوى يافع) أنها قرية تجتمع فيها القبائل اليافعية في أي شأن حلل، هذا ونفس المعنى نجده في لغة نقوش المساند:

(لم: تراضى ، اتفق مع أحد). [٥٣]

ويشير هذان الموضعان الواقعان في حيز جغرافي واحد هو (سرو حمير/يافع) إلى أهمية إله الخصب(عم ذي مبردم) أي منزل(البرد) وفي اللهجة اليافعية يقال:

* مبريد: إذا سقط البرد بكثرة. وقد عددت النقوش أوصافا شتى لهذا الإله فهو: (ريعن: الريع)

أي (المتنامي) ، و(سهرم) أي (المتيقظ) دائما لحمايتهم وللاستجابة لتضرعاتهم، و(ذريمتم) أي (صاحب الرفعة) ، و(ذمبرقم) أي (صاحب البرق) الذي يرسل البرق المبشر بالمطر، و(ذ زرم) أي (صاحب الغيث المنهمر) ، ويفسر اللفظ (زرم) بهذا المعنى استنادا إلى اللغة العبرية ، حيث (زرم) هناك الغيث المنهمر. ٥٤

هذه هي نعوت إله قتبان(عم) الواردة في النقوش غير أنني أتوقف أمام أحد (نعوته) التي لأعيت الباحثين، فرجعوا إلى المعجم العبري الميت ! بينما ما زال النعت شائع الاستعمال في لهجة(سرو حمير/يافع) الغنية بغريب الألفاظ.

*زرم: سال المخاط من أنفه، فهو مزرمم ، والمخاط: زرمه جمعها زرامم.

زرر: سكب من ألبوية ضيقة .

وعليه ف(عم ذو زرم) هو (عم ذو القطر) استنادا إلى اللهجة اليافعية ، فيافع كانت بيئة أصلية لمعبود قتبان بلاشك ، وفيما يلي نسوق لكم أحد الشواهد الحية التي تؤكد طرحنا بأن (يافعا) كانت بيئة خصبة لإله الخصب (عم).

*شعم ب/عم ذ السنة

خير من العام:

هذا القول الشائع لدى اليافعيين يمكن قراءته على هذا النحو:

شعم ب/عم هذه السنة

خير من العام (الفائت).

هذا القول(الدعاء) يردده الناس في (يافع) عندما يبدأ موسم الخير فتأخذ(سبول) الذرة بالخروج من أكمامها وترى الطيور جذله، منكبة على بكير السبول.. وذلك الموسم يعرف لدى الفلاحين ب(القتور) وفيه يقولون:

(بالقتور ظله العيله تدور)

أي (بالقتور ظلت العيلة(الفواخت) تدور).

نعم فمع أول بشائر الثمار يبتهج الناس ،فتجدهم يشاركون طيور السماء بحيث يقطفون من هذه البشائر (بواكر السبول) فتأكل مشوية أو مسلوقة وعند تناولها يسمع هذا (الدعاء) الآتي من أغوار التاريخ ومجاهله التي لم يعد للناس معرفة بها:

(شعم ب/عم ذ السنة خير من العام)

* **تشعم فلان:** فاز بأول الشئ من غنيمة أو وليمة... الخ.

* **العام:** في اللهجة اليافعية يعني (الحول) ما قبل الفائت. أما العام الفائت فينطق (بالمد):[عاما].

والناس بطبيعة الحال يجهلون معنى هذا الدعاء (فالمعنى كما يقال في بطن الشاعر)، وعلى كل حال فهذه معناه:

(تشعمنا بأول الثمر ببركة الإله(عم) ولتكن غلال هذه السنة بفضله خيرا مما في العام (قبل الفائت).

وفي نقوش المساند ابتهل قدماء اليمنيين ب/بشائر الثمار ففي النقش(أرياني/٧٠) العائد إلى عهد الملك السبئي (نشاكرب يامن يهرحب/٢) في القرن الثالث للميلاد نجد:

/فرعم/أمورت/دثا/وخرفم/وسعسم/ومليم/

بحيث وفقا لتفسير الإرياني:

- **فرعم امورت: بشائر الثمار.**
- **دثا: الصيف.**
- **خرفم: الخريف.**
- **سعسم: الشتاء.**
- **مليم: الربيع.**

وفي لسان العرب:

(شع السنبل وشعاعه وشعاعه: سفاه إذا يبس مادام على السنبل.

وقد أشع الزرع: أخرج شعاعه).

[ابن منظور/لسان العرب/٨/مادة شعع].

ودليل آخر نسوقه هنا كشاهد على رسوخ الأقدام اليافعية في الثقافة القتبانية ، ومدى انغماسهم فيها:

- **باء المضارعة القتبانية:**

أثبتت نقوش المساند القتبانية ظاهرة لهجية فريدة وهي استخدام القتبانين:

(الباء في أول الفعل المضارع القتباني علامة للرفع). [٥٥]

فعلى سبيل المثل، وردت عبارة في النقش القتباني [كياس رقم ٤٧,٨٢/٠٢) نصها في السطر الحادي عشر :

كل/منجو/بيكتربون.

(بحيث تقدير المرفوع بالفعل اعضاء العوائل كلهم،فالمراد(كل السوائح التي يوصلون بها)[٥٦]

هذه الظاهرة مازالت شائعة الاستخدام في (سرو حمـــير/يـــافع) حـــتى الآن، فالنـــاس في يـــافع يستخدمون (باء المضارعة) على هذا النحو:

بناكل ، بنشرب ، بنحرس

أي (ناكل ، نشرب ، نحرس).

بدرس ، بتلعب ، بيكتب.

أي (أدرس ، تلعب ، يكتب)

وفيما أعلم لا تنتشر هذه الظاهرة الصوتية في أي موضع آخر غير يـــافع لا في (بيحـــان) ولا في نواحي (مرخة) أو غيرها من المناطق الشرقية التي كانت واقعة في قلب الدولة القتبانية. فلم يفتني قـــراءة نصوص الرسائل التي تبادلها المستشرق السويدي(الكونت /كارلودي ليذبرج) مـــع وجـــهاء العوالـــق وبيحان والواحدي وعملائه من المناطق الشرقية هذه. و لم أجد ل(باء المضارعة) هـــذه أثـــر في تلـــك المراسلات التي قام بتحقيقها (د/ محمد عبد القادر بافقيه) في مجلدين : (المستشرقون وآثـــار اليمـــن) . ولعمري فإنه إذا صحت هذه الحيثيات ، أي عدم ذيوع هذه الظاهرة اللهجية القتبانية فيمـــا ســـوى (يافع) التي مازالت حية في لهجتها اليومية ، فما على اختصاصي النقوش إلا اعتبـــار هـــذه الظـــاهرة (يافعية) صرفة ، وتشهد على مدى النفوذ اليافعي القديم في الشوون والثقافة القتبانية.

إلى جانب هذا الحضور الحميري الفاعل في الحياة الاقتصادية والثقافية والدينية للدولة القتبانيـــة ، نجد هذا المد يتزايد تأثيره في تلك العهود التي أعقبت الحرب الشاملة التي شنها المكرب السبئي(كـــرب إل وتر) ليبلغ ذروته المهددة للوجود القتباني نفسه. فقد ذكر شـــف (Schoff) مـــترجم كتـــاب (الطواف حول البحر الأريتري) المعروف ب(البريبلوس) والعائد وفقا لـــرأي (شـــف) وآخريـــن إلى منتصف القرن الأول للميلاد:

(أنه ومنذ نهاية القرن الثاني قبل الميلاد على ما يبدو أخذ الحميريون يقتطعـــون أجـــزاء مـــن الأراضي التابعة لقتبان. وبنهاية القرن الأول قبل الميلاد ، تمت سيطرة حمير على الأجزاء الســـاحلية وفقدت بذلك قتبان سيطرتها على التجارة البحرية).[٥٧]

*** ذو العلس:** (ذعسلن/ربرتوار/٣٨٥٤) نقش حفر على أحد الألواح الحجرية الضخمـــة الـــتي بنيت بها البوابة الجنوبية لهجر(كحلان /تمنع قديما) ، ويعود إلى عهد الملك القتباني (شهر هـــلال بـــن

ذراكرب) الذي يصف نفسه بأنه:

(ملك/قتبن/شعبن/قتبن/وذعلسن/ومعنم/وذعثم/) [58]

أي ما معناه:

(ملك قتبان الشعب قتبان

وذي العلس

ومعين

وذي عثه /أو ذي عثتم.

ترى في أي فترة حكم هذا الملك القتباني (شهر هلال بن ذراكرب).؟

الجواب نجده فيما ذكر (البرايت) ومفاده:

(أن ثلاثة ملوك قد أتوا بعد (ور إل غيلان) صاحب المصكوكات الذهبية التي تحمل اسم قصره حريب... وأخيه الذي يظهر أنه خلفه في الحكم وهو (فرع كرب يهوضع)... وكان آخر الثلاثة هو صاحب نقشنا هذا أي:

(شهر هلال يهقبض)

الذي يرى **(فون وزمن) أن (تمنع) قد أحرقت على عهده حوالي(٩٠-١٠٠ للميلاد).** [59]

غير أن ما يهمنا هنا هو الشعب (القبيلة) (ذو العلس) هل لها من باقية اليوم ؟

* **العلسي:** (صيغة النسبة إلى علس) : تعرف هذه القبيلة اليافعية باسم(بني علسي) أيضا وهم أحد تفرعات (مواسطة يافع) وينتسبون إلى الربع الأول من مكتب (ناحية) الموسطة في (هضبة ضهر يافع) وأهم قراهم:

(صائب/ حقبه/ حصن حمار/ وادي حيق/ ذروة/ تبرق/ لقلع/ الجعاون). [60]

وهذا في نظرنا يشكل شاهدا آخر على مدى النفوذ الحميري في شؤون الدولة القتبانية.

- **الصعود الحميري:**

إلى جانب ميناء (عصلة) على الساحل الأبيني، والإزاحة المتواصلة للقتبانيين من قبل الحميريين من السواحل القتبانية ومع احتدام المنافسة على تجارة اللبان والمر ، وبالذات الأبيض منه، الذي كانت تنفرد بانتاجه بلاد (دهسم) حلال أشد القبائل الحميرية بأسا. في أجواء المنافسة المحمومة هذه للاستحواذ على مصادر الثراء:

(وحصر الحضارمة لمنطقة[ساكان/الساكل] والذي تعرف اليوم باسم (ظفار) ويقع في سلطنة

عمان ، وجعلها محمية لانتاج اللبان فأقاموا فيه ميناء خاصا(سمهر) تنقل منه حاصلات المنطقة بحـــرا إلى[قنا]). [٦١]

ومع تمكن بطالسة مصر في الربع الأخير من القرن الثاني(ق.م) من اكتشاف توجـــهات الريـــاح الموسمية الأمر الذي أدى إلى الإبحار من موانيهم مباشرة إلى موانئ الهند:

(خلال أربعين يوما عن طريق أعالي البحار [بدلا من الإبحار بمحاذاة الساحل، كما كان متبعـــا من قبل] والعودة بعد ستة أشهر بالطريق نفسها). [٦٢]

هذه المستجدات التي حصلت أثرت بدورها على ميناء (عدن). فلم تعد مسألة التوقف فيه باعتبـاره مرفأ للشحن والتفريغ ضرورية كما كانت سائدة في نظام تبادل السلع الذي كان قائما حينها. في هذه الفترة تماما ظهر على سواحل البحر الأحمر ميناء جديد هو ميناء (موزا) هذا الميناء المنافس يقع في نطاق السيطرة(الريدانية/نسبة لقصر الحكم في ظفار[ذي ريدان]) وعبره تحصل عملية تبادل السلع مع بلـــدان الساحل الإفريقي الشرقي... وفي هذه البيئة التنافسية أخذ الريدانيون يتطلعون نحو إحـــراز مكاســـب سياسية من خلال توسيع نفوذهم الذي لم يكن ليحصل إلا على حساب(التاج السبئي) الذي أخـــذت قبضته بالتراخي تحت تأثير المنافسة الداخلية . وتمكن بطالسة مصر من الاستئثار ببعض عوائد التبـــادل التجاري بين الهند وأوروبا.. وهي الصنعة التي كانت حكرا بيد قدماء اليمنيين.

(وبناء على اشارات بليني بخصوص ميناء (موزع) فإنه يحق لنا أن نستنتج أن الحميريين كـــانوا قد وصلوا في عهد بليني(+ح/٧٩م) إلى الساحل الجنوبي من البحر الأحمر وسيطروا على المعـــافر ، كما أقاموا حاضرتهم (ظفار) في المرتفعات على حدود سبأ). [٦٣]

ووفقا لوصف صاحب (الطواف حول البحر الأريتري) لميناء (موزع) فهو:

﴿مدينة تجارية يسودها القانون... مزدحمة بملاك السفن العرب والبحارة، مشغولة بالشـــؤون التجارية. فأهلها يتاجرون مع (الساحل البعيد) ومع (باريجازا) ويرسلون سفنهم إلى هناك.

و(موزا/موزع) بدون رصيف تربط به السفن ، لكن لها مرسى ومطرحا جيدا لطرح المرســـاة لأن قاع البحر رملي. والسلع الواردة إليها مؤلفة من الملابس الأرجوانية الناعمة والخشنة، تفصـــل مع الأكمام وفق الزي العربي . والثياب الصافية العادية والمزخرفة والممزوجـــة بخيـــوط الذهـــب وأقمشة الموسلين والعباءات والوشاحات وقليل من البطانيات ومقادير قليلة من المراهم وقليل مـــن الخمر والقمح ومقادير كبيرة من النبيذ.

وتقدم للملك ووالي المدينة الخيل والبغال والأواني الذهبية والفضية والملابس الفاخرة والأواني النحاسية.

وتصدر الأشياء التي تنتجها البلاد مثل المر وميعة البخور(القتبانية–المعينية) والرخام وغير ذلك من الأشياء التي سبق تصديرها من(افاليتس) و(الساحل البعيد) ﴾.[٦٤]

هذا الميناء العاج بالتبادل التجاري يمكن أن يكون شاهدا على الثراء والازدهار الذي كانت تنعم به الدولة الحميرية والإمكانيات الهائلة التي أصبحت طوع أيدي رجالها المتطلعين لتوسيع نفوذهم وسلطتهم السيادية إلى أبعد بقعة داخل حدود اليمن القديمة. هذا الأمر أدى إلى احتدام الصراع بين ورثة العرش السبئي وبين الحميريين أصحاب القصر الملكي(ريدان).

- **اختطاط صنعاء:**

يرى (د/ بافقيه) أن التهديد الحميري المتزايد على التاج السبئي قد دفع بالسبئيين إلى اختطاط صنعاء في موقع تتقاسمه (سبأ وفيشان) إلى جوار (شعوب) حاضرة (مأذن) حيث أقامها أحد ملوك السلالة السبئية التقليدية المعروف باسمه:

(هلك أمر بن كرب إل وتر يهنعم/ I) أي أن هذا الملك وريث العرش من أبيه المعروف بنقش النصر الكبير (ربرتوار/٣٩٤٥) كان في واقع الحال في موقف الدفاع من غزوات الحميريين ذات الخطورة القصوى على الوجود السبئي... وهذا لعمري يؤكد ما ذهبنا من قوة الحضور الحميري اليافعي في العهود القتبانية وما طرحناه من تفسير لمسألة أولاد (عودم) الذين آثروا اللجوء إلى مناطق مأمونة داخل سبأ خوفا من العقاب الذي في انتظارهم على أيدي القبائل الحميرية المتحصنة في (سرو حمير/يافع)ويؤكد في ذات الوقت أن وقائع صاحب (نقش النصر) لم توجه مباشرة نحو بلاد(دهسم) أو مصالح القبائل اليافعية تجنبا للاصطدام بها،مما قد يخل بنتائج هذه الحروب الشاملة... فقد كانت سياسة احتواء كما ذكرنا آنفا.

ولعل في إقامة صنعاء في عهد (هلك أمر) ملك سبأ وذي ريدان (GI.A.542) في تلك البقعة الحصينة دون المساس بحاضره مقولة (بني مأذن) كان بحد ذاته مخالفا للمألوف. فالسبئيون كانوا قبلها يلجأون إلى سياسة الاستيطان على حساب ممتلكات قبائل أخرى... ولكن هذه الطريقة الجديدة أريد بها كسب ولاء مقوله (بني مأذن) وهو الأمر الذي أكدته النقوش التي أعقبت تلك الفترة. [٦٥]

- **ثورة بني ريدان في مرتفعات يافع:**

لا شك أن هذا المد الحميري الجبار والعاصف لم تكن قوامه القبائل اليافعية ذات السطوة مثل العناق (عنقيم توراتيا) وفي طليعتها الأكلود (كلد) وغيرها من القبائل العتيقة والأعراق الحميرية العريقة

مثل (الذراحن) فحسب ، بل وكانت أيضا خلفه قوة اقتصادية ذات ثراء كبير وقدرة تمويلية تناسب هذا المد الكبير ، فقد ذكر (أجاثر خيدس) في الربع الأخير من القرن الثاني قبل الميلاد:

(ليس هناك من الأمم من هو أغنى من السبئيين والجرهائيين(لعلهم الهجريون) الذين كانوا وكلاء كل شيء يقع تحت اسم النقل بين آسيا وأوروبا ، فإنهم هم الذين جعلوا سوريا البطالسة غنية بالذهب ، وهم الذين سهلوا للفينيقيين سبل التجارة المربحة). [٦٦]

ترى من هم الهجريون هؤلاء ؟

هؤلاء هم أحد البطون اليافعية الرعينية كما ذكر لسان اليمن الهمداني :

(ومن ذي رعين ذو ناخب وبنو هجر ولم يذكرهم أبو نصر، ومسكن الأهجور العرقة من سرو يافع ويهل بالباء) [٦٧]

هؤلاء الأهجور من الأذوائية الناخبية مسكنهم (العرقة) أسافل وادي(ذي نلخب).

(لمزيد من التفصيل أنظر الفصل اللاحق).

واليافعيون ما زالوا حتى اليوم أصحاب ثروة ، وفي عهد لسان اليمن الهمداني كانت لثروة الهجريين بقية في أيدي الأحفاد:

(والسياؤون ، وهم أهل الهجر... والأصووت ولهم ثروة...) [٦٨]

نعم فالمد الحميري لم يكن له ليجتاح مناطق النفوذ السبئي اعتمادا على بأس الرجال المقاتلة فحسب أن لم تكن خلفه ثروات طائلة ومصالح تستوجب الحماية والذود عنها. لهذا السبب وفي أتون الصراع السبئي الحميري المحتدم خلال القرون الأولى قبل الميلاد، يرى (د/بافقيه) أن إقامة (صنعاء) كانت من الضرورة بمكان لمواجهة المد الحميري، **فعلى الرغم من الهزيمة النكراء التي مني بها الحضرميون في الجوف في عهد أحد ملوك اللقب المزدوج سبأوذي ريدان) وهو: (كرب إل بين بن ذمار على ذرح) الأمر الذي نص عليه نقش(جام/٦٤٣) فإن الأخطار المحدقة بالوجود السبئي من جهة حمير استمرت بنفس الزخم، ففي عهد خلفه مباشرة: (يهقم بن ذمار على ذرح) ثارت شعوب بني (ذي ريدان) في مرتفعات يافع.**

• ثورة الشعوب الريدانية في مرتفعات يافع:

كرس وقائع ثورة (بني ريان) في مرتفعات (سرو حمير/يافع) نقش حميري هو حتى اليوم مازال في موقعه مثبتا في جدار البهو الخارجي ل(مسجد الحصن) في قرية (الديوان) البعسية اليافعية الواقعة في الحواز الجنوبية لجبل(ثمر/وزان مطر) الشهير ، وهي أي قرية (الديوان) حلال بعض قبيلة

(الحوري) من مكتب لبعوس أحد مكاتب (سرو حمير/يافع) العشرة.[69]

وقد تناول هذا النقش بالتحليل والنشر الباحثان المختصان في آثار وتاريخ اليمن القديم وهما الفرنسي(**كريستيان روبان**) والسويسري(**فرانسوا بريتون**) وذلك إثر اشرافهما على حفريات بعثة المركز الفرنسي للابحاث في منطقة الحد (يافع) عام ١٩٧٦ للميلاد... وفي واقع الحال إن هذا النقش لم يكتشف في أي من خرائب الحد مما حفز باحثين يمنيين هما (**د/محمد عبد القادر بافقيه**) و(**أحمد باطايع**) في عام ١٩٨٨ إلى نشر دراسة تصويبية في مجلة (ريدان) حددا فيها من بين أمور أخرى مسألة تتعلق بتوثيق النقش حيث عرف خطأ باسم(روبان-برون-بني بكر) في حين يقتضي موقعه في (مسجد قرية الديوان) إعادة توثيقه باسم **نقش مسجد الحصن بالديوان**.[70]

وحيث أن هذا النقش يؤرخ لتاريخ(سرو حمير/بيافع) وثورة(بني ذي ريدان) في مرتفعاته في عهد الملك السبئي (يهقن بن ذمار علي ذرح) فإنني هنا سأعرض لبعض الجوانب التي لم يلتفت محققوا النقش اليها وهي لا تقل أهمية عما توصل إليه أهل الاختصاص (روبان-براون/بافقيه-باطايع) ونص النقش بالحرف العربي نقلا عن الحرف المسند:

١) إل ثوب/ذ شرح إل/وبنهو/مشأم.

٢) بنو/سهمن/برأو/وهقح/بيتهو/يسف.

٣) ..ر/ز ذ هر هو/خمس/يهقم/ملك/سبأ/بيوم.

٤) شتأ/عل/أشعب/ذو ريدان/يضرم/بيوم/هو ضأو.

٥) اهجر/علت/وجبأو/بيتهمو/بردء/الهمو.

٦) (؟) شيأن/بعل/ثمر/واشمسهمو/و....[71]

ومحتوى النقش عند (بافقيه/باطايع) :

إل ثوب ذو شراحيل وابنه مشأم بنو سهمان بنو وجصصو يسف(بالسين الثانية) (عص) ر الذي دهره (أي دمره حرقا) خميس يهاقم ملك سبأ حين شن حربا على شعوب ذي ريدان التي اجتاحت مدن عله ، وقد أعادوا بناء بيتهم بردء التهمم شيأن مولى ثمر وشموسهم و....[72]

هكذا فنقش (مسجد الديوان /لبعوس) اليافعي يعود بنا إلى عهد آخر ملوك السلالة السبئية التقليدية المعروف في نقوش المساند باسمه الكامل : (يهقم بن ذمار علي ذرح).

أي أنه قد حكم اليمن القديمة خلفا لأبيه (ذمار علي ذرح) الذي يعتبره أهل الاختصاص الملك الخامس من السلالة السبئية التقليدية التي توارثت مقاليد الحكم تباعا ، حيث كان الموسس فيها المكرب

السبئي (ذمار علي يهنعم) ثم (ذمار علي بين) الذي يظهر في (كرونولوجيا ملوك سبأ وذي ريدان) التي وضعها المؤرخ اليمني (د/ محمد عبد القادر بافقيه) في موقع خليفه المكرب المؤسس. أما الثالث فهو المكرب السبئي الشهير بفتوحاته المحلية أي (كرب إل وتر يهنعم) وفي دور الخليفة الثالث أي الرابع في هذه السلالة يتناوب الحكم ملكان هما (هلك آمر بن كرب إل وتر يهنعم) صاحب (صنعاء) أي الذي أختطت صنعاء في عهده كما بينا آنفا في إطار استراتيجية لصد الزحف الحميري على معاقل التاج السبئي. وتظهر النقوش أن (هلك آمر) هذا قد خلفه أو شاركه في كرسي العرش أخاه (**عمدان بين يهقبض**) وذلك في ظل **ظروف استثنائية كما يرى بعض أهل الاختصاص.** [٧٣] وكان قد تبوأ الحكم بعدهما والد (يهقم) الملك المذكور في نقشنا ، ونقصد به (ذمار علي ذرح) الذي خلفه ولده البكر (كرب إل بين) ثم ولده الثاني (يهقم بن ذمار علي ذرح) الذي ظهر على العرش خلفا لأخيه (كرب إل بين بن ذمار علي ذرح) في ظروف ليست طبيعية أيضا. نعم فقد كان على الملك (يهقم) أن يتصدى لثورة (بني ذي ريدان) التي شبت في مرتفعات يافع كما يخبرنا نقشنا (نقش ديوان لبعوس) وأدت إلى احتياح مدن (عله) من قبل شعوب (قبائل) (بني ذي ريدان). وعلى الرغم من عزوف (بني سهمان) أصحاب نقشنا هذا عن ذكر قائد الثورة الريدانية، فإن معاصرة الزعيم الحميري (**ياسر يهصدق**) لآخر ملوك السلالة السبئية التقليدية (يهقم) ومن ثم انعام (بني ذي ريدان) باللقب المزدوج على (ياسر يهصدق) هذه المعطيات حدت بأهل الإختصاص إلى تبني القول بزعامة (**ياسر يهصدق**) لثورة حمير التي حركتها قبائل يافع (شعوب بني ذي ريدان) في إطار الصراع السبئي الحميري، **الأمر** الذي سارع الملك (يهقم) إلى محاولة اخماد نيرانه تماما كما حدثنا النقش. [٧٤]

ونقش (ديوان لبعوس) أو نقش (مسجد الديوان) أو وفقا للتسمية التي أطلقها (بافقيه/باطسايع): (نقش مسجد الحصن بالديوان) ما زال بحاجة إلى قراءة جديدة خاصة فيما يتعلق بالجغرافية التاريخية التي نص عليها وعلى وجه التحديد (اهجر/علت) أي (مدن عله) التي تعرضت للاحتياح من قبل (اشعب/ذو ريدان) أي (شعوب ذي ريدان = قبائل سرو حمير/يافع) فهل يمكن لنا الإهتداء إلى (مدن عله) ؟

- **مدن عله:- وردت عبارة:**

(**بيوم/هوضأو/اهجر/علت**) في السطرين الرابع والخامس من النقش وقد اعتبرها (بافقيه/باطسايع) (**تعود على شعوب ذي ريدان وليس على الملك . فالملك (يهقم) شن حربا عليهم حين خربوا (؟) أو اجتاحوا (مدن عله)**). [٧٥]

إذا فـ(مدن عله) كانت مسرحا لوقائع (الثورة الريدانية) و لم يفصل (بافقيه/باطايع) في أمرهـا أو تحديد موقعها سوى الإكتفاء بتحديدها (تخمينا) على خارطة ملحقة (بالدراسة).

حيث ظهرت على الخارطة بصيغة (علأة) بحيث شملت بعض أراضي (منطقة الحـد) وبـالذات المحاذية لمنطقة (السوادية) التي اشتهرت تاريخيا بأنها معقل (أقيال شعب خولان وردمـان) المعروفـين بـ(ذي معاهر) وهي الموقع الذي اكتشفت فيه (آثار المعسال) و(نقش القصيدة الحميرية) الـتي تـولى ترجمة نصها المسندي (د/يوسف محمد عبد الله).

ويبدو أن (بافقيه/باطايع) في تحديدهما لموقع (مدن عله) على النحو الذي أظهرته الخارطة الملحقـة بالدراسة المنشورة في حوليه (ريدان/٥) قد آنسا في شهرة منطقة (حد يافع) كميدان لمعارك لا حصـر لها طالما نشبت بين (قبائل يافع) وخصومها من الغزاة الطامعين باخضاعها عبر أدوار التـاريخ، هـذه الظاهرة هي التي دفعت أو شجعت (بافقيه/باطايع) على تخريجهما لموقع (مدن عله) على النحو الـذي نوهنا به. ونحن هنا نجعل من هذا التخريج أحد الاحتمالات ونرفد هذا التخريج بطرح جديـد يقـوم على إعادة قراءة النص المسندي ذاته، فالمقصود بعبارة: **(بيوم/هوضأو/اهجر/علت)**

ليس: حين خربوا أو اجتاحوا (مدن عله) بل إننا نرجح أن المقصود بهذه العبارة:

(حين ألبوا أو أثاروا [مدن عله]) . فمن هم ياترى أولئك الذين ألبوا أو حرضوا (مـدن علـه) الحميرية ؟ لاشك أن قادة وزعماء الثورة من (بني ذي ريدان) هم الذين استثاروا (شعوب ذي ريـدان) وحركوا فيهم روح التمرد والثورة ضد السلالة التقليدية السبئية ، فشبت الثورة منطلقة من (مدن علـه) الواقعة في الصميم من (سرو حمير/يافع) . فلفظة **(هوض ، هيض)** ما زالت متداولة على ألسنة (مـن لسان) الناس في مرتفعات يافع وتعني : **(أثار أو ألب) وفي معاجم الفصحى :**

قال ابن بري: **هيضه بمعنى هيجه ؛ قال هيمان بن قحافه:**

(فعيضوا القلب إلى تمضه). [٧٦]

وهكذا فقد كانت هبة الملك (يهقم) ضد شعوب (ذي ريدان) ليست بغرض استعادة (مدن علـه) التي انطلقوا منها ، ولكن بقصد التصدي لزحف حمير على مناطق النفوذ السبئية خاصـة **إذا اعتبرنـا بمعنى لفظة** (شتأ) **كما هي دارجة اليوم في لهجة** (سرو حمير/يافع) **ولكن بإبدال الطـاء مـن التـاء** فـ**(الشطة تعني الضربة، وشطشطه تعني أثخنه ضربا)** وعليه فقد وجه الملك السبئي ردا على تغلغـل (مدن عله الريدانية) شطه أو ضربه لبعض أطراف (سرو حمير/يافع) الأمر الذي جر على (بيـت بـني سهمان) بالحرق أو النهب ولكن انقشاع هذه الضربة دفع (بني سهمان) إلى إعادة ترميم بيتهم وإعـادة

سقفه هو المقصود بلفظة (جبأو) . ويتسق ما ذهبنا إليه مع تحديدنا لمواقع (مدن عله) ، فـأين كـانت (مدن عله) وهل لها من باقية ؟

- **مدن علة:**

ذكر لسان اليمن الهمداني في (الصفة) بعض مواطن وأودية (سرو حمير) ومنها قوله:

(وعلة الأصووت من يافع) [٧٧]

وقد اكتفى محقق الصفة (محمد علي الأكوع) بالإشارة إلى هذا الموضع بالقول:

علة: بفتحتين وقد تشدد اللام ، ويقال فيها العلة بالالف واللام: وهي قرية لا زالت حية. [٧٨]

وحيث أن (علة) هذه قد أتت عند الهمداني منسوبة ل(الأصووت) فقد أخفق (الأكوع) في التعريف ب(الأصووت) بقوله: **الأصووت: بالتاء المثناة آخر الحروف، وهم الذين يدعون بآل الصيان.** [٧٩]

والواقع أن (علة): وزان سلة: هي قرية معروفة وعامرة تقع اليوم في لحف قمة جبل (سنام) المشرفة على رأس وادي (يهر) من جهة (ضهر يافع) المعروف ب(الموسطة)... أي أن (علة) تقع في (الوسط) من (هضبة ضهر يافع) أو (يافع العليا) وهي حلال بعض قبائل مكتب (ناحية) الموسطة لذلك فهي (للمواسط/الأوسوط) أو الأوصوت بابدال التاء من الطاء الذين هم (الأصووت) عند صاحب صفة جزيرة العرب. وقمة جبل (سنام) التي تستضيف قرية (علة) وتحف بها عدد من قرى الموسطة هي فسيحة منيعة فيها من الآثار والخرائب ما يشهد على مجد (علة) في القرون الخوالي وفيها يقول المؤرخ اليافعي المعاصر (صلاح البكري)-رحمة الله عليه- :

(ذهبنا إلى جبل سنام... ولقد شاهدنا على سفح الجبل منازل أثرية (خرائب) قد تناثرت أحجارها وخزانات للماء منحوتة في الصخر ، ورأينا سردابا منحوتاً في قمة الجبل تتخلله فتحات ضيقة قيل أنه كان سجنا في عصر ما قبل الإسلام ، ولم نجد هناك نقوشا حميرية منحوتة في الصخر ، وقد قال لنا أحد المزارعين هناك أن أباه عثر في السرداب منذ سنين على لوحة من الرخام عليها كتابات حميرية وأنه أهدى هذه اللوحة الأثرية للسلطان (عيدروس بن محسن العفيفي) سلطان يافع السفلى). [٨٠]

وهكذا فإن نقشنا هذا يضعنا أمام جانب هام من الجغرافيا التاريخية ل(سرو حمير/يافع) حيث كانت في العهود التقليدية العتيقة، تطلق تسمية شاملة على (هضبة ضهر يافع) هي (علة) وكانت قرى ومدن (يافع بني مالك) تنسب إلى (علة) على النحو المرسوم في النقش أي (اهجر علت/مدن علة).

وقد تخلف هذا الإسم في قرية (علة) التي نرجح أنها كانت حاضرة ل(سرو حمير/يافع) في تلك العـــهود الغوابر.

أما مناسبة النقش فهي إعادة إعمار بيت أصحاب النقش المسمى (يسف عصـــر) بعـــون إلهـــهم (شيأن) . فما هي دلالة هذا الإله ؟

- **شيـــأن:**

ساختلف محققوا النقش في جنس هذا المعبود (شيأن) فهو عند (روبان/برون) **إلاهة أنثـــى جـــاء ذكرها أيضا في نقش (ربرتوار/٣٥٨١) في سياق ذكر فيه الإله (عم) في معبدين (وانبي) ثم (شـــيأن) ... غير أن (بافقيه/باطايع) انكرا ما ذهب إليه (روبان/برون) من أن (شيأن) الاهة أنثى، فلم يثبت من مراجعة النص عند** (جام) **فالاسم جاء هناك مذكرا كما هـــو هنـــا.** [٨١] ونحـــن نميـــل إلى رأي (بافقيه/باطايع) ف(شيأن) هنا هو بعل أي سيد جبل (ثمر) فهو إله مذكر ، والدلالة اللغوية لهذا الاســـم تعقد صلة بينه وبين القطر والمطر:

شن: الشن الصب المتقطع ، والسن: الصب المتصل ؛ ومنه حديث ابن عمر:

(كان يسن الماء على وجهه ولا يشنه أي يجريه عليه ولا يفرقه. والشنين والتشنين والتشـــنان: قطران الماء من الشنه شيئا بعد شيء ؛ وأنشد :

يا من لدمع دائم الشنين. [٨٢]

وفي باب (شيا) نقرأ:

الشيان : البعيد النظر. [٨٣]

إذا فمولى ثمر الاله (شيأن) هو إله للقطر والمطر عرفته قبائل (سرو حمير/يافع) منذ قديم العصـــور وهو في نظري تجليٍ آخر لإله القمر الشهير عند القتبانيين بالاله(عم)... ووفقا لتنويه (روبان/بـــرون) فقد ذكر (شيأن) في سياق واحد مع (عم) و(انبي) كما في نقش (ربرتوار/٣٥٨١) أما (بنو ســـهمان) أصحاب نقش (مسجد الحصن بالديوان) فقد نعتوه ب(بعل ثمـــر) أي (مـــولى ثمـــر) . وقـــد نـــوه (بافقيه/باطايع) بجبل (ثمر) شمالي قرية(الديوان) وما وجود معبد للإله (شيأن) رأس جبل(ثمر) إلا شـــهادة دامغة على صحة ما ذهبنا إليه في قلب هذه الدراسة عندما عرضنا لآثار الإله(عم) في (سرو حمير/يـــافع) وحققنا موقعي معبدين لإله القمر هذا في نطاق (سرو حمير/يافع) فقـــد ورد ذكـــر (عـــم) في نقـــش (ربرتوار /٣٩٥٨) على هذا النحو:

(وعم/ذ مبردم/بعل/سليم/ولمم)

حيث عثرنا على (سليم) في (السوادية) في حين كانت (لممم) هي قرية (اللم) الواقعة اليوم في حاز (جبل ثمر) إذ تربض عند سفحه الشمالي.

وهكذا فإله المطر (شيأن) كان له معبد رأس ثمر منذ ما قبل عهود (السلالة السبئية التقليدية) وفي سفحه كان معبد إله القمر (**عم ذي/لبرد/أي منزل البرد**) و (جبل ثمر) هذا هو المقصود في قول الهمداني:

(ثمر للذراحن من يافع). [٨٤]

نكتفي بهذا فيما يتعلق بجغرافية النقش التاريخية وتحقيق المواقع. ونعود إلى سياق الصراع السبئي الحميري في تلك العهود العتيقة ودور (شعوب ذي ريدان) أو قبائل (سرو حمير/يافع) في تحديد تبعات ذلك الصراع ورسم مسار أحداثه. وبكلمة أدق دورهم في ترتيب البيت اليمني آنذاك:

فقد بلغ التحدي الريداني ذروته حينها في استيلاء قبيلة (شداد) الموالية ل(بني ذي ريدان) على قصر(سلحين) بمأرب. وقد كلف الملك (يهقم) الذي كان حينها في صنعاء قيل(غيمان) باستعادة القصر الملكي وملاحقة العصاة [جام/٦٤٤]. [٨٥]

- **الحميريون على مضارب صنعاء:**

تمكن الريدانيون في أواخر القرن الأول، وأوائل القرن الثاني، من الزحف على قاع (جهران) واحراز سيطرتهم على النواحي المحيطة به... عندها اتخذوا اللقب المزدوج من جانبهم (كوربوس/٤٠) وكانوا محقين في اتخاذه لأنهم اصبحوا يحكمون جزء من أراضي سبأ إلى جانب أراضيهم الأصلية التي يرمز إليها في اللقب ب(ذي ريدان). [٨٦]

الفصل الخامس عشر

يافع
في عصر تشعب الصراع السبئي والريداني

- **الذراحن:**

– (بفتح الذال المعجمة والراء بعدها ألف ثم حاء مهملة مكسورة آخره نون).

وردت في نقوش القرن الثالث بعد الميلاد كأحد البطون الحميرية السيادية... ففي النقش (٣٣ ملحق " أ ") من مجموعة الكهالي المنشورة في كتاب (الأستاذ مطهر الإرياني): (في تاريخ اليمن نقوش مسنديه وتعليقات).

أصحاب النقش هما:

(عمر يغنم) وأخواه (ياسر) و(عبيد) من:

(بني ذرحن) من القادة(مقتت) التابعين للقيل الغيماني (دومان يازم ذ غيمان) ، ومناسبة النقش هو تقديم نذر سلامه للإله (تهوان بعل أوام) وفي النقش لا يظهر أنهم تابعين لأحد ملوك تلك الفترة...[1]

وفي النقش (٢٢/أرياني) ويرجع إلى عهد: (**نشا كرب يهامن يهرحب/٢**) ملك سبأ وذي ريدان بن(إلي شرح يحضب/٢ ويازل بين) ملكي سبأ وذي ريدان. و(إلي شرح يحضب/٢) كان الأب الشرعي ل(نشا كرب يهامن يهرحب/٢) لكن حرص الأخير على ذكره لوالده في صيغة من الثنائية التي تجمع الأب (إلي شرح يحضب) والعم (يازل بين) ملكي سبأ وذي ريدان–العائدة إلى عهد الأب– تشير إلى دلالتين:

الأولى: أرجعها (بالفقيه) إلى احتراس الإبن من مغبة نسبه إلى (إلي شرح يحضب/١) .[2]

الثانية: نرى فيها إجلاله للصيغة التي ترجع إلى عهد والده ، وربما إكراما لعمه الذي لم يكن له حظ في الأولاد الذكور ، ومن المرجح اقتران (نشا كرب) من إحدى بنات عمه (يازل بين) . فقد تكون هذه الأمور مجتمعة هي السبب في ظهور (نشا كرب) في النقوش بصيغة أبوة مزدوجة كما لاحظنا.

أما هذا النقش (٢٢/أرياني) فصاحبه أيضا القيل (دومان يازم) من أقيال (غيمان) أرباب القصرين (ذرحان) و(يحضر) حكام قبائل (غيمان) وحلفاؤه وأتباعه من قبائل:

- **ذ يكن.**
- **ماوره.**
- **نؤاس.**

أما مناسبة النقش فتقديم عشر ثمار أقياضهم ومزارعهم شكراً وحمداً للإله (إلمقة ثهوان بعل أوام).

وقد حقق الأستاذ (مطهر الإرياني) [ذرحن] بقوله:

(ذرحن: وردت (ذرحن) في النقوش (حام/٦٩٥/٧١٦) و (ذرحان): معروفة اليوم بين (صنعاء) و(شبام أقيان) على بُعد نحو عشرين كيلومتر شمال غربي صنعاء وهو من أرض همدان. [٣]

وحيث لم يعرف الأستاذ(الإرياني) إلى:

(يحضر/وذيكن/وموريم/ونأسم)

سبيلا فإننا نجعل هذه المعطيات بين يديه وخدمة للباحثين في تاريخ اليمن القديم ، ونسأل الله تعالى التوفيق:

- ## الذراحن:

ذكرهم الهمداني في عداد البطون الحميرية النازلة (سرو حمير/يافع) الخارجة من صلب (يافع بن قاول) حسب رواية (محمد بن مسلم) /إكليل/٢/ص ٣٠٤ .

وفي (صفة جزيرة العرب / ص ١٧٣) قال :

(ثمر للذراحن من يافع) / صفة/ص ١٧٣ .

وفيهم يقول (الأكوع) [ه/ الصفة] :

(الذراحن قبيلة معروفة ومشهورة إلى التاريخ منها في يافع ومنها في (جبن) الذي كان تابعا ليافع في القديم . / صفة/ص ١٧٣).

وفي (قرة العيون باخبار اليمن الميمون) (لأبن الديبع) يقول الأكوع (محققه):

(وإلى ذراحن (جبن) تنسب السلالة الطاهرية فهم من أرومة يمنية ونبعة يعربية من قبيلة (الذراحن) الحميريين سكان (جبن). [قرة العيون/ه / ص ٤٠٥].

وهم اليوم ما زالوا يعرفون في يافع بالصيغة التي وردت في (٣٣ ملحق " أ ") تماما: **(بني ذرحن)**.

ولا يسكنون في جبل (ثمر) كما ذكر الهمداني في (الصفة) ف(ثمر) في شرق (هضبة ضهر يافع) وجبلهم يعرف باسمهم في الطرف الغربي لهذه الهضبة ، فهو (جبل الذراحن) ، ولارتفاعه الشاهق يعرف أيضا باسم: (الجبل لعلي/ أي الجبل الأعلى).

وهو كذلك بالفعل إذ يعد بجيدة:

* **عريب**: (وزان زينب): أرفع جبل في (سرو حمير/يافع). وفي شماله الغربي يظهر على مرمى البصر أحد جبال السرو الشهيرة والمذكورة في (صفة جزيرة العرب) في عداد بلاد الأعضود وهو:

* **جبل حرير**: (بصيغة أجود الأقمشة [حرير]). وللذراحن في جبلهم قرى ووديـــان كثـــيرة أهمها:

- **الشرفة**: وهي رأس مشيخة (الجبل لعلي) وإليها تنسب ثلاث فخائذ هي:
- **المقيبيسي**: ومنهم بيت بن حمزة مشايخ (الجبل لعلي).
- **آل عبادي**: ومنهم بيت قاضي الجبل لعلي.
- **الجويبد**: ويُعرف أيضاً (ببن نسر).
- ومن القرى التابعة للشرفي:
- **غمدان**.
- **إكلي**.
- **الشجرة**.
- **سادان ، وكلها تلحق العبادي منهم**.
- **نوبة الدكام**.
- **المسيل**.
- **نوبة جعفر**: وتلحق بفخذ الجويبد.
- **الهجر**.
- **وزاق الضبي**.
- **القرين**.
- **العرشة**: وكلها تلحق بفخذ المقيبيسي.
- **البركة**: ويُعرف أهلها بالبركي ومنهم:
- **آل الحميد**.
- **الجثام**.
- **المشدلي**.

وتتبعها (حالة المطري) و (بيت الهميسي).

- **الزمعر**: ينقسم الزمعري إلى الفخائذ التالية:
- **الدغفلي**: وهم بيت المشيخة في ناصفة الذراحن العليا.
- **الأحموس**: حلالهم قرية (المسوح) و(شيهج).

- **آل الشريف**: وبعضهم في وادي (عقور).
- **أهل علي (ملي)**.

ولعل أجمل قرى الناصفة العليا هي اليوم قرية (الغراء) حلال النقاشين ويتبعون فخـــذ الشـــريف والخالدي.

أما أهم أودية الذراحن فهي:

- **وادي أسيد.**
- **وادي ذي بوكل.**
- **وادي حرمه.**
- **وادي بيّ حجل.**
- **وادي جراذح.**
- **وادي قطاط.**

وكلها في رأس الجبل. أما ما كان في صفح الجبل فأهمها:

- **وادي حاله.**
- **وادي المسوح.**
- **وادي شيهح.**
- **وادي غمدان.**
- **شعاب الذراحن.**
- **وادي عقور.**

هذا ويشارك (الذراحن) سكنهم في (الجبل لعلي) بنـــو عمومتـــهم المعروفـــون ب(الدهـــارش) و(السليماني). [٤]

وقراهم وأوديتهم كثيرة في رأس الجبل وسفوحه الغربية.

هذا وقد تطرقنا إلى تاريخ وجذور أحد البيوت السليمانية في (الجزء الأول من كتابنا) ونقصد بـــه **(المرادعة/ذو المردع)** أحد جراثيم عمالقة حمير.

وإذا كانت قبيلة (الذراحن) العريقة تشكل اليوم أغلب **سكان مدينة (جبن): (وزان تبن/الـــوادي الشهير)** الواقعة في الأطراف الشمالية ل(سرو حمير/يافع) ، إلى الجنوب الشرقي من حـــاضرة الدولـــة الطاهرية الشهيرة ب(المقرانة)... **ومن ذراحن (جبن) ظهرت إلى الوجـــود الســـلالة الطاهريـــة في**

(منتصف القرن التاسع للهجرة) وحكمت معظم بلاد اليمن حتى(أوائل العقد الثالث من القرن العاشر للهجرة) حيث انهارت في عهد أشهر ملوكها (الظافر عامر بن عبد الوهاب الطاهري) بعد حرب طاحنة مع الجراكسة (شراكسة مصر) الذين لولا امتلاكهم آنذاك ل(البندقية النارية) (البارودة) لما حصل لهم الغلبة على رجال (عامر بن عبد الوهاب) الذين كانوا يقاتلون بالسلاح الأبيض ! [٥]

- **جبل مسلم:**

أو (جبل المسلمي) ينقسم إلى خميسين (الخميس = الجيش القبلي في لغة نقوش المسند) من خموس مكتب (ناحية) يهر في (يافع بني قاسد) أحدهما يعرف ب(الرحاني) (صيغة النسبة من الذراحن) فهم بعض من قبيلة (الذراحن) العريقة هذه. [٦]

هؤلاء هم (بني ذرحن) ، فهل لحلفاء القيل (الغيماني) من باقية ؟

الإجابة نسوقها في التالي:

- **ذيكن:**

(ذ كن/بدون التصويت) هكذا وردت في النقش [مسند/٢٢ إرياني] وقد تخلف اسم هذه القبيلة في أحد قرى قبيلة (بني مسلم) الشعيبية (من مخلاف الشعيب) اليافعي الواقع في أطراف (سرو حمير /يافع) الشمالية الغربية ، وتتبع (بني مسلم) في داعيها مشيخة (المفلحي) في :

(وادي خله) :وهو من أودية (سرو حمير) التي ذكرها الهمداني وعدها في أودية **(جعدة حلال** وأحلاف سرو حمير) [٧] . ومن قرى المسلمي:

- **ذي كنيه.**
- **لقدام.**
- **الشجر.**
- **القزعة.**

وإلى الجنوب منها يشمخ جبل (حرير) وأهاليه من ذوي الأصول اليافعية. [٨]

وعليه فهذه القبيلة التي عها القيل الغيماني (دومان يازم) في حلفائه هي ما يعرف اليوم ب(ذي كنيه) حيث : **ذ/يكن = ذي/كنية (يكن = كني) [بالقلب].**

- **مورتم: مورة:**

(الميم لاحقة التنوين في لغة النقوش القديمة)... وفي (سرو حمير) موضعان يقعان في نطاق قبيلة (الذراحن/١) وهما:

١) **مورة:** قرية في وادي (يهر) في سفح جبل (مسلم) وهي للذرحاني ولهم وديان وقرى كثيرة في هذا الجبل.

٢) **مورة:** مباتل زراعية في رأس وادي (عقور) الذي ينحدر من سفح جبل الذراحن ، ويذهب جنوبا حتى مخرجه إلى وادي (يهر). و(مورة) هذه هي ل(التركي) صاحب (المصنعة) إحدى قرى (الدهارش) أخوة (الذراحن) يشاركهم في ملكية (مورة) (عيال جابر علي) أصحاب قرية (الظفر) الربيعية.

- **نأسم:**

(الميم لاحقة التنوين العربية الجنوبية) : (نأس) = (نواس).

نواس: ذكرها الهمداني في عداد (سرو مذحج) لبني (زائدة) منهم:

(وهو اليوم ما زال قائما باسمه ودعوته في (آل ديان) حي ووطن من بلاد البيضاء المحاددة ليافع).[9]

- **يحضر:**

هذا القصر المذكور في النقش (مسند/٢٢) نجد قرينه في النقوش القتبانية ، ففي نقش (ربرتوار/٣٥٠٧) المكتشف محفورا على لوح حجري استعمل في جدار بناء في هجر(حنو الزرير/هربت قديما) :

١. شعبن/ذ هربت/حور/هجرن/سوم/براو/وسوثر/وسشقر.

٢. ذن/محفدن/يحضر/....[10]

وفحواه :

١. الشعب (ذو هربت) سكان مدينة (سوم) شادوا ووثروا (أسسوا) وشقروا.

٢. هذا المحفد (القصر) (يحضر).

وقد عرفت مدينة (سوم) أي (سوأ) في النقوش ، ومنها أحد نقوش (محرم بلقيس) العائدة إلى القرن الثالثة للميلاد (جام/٥٨٥) في عهد (إلي شرح يحضب/٢ وأخوه يازل بين):

*** سوم: قرية في بلاد المعافر جنوبا بقليل من (تعز) . و(سوا) جاءت عند (بليني) اسما القرية يقيم بها الحاكم المعافري.**[11]

وعلى الرغم من أن (يحضر) الواردة في النقش القتباني (ربرتوار/٣٥٠٧) العائد إلى القرن الثاني قبل الميلاد ، يرى فيها أهل الاختصاص إشارة إلى مقبرة باسم(يحضر) فإني أميل إلى المعنى الوارد في كتب لسان اليمن الهمداني لمفرده (محفد) بمعنى المحلة أو القصر نحو محفد (حنبص) لصاحبه(ذي يهر) بجوار صنعاء من جهة شماليها. وعليه فقد يكون هذا القصر (يحضر) (حنو الزرير) قد آلت ملكيته في القرن الثالث للميلاد لأرباب (المقولة) الغيمانية أو أن (يحضر) هذا كان قائما في نطاق (سرو حمير/يافع) وعلى وجه التحديد في أحد الأودية التي عدها الهمداني ل(جعدة) حلال واحلاف يافع وهو وادي (حضر):

*** حضر: يحضر/بالتصويت: وتخترقه محجه عدن إلى صنعاء... وقد حققه (الأكوع) في بلاد الحواشب من (الضالع) يبعد عن (قعطبة) جنوبا نحو ثلاثين كيلا.** [١٢]

ووادي (حضر) يقع اليوم في (الضالع) غير أنه ليس في أملاك (الحواشب) بل لقبيلة يافعية أصيلة هي (الشاعري):

وهم في الأصل من يافع ، وفيه قرى ل(آل البيشي) في :

- **أعلى وادي (حردبه).**
- **الخريبة.**
- **الدهنة.**
- **الحقل.**
- **الجرباء.** [١٣]

هذه الشواهد التي عرضنا لها في تحقيق نقشي (دومان يازم ذي غيمان) ترشدنا بلا شك إلى قراءة المسكوت عنه من تاريخ (سرو حمير/يافع) عبر الاستدلال بالمنطوق في النقشين: (أ-ملحق ٣٣ + أ ٢٢).

وعلاقة (المقوالة) الغيمانية بشعوبها (حسب المفهوم النقشي) أي قبائلها الحميرية الموطن والانتماء تفيدنا في تأسيس رؤية عميقة لموقف يافع من الصراع الدائر آنذاك بين سلالة الحكم السبئية وخصومها من (آل ذي ريدان).

فمهما بعدت المسافة بين الأذوائية (الغيمانية) بحصنها الشهير (غيمان) أحد محافد حمير ورموزها إذ مازال ذلك الحصن قائما معمورا في (بني بهلول) من (خولان العالية/الطيال) تختلط في دياره أنفاس الأحياء بشذا العهود الخوالي ورسومها الباقية في مداميك تلكم البيوت... و(غيمان) هذه هي

المقصودة في أبيات منسوبة عند الإخباريين إلى التبع الشهير ب(أسعد الكامل) وهو (أبكرب أسعد) ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنه وأعرابهم طودا وتهامة:

وغيمان محفوفة بالكروم   لها بهجة ولها منظر

بها كان يقبر من قد مضى   من آباءنا وبها نقبر

إذا ما مقابرنا بعثرت   فحشو مقابرنا الجوهر [١٤]

هذه المسافة بين (غيمان) مقر القيل (دومان يازم) من جهة ومواطن القبائل الحميرية الواقعة في حيز (سرو حمير) التابعة له وهي:

- **ذي كنية.**
- **موره.**
- **نؤاس.**
- **بني ذرحن (السلالة).**

من جهة أخرى هذه المسافة ليست ذات شأن بالنظر إلى الأمور التالية:

١. أن هذه القبائل جميعها في (سرو حمير) أو على أطرافه فإذا استثنينا (غيمان) على اعتبار أنها قبيلته ، فإننا نجد أن:

- ذي كنية: تقع في الشمال الغربي من (سرو حمير) وفي جوارها يقع وادي (حضر) الموقع المفترض لقصر (يحصر) في منطقة تشتهر بآثارها الحميرية وفيها:
- **شكع: بالضم: بلد وحصن من (بلاد المفلحي) بيافع ينسب إلى (شكع بن الحارث بن يريم ذي رعين) وهي غنية بالآثار ، وتبعد عن الضالع بنحو ٢٣ كم . [١٥]**
- **خله:** (أخله عند الهمداني) هي الأخرى تقع في ذلك الحيز الجغرافي أيضا، وهي واد معروف فيه مواضع أثرية ، وتنسب إلى:

(أخله بن مالك بن شرحبيل بن الحارث بن زيد بن يريم ذي رعين). [١٦]

- **نؤاس: هي الأخرى على الطرف الشرقي لسرو يافع. وقد ذكرها (الأسفع الهمداني) من (أرحب) ثم من (بكيل) شاعر جاهلي مفوه... في الحرب التي كانت بين (مذحج) و(حمير) في الجاهلية بجريرة(السكاسك)... إذ هاجها (ابن جرير السلسكي) ، وكانت حربا ضارية قال فيها الأسفع ذاكرا أوطانا منها (نؤاس) وكلها حميرية:**

ولن تتركنكم ذو رعين وسكسك   ولا من سكون بيت سعد بن عامر

ولا ذو الكلاع الطالبون بثأرهم   إذا أمكنتهم وثبة المتقاصر

ولا يافع تغضى ولا حي ترخم   ومن ذي نؤاس كل أبلج واغر [١٧]

وفي هذه الأبيات نلاحظ أن (نؤاسا) = نأسم (في النقوش) . قد ذكرت إلى جانب بطون حميرية شهيرة منها (ذو رعين) و(ذو كلاع) و(السكسك) و(التراخم) و(يافع/سرو حمير). مما يشير إلى أهمية (نؤاس) واتساع نفوذها لا في زمن النقش (أ-٢٢) فحسب. بل وحتى وقعة الجاهلية هذه التي لا ندري بتاريخها تحديدا ، ولكن وصفها بالجاهلية تجعلنا نرى فيها حربا وقعت بين (حمير) و(مذحج) ، ربما في القرن السادس للميلاد في فترة ما قبل البعثة المحمدية. وعليه فإننا نميل إلى أن (نؤاسا) كانت بمثابة حلقة مهمة في سلسلة العلاقة بين البيت السبئي ممثلا بالملك(نشا كرب يامن يهرحب/٢) من ناحية وقبائل (سرو حمير/يافع) من ناحية أخرى.

* **موره والذراحن:** كلاهما موضعان مازالا حتى اليوم عامرين في سرو حمير ونحدس أن للتواجد (الذرحاني) في (حبن) دلالة ذات شأن في مسألة كتابة التاريخ في القرن الثالث للميلاد، ويترتب عليه القول باحتمال أن القصر (ذرحن)

ربما قد بناه القيل (دومان يازم) في ذلك الحيز من سرو حمير المعروف ب(حبن) ويعني أنه وفقا لهذا التصور إلى الجوار من القصر الآخر (يحضر). إذ تقع (حبن) قليلا إلى الشرق من وادي(حضر) في بلاد الشاعري... وقد ظلت (حبن) على مختلف العصور تابعة ل(يافع) كما أشار إلى هذا (الأكوع) محقق آثار الهمداني .

(i) الظاهر مما ذكرناه آنفا أن الأمر قد استتب ل(نشا كرب يامن يهرحب/٢) ملك سبأ وذي ريدان بن (إلي شرح يحضب/٢) وأخيه (يازل بين) ملكي سبأ وذي ريدان.

فالنقوش التي تعود إلى (نشا كرب) هذا على كثرتها... يلاحظ أنها في معظمها ذات طابع شخصي ، والحديث عن الحرب في عهده قليل إذا ما قارناه بغيره. [١٨]

وأقرب من نقارنه ب(نشا كرب يأمن يهرحب/٢) هو والده (إلي شرح يحضب/٢) فإليه وحده (أحيانا مع أخيه) كرست كثير من النقوش (جام/٦٠٠:٥٦٧) وله عدد آخر من النقوش في المصادر الأخرى ، وكان في حرب دائمة مع (ضد) الحميريين والسهرة والأحباش وقبائل لجران والسراة وغيرهم. [١٩]

• وقائع الصراع السبئي الريداني في عهد (إلي شرح يحضب| 11):

(إلي شرح يحضب/٢) هو ملك محارب بكل معنى الكلمة. كما يظهر ذلك من نقوشه التي تربو

على أربعين نقشا ، وكان عليه هو وأخيه (يازل بين) أن يخوضا حربا ضروسا مع رأس حمير حينها (شمر ذي ريدان) والذي عرف من نقش (بيت ضبعان/إرياني ٤٩) أنه (شمر يهحمد) ملك سبأ وذي ريدان . الأمر الذي أثار التعجب من وجود ملك حميري آخر يحمل لقب (إلي شرح يحضب/٢) نفسه. ولكن نقش (جام/٦٤٧) يشير إلى أنه حتى حاضرة الملك السبئي (مأرب) كانت قبيل تسلم الملك (إلي شرح يحضب/٢ وأخيه يازل بين) قد خضعت للملك الريداني (شمر يهحمد) لفترة تصل إلى سبع سنوات و لم يخرج الحميريون منها إلا عنوة في بداية عهد الأخوين(إلي شرح +يازل بين) ونجم عن ذلك عقد مصالحة (كوربوس/١٣٤) غير أن المعارك نشبت من جديد. [٢٠]

وعلى كثرة المعارك التي نشبت بين (إلي شرح يحضب/٢ وأخيه ياول بين) من جهة... والحميريين من جهة أخرى بقيادة (شمر يهحمد)... والتي فصلت جغرافيتها نقوش (إلي شرح يحضب/٢) ضد التواجد الريداني في **(مهانف/ آنس)** وحصن **(تعومن)** عن طريق عقبة **يكرن(يكار) المقابل لنقيل (يسلح). وفي نقشي(جام/٥٨٦-٥٧٧)** حيث أتى (د/بافقيه) عليهما تفصيلا نجد أن الحرب قد شملت مسرحا واسعا بين(إلي شرح...) و(شمر يهحمد) حتى طالت (ردمان) و(مضحيم/مضحى بحاضرتها حصي) ، وحول(ذمار وقاع جهران/قريس) إلا أن المعارك لم تقترب إلى أبواب (ظفار) حيث قصر ريدان بأي شكل ، وهذا في نظرنا يعكس قوة الخصم الريداني (شمر يهحمد). [٢١]

وفي أتون الحرب الشاملة أو (فترة التشعب) كما يحلو للبعض ان يسميها ظهر في مسرح الأحداث متحدي آخر(لإلي شرح يحضب/٢) عرف من خلال النقش (جام/٥٧٨) ب(كرب إل أيفع) وجموع قبائل وجيش (حمير وولد عم) حيث تم دحرهم من (عر أساي) شرقي ذمار(وقرتهن) في حقل (حرمتم/ربما قرب جبل أتوت) جنوب شرقي ريدة وطوردوا حتى بلاد(العروش عروشتن)في أنحاء رداع... وانتهت المعارك مع(كرب إل أيفع)بالاستسلام في (هكر) هو وأقياله بعد دحرهم من (يكلا). [٢٢]

والواضح من حيث نقاط تماس المعارك هذه أن قبائل (سرو حمير/يافع) لم ترمي بكل ثقلها لا إلى جانب (شمر يهحمد) الخصم الأول ل(إلي شرح يحضب/٢) ولا خلف خصمه الآخر (كرب إل أيفع) وأنها بلاشك اشتركت في تلك الوقائع التي احتدمت على أطراف (سرو حمير) ولكن بجهود طفيفة ليس إلا لأسباب عدة منها:

١) أن (إلي شرح يحضب/٢) لم يوجه إلى (سرو حمير/يافع) حملات بهدف إخضاعها وكل ما في

الأمر أن أقصى التخوم التي وصلت إليها بعض فلوله هي (عروسنن/ الأعروش) الواقعة اليوم في الجنوب الشرقي من (سنبان) وتعرف بصيغة (العرش) و لم تتوغل نحو السرو عبر أراضي (خولان وردمان) [السوادية] بما فيها بلاد شعب (قبيلة) نأسم (نؤاس) و لم تهاجم مرتفعات يافع من جهة محور (قاع تيم) وبلاد (ردفان) ، مما يعني أن صاحب هذه الوقائع قد فضل في اتباع سياسة المهادنة والاحتواء مع القبائل اليافعية. وهي سياسة توارثتها بيوت الحكم السبئية منذ العصور العتيقة وبالذات في عهد المكرب السبئي (كرب إل وتر) كما بسطنا لهذه السياسة آنفا.

٢) بدلا من المواجهة التي لا تحمد عواقبها تمكن (إلي شرح يحضب/٢) وأخيه(يازل بين) لا في تحييد قبائل يافع فحسب ، بل واستمالة بعض منها ، وهي الواقعة على الأطراف ونقصد بها:

- ذ يكن (ذي كنية).
- مورتم (مورة).
- نأسم (نؤاس).

هذه السياسة الحصيفة نجد آثارها الطيبة في عهد الإبن(نشا كرب يأمن يهرحب/٢) الذي عكست النقوش المكرسة لعهده أنه كان ينعم بالسلام والاستقرار وقلة الحاجة إلى الغزو. فحتى (سهرتن) في تهامة والتي كانت مع (أحبشن) الأحباش تناصب (إلي شرح) العداء ، وشن الغزوات العديدة لإخضاعها لم تعد علاقتها بسبأ متوترة عدائية كما يبين ذلك نقش (جام/٦١٦) العائد إلى عهد الملك الإبن (نشا كرب يأمن يهرحب/٢) . وإذا صح ذلك ربما دل على أن حملات (إلي شرح يحضب/٢) قد أتت ثمارها في عهد ابنه (نشا كرب) . فها نحن نرى جيشا عشائريا سبئيا ينطلق لتأديب قبائل في مناطق شمالية بعيدة. [٢٣]

- **النفوذ الغيماني:**

لا ننكر أن محالفة ما قد أبرمت في ذلك العهد بين القيل(دومان يازم ذغيمان) والشعوب التي ورد ذكرها في (مسند ٢٢) أي (ذي كنية) و(مورة) و(نؤاس) ، ونحدس أن للقادة (مفتت) من (بني ذرحن) دورا هاما في إخراج تلك العلاقة لتواجدهم في (غيمان) موطن القيل (دومان يازم) وفي نفس الوقت في (سرو حمير/يافع) الأمر الذي تطرقنا إليه آنفا غير أن حرص القيل الغيماني على إلحاق هذه البطون الحميرية البعيدة عن نطاق المقولة (الأذوائية) الغيمانية لا يعني في أي حال من الأحوال خضوع تلك الشعوب لنفوذه المباشر وإنما من باب إضفاء مزيد من الهيبة على شخصه في وجه من يحتكون مباشرة ب(المقولة) الغيمانية... ويشير هذا التلازم في نفس الوقت إلى قدرته على دعوة هذه القبائل

(الشعوب) الحميرية كلما دعت الحاجة إلى ردع وصدع القوى المحلية المتنافسة على توسيع نفوذها بالقوة ربما على حساب مكانة (المقولة الغيمانية) .

التاريخ مليء بالعبر والأمثلة التي تدل على مثل هذه التحالفات... والهمداني يصف القبائل اليافعية بأنها (المجد أهل اليمن) (أنظر الفصل القادم) ، ولعل أقرب الأمثلة التي تسند طرحنا هذا هو :

- **استعانة المتوكل إسماعيل بيافع:**

ينقل لنا صاحب (**النور المشرق في فتح المشرق**) قصة صاحبها شاعر أمير:

(فالرجل صاحب رئاسة في قومه وهو (......)).

وقد شطب المؤلف اسمه لهذا الاعتبار ، فهو كما نظن من الأشراف والأمر لا يخفى على لبيب... فنظمه يدل على حظ كبير من العلم وافتخاره يدل أيضا على أنه من أرباب القوم إن لم يكن فعلا من (آل بيت الإمامة) . أما قصة هذا السيد فقد حدثت في بعض أعمال **المرقدات** (لم يقف عليها المحقق **ويام**)، حيث تعرض له جماعة منهم فنهبوه في الطريق وأفلت بجلده مغلوبا على أمره. وقد خلد شكواه في قصيدة قدمها للإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم حاثا له لتجريد حملة على تلكم النواحي على أن تكون القبائل اليافعية عمادا لهذه الحملة ، ومنها نقتطف هذه الأبيات:

أجهاد فأين وقت الجهاد	**طال سجن السيوف في الأغماد**
وصداء الدروع وهي خفاف	**باجلا والصعاد وهي صواد**
وارتفاع القنا بغير صرير	**والمذاكي ربطا لغير طراد**
والمواضي صقلا بغير صليل	**والموالي تيها لغير جلاد (؟)**
يا إمام الهدى وغوث البرايا	**عظم الأمر من بني العباد (؟)**
عصبة ما عصوا إلى الله جهرا	**وهم موقنون بالميعاد (؟)**
فعلهم كله قبيح ومسعا	**هم ذميم وصلحهم في فساد**
لا يحدون للمهيمن حدا	**واستعانوا بالحد في كل واد**
زعموا أن ما عليهم إمام	**واستقلوا برأيهم في البلاد**
فأغثنا بعارض من حديد	**يمطر النار في رؤوس الأعادي**
وأطف ما أوقدوه من قبل ينمو	**رب نار تعظمت من زناد**
واعد (يافعا) عليهم عونا	**وأعن في حتفهم بلا ترداد [٢٤]**

وقد فطن محقق الكتاب الأستاذ (عبد الله الحبشي) أن الشاعر (الموتور) كان يقصد بيافع:

(يافعا (يافع) قبيلة من حمير). [25]

أما العون فهو: الظهير على الأمر. [26]

هذا المثل الذي سقناه من القرن الحادي عشر للهجرة أردنا به لفت نظر المختصين في دراسة النقوش اليمنية القديمة أن الأقيال والأذواء كانوا يحبون أن يختصهم ملوكهم بألقاب تشير إلى مناطق وقبائل بعضها بعيدة عن حدود أذوائيالهم أو(مقولاهم). وكانت تلتحم الجيوش القبلية المعروفة بالخموس (مفردها خميس) تحت أمره الذو أو القيل أثناء الغزوات التي يدعون إليها وهو ما حصل بالطبع مع القيل الغيماني: (دومان يازم ذغيمان).

فإلى جانب غيمان (الشعب) الذي ينتمي إليه هذا القيل تأتي (الأربـاع) وهي هنا الأرداف المتحالفة معهم:

(ذ يكن/ومورتم/ونأسم) وكلها قبائل سرو حميرية عتيدة ما برحت خلائفها تعيش اليوم في مواطن أسلافها في (سرو حمير/يافع) كما بينا ، وقد آلت ملكية نواس(نأسم) في فترة لاحقة إلى بعض من مذحج كما ذكر لسان اليمن بقوله:

(نؤاس لبني زائدة / صفة ص ١٧٦) .

أي أنها تمذحجت في فترة لاحقة ، ربما بعد الإسلام لأنه كما رأينا قد قاتلت في صف حمير ضد مذحج في الحرب التي تعرض لذكرها (الأسفع الهمداني) ويحتمل أن كل واحدة من تلك القبائل المذكورة في (مسند/٢٢) كانت أكبر شأنا وأعظم قدرا مما هي عليه اليوم وأقرب الأسانيد التي ندعم بها طرحنا هو حال (يافع) التي كانت تعد بعض من (ذي رعين) وحال الأخيرة التي لا تحتمل المقارنة اليوم مع بعض من قبائل يافع ليس إلا ! فقد ذوت (ذو رعين) و لم يعد يطلق هذا الاسم إلا على واد من أعمال(يريم) في حين تعدت (يافع) مئات الآلاف في تعداد أبنائها.

هذه مسألة وهناك أمور أخرى لا تخفى على لبيب فنقش (بيت ضبعان/أ-٤٠) المذكور آنفا **والمنبوش من مصنعة (تعرمن/التعارم) والتي كانت نقطة متقدمة للزحف الحميري على الأراضي التابعة للتاج السبئي... إذ (بيت ضبعان) في بلاد (الروس) ناحية(وعلان) قضاء (محافظة) (صنعاء).** [27]

هذا النقش أظهر الازدواج في لقب ملوك ذلك العهد . فإلى جانب (آل فرع ينهب) السلالة الملكية السبئية الأنتماء والممثلة في شخص(إلي شرح يحضب/٢) وأخيه (يازل بين) ملكي سبأ وذي ريدان وحاضرتهم (مأرب) بقصرها (سلحين) كان البيت الحميري في (ظفار) بقصره (ريدان) يأوي

(شمر يهحمد)-النقش مكرس له- ملك سبأ وذي ريدان... هذه الازدواجية تؤكد على تطلع آل (ذي ريدان) إلى حكم سبأ وهو ما تحقق لاحقا على يد (ياسر يهنعم) وابنه(شمر يهرعش) قرب نهاية القرن الثالثة للميلاد. [٢٨] والذي أدى بالفعل إلى انتهاء حكم السلالة السبئية وقيام دولة التبابعة وضم حضرموت تحت اللقب الرباعي:-

(ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنه).

هذه الظروف المتخمة بالصراع والتناحر هي التي حدت بالملك (نشا كرب يأمن يهرحب/٢) ملك سبأ وذي ريدان إلى اتخاذ إجراءات تكرس الوحدة الوطنية منها:

١) إسباغ ألقاب تكرس هذه الوحدة. فالقيل (دومان يازم ذوغيمان) من قلب الأراضي السبئية ستبعه (مقتوون) من (بني ذرحن) البطن الحميري اليافعي (٣٣/ملحق أ) وأن ظهر هذا النقش بدون ملوك فلربما أنه يعود إلى عام وفاة (إلي شرح يحضب/٢).

وتسلم ابنه الحكم خلفا له والناس حينها كانت في حالة من الترقب للمستجدات والظروف المتعلقة في شخص الملك الجديد وحاله(ترمومتر) الصراع مع (بني ذي ريدان)... هذه الأمور مجتمعة هي التي جعلت أصحاب النقش لا يذكرون ملكا محددا !؟.

وإلى العهد الجديد عهد (نشا كرب يأمن يهرحب/٢) الذي نعمت به البلد في حالة من الاستقرار النسبي برزت مظاهر الوحدة الوطنية ، فالمقولة الغيمانية وقيلها (دومان يازم) وقادته من (بني ذرحن) وقصراها (ذرحان + يحضر) وشعبها غيمان وأردافها (حلفاؤها) (ذي كنيه ومورة ونؤاس)... هذه المظاهر الوحدوية تجسد أيضا الجهود الحربية الكبيرة التي بذلها الملك المحارب (إلي شرح يحضب/٢) وأخوه(يازل بين) ملكا سبأ وذي ريدان ، فهي كما يبدو قد أتت أكلها في فترة الابن(نشا كرب يأمن يهرحب/٢) ملك سبأ وذي ريدان.

١

٢

٣

٤

٥

٦

٧

الفصل السادس عشر

اليزنيون في سرو حمير يافع

أفاض (الهمداني) في عرض نسب آل (ذي يزن) (الاكليل ٢ /ص٢٦٣:٢٥٤) فهو يقول :

((وآل (ذي يزن) بين (لحج) و(مرخه) وهم " الايزون " وأن منهم عدد كبير بحمص وحضرموت من اليمن))

(أكليل/ ٢ص ٢٦٢ ٢٦٣)

وهكذا فإنه يجوز لنا أن نخلص إلى أن هذه البيوت التي ترقى أصولها الى ما قبل الاسلام بشواهد النقوش ظل معظمها باقيا في الاسلام بصورة أو باخرى .[١]

وقبل أن نقتفي الاثار اليزنية في (سرو حمير/يافع) ننوه هنا ان الباحث التوراتي (د/زياد منى) قد خلص في رسالة دكتوراة دافع عنها في جامعة (برلين المانيا الغربية) ونالت امتيازا جيدا ، وموضوعها:

((جغرافية التوراة : مصر واسرائيل في جزيرة العرب))

" خلص " الى نتيجة مفاداها : **أن اليزنيين كانوا من بقايا أو استكمالا لسبط (جاد) في الجزيرة العربية "** [٢]

وقد وردت المفرده " عزن " في صيغتها العبريه هذه (سفر التثنيه ١٣/٢٣) بمعنى سلاح " سلاح ما" في النسخة الاراميه المسماه (الترجوم) هذا المعنى يتسق مع المأثور عن جذر هذا الاسم عربيا (يزن /أزن) بمعنى أن جد (الازليين كان أول من أستخدم أسنة الرماح من الحديد بعد أن كانت تعمل من القرون . أي أن كلمة (يزن ،أزن) العربية تشير الى سلاح حديدي من نوع ما ربما هو الرمح [٣]**..(انظر الجزء الاول من كتابنا هذا)**

ونحن بدورنا هنا نمهد لتسليط الضوء على الزوايا المعتمه من تاريخنا وبالذات ما يتعلق (بسرو حمير/ يافع) وتاريخها المجهول قبل الاسلام .. ولهذا الوضع الذي مازالت فيه الكشوف ألاثارية شبه محظورة عن مرتفعات يافع ؟! الامر الذي يحرمنا من أهم مصدر وأصدقها وهو اللقى الاثرية والنقشية بالنسبة لمسألة كتابة التاريخ أو إعادة الاعتبار لوعينا التاريخي .. نجد من الواجب علينا التعامل في المقام الاول مع المصدر الاخباري خاصة في ضوء إتفاق ما نقله الاخباريون العرب مع ما أوردته التوراة في معنى اللفظة (عزن) التي وردت بصيغة (**زين ء / أشعياء / ٦/٢٢**) بمعنى " **سلاح ما** " وفي هذا الشأن يقول لسان اليمن " الهمداني في قصيدته " الدامغة " التي أجاب بها " الكميت بن زيد الاسدي:

وأحدثنا الاسنة حين كانت أسنة آل عدنان قرونا [٤]

وفي الرماح اليزنية ، والازينه قال (أبو ذؤيب) :

وكلاهما في كفــه يزنيه   فيها سنان كالمناره اصلع [٥]

وقال الكميت:

سقينا الازرق اليزني مـــنه   وأكعب صعده حتى روينا [٦]

وفي كتابه : " قصائد جاهلية نادرة " لمجد الدكتور / " يحي الجبوري " مؤلف هذا الكتـــاب قد أشكل عليه معنى أحد أبيات الشعر المنسوبة للشاعر الجاهلي " عدي بـــن وداع الازدي " القــائل فيه:

فأرخيت القناه ويزءنياً   على الاكفال بالطعن المعاق [٧]

إذ وهم " د/ الجبوري" في مفرده (ويزءنيا) الواردة في صدر هذا البيت حيث حسب أن الاصــل فيها قد أتى من : الوزأ : الشديد الخلق ، وزأت الناقه براكبها إذا صرعته ،وسياق العبـــارة تعــنى الطعن الشديد . [٨]

هكذا غم المعنى على (د/ الجبوري)، وهو من البساطة حيث يشير الشاعر الى سلاحه " اليزني " الذي ربما يعني به الرمح المحمول على كفل الناقه طوع يده ساعة الطعان ولعل أقوى القرائن الـتي نود الادلاء بها لإثبات هذا المعنى المتواتر في " التوراة " واثار الاخباريين العرب يكمـــن في إطـــراد هذا المعنى واستمرارية إطلاقه لدى قبائل " سرو حمير / يافع " حتى اليوم وبصـــورة متفـــردة إسمـــاً جامعاً لعبوّات أو ذخائر البندقية النارية حيث يطلقون عليها أسم (زانـــه) ـــ مـــن زان يـــزان ـــ وتفرد " قبائل يافع في إطلاق هذه التسمية (زانه) على ذلقات الرصاص في حين تعـــرف لـــدى معظم القبائل اليمنية بإسم " معبر جمعها معابر " أمر له دلالته التي تنسجم مـــع طرحنـــا في هـــذه الدراسة التي نسلط فيها الضوء على الموطن الاصل لليزنيين أو الايزون .ونعني به " ســـرو حمـــير/ يافع"

ولعل أقرب السبل لاثبات هذا الطرح تكمن في المصدر الاخباري الذي تأتي فيه مصنفات لســـان اليمن (الهمداني) على رأس كتابات الاخباريين العرب ومروياتهم الاكثر صدقا على أقل تقدير فيمـــا يخص تاريخ حمير وأنسابها وفي الاسطر التالية نعرض لما تركه (الهمداني) بشأن (الايزون) :

تحت هذه المادة أورد الهمداني في (الاكليل/ ٢) :

" مرة ذو يزن بن يريم بن يافع "

(أكليل/٢ص٣٦٢)

وفي نفس المصنف ينسب بطون ألاريوم الى (يافع) :

(يريم بن شرحبيل بن يافع)

(اكليل /٢ص ٣٦٧)

ولكننا نعلم من (الهمداني) نفسه ان (ليافع) من الابناء ولدان هما :

(بلده) و(جحيملان) ابني (يافع) ومنهما أنتشرت بطون (يافع) وهن أنجد حمير بـــاليمن وفرسالهم قليل

(أكليل / ٢ ص ٣٠٤-٣٠٥)

ووفقا لهذا العرض يمكن لنا الاهتداء إلى طرح نسب (الايزون) على النحو التالي :

مرة (ذويزن بن يريم بن شرحبيل) (بلدة / أو جحيملان) بن يافع .ويؤيد هذا الطـــرح مـــا ذكره (الهمداني) من رواية (بني عبد الجبار) أحد البطون (اليزنيه / اليافعيه)

أيام الهمداني :

- **واشراف يافع باليمن اليوم بنو أحمد بن عبدالجبار بن محمد بن عبدالله بن زالد بن عاصم بن مرشد بن يفضل بن (ذي جنا) بن النضر بن يزيد) (الاصغر) بن عمر بن مرة (الفياض/ذي يزن) بن يريم (الاكبر بن شرحبيل بن يافع بن قاول كذلك ملة علي بنو عبد الجبار .**

(أكليل / ص ٣٠٤ ٣٠٥)

هذه المعطيات النقليه تشير صراحة الى جد واحد أعلى للسلالة اليزنيه هو (يافع " السرو " ابـــن قاول) وعليه فاننا لانجانب الصواب إذا قلنا أن الموطن الاصل لهذه السلاله هو

- **(سرو حمير/ يافع)**

ترى هل لنا من قدرة تعيننا على التعرف على الأثار اليزنيه وخلائفها السلائليه في مرتفعات (يافع) اليوم.

- **بنو عبد الجبار:**

مازال (بنو عبد الجبار) يعيشون اليوم في وادي (يهر) الخصب وقريتهم عامره بهم وتعرف باسم:

التربة : مطلة على سوق (السويداء) وهو سوق وادي (يهر) الوحيد وينتمي (بنـــو عبـــد الجبار) الى خميس (بمعنى الجيش القبلي في نقوش المساند) يهري والمعروف (بحمير الواد) وعـــدد خموس مكتب (ناحية) (يهر) ثلاثة عشر خميسا .

* وبنو عبد الجبار: فرع من قبيله (الكباب) اليزيديه وينتمون الى فخذ ال (ذوادي) منها وأهم قراهم :

ذي جليد والمليح [9]

هؤلاء هم (بنو عبد الجبار) الذين ذكرهم (الهمداني) بوصفهم " **أشراف (يافع) باليمن..** "

- **الاصنعة :**

ذكرهم (الهمداني) في (الايزون) وحدد موطنـــهم في وادي (تونــه) . (اكليـــل /٢ ص ٣٤٦) .وقد حقق (الاكوع) ذلك الوادي بقوله :

- **وادي تو نه : بفتح التاء المثناه من فوق وتشديد الواو المكسوره ثم النون وهاء : واد يقــع بين (الحواشب) و (ردفان) نسب الى (تونه بن شرحبيل بن ثوبه)**

(أكليل /نفسه)

وفي (صفه جزيرة العرب) عدهم (الهمدان) في قبيلة (الحواشب) :

الاصنعه قبيلة من (الحواشب)

(صفة / ص ١٧٤)

ومن الاوديه التي خلدت ذكرى هذه السلالة (الحميرية اليزنيه) في (يافع) :

- **وادي توانه : واد خصب مجاور لوادي (خيره) في حيز قبيله (المنصري) (الكلديه) مـــن (يافع بني قاسد).**
- **وادي ذنه : واد يقع على مقربه من وادي (كلسام) في حيز قبيلة (المنصري) (الكلديــه) ايضا .** [10]

ومما لا شك فيه أن في (يافع) الكثير من الشواهد الاسمية والاثريه للسلالة (اليزنيه) سنعرض لها في صلب هذه الدراسة المكرسه لتاريخ (يافع) في العهود (اليزنيه) القديمة .

- **اليزنيو ن في نقوش المساند :**

أقدم النقوش المسنديه التي تشير الى (الايزون) ترجع الى العقود الاخيرة من القرن الثالثـــة بعـــد الميلاد فقد ترك لنا شخص يدعى :

(شهر / أو شاهر أسار بن ربيعه (ذو يذان/ بالذال التي تحل محل الزاي في اللهجة الحضرميـــة أنذاك) ، ترك توقيعه على صخرة من صخور (العقله على مقربه من (شبوه) عاصمة حضرمـــوت القديمه الى جانب توقيعات اشخاص آخرين ، وذلك حين زار الموقع في ركاب ملكين حضرميـــين

هما:

(ال ريام يدم ثم اخوع يدع أب غيلان ابناء يدع إل بين بن ربشمس)

الامر الذي يخول لنا ان نستنتج أن اليزنيين كانوا وقت ذاك أذواء صغارا ضمـــن الفلـــك الحضرمي لا اكثر ولا أقل . [11]

ويرجع (د/ بافقيه) عدم مشاركة (**اليزنيين في المعارك التي خاضها الملك الحضرمي (يـدع إل بين) ضد الحميريين الى صغرشأنهم** غير أنه في أشارته الى مشاركة إذواء صغار آخرين من المشـــرق في تلك المعارك قد سجل (أي بافقيه) أول المطاعن على فكرته هذه .. فإذا كان صغـــر الشـــأن هـــو السبب بعدم خوض (اليزنيين) المعارك الى جانب ملكهم (يدع إل بين) فكيف شارك أذواء صغـــار مثلهم في هذه المعارك .

والسبب الحقيقي يكمن في نظري في إمتناع (اليزنيين) عن مقاتلة أخوانهم الحميريين الـــذي ربما كانت حينها السلاله (اليزنيه) الواسعه الانتشار في موطنها الاصل (سروحمير / يافع) تخـوض المعارك في مقدمة الصفوف الحميريه ضد الملك الحضرمي هذا .. مما شكل هذا الامر سببا وجيـــها لامتناع (أيزون) حضرموت عن المشاركة في تلك الوقائع الموجهة ضد اخوانهم في الاصل .

هذا و لم يترك صاحب النقشين المتشابهين (جام / ٩٩٤= ١٠٠٣)

(شاهر بن ربيعه ذو يذأن) أي معلومات عن أذواليته حتى جاء نقـــش (عبـــدان) الكبـــير (المقابل تاريخه لعام ٣٥٥م) نفسه ليقول لنا أنه ضمن إعادة بناء (عبدان) التي دمرها الحضارمـــة كان بناء (بيت يزأن) [12]

لقد ورد الاسم (يذان/ يزان) في أحد النقوش الحضرمية القديمـــه العـــائد الى عـــهد مكاربـــه (حضرموت) في النصف الاول للألف الاولى قبل الميلاد كقصر **في مدينة (ضيفتن)** في وادي (حبـلن) وهذا النقش هو (**ريرتوار / ٢٦٨٧**) الذي تناولته بالتفصيل في معالجتي لتاريخ (سرو حمير / يـــافع) في الحقب العتيقه أي في مطلع (الجزء الثاني من كتابنا هذا) غير ان الصعود الحقيقي للتاريخ الـــيزني يعود لفترة أعقبت تمكن الملك الحميري الشهير (شمر يهرعش) من بسط نفوذه على كل التخوم المتـــدة من أطراف حضرموت القديمة الشرقية بما فيها أقليم (ساكلن / الساكل) أي ما يعرف اليوم بـــأقليم (ظفار/ في سلطنة عمان) حتى سواحل البحر الاحمر غربا ونجران ومرتفعات عسير واواسط شبه جزيـرة العرب عموما الامر الذي جسده فب لقبه الرباعي (**ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنه**) كـــان ذلك في أواخر القرن الثالث بعد الميلاد .

• بنو حشيش :

تعرف بنو حشيش (تاريخياً) بمواقع الرية عتيقة منها (شبام سخيم = شبام الغــــراس) (وذي مرمر) و (حصن الغصن) فيا ترى كيف اصبحت منذ فجر الاسلام (بني حشيش) ؟ قصـــة هـــذا التسمية الطارئة معروفة في مصادر كثيرة منها :

(معجم الحجري ، تاريخ الواسعي ، تاريخ الوزير ، وقبائل العرب)
ومفاداها أن رجل فارسي فر الى المنطقة في صدر الاسلام أثناء ثورة
(عبهلة العنسي) (وقيس بن مكشوح المرادي) وصاهر فيهم فتسموا
بإسمه (حشيش) بناءً على قاعدة كانت متبعه في التحالفات والاحلاف
أنذاك[16] ومن القرى التي تدل على إستيطانات (الابناء) هناك قريتا :
(الفرس) و (الابناء) في منطقة (بني حشيش) ، وقرية (بهرام)
في بيت بوس) .[17]

هذه الاشارة أردنا الاستئناس بها في طريقنا لكشف الغموض العالق بهوية (ملشان ذي يزن) فـلا هذه السلاله ولا قصرها (يزان) قد ذكر قبل هذا النقش في معرض الاشارة النقشـــيه الى (عبـــدان) المدينه ومنها نقش :

(كياس ٣°. ن٣ .39.11/) العائد الى عهد (شعرم أوتر) الملك السبئي في القـــرن الثالثــة للميلاد . وكذا في

(مسند / ١ ملحق ب / أرياني) حيث لا يذكر (يزان) بأي صورة مـــن الصـــور.[18] هـــذه القرائن والمسلمات تجعلنا نقر بمذهب (بافقيه) من أن (ملشان) هو :

أحد الاذواء المشارقة الذين انحازوا الى (حمير) أو أنه (حميري) جيء به ليتـــولى القيالـــة في (عبدان) تلك المدينة العريقة الاستراتيجية في المشرق ، وأنه في كل الاحوال طارئ على الاذوائيـــة (اليزنيه) بالذات .[19]

وتزداد الطين بلة عندما نعرض لرأي (الفرح) بشأن عميد الاسرة اليزنية هـــذا (ملشـــان أريم) ومفاداة أنه :

وفقاً لرواية (الفردوسي / للشاة نامه) قد أتى قائداً في جيش ملك فـــارس أثنـــاء غزوتـــه للجزيرة العربيه (وارتيريا) ، مناهضة ودافعـــه للتغلغـــل) الحبشـــي / البـــيزنطي) في البحـــر الاحمر .[20]

وقد أتخذ) الفرح من ورود مقرده (يزان) في نقوش أقدم عهدا من عهد (ملشان) نفسه قرينه تدل على قدوم (ملشان) في حملة مساعده (نجدة) : (ليزأن _ المقه _ عشتر أدمه الخ) **وعلى الرغم من تنبه (الفرح) لغياب ذكر (الفرس) في النقوش (اليزنيه) إلا انه قد تعلل بأن الحملة كانت طارئه ليس إلا .** [21]

وبالنسبه لهذا الطرح الذي لا تدعمه النقوش فأنة ان صح يدمغ الايزون بلعنه الدوران في حلقة الشر المفرغة كيف لا و(ملشان المؤسس) قد ذهب الى (فارس) لطلب النجدة أو للعمل في صفوف جحافل الجيوش الفارسية الامر الذي تكرر بعد ذلك بعدة قرون من أحد الاحفاد (سيف بن ذي يزن) مع نفس الحلفاء (الفرس) ضد نفس الاعداء (الروم/والاحباش) ؟!

- **بنو ملشان وبنو غمران:**

إذا أقتفينا أثر السلاله (اليزنيه) في موطنها الاصل (سرو حمير/يافع) وفقا لما اورده (الهمداني) عنها وهو الموطن الاكثر احتمالا وفقا للطرح الذي ذهب اليه (د/ بافقيه) أيضا ، فان الاثار الاسمية والحية في (يافع) تجمد لنا التاريخ وتهدينا الى فهم أفضل لجذور تلك السلالة الحميرية العريقة وتفرعاتها لقد أنطلق (ملشان أريم) من أحد أعرق السلالات الحميرية اليافعية ونعتقد أنها (الاذوائية الناخبيه) المعروفة عند الاخباريين اليمنيين بواديها الخصب (ذو ناخب) ، وقد ذكره (الهمداني) في عداد غرر أودية (سرو حمير / يافع) :

(ذو ناخب) لبني جبر منهم .

(سلب) لبني جبر منهم

(العرقة) للاهجور منهم وهي واد وهم بنو هجر .

(صفة جزيرة العرب/ ص١٧٣)

وقد أفضنا في دراسة تلك المواضع في الدراسة التي كرسناها لتحقيق كتابات الهمداني عن (سروحمير / وقبائله / انظر الفصل اللاحق) .

وأصحاب هذا الوادي الذين ذكرهم الهمداني (تصحيفا) **باسم بني جبر** مازالوا يعيشون في **(أسافل وادي (ذي ناخب) ويعرفون با (الغبران/بالغين المعجمه)** [22] **، فهم (بنو غبر) ليس** بالجيم) فماهي الادلة التي بأيدينا الداعمة لهذا الطرح ؟

الاجابة نسوقها في الاسطر اللاحقة :

- **بنو غمران :**

أنقسمت السلاله المليشانيه (بنو ملشان) مع نهاية النص الاول للقرن الخـامس للميـلاد الى فرعين أحدهما يحمل الاسم القديم (بنو ملشان) والآخر له اسم جديد هو (بنو غمران) كما نـص على ذلك النقش (ربرتوار / ٥٠٨٥)

فمن هو غمران ؟[٢٣]

صاحب هذا السؤال أصلا هو (د/ بافقيه)

نرجح أن (بني غمران) هؤلاء هم أقارب (بنو عمومه (لبني ملشان) من نفس الارومه الـتي تخلفت في موطنها (سرو حمير/ يافع) بعد ان غادرها (ملشان) وأسس هنالك الاذوائيه (اليزنيـه) وعندما أبتسم الحظ (لبني ملشان أريم) وازدهر قصرهم (يزأن) في مدينـة (عبـدان) وتوسـعت ثروتهم الناجمة من قيادتهم لحملات التوسع الحميري في مختلف أرجاء شبه جزيرة العرب الامـر الـذي أدى الى بسطه في عيشهم من كثرة الغنائم والفيئ وأمتلاك العقارات والقوافل التجاريـة .. الخ هـذا الامور بجتمعة شكلت مصدرا لجذب الفرع الآخر من السلالة (اليزنية) الذين كانوا أنذاك مـازالوا في واديهم المعروف بـ (**ذي ناخب**) في يافع بني قاسد) و لم يكن هذا الفرع (اليزني) الجديد سـوى (بني غمران) وفيما يلي نسوق لكم الادلة الداعمة لطرحنا هذا :

i. الى جانب (بني عبد الجبار) اصحاب (تربه يهر) تعرف في (يافع) قبيلة أخرى بأنها مـن السلاله (اليزنيه) وهي :

- **قبيلة الكهالي (الناخبيه) :**

لهم رئاسه مكتب (ناحيه) الناخبي (صيغة النسبه لذي ناخب) من (يافع بني قاسد) وقـوى (الكهالي) وتفرعاته كثيرة في وادي (ذي ناخب) ، فصلها (حمزة لقمان). [٢٤]

ii. ذكرنا (آنفا) القبيلة التي كانت في عهد (الهمداني) صاحبه وادي (ذي نـاخب) ووادي (سلب) أسافل (ذي ناخب) وقلنا أنها ما يعرف اليوم ب (**الغبران**) **أحد تفرعات قبيلـة (طسـه) حلالهم أحد الادويه المتفرعة من أسافل ذي ناخب وهو (وادي حدق).**[٢٥] **ولا يحتاج الامر هنـا الى مهارة لغويه عالية لمعرفة أن :**

- **(بني غمران) في النقوش (اليزنيه) وبالذات (ربرتوار/ ٥٠٨٥) هـم (بنـو جـبر / تصحيفا عند الهمداني) , وهم (الغبران) اليوم بحيث غمران= غبران بابدال الباء مـن الميـم لأنهما من حروف الشفه .**

iii. تنتشر على قمم الجبال المتشابكة المحيطة بوادي (ذي ناخب) خرائب كثيرة لم تجر فيـــها أي حفريات أثرية تماما مثل بقية مناطق (سروحمير/يافع) الشاسعة ، ومن قـــرى وادي (ذي نــاخب) العامرة

- **غامر :**

(**غمر/ بدون تصويت**) (**والاصل في غمران هو غمر**) : أحد الحصون الناخبيه لأحد تفرعـلت قبيلة (الكهالي) اليزنيه (لآل بن ناجي منهم) ومن قراهم المطلة على وادي (حمحمه) أحد الأوديـــة المتفرعة من (ذي ناخب) : (يضم) (وظيف) و(مضيضة) و(محوال) و(دور عديه). [٢٦] ومن قراهــم التي يعتبرها (تصحيفا) ل:

غمران: قرية (غمزان / بالزاي) ،وهي لبعض قبيلة (الكهالي) أيضا . وقد أسهب (النـلخي) في ذكر خرائب (ذي ناخب) الاثرية منها (غامر) (وعطف النود) (والراغـــة) وخرائـــب (جبل شمسان) . [٢٧]

لم يأت القرن السادس للميلاد الا وقد التحقت بالاذوائية (اليزنية) إذوائيات (يافعية) عديـــدة ظهرت أسمائها في النقوش (اليزنية) التي يرجع تاريخها الى الثلاثة العقود الاولى من القـــرن الســـادس للميلاد وفيما يلي نعرض لتلك الاذوائيات (اليافعية) والتي ما زالت تحمل اسمائها القديمة المذكـــورة في النقوش (اليزنية) : كل الاذوائيات (اليافعية) التي سنعرض في هذه الاسطر ، ذكرت في نقش (يـــزني) عثر عليه في (**عرماوية / حصن الغراب**) المطل على مينا (**قنا**) **ويعـــرف ب (كوربـــوس/٦٢١) ويعود الى عام (٦٤٠ من التقويم الحميري / الموافق لعام ٦٢٥م) واصحابـــه (سميفـــع أشـــوع) وابناؤه (شرحب أل يكمل) و (معد كرب يعفر) بنو (لحيعة يرخم) ، كانوا قـــد ســـجلوه في العام الذي شهد نهاية حروب الملك الحميري (يوسف أسار يثار) المعروف بلقبـــه (ذي نـــواس) ضد الاحباش الذين تمكنوا كما يصف النقش من إجتياح (ارض حمير) وقتـــل ملكـــها وأقيالـــه الحميريين والارحبيين..**

في الوقت الذي انشغل فيه بنو (لحي عت يرخم) أثر عودتهم من (ارض الاحباش) بـــترميم الحصن (عرماويه) واسواره (ومواجله) و(نقيلة). [٢٨] **وقد ذكر أصحاب النقش أنهـــم اربـــاب (أذوائيات)** عددوها على هذا النحو:

بني لحيعت / ٢) يرخم / الهت / كلعن /وذيزان / وجدنم / ومثلن / وشرقن / وحبم / ويثعن ٣) ويشرم / ويرس / ومكربم / وعقهت/وبساين/ ويلغب / وغيمن / ويصبر

٤) وشبحم /وجدوين / وكسرن / ورخيه / وجردن / وقبلن / وشرجي / وبني/ ملحم .
٥) واشعبهمو / وحظت / والهن / وسلفن / وضيفتن/ ورثخم /وركبن /ومطلفت.
٦) ن /وسكلن / وسكرد / وكبور / ومحرج / سين / ذ نصف / سطرو /ذن /مسندن/..

وقد تناول هذا النقش أهل الاختصاص بنقوش المسـاند وتعرفـوا علـى معظـم(الأذوئيـات-) (الشعوب/القبائل).. وبمساعدة [د/بافقيه] نقرأ النص(عربيا) فـهم أي(بـني لحيعـة يرخـم) الهـت أرباب/أذواء:

(الكلاع) و(ذي يزن) و(جدن) و(مثلن) و(شرقن/انظر الصفة:الشرق) و(يثعـن) و(يشـرم) و(يرس) و(مكربم) و(عقهت) و(بساين/بالسين الثانية) و(يلغب) و(غيمان) و(يصـبر) و(شـبحم) و(جدوين) و(الكسر/بوادي حضرموت) و(رخية) و(جردان) و(قبلن) و(شرجي) و(بني ملحم).

أما قبائلهم فهي:

و(حاظة) و(الهان) و(السلف) وكلها مرتبطة بالكلاع.

و(ضيفـتن) و(رثحـم) –القديمتـان– و(الركـب) و(مطلفـتن/وردت في ينبـق٤٧) و(سأكلن/الساكل–ظفار غرب عمان) و(سكرد) وهم أيضا كبار ومحارج(سيبان/ذي نسف).[٢٩]

ولن أتعرض بالتحقيق هنا إلا إلى الأذوائيات اليافعية الواردة في النص وهي:

(حبم) و(يشرم) و(يرس) و(بساين) و(شبحم)

فيا ترى هل لهذه الأذوائيات من بقية في يافع أم عفى عنها الزمان، و لم يبق إلا تسـمياتها تطلـق على مواضع خربه ؟

الإجابة نسوقها في التالي:

- **إذوائية حبه:**

(الميم في حبم [كوريوس/٦٢١] لاحقة التنوين العربية الجنوبية القديمة):

(حبه) ذكرها (الهمداني) في [الصفة] في عداد أودية(سرو حمـير/يـافع–صـ١٧٣)، وفي (الإكليل ٢/ص٤؛ ٣–٣٠٥، ١١٩)

١) أولد وائل ابن سدد زرعة ابن سبأ الأصغر: سبأ ابن وائل ، فاولد سبأ ابن وائل: زرعـة ابن سبأ فاولد زرعة: (حبه) [مخففا] ابن زرعـة وإليـه ينسـب وادي(حبـه) بالسـرو، وقـد حققه(الأكوع).

٢) السرو.. المراد به هنا سرو حمير، وهو (بلاد يافع) ووادي(حبه) بالتحريك نسب إليه وهـو

محتفظ باسمه إلى هذا التاريخ وهو في (يافع العيا)، ويرى(حبه) من (البيضاء) إذ(حبه) من (يافع) غرب(البيضاء)، والـ(حبه) من قبائل (يافع).

[إكليل/٢ ص ١١٩]

وللمزيد عن(حبه) نحيل القارئ إلى الفصل اللاحق الذي كرسناه لدراسة كتابات (الهمداني) عن(سرو حمير) وقبائله.

- إذوائية ال شرمان:[ذو أشرم]

(يشرم/كوربوس/٦٢١): هي بعض (الأذوائية اليهرية/ذو يهر) فما زالت في وادي (يهر) الشهير بزراعة البن قرية من قرى(حمير الواد)–أي من [خميس حمير الواد/الخميس بمعناه في النقوش=الجيش القبلي] إذ يتكون مكتب(ناحية) يهر من ثلاثة عشر خميسا– تعرف بقرية ال(شرمان). [٣٠] وفي وادي(يهر) مواقع أثرية عتيقة منها(كهف حرضه) الذي كشفه الأهالي هذا العام، ويقال أنهم عبثوا برسومه ونقوشه–ولم أزره بعد– ومن الآثار(اليزنية) هنالك (قرن ذي يزن) وهو حصن خرب يقع في(النواخيذ) قريبا من (تربة بني عبد الجبار) في وادي(يهر) كما ذكرنا في مطلع هذه الدراسة.

- إذوائية يسرا:

[يرس] في (كوربوس/٦٢١) (بالقلب) ففي النقوش اليمنية المسندية القديمة، تظهر بعض أسماء الأماكن مقلوبة الأحرف مثل: نقشم=نقش=نشق . أحد مدن (الجوف) المعينية العتيقة في نقش (النصر الكبير/ربرتوار/٣٩٤٥) : وما زالت في (يافع) إذوائية [يسرا=يرس] معروفة بقرية(ذا يسرا/تنطق بالصاد المهملة) وهي اليوم قصبة مكتب(ناحية) الضبي من (يافع العليا) وحلال بيت المشيخة(بن عاطف جابر) وأهل الصا في وأهل درعة وأهل حزام وأهل مثنى. [٣١]

- إذوائية بسا:

[بساين] في نقش (ينبق/٤٧) العائد إلى ٥١٠ للميلاد.. ونقشنا هذا (كوربوس/٦٢١): النون في (بساين) لاحقة التعريف العربية الجنوبية القديمة، فهي إذوائية ال(بساي=بسا) : أحد جبال (سرو حمير/يافع) ، يعرف بحصنه الشهير(حصن بسا) وتحصيناته و(مواجله/خزانات الماء) التليدة.. وفي سفحه تقع مقبرة قديمة يعرفها الأهالي باسم(مقبرة الشهداء) ، وهو مشرف على أحد أودية (سرو حمير/يافع) الخصبة وهو وادي (ضول/بالضاد المعجمة)، وقد ذكره (الهمداني)

في(الإكليل):

{وبنو(أديد) ومسكنهم (ضول) }　　　　[إكليل/٢ ص٣٠٤]

وما زال بنو(أديد) في وادي(ضول) ، ويعرفون بصيغة النسبة أي (دييدي) وهم:

أحد فروع قبائل المشألي (نسبة إلى مشألة) إذ هم بعض قبيلة الطالبي، حلاهم في:

(شريان) و(سيلة عرب) و(سيلة يمن) والزيدي منهم في(مشورات). [٣٢]

و(حصن بسا) هذا هو واحد من ثلاثة حصون تحرس التخوم الغربية ليافع وهي:

(بسا) و(يمن) و(تنحرة).

ومنطقة مشألة (مش أله=المنقذ الله عبريا) المجاورة لـ(ردفان) فيها الكثير من المواقع الأثرية التي تحتاج للتنقيب الآثاري.

- إذوائية شبح [شبحم إلى كوربوس ١٦٢١] :

الميم هي لاحقة التنوين العربية الجنوبية القديمة: مازالت هذه الأذوائية قائمة في مكتب(ناحية) يهر. إذ يشكل أهلها في قراهم ووديانهم المعروفة بـ(ال شبحي/صيغة النسبة من شبح) خميسا من (خموس) يهر وعددها كما ذكرنا آنفا ثلاثة عشر خميسا.

ومن أوديتهم وقراهم :

- **وادي وطن (أسافل وادي يهر) : حلال أهل (وطن) وبن مزيد منهم.**
- **وادي الرزان : ينزله (الراعي) منهم .**

ومن قراهم أيضا : (وادي نابرة) و(عضيد) و(جبل حيظ) و(ذراع لعوج) و(بياضه) و(سكته) و(دخلة ضبه) و(العريش) و(المبرك) و(القرية/قرية بن لصم). [٣٣]

وفي ختام هذه الدراسة نرجو أن نكون قد وفقنا إلى حلو بعض الغموض الذي علق بدراسة التاريخ (اليزني) على الرغم من هذه الحال التي لاحظها أحد المستشرقين بقوله:

(لقد غدا تاريخ سلالة(ذي يزن) وسلسلة نسبها موضوعا للدراسات إلا أن الكثير فيها لايزال غامضا حتى أيامنا الحاضرة). [٣٤]

نعم فإننا لا نشك بأن ما طرحناه هنا سيفتح أعين المؤرخين على وجهة جديدة طالما أشاحوا الطرف عنها وهي الموطن الأصل للسلالة(اليزنية) أي (سرو حمير/يافع) الصقع المجهول الذي يتعين على ذوي الاختصاص المعنية بالكشف عن آثار قدماء اليمنيين وتاريخهم-الذي مازال على العموم يشوبه الغموض!- أن يوجهوا إلى (سرو حمير/يافع) بعثات الكشوف الأثرية للتنقيب في العديد من المواقع

الأثرية والخرائب القديمة المرجوة في مختلف مناطق (يافع) ، والتي ذكرناها في مواضع شتى من كتابنـــــا هذا وبالذات في [الفصول السابقة الذكر] منه.

١

٢

٣

٤

٥

٦

٧

٨

٩

١٠

١١

١٢

١٣

١٤

١٥

١٦

١٧

١٨

١٩

الفصل السابع عشر

سرو حمير يافع في كتابات لسان اليمن الهمداني

(قراءة تصويبية)

كتابة التاريخ صناعة يلقي فيها المؤرخ المستجد عنتاً وحوباً... **فماذا يمكنه أن يُقدِّم للناس فوق** ما قدمه الأسبقون من أهل الصناعة خاصةً والكثير منهم كانوا لا يؤرخون لأحداث الماضي فحسب، بل ويشاركون في صناعة حوادثه ومجرياته... فليس له من بُد إلاّ تناول ما حبكه هؤلاء وسلم به التابعون ، فتقادم به الدهر فكساه هيبةً وأسبلت عوادى الحقب عليه حرمة يخشى الباحث المستجد انتهاكها.. فهذا حاله مع روايات قدماء الإخباريين وتخريجاتهم ومنقولهم . ولَعَمري هذا مأزق يرجى الخلاص منه... فكيف بمن يسعى مثلي لكتابة ما خرست عنه أقلام الأقدمين ورغبت عنه مدوناتهم، وأقصد بهذا تاريخ (سرو حمير/يافع) الذي قنع أبناءه باجترار الشكوى وعض بنان الندم على غياب (تاريخ الأجداد) خاصة في عهود ما قبل الإسلام... فهذا أحد أبنائه الشيخ(**عبد الله ابن أحمد الناخبي**) صاحب : **"يافع في أدوار التاريخ" يجأر في كتابه هذا (طبعة أولى)/١٩٩٠) محتاراً :**

أين تاريخ يافع ؟!

وحيث أننا لم نجد ما يشفي الغليل لا عند صاحب هذا السؤال ولا عند غيره إلاّ فيما يخص تاريخ يافع في القرون المتأخرة وبالذات من عهد الدولة الطاهرية (أي منذ أواخر القرن التاسع للهجرة)....

ولعل أهم المراجع النّقلية التي يأنس إليها من يزمع الكتابة عن **(سرو حمير/يافع) هي فيما ذكره(لسان اليمن) عنها في مؤلفاته التاريخية وبالذات (الإكليل) و(صفة جزيرة العرب). ففي (الإكليل/٢) المكرس لأنساب ولد (الهميسع ابن حمير ابن سبأ) يوجد** نسب (الصلب) الذي أخذت منه [سرو حمير] تسميتها المعروفة بها اليوم (يافع) كقبيلة ووطن. ومع أهمية قوائم الأنساب التي دوج الأخباريون العرب على التعامل معها كمرجعية أصولية لا يرقى إليها الشك كلما دعت الضرورة التعرض للجذور (الأثنية) السلالية لبطن ما أو قبيلة من القبائل العربية... مع أهمية (علم الأنساب) في إضاءة زوايا التاريخ المظلمة ، إلا أن فيها من العيوب والمآخذ ما تجعل الباحث الفطن يحتاط في شأنها:

"فمن شرائط النسب ، أن لا يذكر من أولاد الرجل إلا النبيه الأشهر ويلغي الغبي ، ولولا ذاك لم يسع أنساب الناس سجل ولم يضبطها كاتب ، ألا ترى أنا ذكرنا من آل ذي أوسان صلب رجل واحد وذو أوسان بطن كبير ، وكذلك في جميع ما ذكرنا وعلى هذا مذهب النساب ."

واكثر ما تنطبق هذه القاعدة على البطون اليافعية... فعلى اتساع نجد حمير وكثافة ساكنيه وأهميته التاريخية إذ تنزل حمير:

في المكان المنسوب إليها وهو(سرو حمير) في جنوب شرق اليمن ، وهـو مـا يسـمى اليـوم بـ(يافع) وما جاورها... وقد كانت هذه القبيلة وارثة مُلك وتحكم اليمن كله ، ولكنها ضعفـت من جراء الاحتلال الحبشي ثم الفارسي فيما بعد...[3]

وعلى الرغم من انتساب شيخ الهمداني وأستاذه الجليل إلى أحد غرر أوديـة (يـافع) المعـروف بـ(وادي يهر) وهو (أبو نصر اليهري) الذي وصفه تلميذه الهمداني :

(بأنه شيخ حمير وناسبيها، علامتها وحامل سفرها ، ووارث ما ادخرته ملوك حمير في خزائنـها من مكنون علمها وقاري مساندها والمحيط بلغاتها...[4]

على الرغم من هذه المزايا لا يجد الباحث الكثير في آثار الهمداني عن يـافع والبطـون المنسـوبة إليه... وعلى كل حال ، فهذا ما لدى الهمداني بشأن يافع:

- **نسـبه:**

يافع بن قاول بن زيد بن ناعته بن شرحبيل بن الحارث بن يزيد بن يريم (ذي رعين) . [5]

فيافع كما يظهر في هذه القائمة هو الحفيد السادس من سلالة(ذي رعين) . وأمام إشكالية تنبـع مما تتواتره القبائل اليافعية عن أصلها العائد إلى : **(يافع بني مالك)**

ذهب البعض لتوسيع القائمة لتستوعب(مالكاً) فهكذا المح(البكري) في كتابه "في شـرق اليمـن **يافع" حيث أورد (يافع بن زيد بن مالك).** [6]

وعلى العموم فإنّ جميع القبائل اليافعية تنسب أصلها إلى مالك ، فهم (يافع) (بنو) بمعنى (تحـالف) قبلي... لكن الإشكاليّة هذه لا تحل بهذه البساطة، أي بحشو ب/مالك أو أملوك. فـالأمر في نظـري يعود إلى العهود العتيقة التي لا نجهد أنفسنا في التواصل معها عبر قنوات أكـثر فاعليـة مـن قوائـم الأنساب... وأرى أنّ نساب حمير قد وقفوا حائرين أمام انتساب أكبر بطون حمير إلى يافع... فقـد قال أبو نصر اليهري : **(ومن نساب حمير من يقول: إنّ الأملوك ابن بلده ابن يافع وهي الصغـرى. غيره : أملوك يافع بنو مليك).** [7]

وإذ يقر (الأكوع) عدم معرفته ببني مليك يافع . والمفهوم مما قاله نساب حمير أنّ:

١. قبائل (حمير السرو) قد عرفت بانتسابها إلى الجد يافع ، ولهذا السبب فهم يـافع، أي مثـل سبأ(الشعب) و سبأ(الجد الأعلى).

٢. ثم وفي عهد أحد الأحفاد (وربما في حياة يافع نفسه) أطلقوا على أنفسهم تسـمية الحقتـهم

بسبط يافع وهو:

إمّا الأملوك ابن بلدة ابن يافع.

أو مليك ابن (بلدة ؟) ابن يافع.

والظاهر في قول غير أبي نصر انهم يقصدون بالقول:

ـ أملوك يافع بنو مليك

ـ الأملوك هم يافع (القبيلة) بنو مليك(مالك).

نعم فالأصوب (مالك) وليس(مليك) وذلك لأنّ اليافعيين مازالوا حتى اليوم يُعرفون بـ(يافع بني مالك) ولهذا فهم أملوك/جمع تكسير مالك.

أما الشيخ عبد الله الناخبي فقد وجد بقية(بني مليك) في أحد البيوت الناخبية لهم واد يُعرف **بوادي (شباب) [جمع شاب] المتفرع من وادي (ذي ناخب) الشّهير في (يافع بني قاسد) ويُعرفون هنالك ب(بني المليكي/صيغة النسبة إلى مليك).** [٨]

هذا ولا توجد اليوم في (سرو يافع) آثار اسمية لأي من ولدي يافع لا لـ**(جحيملان)** ولا لأخيه(**بلدة**) فلا قرية أو ناحية أو قبيلة تذكر أو تحمل اسم أحد منهم !.

ولا تنتهي المسألة عند هذا الحد ، ففي قائمة نسب (رعينية) يظهر لنا ولد ثالث ليافع يحمل اسم (**شرحبيل**) وله ولد يُدعى(يريم الأكبر) وهو بدوره الجد الأكبر للسلالة اليزينية ، فمن صُلبه يخرج: **(ذو يزن) بن يريم الأكبر بن شرحبيل بن يافع.** [٩]

وهو الآخر ، أي (**شرحبيل**) لا نجد له أثراً اليوم إلاّ في أحد البيوت (المفلحية) ويُعرف ببيت **بن شراحي(بالنحت) :حلالهم وادي (عقور) وهو أحد الأودية الفرعية التي مخرجها إلى وادي يهر على الجانب القبلي منه.**

وكلما توغلنا في البحث عن جذور البطون الحميرية في (سرو حمير) ترسخت لدينا قناعة أنّ يافعاً أي (يافع ابن قاول) الذي انعقدت تحت لوائه كل البطون الحميرية العريقة في (سروحمير)... هذه البطون ليست بالضرورة جميعها خارجةً من صلب الجد (يافع) ، فالملاحظ أنّ بعض البطون اليافعية الانتماء والتي كانت لأسمائها غلبة على أوطانها في (سروحمير) .... هذه البطون في الواقع تتقدم في الصفوف الأولى للسلالة الحميرية تاركةً (يافع) في أحد الصفوف الخلفية... أي أنّ هذه البطون تحتل مرتبة الأجداد مقارنة بمن تنضوي تحت لوائه ، ونقصد به (يافع) الحفيد الذي بزّ المتقدمين والمتأخرين من سلالته . وفيما يلي نعرض لبعض (الحميرية) المتقدمة على(يافع ابن قاول) والساكنة بعض نواحيه !

ولتسهيل المقارنة أنظر الجدول أدناه:

[أ] نفوذ يافع في (ذي رعين)		
(II)	(I)	(III)
عدي بن	يافع بن	
غلس بن	قاول بن	
شعر بن	زيد بن	
عدي بن	ناعتة بن	
الحارث بن	شرحبيل بن	ثمو بن
شرحبيل بن	الحارث بن	شرحبيل بن
مثوب بن	زيد بن	مثوب بن
يريم	يريم	يريم

[ب] نفوذ يافع في سلالة حمير الأصغر			
(V)	(IV)	(I)	(VI)
	يعفر بن	يافع بن	
حبه بن	الحارث بن	قاول بن	العردف بن
زرعة بن	سعد بن	زيد بن	حطبان بن
سبأ بن	مالك بن	ناعته بن	بلد بن
وائل بن	زيد بن	شرحبيل بن	الفيض بن
سدد بن	سدد بن	الحارث بن	
	زرعة(حمير الأصغر) بن	زيد بن	زرعة(حمير الأصغر)بن
	سبأ الأصغر بن		سبأ الأصغر بن
		يريم	كعب بن
	كعب بن	ذي رعين بن	
	سهل	سهل	سهل

ومن الجدول [أ] و [ب] نستخلص التالي :-

(I) أنّ (يريم ذو رعين) بن سهل بن زيد الجمهور بن عمرو بن قيس بن حشم بن عبد شمس هو الجد السادس ل(يافع السرو) وأنّ لهذا الأخير قد أخذت حمير تنسب إليه سَروها المعروف ب(سروحمير). في حين لم يبق لهذا الجد (ذي رعين) غير عزلة من ناحية يريم واعمال إب تُعرف باسمه(ذو رعين) وهي عزلة متسعة بما فيها خبان والشِيعِر وشطر من بعدان...[١٠] وقد ظلت هذه العزلة عبر العصور تحت نفوذ القبائل اليافعية.

(II) وذو رعين هذا هو الجد السادس أيضاً ل(عدي بن علس) مما يعني أنّ(عدياً) كان معاصراً ل(يافع بن قاول). وإلى (عدي) تنسب قبيلة آل عديوة في يافع العليا...[١١]

- عديـوة :

إحدى قرى سيَّل (جمع سيلة/سائلة) لبعوس تقع في رأس وادي (ذي ناخب) وذلك في ملتقى عدة أودية أهمها وادي (صدر) ووادي (سلفة) وكلها أودية ذكرها الهمداني في (الصفة).

(III) ينسب جبل (ثمر) في أدنى الطرف الشرقي ل(هضبة ضهر يافع) وهو جبل جعله الهمداني لبني ذرحن (الذراحن) من يافع. وينسب إلى الحفيد الثاني ل(ذي رعين) وهو : ثمر بن شرحبيل بن مثوب بن يريم (ذي رعين). وقد حققه الأكوع في الإكليل/٢. [١٢]

ومن الآثار الاسمية لثمر في يافع أيضاً:

- ثمـر :

وزان مطر: قرية في مكتب السعدي من يافع بني قاسد ، وهي حلال آل يوسف من قبيلة بن لحمر. [١٣]

* ثمر : قرية في ناحية قبيلة الربيعي التابعة لمكتب يهر وهي حلال الحدادين منهم. [١٤]

(IV) من نسل زرعة (حمير الأصغر) بن سبأ الأصغر بن كعب بن سهل.. هو أي كعب أخ ل(ذي عدين) ولد يعفر.

- يـهر :

(ذو يهر) من صُلب (سدد بن زرعة) و إلى(ذي يهر) ينسب (وادي يهر) الشهير ، إذ يُعد الرافد الثاني لوادي بنا من سرو حمير–انظر المزيد من التفاصيل لاحقاً– ويظهر أنه كان معاصراً ليافع.

(V)حبه : حبه هو الآخر من نسل زرعة حمير الأصغر ثم مشـــل يعفــر(ذي يــهر) مـــن صُلب(سدد بن زرعة) . وهو الحفيد السادس لكعب بن سهل.. أي أنه قد كان من جيل واحد هـــو و(يافع بن قاول). وهو أي (حبه) بهذه الصيغة ينسب إلى (جبل حبه) ووادي(حبه) في الجوار مـــن جبل ثمر. لكن لنا رأي آخر سنُبيِّنه فيما يلي :

١) سنلاحظ (لاحقاً) أثناء تعرضنا للنصوص التي وردت في (صفة جزيـــرة العـــرب/ص ١٧٢-١٧٣) أنّ المقصود بالعبارة: (حُبه الأبقور من يافع) [صفة/١٧٣] ليس بصحيـــح وأنّ الصـــواب : (حُمه للابقور من يافع) [بالميم بعد الحاء المهملة].

٢) حبه=حُمه ويهر كلاهما من نسل (سدد بن زرعة[حمير الأصغر])... ووادي حُمه أحد أوديـــة يافع بني قاسد في (كلد) كذلك يهر في يافع بني قاسد. أي أنّ حُمه (حبه في آثار الهمداني) ويهر مـــن فصيلة واحدة على وجهين:

- من صلب واحد (سدد).
- في حيز جغرافي واحد (بني قاسد).

(V)العردف : بطن حميري من بني الفياض بن زرعة حمير الأصغر. وهو أخ للصردف وقـــد حقق (الأكوع) موضعها أما (العردف) فيُظَن أنها في السكاسك وشرعب...[١٥] وهي في واقع الحـــال تُعرف اليوم ب(سهم العردف) في الشعيب-الأطراف الشمالية ل(سرو حمير/يافع) .

- العردف :

يضم هذا السهم فخائذاً عديدة تسكن قرى أهمها :عنفد-ثعلفة-الصلب-صامح-غيـــلان-المطوى-حجلة-المشراح.

أما حجلة وغيلان : فيُعرف ساكنوها بأهل كيشان والرحبة: الكريجي وبن مفتاح.. ومن قـــرى بن مفتاح راغب وبرك أيضاً.

أما الصلب : فقرية المطّاري. هذا وبقية القرى ينسب أهلها إليها.[١٦]

و(العردف) هذا هو الحفيد الخامس ل(كعب بن سهل) ويكفي في هذا دلالة علـــى قـــدم هـــذه البطون الحميرية نسبةً إلى (يافع بن قاول) إلا (عديرة) بن أغلس(علس) الذي يتساوى مع يـــافع مـــن حيث الجيل وهو السابع هنا في السلالة الرعينية. والعردف مثلاً يدخل في عمومة(أعمام) يافع لكنه مـــع ذلك يُعرف كسهم ليس إلا في منطقة يافعية هي (مخلاف الشعيب) المنسوب للشعيب، أحد البطـــون

اليافعية المتولدة من بلدة وجحيملان.إبني يافع حسب رواية (**محمد بن مسلم اليافعي**) الـــتي أوردهـــا (لسان اليمن) في (الإكليل). ونستغرب من (**محمد بن مسلم**) هذا عدم تعرضه لموطنه والبطـــن الـــتي ينتمي إليها ولا نعرف عنه شيئاً غير إشارة الهمداني إليه ب: (**محمد بن مســـلم أخـــو قاســـد[بـــني قاسد]**).[17]

وعلى الرغم من فشلنا في العثور على ترجمة لمحمد بن مسلم أخي بـــني قاســـد ... **إلا أن اسمـــه وأخوته ل(بني قاسد) تجعلنا نصرح أنه من حميسي آل مسلمي(صيغة النســـبة إلى جبـــل مســـلم) : الواقع اليوم في وادي يهر أحد مكاتب يافع بني قاسد(أخو بني قاسد). فعدم تطـــرق (محمـــد بـــن مسلم) لموطنه بالذات يزيد من قناعتنا عن غياب أمور كثيرة علـــى الهمـــداني بخصـــوص (ســـرو حمير/يافع) . وهناك بعض التخليطات فيما أورد الهمداني (رواية محمد بن مسلم) : فقد ذكر (بـــني قاسد) كبطن . وهم اليوم تحالف قبلي عظيم يشكل نصف يافع السرو ويضم تحت لوائـــه أغلـــب البطون التي ذكرت في رواية (محمد بن مسلم) منها: بنو قاسد–الأبقور–بنو شعيب–بنو جبر– بنـــو سمي– بنو صائد– كلد.**

وفي (كلد) هذه تعيش قبائل يافعية كثيرة ومنها ثلاثة بطون مذكورة في هذه الرواية وهم:

- **الأبقور وبنو سمي وبنو صائد:**

وقد حققنا هذه البطون ومواطنها في مواضع أخرى من بحثنا... ولعله من المناسب هنا الإشـــارة إلى أننا قد برهنّا في الجزء الأول من كتابنا والمتعلق بتاريخ اليمن في العهود العتيقة(التوراتية) أنّ (بـــني قاسد) وكلد (القاسدية) كان لهم حضور في التاريخ يرجع إلى نهاية الألف الثالثة (ق.م).

ويتعجب الباحث من هذه التحولات التي طرأت على(سروحمير) منذ عهد الهمداني. فقد ذكـــر في (صفة جزيرة العرب) مفارقات في سرو حمير وذلك بذكره لبطون يافعية مازالت حتى اليوم موجـــودة ولكن في غير المواضع التي ذكرها الهمداني ومنها:

- **حطيب لبني قاسد من يافع.**
- **حُبه للابقور من يافع.**
- **يهر لبني (شعيب) من يافع.**[18]

فبني قاسد كما أسلفنا هم اليوم نصف يافع المعروف بيافع بني قاسد (يافع الســـفلى) ويحتلـــون الجناح الجنوبي من (سروحمير) بينما(حطيب) واد في الطرف الشرقي لهضبة(ضهر يافع)–يافع العليـــا– وهو حسب تعبير د/ يوسف محمد عبد الله :

أحد رافدي (وادي بنا) الشهير-إذ رافده الثاني واد آخر من أودية سرو حمير هو (يهر)...[19] الذي يفصل(يافع) إلى قسمين هما :

- يافع بني مالك(هضبة ضهر يافع) الحيز الشمالي من سرو حمير.
- ويافع بني قاسد الحيز الجنوبي للسرو.

وعلى العموم فيافع حتى اليوم لم تكتشف بعد ، فهي وفقاً لوصف الشاعر العراقي المعروف(سعدي يوسف)-سجله في زيارته اليتيمة لها- :

تبدو يافع كلمة فضفاضة إذا ابتعدنا بها عن الأنثربولوجيا والجغرافيا الطبيعية ، فأنت لا تكاد تخرج من (زنجبار) حتى تدخل بعضها ، كما أنّ (الحبيلين) ليست سوى نقطة وصل بين يافع و الحوطة... وهناك التباعد بين المراكز الذي يزيد الفضفضة اتساعاً، فالمسافة بين (الحد) و(رصد) كأنها المسافة بين السماء والأرض ، والثقيل (ثقيل القمر) [ثقيل الخلاء] ، وحده كاف ليجعل شكلاً من (ذي ناخب) و (يهر) إمارتين مستقلتين . [20]

وإذا كانت إشكالية المسافة بين (بني قاسد) وحطيب عالجناها في موضع آخر بما رأينا فيه التباساً ناجماً عن التشابه(لفظاً) بين اسمين هما :

- حطيب = واد في شمال شرقي يافع.
- حطاط = واد في أقصى جنوب يافع.

إذ حطيب = حطب (بلا تصويت).

و حطاط = حطط (======)

ويكمن الالتباس هنا من تقارب مخرجي الصوت (الطاء والباء) حيث حطيط = حطيب... **وحطاط اليوم من غرر أودية (كلد) تتدفق عبره سيول جبال (يافع بني قاسد) ومخارجه إلى أبين عبر (حبيل برق). ولكن حتى حصر (بني قاسد) في (حطاط) يُعد بمثابة مؤشر على إلمام** (صاحب الرواية) ليس إلاّ بالنزر اليسير من شوارد الأخبار عن (يافع السرو) في عصر كانت تزدحم فيه الحوادث الجسام كدعوة (أبي الفتح علي بن الفضل الخنفري) المشهور لدى الإخباريين ب(القرمطي) وفتوحه التي كانت يافع رائدة فيها. وهو العصر المقصود بقول (لسان اليمن):

وهم المجد رجال اليمن وأخبارهم في عصرنا تكثر. [21]

وعندما نقف أمام قول الهمداني : (حُبه للابقور من يافع)

تترسخ قناعتنا بأن ما كتب الهمداني عن (سروحمير) لم يكن عن إحاطة حقيقية بأحوال السرو وأبعاده وأحداثياته الجغرافية وإنما عن معلومات اختطفها (لسان اليمن) اختطافا ربما من نفس مصدره في [الإكليل/٢] **وهو محمد بن مسلم اليافعي**-اليهري كما بينا- الذي أخاله يلقي بنتف من أخبار السرو على سمع (لسان اليمن) وهو أي (محمد مسلم) على عجالة من أمره! ولم تسنح الفرصة ل(أبي محمد) اللقاء براوية الخبر مرة أخرى للوقوف على ما ذكره . وربما أن الهمداني قد صادف بعد (**محمد بن مسلم اليهري**) رجلا آخرا من يافع أو من جوارها فأفسد على الهمداني رواية (ابن مسلم) بذكره لمواضع أخرى في (سروحمير) تتشابه لفظا مع ما ورد في متن الرواية الأصل الأمر الذي نعرض له في هذه الأسطر إحقاقا للحق وخدمة للمعرفة التي كانت فيها الغاية والمدد لإنشاء هذا الصرح المعرفي المتجسد في آثار الهمداني ومصنفاته التي لم يصلنا منها إلا ما حققه الأستاذ محمد بن علي الأكوع في مشروعه الثقافي الذي أطلق عليه : المكتبة اليمنية الحوالية. ولعله من الصواب بلاشك تقويم ما اعوج من النصوص في (**صفة جزيرة العرب**) تحت مادة (**سرو حمير وأوديته وساكنه**) على نحو ما ذكرنا في الأسطر السابقة ، أي ما نصت عليه العبارة : (**حطيب لبني قاسد من يافع**)

يعول إلى : (**حطاط لبني قاسد من يافع**). وأما نص العبارة موضوع التقويم فهو: (**حُبه للابقور من يافع**) ففي هذا النص من التجافي عن الواقع ما بين جبل(حَبّه) ومواطن قبيلة (الأبقور) في [كلد]

إذ يقع (حبه) إلى الجوار من جبل (ثمر) في شمالي هضبة ضهر يافع الشرقي (يافع العليا) وحلال (الأبقور) لم يتغير إذ تقع أوديتهم وقراهم في جنوبي (يافع بني قاسد) الغربي ، أي في (يافع السفلى) مكتب قبائل (كلد) فالمقصود في النّص واد آخر في (يافع بني قاسد) ويُعرف باسم :

وادي حُمّة: (وزان غُمه :المبهم) وقد آلت اليوم ملكية الوادي لقبيلة أم جلاد (الضراب بالسيّف) ويعرفون به إذ يدعون ب(جريري حُمَّة)

الجريري : فرع من أم جلاد. ٢٢

وفي وادي حُمة يقول الشيخ راجح هيثم بن سبعه :

وليلة يقع داعي (لرهوي) و(داعري)　　لما أغير من (حُمه) ومن وادي (الرزان)

- **الرهوي والداعري** : قبائل من سروحمير.
- **حُمَّه** : وادي حُمه.
- **الرزان** : وادٍ في يهر.

وقد كان وادي (حُمه) لفرع من قبيلة (الأبقور) غير أنّ كثيراً من تفرعات الأبقور قد هاجروا

إلى لحج (المجاورة عدن) وسكنوا هنالك في واد يعرف ب:

(بني أبه) يسكنها الأبقور من يافع).

فهجرة الأبقور بعضهم إلى (لحج) و(حالمين) حنوب الضالع هي السبب في انتقال حقوق التملك لوادي (حمه)من الأبقور إلى الجلاد والجرور وهم قبائل كلدية أيضا ونعزز طرحنا هذا بما يلي:

(أ) حبه : وردت في الصفة كموضع : (بضم الحاء المهملة بعدها باء موحدة مفتوحة آخره هاء) **[صفة/ ص ١٧٢]**

غير أن (حبه) قد ورد في سلسلة نسب بني وائل (بن سدد) بن زرعة على هذا النحو :

أولد وائل (بن سدد) بن زرعة بن سبأ الأصغر : سبأ بن وائل . وأولد

سبأ بن وائل : زرعة بن سبأ . فأولد زرعة بن سبأ :

*** حبه (مخففا) بن زرعة. وإليه ينسب وادي حبه بالسرو. فأولد حبه بن زرعة : الأسموع بن حبه. فأولد الأسموع بن حبه : سماعه بن الأسموع ، بطن .** [٢٣]

وهذا يؤكد بحد ذاته إلى أن حبه الموضع غير حبه (مخففا) الرجل(حبه بن زرعة).

(ب) **حمه** : (وزان غمه بمعنى المبهم) الوادي (أي الموضع) تطابق حبه (الموضع) من حيث ضم الحاء المهملة . في حين أن حبه (مخففا) تشاكل حبه (بالتحريك) إذ يحققه الأكوع :

وادي حبه (بالتحريك) نسب إليه وهو محتفظ باسمه إلى هذا التاريخ،

وهو في يافع العليا، ويرى جبل حبه من بلاد البيضاء ، إذ حبه من يافع

غرب البيضاء ، وآل حبه من قبائل يافع. [٢٤]

وفي هذا ما يكفينا للتدليل إنما قصد (بالصفة) كأحد أودية سروحمير هو وادي حمه(وزان غمه وبالميم بدلا من الباء الموحدة) . وأن حبه(بالتحريك) جبل وواد هو ما ورد نسبه في الإكليل (مخففا) وعليه يلزم تصحيح النص الوارد في (صفة جزيرة العرب) من:

(وحبه للابقور من يافع) **[ص ١٧٣]**

إلى : (وحُمَّة للابقور من يافع)

فياترى هل لبطن سماعه من بقية اليوم ؟

نعم فما برح (بطن سماعه) يعيش في أحد أودية سروحمير الشرقية في كنف محافد (العنقيم) عمالقة حمير الأولى والتي مازالت تُعرف حتى اليوم ب**(العناق). المجاورة لبيضاء حصى من جهة الغرب .** [٢٥] ويحمل واديهم اسم الجد الأعلى لهم أي : **(سماعه بن الأسموع بن حبه)** فهو اليوم :

- **ســناع :**

بالسين المهملة والنون بدلاً من الميم آخره عين مهملة قبلها ألف وبإهمال الهاء) والكثـير مـن أهالي (سرو يافع) ينطقونها بالصاد المهملة فهو(صناع) وهذا الأصوب لأسباب سنبينها آخر البحث : وادي صناع هذا يُعرف في أعاليه ب(صناع العليا) وفي أسافله ب(صناع السفلى) وتتدفق عـبره سيول مآتيها من (جبل العُر) عبر وادي (دان) فوادي (خيله/أنثى الحصان) ثم وادي(مروه) حيـث يتّحد مع سيول الصفح القبلي لوادي (بني بكر) وهكذا عبر وادي(سناع/صناع) تخرج السـيول إلى وادي(حمره) الذي يلتقي في سافله بوادي (حطيب) الرافد الأول لوادي (بنـا) ويسـكن في وادي صناع عدة قبائل منهم :

- **أهل عبيد وبعض قبيله.**
- **الفردي ويُعرفون بأهل الحرفوف وأهل عمر.** [٢٦]

نعم فأهالي وادي(صناع) هم هذا البطن الخارج من صُلب **(سماعه بن الأسموع)** من حبه من تسـل **(سدد بن زرعة)** [حمير الأصغر] . [انظر المزيد آخر البحث عن (حصن صناع)] هذا بشأن الأسمـوع = الأسنوع/ أو الأصنوع فما بال لسان اليمن الهمداني يجعل من وادي (يهر) موطناً ل(بني شـعيب) بما نص في الصفة : **(يهر لبني شُعيب من يافع).**

فأين وادي (يهر) في قلب سرو حمير حنوبي(هضبة ضهر يافع) من قبائل (الشـعيب) في أقصـى الشمال الغربي من سرو حمير : **فإلى الشمال من جبل(حرير) توجد جبال الشعيب المتصلـة بجبـل (حرير) في الجنوب، ويوجد جبل مريس في غربها وإلى الشرق من جبال الشعيب توجد جبـال يافع.** [٢٧]

فهل يمكن سكون النفس إلى قول الهمداني هذا ؟ وهل كان (بنو شعيب) على عـهد الهمـداني يسكنون في وادي يهر الواقع بدوره في قلب (سرو حمير) ؟

إذ يفصل بين حناحه الجنوبي (يافع بني قاسد) وحناحه الشمالي (يافع الهضبة/يافع بـني مـالك) ويزداد الشك عندنا إلى درجة نتحفز عندها بحثاً عن اليقين ، عندما نجد الهمداني(في نفـس الموضـع) ينسب إلى (بني شعيب) مواطناً أُخرى تقع في نفس الحيِّز الجغرافي الذي يضم بـين أرتـاده ورهـاده وادي(يهر) هذا. أما هذه المواطن فهي:

- **سلفة لبني شُعيب أيضاً...**
- **وعرُ ميحان لبني شُعيب أيضاً.** **[صفة/ ص ١٧٣]**

هذا الشك يدفع بنا إلى السؤال أيُعقل أنَّ (بني شُعيب) قد تركوا مواطنهم هذه (بعد القرن العاشر للميلاد/ إذ كان الهمداني مازال عائشاً في النصف الأول من القرن العاشر للميلاد)واتجهوا نحو الأطراف الشمالية الغربية ل(سروحمير) ليحتلوا هنالك قطاعاً من أرض جبلية وعرة شرقي الضالع ؟ وإذا كان هذا صحيحاً ، فهل يعني أنهم أزاحوا من هذا القطاع المعروف ب(مخلاف الشُعيب) بعض قبائل (الأعضود من جعدة) ؟

عندما نجد الإجابة بالنفي القائم على إثبات تواجد (بني شُعيب) في مخلافهم منذ أقدم العصور، وأنهم لم يزيحوا أحداً عن مخلافهم هذا أي(الشُعيب) لا قبل ولا بعد الهمداني.

يا ترى فمن هم بنو شُعيب هؤلاء الذين نسب إليهم صاحب الصفة ملكية واديين من أخصب أودية سروحمير هما(يهر) المشهور بزراعة البُن و(سلفه) المشهور بزراعة القات والورس ؟

وأين حصنهم (عرُ ميحان) الغير معروف الآن ؟

الإجابة نلخصها في التالي:

المراد في هذا البطن الوارد ذكره في النصوص أعلاه ليس (بنو شُعيب) وإنما بنو شُعب (بدون تصويت) فمن هم يا ترى ؟

- **بنو شُعب :**

(شعب = جماعة من الناس) : قبيلة ووطن قُراهم ووديانهم في منطقة تُعرف باسمهم أي (شُعب) وتضاف إلى (العرمي). فموطنهم هو (شعب العرمي) : منطقة جبلية تقع في رأس وادي (يهر) إذ يُعد جبل(شعب) وما صاقبه أول مآتي وادي يهر من جنوبيه الشرقي... وهذه المنطقة تتخللها وتحيق بها أودية خصبة وقرى عامرة ومن هذه الأودية:

١) وادي يهر.

٢) وادي حمومه.

٣) وادي شعب البارع.

٤) وادي بينان.

٥) وادي سلفه-وزان عرفه-.

مازال أهالي (شعب العرمي) يعدون من (مكتب اليهري)-نسبة إلى يهر- ويشكلون أحد أخماسه(الخميس=الجيش القبلي في النقوش اليمنية القديمة) . والشعب العرمي تفرعات قبلية أهمها:

- **عبدلي : في قرية ناصر.**

- عياشي : الحمراء والراحة وقطي والجحلة وكلها قرى.
- دعبي : وقراهم: اللّكمة والمصنعة والخربة وشعيبة.
- وسطي : في بيّ الصلح والمعزبة.
- أل/ سنيدي : في رباط السنيدي. [٢٨]

أما (المِحراس) فقد ذكرها الأكوع ونسب إليها (بني شُعيب) على هذا النحو:

(شعب الغرس)

[صفة /ص ١٧٢]

غير أنما يُعرف لدينا هو:

شِعب المِحراس : (بكسر الميم والحاء المهملة وفتح الراء ثم ألف آخره سين مهملة) قرية في جبـل آل(نفاج) [٢٩] : في مكتب اليزيدي ويقع (شعب المِحراس) هذا في نفس الحيز ، حيث تتداخل قـرى ووديان اليهري واليزيدي والسعدي وغيرها من مكاتب (يافع بني قاسد) ويدخل وادي (سلفه) اليـوم في نطاق مكتب اليزيدي : إذ يمتد في حواز (جبل اليزيدي) [آل نفّاج/تاريخياً] وعلى وجه التحديد في حوازه الشمالية الشرقية.

أما (عُر ميحان) التي يُقر محقق الصفة(الأكوع) بعدم معرفتها ، فهي كما يظهر لا تشير إلى حصن باسم (ميحان) على اعتبار أنّ العر : الحصن أو الجبل وأنّ ميحان اسم المكـان أو بـالأحرى أحد تفرعات (بني شعب) فهذا ما لم نعثر له على أثر ، وعليه وبالاستناد إلى ما قررنا أنّ (بني شـعيب) هم بالاصوب (بنو شعب) في يهر ويعرفون ب(شعب العرمي) بمعنى أنّ المقطع الثاني من هذا الاسـم المركب أي (أل/عرمي) يظهر لنا بجلاء في الاسم المركب (عُر ميحان) والذي ينبغي إعادة صياغته على هذا النحو:

(عرمي حان) : فالاسم هنا من :

- عرمي (صيغة النسبة من عرم).
- حان : اسم موضع.

أي أن هذا الاسم يشير إلى تواجد فرع من تفرعات (بني شعب) أيام الهمداني خـارج نطـاق وطنهم (شعب) في منطقة نرجح أنها في الجوار من (شعب) وأقرب هذه المواطن التي تشاكل (حان) :

١) بجان: (بفتح الباء الموحدة والجيم ثم ألف آخره نون) قرية لآل الرشيدي من موسطة يافع. [٣٠]

٢) بيت البجاني: (صيغة النسبة من بجان) إحدى قرى وادي تلب التابع لليزيدي. [٣١]

ومنه نخلص إلى أنّ :

- **عر ميحان :**

= عرمي بحان... والموضع في التالي هو الاحتمال الأقوى:

٣) **حاد: (بفتح الحاء المهملة ثم دال مهملة بينهما ألف) إحدى قـرى السـعيدي في مكتـب (الضُبي) من (هضبة ضهر يافع)** . [٣٢] وهذا الأقرب إلى ما ورد في الصفة/ص ١٧٣ :

عُر ميحان = عر مي حاد (عرمي–حاد) [تصحيفاً للتشابه بين النون والدال كتابة] .

وبناءً على ما ذكرناه ينبغي تعديل العبارات المخصصة ل(بني شُعيب) في صفة جزيـرة العـرب كالتالي:

- **يهر لبني شعب من يافع.**
- **سفله لبني شعب أيضاً.**
- **عرمي حاد من بني شعب أيضاً /ص١٧٣**

هذا وقد ذكر الهمداني بطوناً أخرى رعينية السلالة و لم يسرد نسبها تفصيلاً غير أننـا لا نشـك بأقدميتها إلى حقبة تضارع فيها (يافع بن قاول) على أقل تقدير ففيها قال الهمداني:

ومن ذي رعين ذو ناخب وبنو هجر ولم يذكرهم أبو نصر ، ومسكن الأهجور العرقة من سرو يافع وبهل بالباء. [٣٣]

وقد أشار محقق الإكليل (الأكوع) :

➢ **ذو ناخب : لهم بقية بيافع السُفلى ولهم صوت مسموع ، وكذلك الأهجور ومقرهم قريـة الخضراء.**

➢ **العرقة : (بفتح العين المهملة وكسر الراء ثم قاف وهاء) : بلدة آهلة بالسـكان مـن (ذي رعين) ب(يافع السفلى). وأما (بهل) فلا أعرف عنها شيئا.** [٣٤]

ونحن بدورنا نؤكد أن **(ذا ناخب) ويلفظ دالما (ذي ناخب)** كانوا وما زالـوا مـن كبريـات القبائل اليافعية ، وهم أحد مكاتب (يافع بني قاسد) ويضم هذا الكتب قبائلا لا مجال لذكرها هنـا ، ومن ضمنها قبيلة العرقي(صيغة النسبة من العرقة) وفي [الصفة] حققها الأكوع.

➢ **وادي العرقة: بلدة جامعة تقع أسافل وادي (ذي ناخب) ويسكنها آل المفلحي لهم مكـارم وعروبه.** [٣٥]

وفي الواقع أنه لا وجود لآل المفلحي أو (المفلجي) [بالقاف والجيم بينهما لام]–هـذه الصيغـة

أوردها الأكوع- غير أننا نرى (الأكوع) قد خولط عليه بين آل العرقة (يافع بني قاسـد)) في أقصى الجنوب الشرقي . وآل المفلحي(صيغة النسبة إلى مفلح) حلال وادي خلـه(أخلـه عند الهمداني/الإكليل/٢/ص ٣٠٨-٩) في يافع السفلى ولكنا في أقصى الشمال الغربي شرق الضالع وما بينهما يصلح لإقامة إمارات على حد تعبير الشاعر العراقي (سعدي يوسف). وعلى العموم :

وادي العرقة: من أخصب أودية يافع ، يصب في أسافل وادي(ذي ناخب) ومن ذي نـاخب تتفرع أودية مجهولة كثيرة سنذكرها .

ويعرف وادي العرقة في أعاليه بوادي أهل منصور (**ذو منصور**) وماتية من الصفـوح الجنوبية ل(جبل العر) **ولا أثر اليوم ل(الأهجور) في وادي العرقة فيما أعلم غير أنهم رأس مكتب البعسي من يافع العليا ...** غير أنّ مكتب لبعوس هذا ينقسم إلى جبل وواد- والـوادي يعـرف ب(سيل لبعوس)- المتداخلة مع مكتب الناخبي(ذي ناخب). وهذه تقسيمات العرقي:

- **الزفق** : (بكسر الزين والفاء بعدها قاف) قرية لهم في جبل (ذي منصور) رأس وادي العرقة.
- **دابج**: (بفتح الدال المهملة وكسر الباء موحدة بينهما ألف بالمد آخره جيم) : قرية لهم أيضاً أي لآل منصور.
- **سُورق**: (بضم السين المهملة بعدها واو وراء مشددة مفتوحة آخره قاف) : قريـة في وسـط وادي العرقة حلال أهل قحيم والصبيحي.
- **حزر**: (وزان شبر) وادٍ وقرية لأهل بركين وأهل فرج والصبيحي.
- **المعزبة**: قرية لأهل علاية في وادي العرقة.
- **رُباك**: (عقاب/جوارح الطير) ينسب أهلها إليها.
- **عرقة**: قرية باسم الوادي حلال أهل عوض منهم.[36]

اما (هل) التي ذكرها الهمداني في أوطان الأهجور ، فلم نجد لها أثـراً في مواطـن الأهجـور القديمة(العرقة) والجديدة(هجر لبعوس)... غير أنّ (الناخبي) قد ذكر في كتابه السالف الذكر قريـة في وادي (ذي ناخب):

لـ بلم: (وزان علم) في جبل شمسان خرابه كبيرة يقال أنها كانت لقوم يقال لهم أهل بلـم.[37] **واظن انّ (بلم) هذه قد بلغت الهمداني بصيغة مفخمة (هلم) حيث (الهاء) للتفخيم... فحذف الميم على اعتقاد منه أنها (لاحقة التنوين في لغة النقوش اليمنية القديمة).**

ولا غرابة إذا كانت هل(هلم=بلم) أحد مواطن أهجور سروحمير على عهد الهمـداني ، فـهذه

الخربة ووادي العرقة تقعان في حيِّز جغرافي واحد هو أسافل(ذي ناخب) ... لقـــد كـــان وادي (ذي ناخب) يضم بين جنباته قرى ومحافداً شكلت في العهود الحميرية القديمة(الأذوائية الناخبية) . وكلمـــا أزدحمت جنباته نزح أبناءه نحو مواطن جديدة وهو ما حصل لأهل (بحل) أنفسهم وللأهجـــور الذيـــن عزفوا عن (أسافل الوادي) الخصبة ، وبما المزاحمة من قبائل وافدة أو حليفة(مرابعين) واتجهوا نحو أعـــالي الوادي ، عبر وادي (صدر) وأقاموا هنالك على مقربة من جبل(ثمر) مدينتهم(هجرن) والمعروفة اليـــوم باسم أو الصيغة العربية(الهجر) وتُعرف أيضاً باسم(هجر لبعوس) لأنها بالفعل (قصبـــة لبعـــوس) ورأس مكتبه. وممن هجر وادي (ذي ناخب) قومٌ يُعرفون ب:

- **ذي منصور:**

فرع من يافع الحميرية منازلهم في المغرب العربي ومن أفخاذهم :
الخلاف والعمارية والمنبات. [٣٨]

مازالت منهم بقية في جبل (آل منصور) في أعالي وادي العرقة ، وقد ذكرنا من قراهـــم (دابـــج) و(الزفق) /لقمان ص ١٩١ . ومنهم في هضبة ضـــهر يـــافع (حـــوار ثمـــر) أو بـــالأحرى غـــرب (هجرن/الهجر) قرية تنسب إليهم :فهي :

* **قرية أهل منصور:** وهم فرع من قبيلة (الحوري) البعسية (صيغة النسبة إلى لبعـــوس) ... أمـــا عمارية المغرب العربي (أحد أفخاذ ذي منصور) فلهم بقية كبرى في مكتب لبعـــــوس ... إذ يُعـــرف نصفه بالسيلي: (صيغة النسبة إلى سيَّل/جمع سيلة[سائلة] لبعوس) المتداخلة مع أوديـــــة وحـــواز (ذي ناخب) وقبائل السيلي هذه تُعرف ب:

* **أل عمري:** **(ومنهم عمارية المغرب) ويتفرعون إلى:**

أ. أهل عمرو.
ب. أل سيخان.
ج. أهل جهدوع.
د. عديوة.
ه. هرم.
و. أهل حرور
ز. أهل السيَّل.
ح. أهل المضيق لعلي(الأعلى.

ط. أهل ضُبه بيهنه.

ي. المسارة

ك. أهل وادي بر(صدر تاريخياً).

ل. المربعة.

م. حبة أل مديد.

ن. الشقراء.

س. أهل حاصنب.

ع. أهل هبأ.

ف. أهل العر.

ص. أهل جرن.

ق. أهل بن مثاش.

ر. أهل الشسعة.

ش. أهل داؤد عمر.[٣٩]

وكما ذكرنا آنفاً نسب(عدي بن علس) وقريته عديوة. ووادي (بر) صدر(قديماً) من أخصب أودية سروحمير /صفة ص[١٧٢-١٧٣].

هذه الشواهد تؤكد لنا أنّ نواحي البعسي (لبعوس) كانت قديماً جزءاً من الأذوائية الناخبية... فلا يوجد في المصادر القديمة-وحتى الفترات الإسلامية المتأخرة أي فيما بعد (القرن التاسع للهجرة)- أي ذكر لبطون حميرية تُعرف ب(البعسي) فقد انفصلوا في (القرن الحادي عشر للهجرة) عن تبعيتهم ل(ذي ناخب) بل عرفوا بأنهم ردف ل(موسطة يافع) في دواعي الحرب وصالحها... ومن الأدلة التي تدعم طرحنا هذا في أصول لبعوس القاسدية ما يلي:

- آل أحمد:

فخيذه من آل (العمري) من يافع بني قاسد. منازلهم بين عكر وحرباج شمال فلسطين. [٤٠]

بالإضافة إلى (عمري لبعوس) مازال (العمري) يشكل أحد أخماس (خموس) يهر ويضم في حيزه المحادد ل(كلد) قبائلا عديدة ليس المجال لتعدادهم هنا(للمزيد أنظر الدراسة المكرسة لذي يهر) .. وقد أسهب حمزة لقمان في سرد تفصيلات عن العمري اليهري. [٤١]

ونرجح أن آل أحمد هؤلاء ينتمون بالفعل إلى قبيلة العمري الناخبية ، وأوديتهم ومحافدهم ، نشير إليها في التالي:

آل عمري: قبيلة من يافع بني قاسد... حلالهم أسافل وادي (ذي ناخب) وتداخل أوديتـــــهم ومباتلهم مع قبيلة (العصري) الناخبية أيضاً، إذ يمر عبر أراضي القبيلتـــين (وادي [طســـه]/وزان قصه) وهو إلى الجنوب من وادي آل منصور (ذي منصور) وفيوضـــــهم تخـــرج إلى أســـافل (ذي ناخب) المعروف ب(وادي سُلب)... وقد عرضنا آنفاً لآل منصور في (ذي نـــاخب) وفي (لبعـــوس) ولعمري لبعوس (السيلي) و(أهجور العرقة) و (أهجور لبعوس)... **وهكذا أما (آل أحمد) فلهم أثـر في لبعوس أيضاً ، إذ يجاورون (آل منصور) هنالك ، ولهم قرية تُعرف باسمهم(أهل أحمد) ويشكلون مـــع أهل (هجرن/الهجر) و(أهل منصـــور) و(الســـبيكي) و(أهـــل حيـــان) و(الديـــوان) و(المغـــرأ) و(الرباط[رباط العبادي])... يشكلون نصف مكتب البعســـي (نسـبة إلى لبعـــوس) المعـــروف ب(الحوري).** [٤٢]

وفي إطار النفوذ اليافعي تدخل بطون رعينية أُخرى هي من حيث التسلسل السلالي في المقدمـــــة ومنها :

أخله حيث نجد نسبه عند الهمداني عن رواية شيخه أبي نصر اليهري:

- **أخلـه:**

زنه أمله وتخفف فيقال أخله مثل أصله، (وله ثلاثة أخوان

هم: ذو المحول والقيل وشكع) ، أربعة نفر بني مالك (الحارث)

بن شرحبيل بن الحارث بن زيد بن يريم (ذي رعين) /الإكليل/٢/ ص ٣٠٨...

نعم فأخله وإخوانه يقع في مرتبة الجد الأول ل(يافع بن قاول) بينما يكون (ذو رعـــين) جدهـــم الرابع ومع ذلك فهذه البطون الحميرية العريقة ليست إلاّ بعض يافع وحلالهم في (سروحمير) في أطرافـــه الشمالية الغربية. وقد أشار محقق الإكليل (الأكوع) إلى أوطانهم [نفس الصفحة]:

شكع: بضمتين كما ضبطه المؤلف وبه تسمَّت بلدة وحصن شكع من يـــافع الســـفلى بـــلاد المفلحي ، وتقوم على هضبة صخرية وبيوتها من الحجر المنحوت ،وتتكون من طبقتين وثلاثة ،وتبعـد عن الضالع بخمسة عشر ميلاً وعن قعطبة في الشرق الجنوبي بمسافة مرحلة ، وهـــي غنيـــة بالآثـــار الحميرية . فقد عثر فيها على أواني من الخزف والزجاج والحديد والبرونز وقطع ذهبية! أما أخلـــــه فهي التي تُسمى اليوم:

أخله:- بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام وبه سميت قرية (خله) من يافع (الســـــفلى) وهـــي أوسع من شكع... وبينها وبين شكع ساعة زمنية. [٤٣] وأهالي (خله) ينقسمون إلى فخـــائذ عديـــدة

.وتتبعهم عدة قرى إضافة إلى: (شكح) و(أرحب) و(الخربة) و(المعزبة) و(الحيك) و(الذراع) و(دار النوبة) و(صرارة) و(الغول) و(العامري) و(الظاهرة) و(عرشي مرات) و(شريم) و(الغليلي) و(سوق البير). [٤٤]

وخله و(بنو مسلم) وآخرون يضمهم مكتب المفلحي الأسفل وللمفلحي الرئاسة فيهم.

ووادي خله هذا يبقى شاهد حي يذكرنا بنهاية شاعر جاهلي فحل هو: (**مرقش الأكبر عمرو بن سعد بن ثعلبة) الذي كان يهوى امرأة من قومه يقال لها (أسماء بنت عمرو بن عوف بن مالك) وينبز (بالمبرك) فلما اشتهر بها غار أهلها ، فقدم رجل من (مراد) فخطبها ، فزوجوه واحتمل بها إلى بلده فقال (مرقش) في قصيدة له:**

لم أر كاليوم في الجهاد أسماء تُهدى إلى مراد

وكان المرادي حليفاً لأخله (خلّه) وساكناً بينهم، فلما ظعن بها قلّ صبر مرقش ، فتبع أسماء إلى أخله فمات بها، فقال طرفة بن العبد:

وقد ذهبت سلمى بعقلي كله وهل غير صيد أحرزته حبائله
كما أحرزت أسماء قلب مرقش بحب كلمع البرق لاحت مخائله
وأنكح أسماء المرادي يبتغي بذلك عوف أن تصاب مقاتله
فلما رأى أن لا قرار يقره وأنّ هوى أسماء لابد قاتله
ترحل من أرض العراق مرقش على طرب تهوى سراعاً رواحله
أتى(السرو) أرض ساقه نحو الهوى ولم يدر أنّ الموت بالسرو غائله
فغودر بالفردين أرض بطيه مسيرة شهر دائب لا يواكله
بأسفل وادٍ من (أخلّة) شلوه تمزقه ذؤبانه وحبائله
فيالك من ذي حاجة حيل دونها وما كل ما يهوى الفتى هو نائله
فوجدي بسلمى مثل وجد مرقش بأسماء إذ لا يستفيق عواذله
قضى نحبه وجداً عليها مرقش وغلبت من سلمى خيالاً أماطله

وكان المفضل الضبي يروي أنه مات بأسفل نجران. [٤٥]

هذا وآثار السلالة الرعينية تنتشر في (سروحمير) على امتداده... وإذا الأكوع لم يعرض إلاّ لاثنين من أبناء مالك بن الحارث وهم (شكح) (عددهم أربعة) وأخله(خلّه) فإننا قد وجدنا آثاراً من (ذي سحول) في (سروحمير) وذلك في :

محوال: (بالتصويت) ناحية في وادي (ذي ناخب) بها عدة مساكن وهذه القرى تقـــع علـى شاطئ الوادي الرئيسي يمنة ويسرة وحقول(البُن) تكون حزاماً أخضراً يمتد على شواطئ الأوديـــة ويتسع على شاطئ الوادي الرئيسي... و (محوال) هذه هي اليوم حلال قبيلة(بني ناجي) الناخبيـــة. [٤٦] وقد ذكرها (حمزة لقمان) ولكن بسبب (غلطة مطبعية) فقد ظهرت بصيغة(عوال)... كمـا وردت لديه صيغة شبيهة وذلك في سرده لقرى(مخلاف الشعيب) الذي يحد خله من جهة الغرب ، هذه القريـة هي :

يفحول: (بالياء التحتية ثم فاء وحاء مهملة آخره لام قبلها واو) قرية في سهم الربـــاط مـــن الشعيب. [٤٧]

ومما لا شك فيه ونحن نفتش في كتابات (لسان اليمن) عن جذور حمـــير وأصولهـــا في ســـروها المعروف اليوم ب(يـــافـــع) ... إنما نتوخى أن نعيد لتاريخ اعتباره ولن يحصل لنا هذا بإسناد الظـــهر إلى **جذع نخلة مريم العذراء** (عليها السلام) [حسب تعبير **د/ حمود العودي**] انتظاراً للمعجزة... فقـد ولى ذلك العهد الذي نطق فيه ذو المهد(عليه السلام) و لم يعد لدينا إلاّ استنطاق الآثار بكـــل أنواعـــها وألوانها من النقوش واللقى الأثرية إلى الآثار الحيَّة منها كأسماء الأماكن والقبائل والتراث الشعبي بكـــل فنونه المعروفة والتي تعرض للاضمحلال بفعل متغيرات كثيرة... ولعله من اللائق بنا إكـــرام (لســـان اليمن) لا بإحفاء البحث عن أعماله التاريخية الضائعة نحو(**الأجزاء المفقودة مـــن عملـــه الموســـوعي الشهير الإكليل**) فحسب بل وبدراسة كتاباته ونصوصه وفحصها على ضوء معطيات الواقع الراهـــن وفقاً لأفضل مناهج الاستقراء المعرفي والتاريخي الحديثة إلى درجة نستطيع معها قراءة المسكوت عنه مـــن أحوال الماضي وأحداثه ومنجزاته المجهولة لدينا... هكذا يمكن لنا إعادة الاعتبار للتـــــاريخ وأهلـــه لا بإقفال الملفات أو الاستسلام لتداعيات تضارع ما لدى أصحاب كهف(أفلاطون) الشهير... فالمعرفـــة بها وحدها نستطيع التغلب على القطيعة المعرفية بيننا وبين أسلافنا من بناة حضارة اليمـــن القديمـــة... تلك القطيعة الأبيستمولوجية الناجمة عن عهود طويلة من الإحباط والجهل ، فالإحاطة بتاريخنـــا تمـــهد بلاشك لعهد جديد من الانبعاث والتجدد الحضاري... وفي حدود بحثنا المكرس هنا لتأسيس تواصـــل معرفي أفضل بتاريخ حمير من خلال ما تيسرل(الهمداني) من شوارد الأخبار عن نجـــد حمـــير الموســـوم ب(سروبافع)... وبهذا فإن علينا قراءة النصوص بصورة يمكننا من استنطاقها ، فدون ذلك الأمر نـــراوح عند مستوى (النقل) دون أعمال العقل.

ومن هذا الحد كتب الشيخ الناخبي:

وعلى ما ذكره الهمداني من أسماء الأودية والقرى وأسماء القبائل أقول:
أما الأودية والقرى فما زالت تحتفظ بهذه الأسماء ولم يحدث لها التغيير
إلاّ ما استجد من القرى والمزارع كما اعتقد، وأما أسماء القبائل فقد حدث
التغيير في البعض فمثلاً ذو ناخب وسلب ، كانت تسكنه (بنو جبر)
والقبائل الساكنة فيه الآن عدة قبائل تسمى بأسماء أخرى مثل(آل مرشد)
و(آل بن ناجي) و(آل أم شق) و(آل الكهالي) فهل بعض هذه القبائل ترجع
في أنسابها إلى (بني جبر) أم أنّ (بني جبر) قد بادت وانقرضت ؟...[48]

لقد ترك لنا الشيخ الناخبي سؤاله هذا بدون جواب ، ونحن نعذره لعدة أسباب ، فكتابه هذا تغلب عليه الانطباعية التقريرية ، لأنه بالمقام الأول من كتب الرحلات ، وثانياً انشغال الناخبي خارج وطنه ، وثالثاً جزاه الله عنّا خيرا ، فقد أعطى بقدر ما سمحت له سنوات خريفه ما قصرت عنه همة من في ربيع العمر من أحفاد الملوك السيّارة... وأجدني هنا أواصل عملية تفتيت النصوص بُغية استثمارها بصورة أكثر فاعلية لمصلحة كشف المجهول من تاريخنا.

نعم فهل ل(بني جبر) أصحاب (ذي ناخب) الوادي المعروف في أسافله ب(سلب) بقية من ذرّية في واديهم اليوم. فقد ذكرهم الهمداني في عداد قبائل أو بطون حمير حلال السرو :

(ذو ناخب لبني جبر منهم)....
العرقة للاهجور منهم وهي وادٍ وهم بنو هجر [الصفة / ص١٧٣]

نعم فأما (بنو جبر) الذين احتار(الناخبي) في أمرهم فما زالوا اليوم يعيشون في أسافل (ذي ناخب) إذ يعدون أحد تفرعات قبيلة أل طسي (نسبة إلى طسه =واد) ويعرفون:

- الغُبران:

(وزان الحمران) فهم أل (غُبر) أو (بنو غبر) : حلالهم وادي (حدق)
ومآتيه من الصفح الجنوبي لجبل العر ونصبا كساد. ويشكل
الغبران والكسادي في وادي (شيوحة) وأهل (مرصع) في وادي
مرصع نصف (الطسوس) المعروف ب/أهل (أم/ناخبي). [49] فكلما في
الأمر أنّ الصيغة التي أورده الهمداني أي (بني جبر) ليست إلاّ تصحيفاً
ل: (الغُبر) [بالعين المعجمة]
أو أل غبران (مثل جبران والأصل جبر).

ولا يختلف الحال مع أسماء البطون اليافعية التي أورد الهمداني ، ويخلص البعض ممن لا يحبون تجشم الصعاب أخباتاً وطبشاً عن الحقيقة أنّ هذه البطون قد بادت واندرست والسلام. ومن هذه البطون الرعينية السلالة أيضاً ذكر الهمداني في (رواية محمد بن مسلم) بطناً هم (**الأريوم**) / **الإكليل/٢/ص ٣٠٤**) و لم يتمكن (الأكوع) من معرفتهم ، فظن ألهم و(أدان) وبطون أُخرى قد اندرسوا أو اندمجوا في بطون أُخرى. [٥٠] وهم مازالوا يُعرفون كقبيلة ووطن في أقصى شرق يافع غرب(بيضاء حصى) حيث يشمخ جبلهم في منطقة العناق(الحد حالياً) ويدعى :

- **ريو:**

بكسرتين(صيغة جمع النسبة ريويون/ أريووا = أريوم بإبدال الميم من الواو الأخيرة لأنهما حرفاشفة) ويتبعون موسطة يافع (وسط ضهر يافع) فهم ردف لها. أما (أدان) الذين حدد الهمداني موطنهم بالقول: (فالعر لأذان من يافع) [الصفة ١٧٢/١٧٣]

وإذا كان موطنهم مازال يُعرف بجبل (العُر) في شرقي (هضبة ضهر يافع) فقد أشار الأكوع إلى أنّ :

***الأذان :قبيلة لا تُعرف اليوم وهي هنا بالذال المعجمة.** [٥١]

والواقع أنّ لهذه القبيلة تواجد في حواز جبل العر حتى اليوم ، وتُعرف على هذا النحو:

*** دان:— أحد غرر أودية (العناق) يُعرف في أعاليه بوادي (أم شراف) وفي أسافله بوادي(خيلة[أنثى الحصان]) وينسب أهله إليه فهم(أهل وادي دان) (بالدال المهملة)** [٥٢] **، ولذلك فهم في صيغة جمع تكسير أدان .**

كذلك لا يختلف الحال مع بطون يافعية مثل:

(بنو أديد ومسكنهم صول) [إكليل/٢/ص ٣٠٤]

وحيث لم يتطرق الأكوع لهذا البطن ولا لموطنهم فإني أقوم بهذه المهمة :

- **بنو أُديد:**

(أديد تصغير أدد) يُعرفون اليوم بصيغة النسبة–الديدي– وهم بعض قبيلة (المشألي) في أقصى غرب (هضبة ضهر يافع) ثم من أهل أبو طالب فمنهم:

(دييدي) : في شريان ،عرب،وفي يمن. [٥٣] **نعم فما زال بنو أديد(أديدي/ديدي) يعيشون في أسافل واديهم المعروف بوادي: ضول (بالضاد المعجمة) من غرر وديان (مشألة) وزان مسألة.**

أما (السيّاون) فقد ذكرهم الهمداني: السيّاون وهم أهل الهجر [آكليل ٢/ص٣٠٤](بنوهجر) حققنا مواطنهم آنفاً وما زال منهم بقية في (عنتر) بعض قبيلة الضبي (مكتب الضبي) في الجنوب الغربي من حبل (ثمر). وقد تصدينا لكل البطون الحميرية المذكورة في مصنفات لسان اليمن وأثبتنا بالدليل والبرهان استمرارية تلك الأعراق في كنف نجد حمير/يافع وتعرض هنا بقية الأسماء المشكل فيها غير ذات الشهرة التي لم يخفى أمرها على أحد من أهل الاختصاص مثل(الذراحن) الذي يقول فيها الناخبي:

ومن القبائل من لم نعلم عن أسمائها ماعدا (الذراحن) الذين مازالوا موجودين لا بثمر ولكن بأرض المفلحي وما جاورها. [٥٤]

نعم فهذا البطن العريق ومثله بنو قاسد وكلد قد أسهبنا في ذكرهم في مواضع عديدة من كتابنا وفيه أغناء لمن أراد المزيد من التعرف على يافع بقبائله ومحافده وأوديته... الخ. أما ما لم يقطع فيه غير ما ذكرنا آنفاً من بطون يافعية وردت أما في الإكليل أو في الصفة أو في كليهما ومنها ثلاثة بطون قد نوهنا في هذا البحث بوجودهم اليوم في كنف قبيلة كلد(المذكورة كبطن) وفيما يلي نعرض لها:

(ذو ثاوب لبني صائد منهم) [صفة /ص ١٧٣]

(شُعُب لبني سمي منهم)

(حبه للابقور من يافع)

أما (الأبقور) ففي كلد كما بيّنا وواديهم ما يزال هنالك ويُعرف بوادي (حُمَّه/ وزان غُمَّه بمعنى المبهم) وأما

- **بنو صائد :**

هذا البطن الذي خفي أمره عن (الأكوع) وغيره فيُعرف اليوم في واديهم:

*** ذو ثاوب : وادٍ خصب من أودية كلد (القاسدية) يقع في حواز جبل (خرعان) . وقد خولط على محقق الصفة (الأكوع) إذ ظنه (ذو ثويب/ بالتصغير) في يهر من يافع العليا.** [٥٥] **أما أصحاب الوادي فهم أحد قبائل كلد الشهيرة يُعرفون بهذه الصيغة:**

* بنو ساعد : بإبدال السين والعين (مهملتين) من الصاد والهمزة- ويدعون بصيغة النسبة (ساعدي). [٥٦]

أما بنو سمي (إكليل/٢/ص ٣٠٤)

- **بنو سمي:**

فأحد القبائل الكلدية أيضاً حيث حدد الهمداني موطنهم في سرو حمير بوادي شعب : (بفتح

الشين المعجمة وضم العين المهملة آخره باء موحدة) وهو بلاشك غير (شعب) بمعنى الناس المعروف في يهر ب(شعب العرمي/ انظر بني شعب في مطلع البحث) ونرجح أنّه ما يعرف اليوم ب:

* (شعب مورق): شعب جمعه شعاب: أحد الجبال المطّلة علـــى وادي سُـــلب (أســـافل ذي ناخب) من أوديته هضه وضُبه. وهو اليوم لقبيلة الحنشي الكلدية . أما (بنو سُمَيّ) فنجد أثرهـــم في واحدة من قبائل كلد:

آل سُميطي:– سُميّ (تصحيفاً) من مواطنهم القفل.[57]

ومن البطون المذكورة أيضاً في الصفة (الأصووت) حيث أضاف إليهم الهمداني بلدهم بقوله:

(وعُلّه الأصووت من يافع) /صفة ص ١٧٣

و لم يشر الأكوع إلى حدود عله في يافع فقد اكتفى بالقول :

- **عَــلة:**

بفتحتين وقد تشدد اللام ويقال فيها العلة بالألف واللام لا زالت حيّة.أما (الأصووت) فقــــد حققهم على هذا النحو الغائم:

*** الأصووت: بالتاء المثناة آخر الحروف وهم الذين يُدعون بآل الصيان .** [58]

على الرغم من تعدد الاحتمالات حول هذا الموضع لانتشاره الواسع في يافع بصيغة : علأه أو عله في كلد وفي السعدي وفي القعيطي... الخ. غير أنّي أميل إلى الآتي:

*** علة الأصووت: (عله وزان سله) : قرية عامرة في وسط(هضبة ضهر يافع) تابعــــة لمكتـــب الموسطه : صيغة النسبة موسطي فهم**

مواسط= أو سوط /أو صوط.

وبالابدال بين التاء والطاء فهم(أوصوت) . فإذا صح هذا تكون إشـــارة الهمـــداني : (علـــة الأصووت) أقدم إشارة للموسطة (ضهر يافع) عند الإخباريين.

بهذا نكتفي بتحقيق ما ورد في (الإكليل/٢ والصفة) بشأن بطون حمير في سروها(يافع) و لم يعـــد لدينا من ريبة في أمرها فما حادت المحافد والأودية والجبال عن حيوزها وما كلت بطون حمـــير عـــن أوطانها ولا خبت نارها منذ عصر لسان اليمن ومن قبله كان لها ذكر منها وما لم يذكر وجوداً اقتفينـــا أثره حتى أقدم العصور. وسنفيض في عرض جغرافية وتشعبات القبائل اليافعية في دراســـــات لاحقـــة وبالذات ما لم يعرض له الهمداني وهو (اي الهمداني) كان يعلم أنّ ما لم يصله عن حمير في سروها لكثـــير ولهذا فقد احتاط بقوله: **(وفي كل موضع من هذه المواضع قرى ومساكن كثيرة)صفة / ص١٧٣**

وأقرب الأدلة التي يمكن أن نسوقها هنا على غياب أمور كثيرة (بشأن السرو) عند مؤرخ اليمن الكبير هي اقتصاره على ذكر ثلاث قرى في هضبة ضهر يافع :

(مدور وعله والمهدعة) صفة/ص ١٧٢

في حين أنّ هذه الهضبة تجمع اليوم أكثر من ثلاثمائة وخمسين قرية ، معظم هذه القرى لـه من الأقدمية ما يرجع لا إلى عهد الهمداني فحسب بل وإلى عتيق العصور الحميرية الأولى ! و لم يكن ل(لسان اليمن) وهو المؤرخ الحصيف المحقق أن يستنكف عن التصريح بما يجهل من أمور عن (سرو حمير) أو غيرها ونحن نحس في صريح عباراته سمو الغاية التي نذر نفسه لها والمتجسدة في مشروعه الاكتشافي العملاق ل(جزيرة العرب) ككل غير مهمل للغائب أو ساكت عنه فهو ينبأنا صراحة بما كان جهده دون الوصول إليه... وهو بهذا يستحثنا على وضع رخامة بلقيس (الذهب) في رواق سليمان المثلوم. ففي الجزء الثامن من الإكليل يصرح لسان اليمن :

(لا أعرف ما في رعين من الاسداد) إكليل /٨/ص ١١٦

وفي باب حصون السرو ذكر بعض الحصون والمحافد في ردمان والبيضاء (ليس إلاّ!) :

(ذو القيل والقمر وحصى وشّمر و البيضاء والهجيرة هذه حصون لشمر تاران بالسرو.... وقرن وذو يزن / إكليل /٨/ص ٨٩

وفي الصفة يذكر في عداد الحصون والجبال المشهورة:

(صناع والقمر في السرو) / صفة/ص ٢٣٧-٨

ولا ينبغي لنا أن نطمع بأكثر من هذا ، فقد صرّح أبو محمد بعد أن عدّد حصون السرو هذه في الإكليل :

أنها كلها مجهولة ؟ اكليل/٨/ص ٨٩

ترى هل هذه الحصون من أثر في سرو حمير/ يافع :

- صناع :

اشتهرت (صناع) عند الإخباريين بقلعتها (حصنها) التي تحنت فيها قبل توحيده لليمن (أواخر القرن الثالث للهجرة) أبو الفتوح علي بن الفضل الجيشاني الخنفري(القرمطي) . أما بعد أن استتب الأمر فقد أس في (المذيخرة) عاصمةً له. [٥٩] وصناع تقع اليوم في الطرف الشرقي لسرو يافع في منطقة العناق الحد غرب (بيضاء حصى) مركز السلالة الحميرية المعروفة (بذي هصبح في النقوش اليمنية القديمة). وحيث أنّ (صناع) قد أخذت اسمها من الجد الأعلى للأصنوع ، وهو

كما ذكرنا أول البحث سماعه (صماعه) بن الأسموع بن حبه فإننا نرجح أنّ حفيد حبه هذا كـــان يسمى صناعه أو سناعه ، والصيغة الأولى هي الأكثر احتمالاً فهو صناعة(صنـــاع بإهمـــال الهـــاء) وذلك لورود هذا الجبل في أشهر حصون السرو / الصفة بهذه الصيغة أي (صناع...ه) وفيه كـــان أحد معابد نجم الصباح الإله (عثر) كما ورد في نقش (ربرتوار/ ٣٩٥٨) العائد إلى القـــرن الثـــالث للميلاد . حيث ورد في هذا النقش بصيغة:

- **صنعتن:**

أي ال صناعة حيث النون هي لاحقة التعريف في لغـــة النقـــوش /أنظـــر الفصـــل الأول ، و(مختارات من النقوش اليمنية القديمة) نقش/٢٣.

أما حصن القمر في السرو فقد تخلف اسمه في واحدة من القرى العتيقة في هضبة ضهر يافع وهي:

- **القمر:**

وتعرف ب(أقمر أل رشيد) [الرشيد] أو (لقمر لعلي) أحد قرى قبيلة الرشيدي الموســطية... وهي اليوم في الجوار من سوق يافع الرئيسة المعروفة ب(سوق ١٤) . أما (القمر لسفل) : فقريـــة لأحد قبائل الضبي وتعرف بالسعيدي. [٦٠] والأصل فيها واحد . والملاحظ هنـــا ســقوط الصـــائت (الألف) من : الأعلى والأسفل في(لقمر لعلي ولقمر السفل) ومن خصائص لهجة (سرو حمـــير/يـــافع) فهم يسقطونها من الألوان وغيرها نحو: لحمر (الأحمر) لخضر (الأخضر)... الخ. وعليه فقد سقطت مـــن اسم القرية فهي:

الأقمر (صيغة تفضيل).

وقد ورد في النص [إكليل/٨/ص ٨٩] :

(وقرن وذو يزن) وأميل إلى أن فيها. و(قرن ذي يزن)

وهو من الآثار المعروفة في (سروحمير):

*** قرن ذي يزن:** خرابة في وادي(يهر) في حرف الجبل المعروف ب(النواحيذ) يشرف على قريـــة رباط العبادي.

ومن الآثار التي تذكر بأصحابها الأوائل في سرويافع:

*** دقة شمار:** دقة شمر(بدون تصويت) : خربه في ناحية الصفأة من (كلد) بين وادي حـــذه(وزان حذه) ووادي الزغرور. وشمار (شمر) ، هذا يحتمل أنه صاحب حصون السرو كما ذكـــر الهمـــداني في النص السابق أي (شمر تاران). ومن الآثار أيضا :

* **مدينة دخان:** خربه رأس حبل (قصبي) في شقصه: وادٍ في كلد أيضاً جنوب غرب سرو يافع.

* **سنام:** خرابه حبل(سنام) رأس وادي القاع في هضبة ضهر يافع (مكتب الموسطة).

* **خربه ثمر:** رأس حبل الثمر الشهير الذي تقع في سفحه أحد القرى الأثرية العامرة وهي قريـــة اللّم (لمم/في النقوش) إذ كان فيها معبد للإله (عم ذمردم) حسب نقش (ريرتـــوار/٣٩٥٨) [أنظــر الفصل السابق] <أي الفصل الأول ج٢>.

* **خربه هديم وديم:** في الطرف الشرقي من سروحمير المعروف حاليا بمنطقة الحد(آل عناق قديمـــا/ عنقيم توراتيا) وهي الخربة الوحيدة التي جرت فيها بعثة فرنسية حفريات واكتشفت فيها عـــدة لقـــى أثرية أهمها نقش(**روبان–برون بني بكر**) الذي سجل لثورة بني ريدان في مرتفعات يافع ضد الســـلالة السبئية التقليدية أواخر القرن الأول للميلاد في عهد (كرب أل بين/يهقم) ملك سبأ وذي ريدان بـــن ذمار على ذرح. [أنظر الفصل الأول]. [٦١]

* **خربة أم ريدان:** في الفردة من نواحي الحد(العناق)، ففي هذه الخربة كهف منيـــع يـــرزح في صدر حبل شاهق، ويسمى الكهف(تنور الكفار) و(كهف العفاريت). إذ يوجد في الكهف ثلاثة تماثيل متحاذية ولكنها لا تتميز إلا بالكاد ، أحد هذه التماثيل صورة أسد رابض، يحرس تمثـــالين آخريـــن ، واحد لامرأة وآخر لرجل ، وقد اتخذ المواطنون (للأسف) من هذه التماثيل هدفـــا(نصـــع) للرمايـــة بالسلاح الناري. [٦٢] وخرائب سرو حمير كثيرة وبحاجة لبعثات علمية لاكتشافها.

وإذا كانت (خرائب السرو) وحصونه وسدوده غير معلومة لدى (لسان اليمن) ، وهي ما زالـــت كذلك . ونحن نقترب حثيثا من الألف الثالثة بعد الميلاد فإنه لا ينبغي لنا ونحن نقلب آثار الهمـــداني أن نطمع بشيء عنده عن قبوريات السرو ودفائنها ومساندها ، فلاشك أنها مهمتنا وعلينا أن نتحملـــــها بجدارة. و لم نعد بحاجة كي تفتق المعرفة في عقولنا إلى مطارحة حوريات بابل الغـــرام عنـــد شـــطئان (دجلة) أو وادي بنا... فما زالت سرو يافع (بجهلة) كما كانت عند لسان اليمن و(فضفاضة) كمـــا هي اليوم عند الشاعر الرافدي (**سعدي يوسف**).

ولعله من المفيد هنا ونحن نطوي صفحات هذا البحث ،أنّ نسجل أقدم ذكر ليافع ورد لدى الجاهليين ، وذلك فيما نقله لنا الهمداني عن حرب مذحج وحمير في الجاهلية وذلك بجريرة السكاسك... إذ هاجها ابن حرير السكسكي، وكانت حرباً ضارية قال فيها شاعر جاهلي مفوة هو (الأسفع الهمداني) من أرحب ،ثم من بكيل ذاكراً لأوطان حميرية منها يافع:

ولن تتركنكم ذو رعين وسكسك ... ولا من سكون بيت سعد بن عامر

ولا ذو الكلاع الطالبون بثأرهم ... إذا أمكنتهم وثبة المتقاصر

ولا يافع تغضى ولا حي ترخم ... ومن ذي نؤاس كل أبلج واغر [٦٣]

١

٢

٣

٤

٥

٦

٧

٨

٩

١٠

١١

١٢

١٣

١٤

الهوامش وأرقام المراجع

ملاحظة:

من اليسار إلى اليمين الرقم الأول يشير إلى رقم الهامش والثاني يشير إلى رقم المصدر أو المرجع في قائمة المصادر والمراجع والرقم الثالث يشير إلى رقم الصفحة في المصدر أو المرجع.

هوامش المدخل

(١) ١٩٢ / ص ٤
(٢) ٧٦ / مادة: التوراة
(٣) ١٢٤ / ص ٢٨٤
(٤) ١٩٢ / ص ٧
(٥) ١٩٢ / ص ٧-٨ + ٥٧ / ص ١٠-١١
(٦) ٥٧ / ص ١٠٥-١١٢
(٧) ٥٧ / ص ١٠٩ + ١٩٢ / ص ٩
(٨) ٥٧ / ص ١١٢-١١٤
(٩) ٥٧ / ص ١١٢
(١٠) ٥٧ / ص ٨٧
(١١) ٥٧ / ص ٤٢
(١٢) ٧٤ / ص ١١
(١٣) ١٠٠ / ص ٧
(١٤) ١٠٠ / ص ٧
(١٥) ٥٧ م ص ١٤
(١٦) ١٠٠ / ص ٧-٨
(١٧) ٥٧ / ص ١٤
(١٨) ١٠٠ / ص ٨
(١٩) ٥٧ / ص ١٤
(٢٠) ٥٧ / ص ١٤
(٢١) ٥٧ / ص ١٢-١٥
(٢٢) ٧٤/ هـ.ص ٢٩+١٩٢/ص ٨
(٢٣) ٥٨ / ص ٢١
(٢٤) ٥٨ / ص ١٧
(٢٥) ٥٨ / ص ١٧
(٢٦) ٥٨ / ص ١٧-٢١
(٢٧) ٥٨ / ص ٢٠
(٢٨) ١٠٠ / ص ١١
(٢٩) ١٠٠ / ص ١١
(٣٠) ١٨١ / ص ٤٩
(٣١) ١٩٢ / ص ٨
(٣٢) ١٩٢ / ص ١١
(٣٣) ٥٧ / ص ٩-١٠
(٣٤) ٥٧ / ٢٥-٨٣
(٣٥) ٦٣ / هـ. ص ٣٢
(٣٦) ٥٨ / ص ٢٠

٣٧) ١٩٢ / ص ٩
٣٨) ١٩٢ / ص ٨
٣٩) ٦٣ / هـ. ص ٣٤
٤٠) ٥٧ / ص ٢٤
٤١) ١٩٣ / ص ٩
٤٢) ٥٧ / ص ٢٣
٤٣) ٥٧ / ص ٣٦،٨٤،٩،١٠٩+١٩٢/ص٩
٤٤) ٥٧ / ص ٨١
٤٥) ٧٤ / ص ١٥
٤٦) ٧٤ / ص ١٥
٤٧) ٧٤ / ص ١٥-١٦
٤٨) ١٩٢ / ص ٩
٤٩) ١٨١ / ص ٤٩
٥٠) ١٨١ / ص ٤٩
٥١) ٧٤ / ص ١٧
٥٢) ٥٨ / ص ٨
٥٣) ٥٨ / ص ١٠
٥٤) ٥٨ / ص ٢١-٢٢
٥٥) ١٥٥ / ص ٣٦
٥٦) ٧٤ / ص ١٧
٥٧) ١٥٥ / ص ٣٦
٥٨) ٩٧ / ص ٩
٥٩) ٧٤ / ص ١٧
٦٠) ٦٥ / ص ١٠٢
٦١) ٦٥ / ص ١١١
٦٢) ١٠١ / ص ٢١٣
٦٣) ٦٥ / ص ١٠٩
٦٤) ٢٦ / نقش ٨٧
٦٥) ٦٠ / ص ١٤٧-١٤٨
٦٦) ٦٠ / ص ١٤٩
٦٧) ٧٠ / ص ٥
٦٨) ٦٠ / ص٩٦
٦٩) ١٤٩ / ص ٣٥٥
٧٠) ١٤٩ / ص ٣٥٦
٧١) ٨٧ / ص ١٩-٢١
٧٢) ٨٧ / ص ٢٢-٢٥
٧٣) ١٢١ / ص ٢٥٦
٧٤) ٧٧ / ص ٦٥
٧٥) ٧٧ / ص ٦٦
٧٦) ٧٧ / ص ٦٧
٧٧) ٧٧ / ص ٦٧
٧٨) ٧٧ / ص ٦٧
٧٩) ٧٧ / ص ٦٧
(٨٠) ٢٠٣.
(٨١) ٢٠٣.
(٨٢) ٢٠٣
(٨٣) ٢٠٣
(٨٤) ٢٠٣
(٨٥) ٢٠٣
(٨٦) ٢٠٣
٨٧) ٢٠١ /ص ١٩٧
(٨٨) ٢٠٣
٨٩) ١٩٢ / ص ١٤
٩٠) ٥٩ / ص ٢٠
٩١) ١٩٢ / ص ١٤+ ٦٥ / ص ١٠١
٩٢) ٢٥ / ٢ ص ٩٦٩
٩٣) ٩٧ / ص ٩
٩٤) ١٢١ / ص ٣٤١
٩٥) ١٢١ / ص ٦٩
(٩٦) ٢٠٣

٩٧) ١٩٦ / ص ٥٦
٩٩) ١٩٦ / ص ٥٩
١٠١) ١٦ / ١٣ مادة: قين
١٠٣) ٢٣ / ص ٤١-٤٥
١٠٥) ١٩٦ / ص ٥٧
١٠٧) ١١٠ / مادة: يافع
١٠٩) ١٢٧ / ص ١٨٣
١١١) ١٣٤ / ص ٢٠
١١٣) ٩٠ / ص ١١١-١١٢
١١٥) ١١٠ / مادة: تبن
١١٧) ١١٠ / مادة: بنا
١١٩) ٩٠ / ص ١٠٩-١١١
١٢١) ٩٠ / ص ١٠٩-١١١
١٢٣) ١٦ / ١٤ مادة: ختا
١٢٥) ٣ / ص ٤٨-٥٠
١٢٧) ٥٨ / ص ٣٦
١٢٩) ١٠١ /
١٣١) ١٩٩ / ص ١٥١
١٣٣) ٥٩ / ص ٢٢-٢٣
١٣٥) ٥٧ / ص ١٠١
١٣٧) ١٦ / مادة:حري
١٣٩) ٧ / ص ٤٧٥
١٤١) ٦٥ / ص ١١٢
١٤٣) ٦٥/ص١١٤
١٤٥) ٤٣/ص١٥
١٤٧) ١٠٤/ص٨٣
١٤٩) ١٥٢/ص٢٠٦
١٥١) ١٥٢/ص٢١٠
١٥٣) ١١٨/ص٧١
١٥٥) ٢٠٤/مادة: **Ball**

٩٨) ١٩٦ / ص ٥٦
١٠٠) ١٦ / ١٥ مادة: قنا
١٠٢) ٢٣ / ص ٤١-٤٥
١٠٤) ١٩٦ / ص ٦٠-٦١
١٠٦) ١٢٧ / ص ١٠
١٠٨) ١٢٧ / ص ٤٢
١١٠) ١٢٧ / ص ٢٢٠
١١٢) ٩٠ / ١٠٩
١١٤) ٩٠ / ص ١١٣
١١٦) ٢٦ / نقش ٨٧+ ٢٣ / ص ٦٢
١١٨) ١٢٤ / ص ٢٢٠
١٢٠) ٩٠ / ص ١٠٩-١١١
١٢٢) ٩٠ / ص ١٠٩-١١١
١٢٤) ٩٠ / ص ١١٠
١٢٦) ٢٠٣
١٢٨) ٦٣ / ص ١٦١
١٣٠) ٥٨ / ص ٣٦
١٣٢) ٥٩ / ص ٢٢
١٣٤) ٥٩ / ص ٢٣
١٣٦) ٥٧ / ص ١٠٢
١٣٨) ٥٧ / ص ١٠٢
١٤٠) ٧٥ / ص ١٠
١٤٢) ٦٥/ص١١٣
١٤٤) ٥٩/ص١٦١-١٦٢
١٤٦) ٨٠/ص١٩
١٤٨) ٣٣/ص٩٤-٩٧
١٥٠) ١٥٢/ص٢٠٩
١٥٢) ١١٨/ص٢٤
١٥٤) ٣١/ص٢٩٨
١٥٦) ٢٠٠/ص١١١

(١٥٧)	٩٨/ص١٨	(١٥٨)	٩٨/ص١٨
(١٥٩)	٥٩/ص٣٩	(١٦٠)	٥٩/ص٣٠
(١٦١)	١٦/٢ مادة:مول	(١٦٢)	٥٤/ص١٤٠
(١٦٣)	١١١/ص٤٢٩	(١٦٤)	٢٠٦/ص١٠
(١٦٥)	٢٦/ص٢٠-٢١	(١٦٦)	٥٤/ص١١٨
(١٦٧)	٩٧/ص٨	(١٦٨)	٥٨/ص٩
(١٦٩)	١٠٣/ص٣	(١٧٠)	٩٧/ص٩
(١٧١)	٩٨/ص١٤٠	(١٧٢)	٩٨/ص١٤٠
(١٧٣)	٦/ص٢٢-٣٩	(١٧٤)	١٩٥/ص٥٦
(١٧٥)	٥٩/ص٣٧-٣٩	(١٧٦)	١٦٩/ص٦٣
(١٧٧)	١٥/ص٨٣+١٩٢/ ص١٧	(١٧٨)	١٥/ص٦٣
(١٧٩)	١٢٤/ص٣٣٢	(١٨٠)	١٥/ص٥٦
(١٨١)	١٥/ص٥٦	(١٨٢)	٢٦/ص٥٢-٥٣
(١٨٣)	٣/ص٣٨٥-٣٨٦	(١٨٤)	١٦/ص١٥ مادة: عكا
(١٨٥)	١٦/ص١٠ مادة:عيك +٤٤/ ص ١٢٨+٥٤/ص٣٨	(١٨٦)	٢٦/ص٨٩
(١٨٧)	٢٦/ نقش٨١	(١٨٨)	٧٤/ص٨٠
(١٨٩)	٧٤/ص١٠٤	(١٩٠)	١٩٢/ص١٨
(١٩١)	٩٨/ص١٣٨-١٣٩	(١٩٢)	٧٤/ص٣٣-٣٤
(١٩٣)	٩٧/ص١٠	(١٩٤)	٩٨/ص١٣٨-١٣٩
(١٩٥)	٩٨/ص١٠٣	(١٩٦)	١٩٢/ص١٧-١٨
(١٩٧)	٢٦/ نقش٨١	(١٩٨)	٢٦/ نقش٨١
(١٩٩)	١١٠/مادة:السر	(٢٠٠)	١٢٦/ص٢١٤-٢١٥
(٢٠١)	١٢٤/ص٢١٤-٢١٥	(٢٠٢)	٢٣/ص٢٧
(٢٠٣)	١٥/ص٢٥٨	(٢٠٤)	٢/٩٩ ص ٤١٦
(٢٠٥)	٩٨/ص١٤٧-١٤٨	(٢٠٦)	٢٦/ نقش ٤٨
(٢٠٧)	٣/ مسند ٢١	(٢٠٨)	٢٣/ص٤١-٤٧+٢٦/نقش١٠٤
(٢٠٩)	٢٣/ص٢٨	(٢١٠)	٢٣/ص٢٨
(٢١١)	١٥/ص٢٦٨	(٢١٢)	١٥/ص٢١٤
(٢١٣)	١٥/ص٢٦٣	(٢١٤)	١١٠/مادة:ميتم+١٢٤/ص١٤١

(٢١٥) ١٥/ص١٧١-١٧٢+١٢٦/ص٨٨/ص١٣٦

(٢١٦) ٩/ص١٨٧

(٢١٧) ١٧٥/ص١٥٩

(٢١٨) ١٩٢/ص١٦

(٢١٩) ١٩٢/ص١٧

(٢٢٠) ٩٨/ص١٢٨-١٢٩

(٢٢١) ٢/تكوين١٠/ص٢٦-٣١

(٢٢٢) ٢٣/ص٥٣-٥٤

(٢٢٣) ١١٠/مادة:ظفار

(٢٢٤) ١٤٠

(٢٢٥) ١٤٠

(٢٢٦) ٢٦/ص٤٠ ولقش٤٨/ولقش٨٧/ ولقش٦٩

(٢٢١ ٧٤/هـ.ص ٢٤٦-٢٤٧

(٢٢٨) ٧٤/ص٢٤٦

(٢٢٩) ٧٤/هـ.ص٢٤٧

(٢٣٠ ١١٠/مادة: قرط

(٢٣١) ١١٠/مادة:حيدان:ساقين

(٢٣٢) ١١٠/مادة:حلي

(٢٣٣) ١٥/ص٢٤٤

(٢٣٤) ١٥/ص٥٣

(٢٣٥ ٧٤/ص٢١١-٢١٢ /ص٢٦٨

هوامش الفصل الأول

(١) ٩٨/ص١٤-١٥ (٢) ٩٨/ص١٥
(٣) ٩٨/ص١٨٩ (٤) ٩٨/ص١٩٠
(٥) ٩٨/ص١٠٣ (٦) ٩٨/ص١٠٣
(٧) ٩٨/ص١٣٥ (٨) ٩٨/ص١٣٥-١٣٦
(٩) ٥٨/ص٣٩ (١٠) ٧٧/ص١٢
(١١) ١١٠/مادة سحول (١٢) ١٢٤/ص٢١٤
(١٣) ١٢١/ص٢٢٨ (١٤) ١١٠/مادة سحول
(١٥) ١١٠/مادة يحصب (١٦) ١٢١
(١٧) ١٢٣/ص١٨١ (١٨) ١٧/ص٤١٣+١٢٥/ص٩٨
(١٩) ١٢٣/ص١٠٧ (٢٠) ١٥٨/ص١٣٥
(٢١) ٣/ص٤٥٦ (٢٢) ٣/ص١٧١
(٢٣) ١٦/ج ١٢ انظر مادة حتم (٢٤) ١٩٢/ص١٧
(٢٥) ٩٨/ص١٥٦ (٢٦) ١٧/ص٩١
(٢٧) ١٧/ص١٤٣-١٤٤ (٢٨) ١٧/ص١٦٠-١٦١
(٢٩) أنظر القصة الكاملة في ١٧/ ص ١٤٣- ١٤٤ وما بعدها. (٣٠) ٤٩/ص١٦٥-١٦٨+٥١/ص٦٦.
(٣١) ٢٣/ص ١٥١+ ١٢٥/هـ . ص ٥٣٥ (٣٢) ١٤/ص ١٩٢
(٣٣) ١٤/ص ١٨٩-١٩٢ (٣٤) ١٢١/ص ١٢٥
(٣٥) ١٧/ص ٦٥ (٣٦) ١٧/ص ٥٨-٦٦
(٣٧) ٧١/ص ٢٢٢ (٣٨) ١٢٣/ص ١٨١+ ١٢٠/ص ٨٦
(٣٩) ١٧/ص ٦٧ (٤٠) ١٨٠/ص
(٤١) ٩٨/ص ٣٨ (٤٢) ١٢١/ص ٧٤/ و ٣٤١
(٤٣) ٢٦/ص ٣٨١ (٤٤) ٩٨/ص ١٠٤- ١٠٥

هوامش الفصل الثاني

(١)٧٤/ص ١٤٥
(٢)١٥/ص ٢٧٠
(٣)٢٦/ نقش ١٠٤
(٤)٩٨/ص ١٧٩
(٥)١٧/ص ٣٣٩
(٦)١٧/ص ٣٣٩
(٧)٢٥/ ٢ ص ٩٩٢
(٨)٩٨/ص ١٨١
(٩)١٢٨/ص ٢٣٠-٢٣١
(١٠) ٣٤/ص ٨١-٨٢
(١١) ٣٤/ص ٨١-٨٢
(١٢) ١٠١/ص ٢٢٥
(١٣) ١٠١/ص ٢٧٠
(١٤) ١٢٤/ص ١٨٩
(١٥) ١٠١/ص ٢٢٩/ ٢٤٠
(١٦) ١٠١/ص ٢٣٠
(١٧) ١٠١/ص٢٣٤-٢٣٥/٢٥٣-٢٥٥
(١٨) ١٠١/ص ٢٥٨
(١٩) ٢٣/ص ٦٣
(٢٠) ١٠١/ص ٢٢٧
(٢١) ١٢١/ص ٦٩
(٢٢) ٤٧/ص ٣٠٥
(٢٣) ٢٥/ ٢ نص ٧/٩٩
(٢٤) ١٢٤/ص ١٧٧
(٢٥) ٢٣/ص ٦٥
(٢٦) ٢٣/ص ٦٤
(٢٧) ١٠١/ص ٢٢٩
(٢٨) ١٠١/ص ٢٦٧
(٢٩) ١٢٤/ص ١٨٩
(٣٠) ١٠١/ص ٢٦١
(٣١) ٩٨/ص ١٧٩
(٣٢) ١٠١/ص ٢٦١
(٣٣) ١٠١/ص ٢٤٣
(٣٤) ٢٣/ص ٦٣
(٣٥) ١٠١/ص ٢٣٨
(٣٦) ١٦/ج ١٣ مادة : دثر
(٣٧) ٢٦/ص ٧٦
(٣٨) ١٦/ج ١٣ مادة : ثبر
(٣٩) ١٢٣/ص ١١٨-١١٩
(٤٠) ١٢٢/ص ١٩٢+ ١١٠/ مـــادة : ختا
(٤١) ١٢٤/ص ١٩٥
(٤٢) ١٠١/ص ٢٥٤
(٤٣) ١١٠/ مادة : شحر
(٤٤) ٢٨/ص ٢١

هوامش الفصل الثالث

(١) ٢٨/ص ١٠-١١

(٢) ٧٢/ص ٤٢

(٣) ١٠١/ص ٣٣٤

(٤) ٢٣/ص ٦٣

(٥) ١٠١/ص ٣٢٧/٣٣٠

(٦) ١٦/ج ١٣ مادة : صون

(٧) ٣/ص ٤٢٤/ ٤٦٦-٤٦٧

(٨) ١٢٤/ص ١٩٤

(٩) ١١٠/ مادة : الجُؤه

(١٠) ١٢٤/ص ٣٣٠

(١١) ٦٢/ص ٦٠

(١٢) ٢/٢٥ ص ٩٩٢

(١٣) ٢/ تكوين ٣/١٤

(١٤) ٢٨/ص ٨

(١٥) ١٢٤/ص ٢٠٤

(١٦) ١٥/ص ١٩٩

(١٧) ١٢٤/ص ٢٠٤

(١٨) ١٦/ ج ٤ مادة : بحر

(١٩) ٢٣/ص ٢٥-٢٦

(٢٠) ١٤٤

(٢١) ٢٠٦/ص ١٠

(٢٢) ١٢٣/ص ١٧٥

(٢٣) ١١٠/ مادة : عشار

(٢٤) ١٦/ج ١٤ مادة : شوا

(٢٥) ٢٦/ نقش ٥٠-٥١

(٢٦) ٣/ص ١٣٨

(٢٧) ٣/ مسند ١٧ وتعليقات

(٢٨) ١٢٤/ص ١٦٢/٢٢٦

(٢٩) ١٩٢

(٣٠) ٣/ص ٤٩٤

(٣١) ١٢٤/ص ٢٢٦

(٣٢) ١١٠/ مادة : المطمه

(٣٣) ١٢٤/ص ١٦٢

(٣٤) ٢٨/ص ٢٠

(٣٥) ٩٩/ ج ٢ ص ٤١٨

(٣٦) ٢٨/ص ٢٦

(٣٧) ٩٩/ ج ٢ ص ٤٢٢

(٣٨) ٩٩/ ج ٢ ص ٤٢٠

(٣٩) ١٢٤/ص ١٦٥

(٤٠) ٩٩/ ج ٢ ص ٤٢١

(٤١) ٣/ص ١٩٢-١٩٥

(٤٢) ٥٧/ص ٣٨-٣٩

(٤٣) ٢/٢٥ ص ٩٩٠-٩٩٢

(٤٤) ٢٣/ص ٢١٣هـ. ٥٥

(٤٥) ٢٣/ص ٦٣

(٤٦) ١٢١/ص ١٠٣-١٠٤

(٤٧) ٢٦/ نقش ١٠٤

(٤٨) ٢٥/ ٢ ص ٩٨٠

(٤٩) ٧٧/ص ١٣

(٥٠) ٢٣/ص ٦٥

(٥١) ١٥/ص ٢٠٠

(٥٢) ١٦/ج ٢ مادة : سوج

(٥٣) ٧٤/ص ٢٣٨

(٥٤) ١١٥/ص ١٧٨

(٥٥) ٢٥/ ١ نص ١٣/٩٨

(٥٦) ١١٠/ مادة الرواء

(٥٧) ١٤/ص ١٩٣
(٥٨) ١٢٤/ص ١٧٢
(٥٩) ١٢١/ص ٣٠٤
(٦٠) ١٢١/ص ٢٩٤-٢٩٥+ ١٤١
(٦١) ١٢٤/ص ١٧٢-١٧٣
(٦٢) ١٠١/ص ١٩١
(٦٣) ١٠١/ص ١٦٩
(٦٤) ١٠١/ص ٢٠٣
(٦٥) ١٢٤/هـ. ص ١٧٥
(٦٦) ١١٠/ مادة : خولان
(٦٧) ٢٦/ نقش ١٤
(٦٨) ٢٦/ نقش ٢٩
(٦٩) ٢٦/ نقش ٢٨/ ونقش ٤٣
(٧٠) ٢٣/ص ٢٠٤
(٧١) ١٢٥/ص ٥٢٩-٥٣٠
(٧٢) ١٢٥/ص ٥٣٠-٥٣١
(٧٣) ١٢٥/هـ. ص ٥٣٠-٥٣١

هوامش الفصل الرابع

(١) ٢٥ /٢ ص ٩٨٤
(٢) ١٢١/ص ٤٣-٤٤
(٣) ١٢١/ص ٤٣-٤٤
(٤) ٧٤/ص ٩٩
(٥) ١٢٤/ص ١٤٩+١١٠/مادة: صيد
(٦) ١٢٤/ص ١٥٨-١٥٩+١١٠/مادة صيد
(٧) ١٢٤/ص ١٨٤
(٨) ٩٩/٢/ص ٤١٩
(٩) ٢٨/ص ١٥
(١٠) ١٢٤/ص ٣٢٨+٧٨/ص ٣٧
(١١) ١٢٤/ص ١٧٩
(١٢) ٢٦/نقش ٤٨
(١٣) ١٠١/ص ٢١٧-٢٢٠
(١٤) ١٢٤/ص ١٨٢
(١٥) ١٩٣/ص ١٢
(١٦) ٥١/مادة :عفد
(١٧) ١٦/٣/مادة: عفد
(١٨) ٧٤/ص ٣١ وص ٢٨٥
(١٩) ١٢٤/ص ١٤٧
(٢٠) ١٢٤/ص ١٧٣-١٧٤
(٢١) ٧٤/ص ٣٤
(٢٢) ١٢٤/ص ٣٠٥
(٢٣) ١٢٤/ص ٢٠٣
(٢٤) ١٩٢/ص ٢٠
(٢٥) ١٩٢/ص ٢١-٢٢
(٢٦) ٣/ص ٤٢٤ وص ٤٥٠-٤٥٩ وص ٤٦٦-٤٦٧
(٢٧) ١٤١
(٢٨) ٣/ص ٤٦٦-٤٦٧
(٢٩) ١١٠/مادة: بنو ظبيان ومادة: الظبيتين
(٣٠) ٢٣/ص ٦٢-٦٥
(٣١) ١٦/٣/مادة: جعد و جلعد وقحد
(٣٢) ١٠١/ص ٣٤٧ وص ٣٦٥
(٣٣) ٢٥/٢/ص ٩٩٩
(٣٤) ٣/مسند ٣٢ وتعليقات
(٣٥) ٢٨/ص ١٣
(٣٦) ٣/مسند ٣٢ وتعليقات
(٣٧) ١٠١/ص ٣٠٢
(٣٨) ١٠١/ص ٣٣٤
(٣٩) ١٠١/ص ٣٤٧
(٤٠) ١١٠/مادة: شبام
(٤١) ٢٥/٢/ص ٩٣٥
(٤٢) ١٠١/ص ٣٣٩
(٤٣) ٢٨/ص ٢٦+١١٠/مادة: المهرة
(٤٤) ١٠١/ص ٣١٩
(٤٥) ٢٦/نقش ٢١
(٤٦) ٣/مسند ٢٤ وتعليقات
(٤٧) ٢٣/ص ٦٥
(٤٨) ٢٣/ص ٦١-٦٢
(٤٩) ٧٢/ص ٤٢
(٥٠) ٣/مسند ١٣ وتعليقات
(٥١) ٢٣/ص ١٠٥
(٥٢) ١٢٤/ص ٢٨٤
(٥٣) ١٦/٢/مادة: بحح
(٥٤) ١٠١/ص ٢٨١

(٥٥) ٢٣/ص ٦٠-٦١+١٢٤/ص ١٨٧ (٥٦) ١٢٤/ص ١٨٧
(٥٧) ١٠١/ص ٢٧٩ (٥٨) ٢/٢٥/ص ٩١٨
(٥٩) ١٢٤/ص ١٨٢ (٦٠) ٧٧/ص ٢٤-٢٥
(٦١) ٧٤/ص ١١٢ (٦٢) ٧٤/ص ١١٢-١١٤
(٦٣) ٢٦/نقش ٤٨ (٦٤) ٢/٢٥/ص ٧١٠
(٦٥) ١٢٤/ص ١٦٩+٢٨/ص١٧+٤٧/ص ٢٧٦ (٦٦) ١٠١/ص ٣٣٠/ص ٣٣٩
(٦٧) ٢٨/ص ١٣ (٦٨) ١٢٤/ص ٩٠+٢٨/ص ٢٨
(٦٩) ١٠١/ص ٣٤٤-٣٤٦/ص ٣٦٢-٣٦٣ (٧٠) ١٠١/ص ٣٠٩
(٧١) ١٢٤/ص ٩٠ (٧٢) ٣/ص ١٩٣-١٩٤
(٧٣) ٢٣/ص ١٤٦ (٧٤) ١٥/ص ٢٧٠
(٧٥) ١٤٢ (٧٦) ٣/ص ٧٩
(٧٧) ١٢٤/ص ١٨٧-١٨٨ (٧٨) ١٠١/ص ٣٤٤
(٧٩) ١٢٤/ص ١٨٨ هـ ١ (٨٠)

هوامش الفصل الخامس

(١) ١٠٠/ص ٥٨
(٢) ١٢٠/ص ٩
(٣) ١٢١/ص ١٠٣-١٠٥
(٤) ١٢١/ص ١٠٣-١٠٥
(٥) ١٢١/ص ١٠٣-١٠٥
(٦) ١١٠/مادة: مردع
(٧) ١٠١/ص ١٠٨
(٨) ١٠١/ص ٢٧١-٢٧٢
(٩) ٩٩/٣/ص ٤١٩
(١٠) ٢٨/ص ١٨-١٩+١١٠/مادة: صنهاجة
(١١) ٦٢/ص ٧٥-٧٦
(١٢) ١٩٣
(١٣) ١٦/٢/مادة : هجج
(١٤) ١٥/ص ٢٥٨-٢٥٩
(١٥) ١٩٢/ص ٢٠
(١٦) ١٩٨/ص ٧٤
(١٧) ١٨٤/ص ٧٤
(١٨) ١٠١
(١٩) ١٢٤/ص ١٧٥
(٢٠) ٣٤/ص ٩٨
(٢١) ٦٧/ص ٢٩
(٢٢) كحالة،عمر رضاء/معجم قبائل العرب القديمة والحديثة/ط ١٩٨٥/٥/ج ٣/ص ١٢٥٩.
(٢٣) ١٠١/ص ٢٠٥
(٢٤) ١٠١/ص ٢٠٠
(٢٥) ١٠١/ص ١٨٢
(٢٦) ١٠١/ص ٢٠٦
(٢٧) ١٠١/ص ١٩٥
(٢٨) ١٠١/ص ١٩٠
(٢٩) ١٠١/ص ٢٠٢
(٣٠) ١١٠/مادة: ذي الماء
(٣١) ١٠١/ص ٢٠٤
(٣٢) ١٠١/ص ٢٠٦
(٣٣) ١٠١/ص ٢١٠
(٣٤) ١٠١/ص ٢١٢
(٣٥) ١٣/ص ٣٦٤
(٣٦) ١٢٤/ص ١٧٣
(٣٧) ١٠١/ص ٢٠٩
(٣٨) ١٠١/ص ٢٠٩
(٣٩) ١٠١/ص ٢٠٩
(٤٠) ١٩٢/ص ١٢
(٤١) ١٦/٢/مادة: شتت ومادة: مشش
(٤٢) ١٦٨
(٤٣) ١٠١/ص ٢١٣
(٤٤) ١٢١/ص ٣٠٤
(٤٥) ١٠١/ص ٢٠٢
(٤٦) ٣٧/مادة: مشو ومشي

هوامش الفصل السادس

(١) ١٩٦/ص ٦٠
(٢) ٩٨/ص٣٢
(٣) ١٢١/ص ١٠٣-١٠٥
(٤) ٩٨/ص ٣١-٣٣
(٥) ١٢١/ص ٢٦٠-٢٦١+ ٩٨/ص ٣٣
(٦) ١٠٠/ص ٢٢
(٧) ١٠٠/ص ٢٢
(٨) ١٠٠/ص ٢٢
(٩) ١٠٠/ص ٢٢
(١٠) ٨٩/ص ٨٦-٨٨
(١١) ١٢٤/ص ٣٩
(١٢) ٨٨/ص ٧
(١٣) ١٥٥/
(١٤) ٧٤/ص ٢٣٩
(١٥) ٣٧/ مادة : قسد
(١٦) ١١٦/ص ١٣٩
(١٧) ١٢٤/ص ١٧٣
(١٨) ١٥١/ص ١٩١
(١٩) ١٢١/ص ٣٠٤
(٢٠) ١٥١/ص ١٨٦-١٨٨
(٢١) ١٠١/ص ٧٥-٧٦
(٢٢) ١١٠/ مادة : مغاليس
(٢٣) ٣٣/ص ١٢١
(٢٤) ٣٣/ص ٤٨
(٢٥) ٥٠/ص ٨١
(٢٦) ١٢١/ص ٣٠١
(٢٧) ١٩٢/ص ١٢
(٢٨) ١٠١/ص ١٨٦-١٨٨
(٢٩) ٧٤/ص ٣٩
(٣٠) ٧٤/ص ٣٩-٤٠
(٣١) ٧٤/هـ.١٤ ص٣٨
(٣٢) ١٥/ص ٦٣
(٣٣) ٧٤/هـ . ١٥ ص ٣٩
(٣٤) ١٢١/هـ . ص ٢٦٠
(٣٥) ١٢١/هـ . ص ٢٦٠
(٣٦) ١٢١/ص ٢٦٠-٢٦١
(٣٧) ٤٢/ص ١٩٣
(٣٨) ١٢١/ص ٢٦١
(٣٩) ١٢١/ص ٢٦٢
(٤٠) ١٧٧/ص ٢١٣
(٤١) ١٧٧/ص ٢١٠
(٤٢) ١٢٤/ص/٢١٠-٢١١
(٤٣) ١٢٤/ص١٣٣
(٤٤) ١٢٤/ص ١٣٣-١٣٤
(٤٥) ١٢٤/ص١٣٣
(٤٦) ١٢٤/هـ . ص ١٣٢
(٤٧) ١٢١/ص ٢٦١+٤٢/ ص ١٩٣
(٤٨) ١٦٧/ص ٢٣
(٤٩) ١٥/ص ٧٩
(٥٠) ١٢١/ص ٢٦٠-٢٦١
(٥١) ٥٩/ص ٢١
(٥٢) ٦٣/هـ . ص ٣٢
(٥٣) ٩٠/ص ١٠٨
(٥٤) ٩٠/ص ١٠٨

(٥٥) ٩٠/ص ١٠٨-١١٠

(٥٦) ١٢٤/ص ٢٣٢

(٥٧) ١١٠/ مادة : شرجه

(٥٨) ١١٠/ مادة : الملقا

(٥٩) ٩٨/ص ١٤٧

(٦٠) ١٥/ص ٦٣+١٩٢/ص ١٧

(٦١) ٩٨/ص ١٤٧-١٤٨

(٦٢) ١٢٤/ص ٢٣٢-٢٣٣

(٦٣) ٧٤/ص ٣٩

(٦٤) ٧٤/ص ٣٩+ ٥٩/ص ٢١

(٦٥) ٥٨/ص ٦-٥٤

(٦٦) ٥٨/ص ٣٣-٣٤

(٦٧) ١٦/ج ١١ مادة : صمل

(٦٨) ١٦/ج ٩ مادة : طهف

(٦٩) ١٦/ج ١٣ مادة : هون

هوامش الفصل السابع

(١) علي {د/جـــواد} ، تـاريخ العـــرب قبـــل الإسلام/ج ١ ص ٣٥٢ .

(٢) ٥٩/ص ٦٧

(٣) ١٨٩/ص١٢

(٤) ١٧٤

(٥) ١١٨/ص ٢٤

(٦) ١١٠/ مادة : أيوب+ ١٧٦

(٧) ١١٠/ مادة : ضالع

(٨) ١٠١/ص ١٠٣/ص ١١٣-١١٤

(٩) ١٣/ص ٣٦٧-٣٦٨

(١٠) ١٠١/ص ١٠٠+ ١٢٤/ص ١٧٢

(١١) ١٢٤/ص ١٤١

(١٢) ١٠١/ص ٩٧/ص ١٠٥

(١٣) ١٠١/ص ١١٢-١١٣

(١٤) ١٠١/ص ١١٢-١١٣

(١٥) ١٠١/ص ١١٤-١١٥

(١٦) ١٢١/ص ١١٦-١١٧

(١٧) ١٠١/ص ١١٣

(١٨) ١٦/ج ١٢ مادة : جمٌ

(١٩) ١٦/ج ١٢ مادة : يمٌ

(٢٠) ١١٦/ص١٢١

(٢١) ١٦/ج ٨ مادة : قصع

(٢٢) ١٦/ مادة : هفلك

(٢٣) ٢٦/ص ٤٠

(٢٤) ٢١/ص ٤٠-٤١/ص ٥٧

(٢٥) ١٧٦/

(٢٦) ٣/ص ٤٢٤/ص ٤٥٠-٤٦٧

(٢٧) ١٢١/ص ٣٠٤-٣٠٥

(٢٨) ١٢١/ص ٢٦٠-٢٦١

(٢٩) ١٠٨/ في الاعلام مادة : بخت نصر

(٣٠) ٧٤/ص ٦٧

(٣١) ١٦/ج ٤ مادة : جعر

(٣٢) ١٦/ج ١ مادة : رجب

(٣٣) ١٠١/ص ١٠٤-١٠٨

(٣٤) فريحه {د/أنيس} ملاحم وأســـاطير رأس شمرا

(٣٥) ٩٦/ص ١٣٢

(٣٦) ١١٦/ص ٢٠

(٣٧) ١٦/ج ٦ مادة : خَتَش

(٣٨) ٩٠/ص ١٠٩

(٣٩) ٩٦/ص ١٢٩

(٤٠) ١٦/ج ٨ مادة : تَبَعَ

هوامش الفصل الثامن

(١) ١٠/ص ٧٩
(٢) ١٠/ص٧٩
(٣) ١٠/ص٧٤
(٤) ١٨٨/
(٥) ١٨٨/
(٦) ١٥/ص ١٦١-١٦٣
(٧) ١٨٨/
(٨) ١٨٨/
(٩) ١٠/ص ٧٥-٧٦
(١٠) ١٠/ص ٧٦
(١١) ١٩/ ١٤٥
(١٢) ١٢٥/ص ٥٠٣-٥٠٤
(١٣) ١٥/ص ١٦١-١٦٣
(١٤) ١٢٤/ص ١١٧/ص ١٩٤/ص ٢٣٧-٢٣٩/ص ٣٠٦
(١٥) ١٥/ص١٥٨
(١٦) ٥٠/ص٢١
(١٧) ١٢٤/هـ.ص ١١٧
(١٨) ٥٠/ص ٨٠
(١٩) ٦٢/ص ١٤٠
(٢٠) ١٠/ص ٧٩
(٢١) ١٠/ص ٧٦
(٢٢) ٤٢/ص ٢٣٤+١٦/ج ٤ مادة : سدر
(٢٣) ١٠/ص ٧٨
(٢٤) ٤٢/ص ٢٣٦
(٢٥) ١٠٢/ص ٣٤
(٢٦) ١٢٥/ص ٥٠٤-٥٠٥
(٢٧) ١٠١/ص ١٨٩
(٢٨) ٤٢/ص ٢٣٥
(٢٩) ١١٠/ مادة : كلد
(٣٠) ١٠١/ص ٢٠٠
(٣١) ١٠١/ص ١٩٠
(٣٢) ١٠/ص ٧٧
(٣٣) ١٠١/ص ١٨٧
(٣٤) ١٦/ج ١٢ مادة : زأم
(٣٥) ٥١/ص ١١٨-١١٩
(٣٦) ٤٢/ص ٢٣٣
(٣٧) ٤٢/ص ٢٣٤
(٣٨) ١٠/ص ٧٩
(٣٩) ٤٢/ص ٢٤١
(٤٠) ١٠١/ص ١٨٧
(٤١) ١٠١/ص ١٨٩
(٤٢) ١٠١/ص ١٩١
(٤٣) ١٠١/ص ١٨٩
(٤٤) ١٠١/ص ١٩٩
(٤٥) ١٠١/ص ٢٠٠
(٤٦) ١٠١/ص ٢٠٠
(٤٧) ١٠١/ص ١٨٧
(٤٨) ١٠١/ص ٢١٢

الفصل التاسع

(١) ٨٨/ص ٣٧
(٢) ٨٨/ص ٣٦-٣٧
(٣) ٨٨/ص ٣٧
(٤) ١٨٤/ص ٤١-٤٢
(٥) ١٧/ص ١٣٧
(٦) ١٧/ص ١٣٨
(٧) ١٧/ص ١٤٤-١٤٦
(٨) سلامه {د/لبيل جورج} التراث الشفوي في الشرق الأدنى ص ١٠٠-١٠١
(٩) ٦٠/ص ٣٦٨
(١٠) ١٠١/ص ٢١٣
(١١) ١٦/ج ٢ مادة : سمج
(١٢) ١٨٤/ص ٤٢
(١٣) ٧٠/ص ٨١
(١٤) ١٨٤/ص ٤٢
(١٥) ٦٥/ص ٢٣٦
(١٦) ٦٥/ص ٢٣٦
(١٧) ١٧/ص ٢٥٢-٢٥٣
(١٨) ١٠١/ص ١٨٣
(١٩) ٥٩/ص ٨٢
(٢٠) ٥٩/ص ٨٣
(٢١) ١٣٦/
(٢٢) ١٩٢/ص ١٤
(٢٣) ١٩٢/ص ١٤
(٢٤) ١٩٢/ص ١٥
(٢٥) ١١٨/ص ٢٤١
(٢٦) ١٧/ص ١٣٦-١٣٧
(٢٧) ٢٠٢/ص ٢٧٦-٢٧٧
(٢٨) ٥/ص ١٢٠
(٢٩) ١٠١/ص ١٦٩
(٣٠) ٦٥/ص ١٥٧
(٣١) ٦٥/ص ١٥٧
(٣٢) ٦٥/ص ٩٩
(٣٣) ٦٥/ص ٣٣٢
(٣٤) ٦٥/ص ٣٣٣
(٣٥) ٦٥/ص ٣٣٣
(٣٦) ٦٥/ص ٣٣٣
(٣٧) ٦٥/ص ٣٣٥
(٣٨) ٦٥/ص ٣٣٥
(٣٩) ٦٥/ص ٣٣٥
(٤٠) ٦٥/ص ٣٣٦
(٤١) ٣/ص ٣١٢
(٤٢) ٣/ص ٣١٢
(٤٣) ٣/ص ٣١٦
(٤٤) ١٦/ج ٢ مادة : ديث
(٤٥) ٦٥/ص ٣٣٦
(٤٦) ١٦/ج ٤ مادة : زغر وهـ .ص ٣٤٢

الفصل العاشر

(١) ٣٢/ص ٣٨
(٢) ٣٢/ص ٣٨
(٣) ٣/ص ٤٥٥-٤٥٦
(٤) ٧/ص ٥٥٤
(٥) ٥٩/ص ١٤١-١٤٣
(٦) ١٦٨/ص ١٣٦
(٧) ٥٩/ص ١٤٢
(٨) ٦١/ص ٢٤٥
(٩) ١٢٣/ص ٦٦
(١٠) ٢٠٢/ص ٧٩/ص ١٨٥
(١١) ٦٦/ص ٥٧
(١٢) ١٦/ج ١٤ مادة : ضرا
(١٣) ١٧/ص ٣٠٧
(١٤) ٥٩/ص ١٤٢-١٤٣
(١٥) ٥٠/ص ٢٧٠
(١٦) ٦٦/ص ٧٨
(١٧) ٦٥/ص ٩٥-٩٦
(١٨) ١٨٤/ص ٣٤

الفصل الحادي عشر

(١) ١٤٤
(٢) ٢٠٦
(٣) ١٥٦/ص ١١٣-١١٤
(٤) ١٥٦/ص ١١٣
(٥) ١٥٦/ص ١١٣
(٦) ٥٢/ص ٩٥
(٧) ١٦/٢/مادة: قزح+ ٥٨
(٨) ١٥٦/ص ١١٤
(٩) ١٨٤/ص ٤٥
(١٠) ١٨٤/ص ٤٧
(١١) ٦٥/ص ١٥٧
(١٢) ٩٨/ص ١٤٩-١٥٠
(١٣) ١٥٦/ص ١١٠
(١٤) ٢٦/نقش ٢٣
(١٥) ١١٠/مادة: جرة
(١٦) ١٢٤/ص ٢٣٧-٢٣٨
(١٧) ١٢٣/ص ٨٩
(١٨) ١١٠/مادة: صناع
(١٩) ١٢١/ص ٢٩٤-٢٩٥
(٢٠) ١٢١/ص ٢٩٤-٢٩٥
(٢١) ١٠١/ص ٢٠٥

الفصل الثاني عشر

(١) ٦٥/ص ٢٥٧
(٢) ٦٥/ص ٢٧٠
(٣) ١٣/ص ٤٣١-٤٣٥
(٤) ٣٢/ص ٥٣
(٥) ٣٢/ص ٥٤
(٦) ٦٥/ص ٣٠٢
(٧) ٦٥/ص ٣١٣
(٨) ٦٥/ص ٣١٤
(٩) ٦٥/ص ٣١٥
(١٠) ٥٢/ص ١٥١
(١١) ٣/ص ٣١٩
(١٢) ٥٠/ص ٢٧٨
(١٣) ٥٩/ص ٨٠-٨١
(١٤) ٥٠/ص ٢٧٨-٢٧٩
(١٥) ١٦/٣/مادة : حيد
(١٦) ١٢١/هـ . ص١٨٣-١٨٤

الفصل الثالث عشر

(١) ٥٧/ص ٥١
(٢) ٦١/ص ٤٨
(٣) ٣٣/ص ١٩
(٤) ٣/نقش ٢٤/ص ١٦٩
(٥) ٥١/ص ٦٦
(٦) ٥١/ص ٦٦+٤٩/ص ١٦٥-١٦٨
(٧) ٢٣/ص ١٥١
(٨) ٢٣/ص ١٥١
(٩) ١٦/١٤ مادة: حري
(١٠) ٥٩/ص ٧٤
(١١) ٥٩/ص ٧٤
(١٢) ٣٩/ص ١٧٤
(١٣) ١٥/ص ٢٣١
(١٤) ٥٩/ص ٧٥
(١٥) ١٢١/ص ٣٠٤
(١٦) ٥٤/ص ٨١
(١٧) ٥٠/ص ٨٠
(١٨) ٥٤/ص ٨١
(١٩) ٣٤/ص ١٣٢-١٣٣
(٢٠) ١٥/ص ١٩١
(٢١) ٣٣/ص ٢٣
(٢٢) ١١٨/ص ١٣٦
(٢٣) ١٥/ص ٢٣٩
(٢٤) ١٠١/ص ٢٤
(٢٥) ٧٤/ص ١٣٧
(٢٦) ٥٩/ص ٦٩
(٢٧) ١٥/ص ٦
(٢٨) ١٢٩/ص ٤٤-٤٦
(٢٩) ١٦/١٠ مادة: برق
(٣٠) ١٠٨/لي اللغة مادة: الإبنوس

(٣١) ١١٠ مادة: خبان
(٣٢) ٨١/ص ١٠٧
(٣٣) ١١٠ مادة: عنّ
(٣٤) ١٣/١٦ مادة طبنّ
(٣٥) ٥٦/ص ٣٥٧-٣٥٨
(٣٦) ١٥/ص ٧
(٣٧) ١١٠ مادة ذي السفال
(٣٨) ٩٠/ص ٩٠
(٣٩) ٤/١٦ مادة: خصر
(٤٠) ٨/١٦ مادة : لصع
(٤١) ٢٦ المعق في نقش ٧٥
(٤٢) ١١/١٦ مادة: زمل
(٤٣) ٥٦/ص ١٠٤
(٤٤) ٩٠/ص ٩٠-٩١
(٤٥) ١٣/١٦ مادة : هدن
(٤٦) ٤٤/ص ٦١
(٤٧) ٥٦/ص ٩٥
(٤٨) ٩/ هـ . ص ٤٠٥
(٤٩) ٩/ص ٤٦٥
(٥٠) ١٢١/ص ٣٠٤
(٥١) ٤٤/ص ٢٠٦
(٥٢) ٥٩/ص ١٦١
(٥٣) ٥٣/ص ٢٤٨
(٥٤) ١٢/١٦ مادة: حتم
(٥٥) ٣/ص ١٧١
(٥٦) ٥٩/ص ١٦١-١٦٢
(٥٧) ٤٩/ص ١٦٥-١٦٨
(٥٨) ٣٣/ص ١٩
(٥٩) ٣٣/ص ١٩
(٦٠) ٤٤/ص ٥٢-٥٣
(٦١) ٥٩/ص ٦١
(٦٢) ١١٨/ص ٩٨
(٦٣) ٥٦/ص ١٠٨
(٦٤) ٥٦/ص ١٠٨
(٦٥) ١٦٧/ص ٢٣
(٦٦) ١١/١٦ مادة: جول
(٦٧) ٥٩/ص ١٤
(٦٨) ٩٨/ص ١٤٩-١٥٠
(٦٩) ٥٦/ص ١١٢
(٧٠) ٩٠/ص ٩٢

الفصل الرابع عشر

(١) ٢٦/ص ٢٢

(٢) ٢٣/ص ٦٢

(٣) ٧٢/ص ٤٠

(٤) ٢٣/ص ٦٣

(٥) ٢٣/ص٦٣

(٦) ٢٣/ص ٦٣

(٧) ١٠١/ص ٢٢٧

(٨) ١٢٤/ص ٢٠٠

(٩) ١١٠/ مادة: العود

(١٠) ٦٢/ص ٧٦

(١١) ١١٠/مادة: مقاليس

(١٢) ١٠١/ص ١٩١

(١٣) ١٠١/ص ١٩٤

(١٤) ٢٣/ص ٦٤

(١٥) ٢٣/ص ٦٢

(١٦) ٢٦/نقش ٨٧

(١٧) ٢٣/ص ٣٤

(١٨) ١٠١/ص ١٦٩

(١٩) ٢٣/ص ٤٠

(٢٠) ٢٦/نقش ١٠٢

(٢١) ٢٦/ص ٣٢٣

(٢٢) ٢٨/ص ٢٠

(٢٣) ٢٣/ص ٤٠

(٢٤) ٢٣/ص ٢١

(٢٥) ٢٣/ص ٢٢

(٢٦) ١٢١/ص ٣٢٤-٣٢٥

(٢٧) ٢/٢٥/ص ٩٣٥

(٢٨) ١٢٩/ص ١٨٤

(٢٩) ١٢٩/ص ١٨٥-١٨٦

(٣٠) ٢٦/نقش ٤٨

(٣١) ٢٣/ص ٦١-٦٨

(٣٢) ٢٣/ص ٦١-٦٨

(٣٣) ١٠١/ص ٢٨١-٣٠٥

(٣٤) ٢٣/ص ٦٤

(٣٥) ٢٣/ص ٦٤

(٣٦) ٢٣/ص ٦٧

(٣٧) ٢٣/ص ٦٨

(٣٨) ١٦٨/ص ١٣٦

(٣٩) ١٤٠

(٤٠) ٣٤/ص ٢١-٢٤+١٠١/ص ١٨٣

(٤١) ١٠١/ص ٢٠٥

(٤٢) ١٤٠

(٤٣) ١٢٤/ص ١٧٣

(٤٤) ١٢١/ص ٣٠٥

(٤٥) ١٠١/ص ٢٠٣

(٤٦) ١٠١/ص ٢٠٤

(٤٧) ١٠١/ص ٢١٠

(٤٨) ١٠١/هـ .ص ١٧٢

(٤٩) قارن: مأدبتهم سطر ٤مع ١٦ ج١ مـادة: دأب

(٥٠) ٢٦/نقش ٢٣

(٥١) ١١٠/مادة: سلم

(٥٢) ١٠١/ص ٢٠٧

(٥٣) ٣٧/مادة: لمم
(٥٤) ١٦٨/ص ١٣٥
(٥٥) ٢٦/ص ٣١٧
(٥٦) ٢٦/ص ٣١٧
(٥٧) ٢٣/ص ٣٥
(٥٨) ٢٦/النقش ٩١
(٥٩) ٢٣/ص ٣٥
(٦٠) ١٠١/ص ٢٠٦
(٦١) ١٤٢/ص ٢٤٩
(٦٢) ١٥٨/ص ١١٧
(٦٣) ٢٣/ص ٨٢
(٦٤) ٧٢/ص ٤٨-٤٩
(٦٥) ١٤٢/ص ٢٥١
(٦٦) ١٤٢/ص ٢٤٩
(٦٧) ١٢١/ص ٣٢٤
(٦٨) ١٢١/ص ٣٠٤
(٦٩) ١٠١/ص ٢٠٩
(٧٠) ١٤٠/ص ٨-١١
(٧١) ١٤٠/ص ٨-١١
(٧٢) ١٤٠/ص ٨-١١
(٧٣) ٢٥/٢/ص ٩٩٩
(٧٤) ٢٦/ص ٢٣
(٧٥) ١٤٠/ص ٨-١١
(٧٦) ١٦/٧/مادة: هيض
(٧٧) ١٢٤/ص ١٧٣
(٧٨) ١٢٤/هـ .ص ١٧٢
(٧٩) ١٢٤/هـ. ص ١٧٣
(٨٠) ٣٤/ص ٣٣-٣٤
(٨١) ١٤٠/ص ٨-١١
(٨٢) ١٦/١٣/مادة: شنن
(٨٣) ١٦/١٤/مادة: شيأ
(٨٤) ١٢٤/ص ١٧٢
(٨٥) ١٤٢/ص ٢٥١-٢٥٢
(٨٦) ١٤٢/ص ٢٥٢

الفصل الخامس عشر

(١) ٣/ص ٢٠٧-٢٠٨

(٢) ٢٣/ص ١٣٤

(٣) ٣/ص ١٦٠-١٦٣

(٤) ١٠١/ص ٢١٢

(٥) ٩ الظر في نماية الدولة الطاهرية

(٦) ١٠١/ص ١٩٨

(٧) ١٢٤/ص ١٧٣

(٨) ٣٤/ص ٧٧-٧٨+١٠١/ص ١٠٧

(٩) ١٢٤/ص ١٧٦+١١٠/مادة آل ديان

(١٠) ٢٦/نقش ٨٦

(١١) ٢٦/ نقش ٤٢

(١٢) ١٢٤/ص ١٧٣+هـ. ص ١٧٣

(١٣) ١٠١/ص ١١٥

(١٤) ١٢٣/ص ٦٩

(١٥) ١١٠/مادة: شكع

(١٦) ١١٠/مادة: خله

(١٧) ١٢١/ص ٨٣-٨٤

(١٨) ٣/ص ١٥٥

(١٩) ٣/ص ١٥٢

(٢٠) ٢٣/ص ١٢٢

(٢١) ٢٣/ص ١٢٨

(٢٢) ٢٣/ص ١٢٩-١٣٠

(٢٣) ٢٣/ص ١٣٤

(٢٤) ٥٢/ص ٢٣-٢٥

(٢٥) ٥٢/ص ٢٣-٢٥

(٢٦) ١٦/١٣/مادة: عون

(٢٧) ٣/ص ٢٥٤

الفصل السادس عشر

(١) ٢٤/ص ١٢٦
(٢) ١٩٢/ص ٢١-٢٢
(٣) ١٩٢/ص ٢١-٢٢
(٤) ١٢٥/ص ١٠٢
(٥) ١٢٥/ص ١٠٢
(٦) ١٢٥/ص ١٠٢
(٧) ٤٤/ص ٦٣
(٨) ٤٤/ص ٦٣
(٩) ١٠١/ص ١٩٢
(١٠) ١٠١/ص ١٨٧
(١١) ٢٤/ص ٨٧
(١٢) ١٤١/ص ٣٤
(١٣) ٢٤/ص ٨٩+١٤١/ص ٣٤
(١٤) ١٤١/ص ٣٤
(١٥) ١٤١/ص ٣٤+١٤١هـ.٦ ص ٣٤
(١٦) ١١٠/مادة: بني حشيش
(١٧) ١٢١+٣٩/ص ٣١٣
(١٨) ١٤١/ص ٣٤+٣مسند ١/م.ب
(١٩) ١٤١/ص ٣٤
(٢٠) ١٧٩/ص ١٤-١٥
(٢١) ١٧٩/ص ١٤-١٥
(٢٢) ١٠١/ص ١٩١
(٢٣) ١٤١/ص ٣٥
(٢٤) ١٠١/ص ١٩٠
(٢٥) ١٠١/ص ١٩١
(٢٦) ١١٥/ص ٢٧-٢٨
(٢٧) ١١٥/صن ٢٧-٢٨
(٢٨) ٢٦ موجز ٨/٦/نقش ١٦
(٢٩) ١٤١/ص ٤٦-٤٧
(٣٠) ١٠١/ص ١٩٤
(٣١) ١٠١/ص ٢٠٨-٢٠٩
(٣٢) ١٠١/ص ٢٠٢
(٣٣) ١٠١/ص ٢٠١
(٣٤) ٣٩/ص ٣٠٢

الفصل السابع عشر

(١) ١١٥/ص ٣٢
(٢) ١٢١/ص ٣٣٧
(٣) ٦٧/ص ٢٩-٣٠
(٤) ١٢٠/ص ٩
(٥) ١٢١/ص ٢٩٨-٣٠٤
(٦) ٣٤/ص ٨٠
(٧) ١٢١/ص ٣٠٥
(٨) ١١٥/ص ٢٠٢
(٩) ١٢١/ص ٣٠٤-٣٠٥وص ٣٦٧
(١٠) ١١٠/مادة: ذي رعين
(١١) ١٢١/هـ ص٣٢٣
(١٢) ١٢١/ص ٣٢٢
(١٣) ١٠١/ص ١٨٩
(١٤) ١٠١/ص ١٩٨
(١٥) ١٢١/ص ٢٩٦
(١٦) ١٠١/ص ٢١٩-٢٢١
(١٧) ١٢١/ص ٣٠٤-٣٠٥
(١٨) ١٢٤/ص ١٧٣
(١٩) ٧٧/ص ١٣-١٥
(٢٠) ١٢٩/ص ١٣٩
(٢١) ١٢١/ص ٣٠٤
(٢٢) ١٠١/ص ١٨٦-١٨٧
(٢٣) ١٢١/ص ٢٩٤-٢٩٥
(٢٤) ١٢١/هـ.ص ٢٩٤
(٢٥) ١٢٤/ص ١٧٥+١٠١/ص ٢٠٣
(٢٦) ١٠١/٢٦/ص ٢٠٥
(٢٧) ١٠١/ص ٩٦
(٢٨) ١٠١/ص ١٩٦
(٢٩) ١١٥/ص ٨٤
(٣٠) ١٠١/ص ٢٠٧
(٣١) ١١٥/ص ٨٠
(٣٢) ١٠١/ص ٢٠٨
(٣٣) ١٢١/ص ٣٢٤
(٣٤) ١٢١/هـ.ص ٣٢٤-٣٢٥
(٣٥) ١٢٤/هـ.ص ١٧٢
(٣٦) ١٠١/ص ١٩١
(٣٧) ١١٥/ص ٢٩
(٣٨) ٢٧/٤/مادة: منصور
(٣٩) ١٠١/ص ٢٠٩
(٤٠) ٢٧/١/مادة: أحمد
(٤١) ١٠١/ص ١٩٩-٢٠١
(٤٢) ١٠١/ص ٢٠٩
(٤٣) ١٠١/هـ.ص ٣٠٨+٣٤/ص ٥٣
(٤٤) ١٠١/ص ٢١٤
(٤٥) ١٢١/ص ٣٠٨-٣٠٩
(٤٦) ١١٥/ص ٢٧
(٤٧) ١٠١/ص ١٩٢ وص ٢٢١
(٤٨) ١١٥/ص ٣٥
(٤٩) ١٠١/ص ١٩٠
(٥٠) ١٢١/ص ٣٠٤
(٥١) ١٢٤/ص ١٧٣
(٥٢) ١٠١/ص ٢٠٣

(٥٣) ١٠١/ص ٢٠٢
(٥٤) ١١٥/ص ٢٠٠
(٥٥) ١٢٤/ص ١٧٣
(٥٦) ١٠١/ص ١٨٧
(٥٧) ١٠١/ص ١٨٦-١٨٧
(٥٨) ١٢٤/هـ. ص١٧٢-١٧٣
(٥٩) ١١٠/مادة: صاع
(٦٠) ١٠١/ص ٢٠٧-٢٠٨
(٦١) ١٤٢/ص ٢٥١
(٦٢) ١٢٩/ص ١٨٦
(٦٣) ١٢١/ص ٨٣-٨٤
(٦٤)

المصادر والمراجع

١

القران الكريم

٢

الكتاب المقدس / دار الكتاب المقدس في العالم العربي

٣

الارياني [مطهر علي] في تاريخ اليمن القديم "نقوش مسندية" مركز الدراسات والبحوث اليمني (صنعاء) ط/٢/١٩٩٠م .

٤

الاكوع [محمد بن علي الحوالي] صفحة من تاريخ اليمن الاجتماعي / مطبعة الكاتب العربي (دمشق) ط/١٩٧٩م .

٥

الاندلسي [صاعد] طبقات الامم / تحقيق حياة العيد بو علون / دار الطليعة (بيروت) ط١/١٩٨٥م .

٦

الانصاري [د/ ناصر] موسوعة حكام مصر / دار الشروق (القاهرة) ط٣/١٩٨٩م

٧

ابن بطوطة [محمد بن عبدالله اللواتي] رحلة ابن بطوطة / تحقيق عبدالمنعم العريان / دار احياء العلوم (بيروت) ط١/١٩٨٦م .

٨

ابن حزم [ابو محمد علي بن أحمد الاندلسي] جمهرة انساب العرب /دار الكتب العلمي (بيروت ط١/١٩٩٨ .

٩

ابن الديبع [عبدالرحمن بن علي] قرة العيون باخبار اليمن الميمون / تحقيق محمد بن علي الاكوع المكتبة اليمنية الحوالية (صنعاء) ط/١٩٨٨م.

١٠

ابن كثير [أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي] تفسير ابن كثير(٣م) طبعة دار الفكر بيروت .

١١

ابن كثير [أبو الفداء] مختصر تفسير ابن كثير(٣م) /تحقيق محمد علي الصابوني دار القران الكريم (بيروت) ط/١٩٨١/٧م .

١٢

ابن كثير [أبو الفداء] البداية والنهاية-في سبعة مجلدات مكتبة المعارف (بيروت) ط/١٩٨٥/٦م .

١٣

ابن كثير [أبو الفداء] قصص الانبياء/مؤسسة ابو الطيب للثقافة(بيروت) ط/١٩٩٢/٣م

١٤

ابن كثير [أبو الفداء] قصص الانبياء / تحقيق عبدالحي الفرماوي / دار اليقين (المنصورة) دار القبلتين (الرياض) ط/١٩٩٢/١م .

١٥

ابن المجاور [جمال الدين ابي الفتح يوسف] صفة بلاد اليمن/تحقيق أوسكر لوفغرين / منشورات المدينة (بيروت) ط/١٩٩٨/١ .

١٦

ابن منظور [ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم] لسان العرب/ دار صادر (بيروت) ط/١٩٩٥م.

١٧

ابن هشام [أبو محمد عبدالملك] كتاب التيجان في ملوك حمير واخبار عبيد بـــن الشـــرية / مركز الدراسات والبحوث اليمني (صنعاء)

١٨

ابن هشام [أبو محمد عبدالملك]السيرة النبوية/مطبعة البابي(مصر)ط٢/١٩٥٥

١٩

أبو زيد [د/نصر حامد] الاتجاه العقلي في التفسير / دار التنوير (بيروت) ط٢/١٩٨٨م

٢٠

أبو سديرة[د/سيد طه]القبائل اليمنية في مصر/مكتبة الشعب(القاهرة) ط٣/١٩٩٢م

٢١

أبو طالب[حسام الدين محسن]تاريخ اليمن عصـــر الاســـتقلال عـــن الحكـــم العثمـــاني الأول/تحقيق عبدالله الحبشي مطابع المفضل(صنعاء) ط١/١٩٩٥م

٢٢

أبو مخرمة [أبو محمد عبدالله الطيب] تاريخ ثغر عـــدن/ منشـــورات المدينـــة(صنعـــاء) ط٢/١٩٨٦ .

٢٣

بافقيه[د/محمد عبدالقادر]تاريخ اليمن القديم/المؤسسة العربية(بيروت) ط/١٩٨٧م

٢٤

بافقيه [د/محمد عبدالقادر] في العربية السعيدة/مركز الدراســـات والبحـــوث اليمـــني (صنعاء) ط/١٩٨٧م .

٢٥

بافقيه [د/محمد عبدالقادر] المستشرقون وأثار اليمن/مركز الدراسات والبحوث اليمـــني (صنعاء) ط/١٩٨٨م.

٢٦

بافقيه [د/محمد عبدالقادر] واخرون ، مختارات من النقوش اليمنية القديمة / المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم /١٩٨٥م .

٢٧

بامطرف [د/محمد عبدالقادر] الجامع (أربعة أجزاء) دار الهمداني (عدن)ط٢/١٩٨٤م

٢٨

بامطرف[د/محمد عبدالقادر]ملاحظات على ما ذكره الهمداني/دارالهمداني(عدن) ط١/١٩٨٤م

٢٩

باوزير [سعيد عوض] صفحات من تاريخ الحضرمي/مكتبة الثقافة(عدن) ط١/١٩٥٦م

٣٠

بتلهايم [برونو] التحليل النفسي للحكايات الشعبية/ترجمة طلال حرب/دار المروج (بيروت) ١٩٨٥ .

٣١

بردوني [عبدالله] فنون الادب الشعبي في اليمن/دار العودة (بيروت) ط/١٩٨٣م

٣٢

بردوني [عبدالله] الثقافة الشعبية-تجارب وأقاويل يمنية/دار المأمون (جيزه مصر) ط/١٩٨٣م

٣٣

بروملية + بودلني، الأثنوس والتاريخ/ترجمة طارق معصراني/دار التقدم (موسكو) ط/١٩٨٨م.

٣٤

البكري [ضلاح] في شرق اليمن يافع / دار الكشاف(بيروت)ط /١٩٥٥م .

٣٥

بناني [د/محمد الصغير] النظريات اللسانية والبلاغية عند العرب / دار الحداثة (بيروت) ط١١/١٩٨٦م .

٣٦

بوتينتسيفا [تامارا] الاثار تؤدي إلى رمال الجزيرة العربية/ ترجمة محمد الشعيبي / مطبعة الكاتب العربي (دمشق) ط١/١٩٨٩م

٣٧

بيستون [أ-ف-ل] وآخرون،المعجم السبئي/منشورات جامعة صنعاء ط/١٩٨٥

٣٨

بيوتروفسكي [م-ب] ملحمة عن الملك الحميري أسعد الكامل/ترجمة شاهر جمال اغا/وزارة الاعلام والثقافة (صنعاء) ط/١٩٨٤م

٣٩

بيوتروفسكي [م-ب] اليمن قبل الإسلام/ترجمة محمد الشعيبي/دار العودة (بيروت) ط١/١٩٨٧م

٤٠

التنير[د/محمد راؤد]الفاظ عامية فصيحة/دار الشروق(بيروت-القاهرة) ط١/١٩٨٧م

٤١

توفيق[محمد]اثار معين في جوف اليمن/منشورات المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية (القاهرة)١٩٥١م .

٤٢

الثعلبي [أبو اسحاق أحمد بن إبراهيم] قصص الانبياء (العرائس) المكتبة الشعبية (بيروت) بدون تاريخ .

٤٣

جارودي [روجية] وعود الإسلام/الدار العالمية (بيروت) ط/١٩٨٤م

٤٤

١. الجبوري [د/يحيى] قصائد جاهلية نادرة/مؤسسة الرسالة (بيروت) ١٩٨٢م

٤٥

جينبير [شارل] المسيحية نشأتها وتطورها/ت/الإمام د/عبدالحليم محمـــود/دار المعـــارف (القاهرة)١٩٨٥

٤٦

حبشوش [حييم] + هاليفي [جوزيف] رؤية اليمن بين حبشـــوش وهـــاليفي/مركـــز الدراسات والبحوث اليمني (صنعاء) ط١/١٩٩٢م .

٤٧

الحبشي [عبدالله محمد] الرحاله اليمنيون/مكتبة الارشاد (صنعاء) ط/١٩٨٩م .

٤٨

الحرضي [يحيى العامري]غربال الزمان في وفيات الاعيان/تحقيق محمد زعـــبي العمـــر/دار الخير (دمشق) .

٤٩

الحميري [نشوان بن سعيد] ملوك حمير واقيال اليمن/تحقيق علي المؤيد واسماعيل الجـــرافي (القاهرة) ١٣٧٨

٥٠

الحميري [نشوان بن سعيد] رسالة الحور العين وشرحها/تحقيق كمال مصطفـــى/دار أزال (بيروت)ط٢/١٩٨٥م .

٥١

الحميري [نشوان بن سعيد] منتخبات في اخبار اليمن/تحقيق عظيم الدين أحمد/ منشـــورات المدين (صنعاء) ط٣/١٩٨٦م .

٥٢

حنش [صفي الدين أحمد] النور المشرق في فتح المشرق/تحقيق عبدالله الحبشي/منشـــورات (بيروت) ط١/١٩٨٦م .

٥٣

الحوفي [د/أحمد محمد] الغزل في العصر الجاهلي/دار نهضة مصر (القاهرة) ط٣

٥٤

خليف [د/ يوسف] الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي/مكتبة غريب (القاهرة)

٥٥

دلو [برهان الدين]جزيرة العرب قبل الإسلام/دار الفارابي (بيروت) ط١/١٩٨٩م .

٥٦

ديان [محسن بن محسن] يافع بين الاصالة والمعاصرة/مطبعة الكاتب العربي (دمشق) ١٩٩٥

٥٧

ديب [سهيل] التوراة بين الوثنية والتوحيد/دار النفائس (بيروت) ط٢/١٩٨٥م .

٥٨

ديب [فرج الله صالح] اليمن هي الأصل/دار الكتاب الحديث (بيروت) ط١/١٩٨٨م .

٥٩

ديب [فرج الله صالح] حول أطروحات كمال الصليبي/دار الحداثة (بيروت) ط١/١٩٨٩م

٦٠

الرازي [أبو أحمد بن حمدان] كتاب الزينة/تحقيق د/حسين بن فيض الله الهمداني/مركز الدراسات والبحوث اليمني (صنعاء) ١٩٩٤م .

٦١

الربعي [عيسى ابن ابراهيم] نظام الغريب في اللغة (معجم) مؤسسة الكتب الثقافية ط١/١٩٨٦م

٦٢

رسول [الملك الأشرف عمر بن يوسف] طرفة الأصحاب في معرفة الانساب/تحقيق ك.و سترستين/منشورات المدينة (بيروت) ط٢/١٩٨٥م .

٦٣

زيدان [جرجي] الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية/دار الحداثة (بيروت) ط١/١٩٨٦م

٦٤

ساكرز [د/هاري] عظمة بابل موجز حضارة بلاد الرافدين القديمة ترجمة د/ عـامر سليمان/مطابع سيما رومتاج (فرنسا) ط/١٩٦٩م .

٦٥

السواح [د/ فراس] مغامرة العقل الأولى/سومر للطباعة والنشر (نقوسيا) ط٦/١٩٨٦م .

٦٦

الشامي [د/ يحيى عبدالأمير] النجوم في الشعر العربي القـديم/منشـورات دار الافـاق الجديدة (بيروت) ط/١٩٨٢م .

٦٧

الشجاع [د/عبدالرحمن عبدالواحد] اليمن في صـدر الإسـلام/دار الفكـر (دمشـق) ط١/١٩٨٩م .

٦٨

الشعيبي[محمد بن محمد]مراجعات نقدية حول الثقافة والفكر في اليمن/الكـاتب العـربي (دمشق)ط١٩٨٩م

٦٩

شلبي [د/رؤف] المجتمع العربي قبل الإسلام/المكتبة العصرية (صيدا بيروت) .

٧٠

شلق [د/علي] النابغة الذبياني/دار المدى (بيروت) ط١/١٩٨٥م .

٧١

الشماحي [عبدالله عبدالوهاب] الإنسان والحضارة/دار الهناء (القاهرة) ط١/١٩٧٢م .

٧٢

شهاب [حسن صالح] عدن فرضة اليمن/مركز الدراسات والبحوث اليمـني (صنعـاء) ط١/١٩٩٥م

٧٣

الشوكاني [محمد بن علي] نيل الاوطار في أربعة مجلدات/مختصر خالد عبدالرحمن العك / دار الحكمة (صنعاء) ط١/١٩٨٨م .

٧٤

الصليبي [د/كمال سليمان] التوارة جاءت من جزيرة العرب/ترجمة عفيف الزاز مؤسسة الابحاث العربية (بيروت) ط١/١٩٨٥م

٧٥

ضو [جورج]تاريخ علم الاثار/ترجمة بهيج شعبان/مشورات عويدات (بيروت-باريس) ط١/١٩٨٠م

٧٦

عبدالباقي [محمد فؤاد]المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم/دار الحديث (القاهرة) ط٢/١٩٨٨م

٧٧

عبدالله [د/يوسف محمد] أوراق في تاريخ اليمن وآثاره/وزارة الثقافة والاعلام (صنعاء) ط١/١٩٨٥م .

٧٨

العبدلي[أحمد فضل]هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن/دار العودة(بيروت) ط١/١٩٨٠م

٧٩

علي [د/جواد] تاريخ العرب في الإسلام/دار الحداثة (بيروت) ط١/١٩٨٠م .

٨٠

عمارة [د/محمد] التراث في ضوء العقل/دار الوحدة ط١/١٩٨٠م .

٨١

عمارة [د/محمد] الدولة الإسلامية بين العلمانية الدينية/دار الشروق(القاهرة بيروت) ط١/١٩٨٠م .

٨٢

العمري [د/حسين عبدالله] مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني/دار المختار (دمشق) ط٣/١٩٩٢م

٨٣

عنان [زيد بن علي] اللهجة اليمانية في النكت والأمثال الصنعانية/ دار الكلمة (صنعاء) ط١٩٨٠م .

٨٤

العودي [د/حمود] التراث الشعبي وعلاقته بالتنمية/ دار العودة (بيروت) ط٢/١٩٨٦م.

٨٥

العودي [د/حمود] المدخل الاجتماعي في دراسة التاريخ والتراث العربي/المكتبة الوطنية (عدن) ط٢/١٩٨٩م .

٨٦

العودي [د/حمود] المجتمع اليمني/جامعة عدن (عدن) ط١/١٩٨٦م .

٨٧

العيسى (سليمان) وعبدالله [د/يوسف محمد] ترنيمة الشمس نقش القصيدة الحميرية/مركز البحوث والبحوث اليمني (صنعاء) ط/١٩٨٩م .

٨٨

غويتسلو (خوان) في الاستشراق الاسباني ترجمة كاظم جهاد/المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت) ط/١٩٨٦م .

٨٩

غويدي (اغناطيوس) محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام/ترجمة إبراهيم السامرائي/دار الحداثة (بيروت) ط١/١٩٨٦م .

٩٠

فخري [د/أحمد] اليمن ماضيها وحاضرها/المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع(صنعاء)ط١/١٩٨٨

٩١

الفيومي[أحمد المقري] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي (جزاءان) / دار الكتب العلمية (بيروت) ط/١٩٦٨م .

٩٢

القاسمي(ظافر) الحياة الاجتماعية عند العرب/دار النفائس (بيروت) ط٢/١٩٨١ .

٩٣

القالي [أبو علي] مختارات من الامالي /اختيار وتحقيق د/عمر الدقاق/منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي (دمشق) ط/١٩٨٠م

٩٤

قراعة [محمود علي] الثقافة الروحية في انجيل برنابا/مكتبة مصر(القاهرة) ط٢/١٩٨٣م

٩٥

قطب [محمد علي] نظرات في انجيل برنابا/دار القلم (بيروت) ط٢/١٩٨٦م .

٩٦

قطرب [أبو علي محمد بن المستنير] كتاب الفرق/تحقيق د/صبيح التميمي ود/محمد الرديني/دار الأشراف (بيروت) ط١/١٩٨٨م .

٩٧

القعيطي[السلطان غالب]تأملات عن تاريخ حضرموت/مكتبة كنوز المعرفة(جده)ط١/١٩٩٦م

٩٨

القمني [د/سيد محمود]النبي إبراهيم والتاريخ المجهول/سيناء للنشر (القاهرة) ط١/١٩٩٥م

٩٩

الكندي [سالم بن حميد] تاريخ حضرموت (جزاءان)/تحقيق عبدالله الحبشي/مكتبة الإرشاد (صنعاء) ط١/١٩٩١م .

١٠٠

كينيون [كاثلين.م] التوراة والمكتشفات الاثارية الحديثة/ترجمة سـليم زيـد وشـوقي شعث/دار الجليل (دمشق) ط١/١٩٨٨م .

١٠١

لقمان [حمزة علي] تاريخ القبائل اليمنية/دار الكلمة (صنعاء) ط١/١٩٨٥م .

١٠٢

لقمان [حمزة علي] قصص تاريخ اليمن/دار الكلمة (صنعاء) ط/١٩٨٥م .

١٠٣

ماكرو (أريك) اليمن والغرب [ترجمة د/حسين عبدالله العمري] بيروت ١٩٦٨م

١٠٤

مجموعة باحثين، الفولكلور الأمريكي/ترجمة د/نظمي لوقا/دار العـالم العـربي (القـاهرة) ١٩٨٠م .

١٠٥

المحـامي [محمـود كـامل]اليمـن شمالـه وجنوبـه/دار بـيروت للطاعـة والنشر(بيروت)ط/١٩٨٩م

١٠٦

محمود (د/مصطفى) التوراة / دار العودة (بيروت) ١٩٨٩م .

١٠٧

محيرز [عبدالله أحمد] العقبة / وزارة الثقافة (عدن) .

١٠٨

معلوف[لويس]المنجد في اللغة والاعـلام(في مجلديـن)/المطبعـة الكاثوليكيـة(بـيروت) ط٢٤/١٩٨٠

١٠٩

مقبل [سيف علي] وحدة اليمن تاريخيا / دار الحقائق (بيروت) ط/١٩٨٦م .

١١٠

المقحفي [إبراهيم بن أحمد] معجم البلدان والقبائل اليمنية/دار الكلمة (صنعاء) ط٣/١٩٨٨م

١١١

المنذري[الحافظ زكي الدين عبدالعظيم] مختصر صحيح مسلم/تحقيق محمد ناصر الدين الألباني

١١٢

منقوش [ثريا] التوحيد في تطوره التاريخي/دار الطليعة (بيروت) ط١/١٩٧٩م .

١١٣

منقوش [ثريا] سيف بن ذي يزن بين الحقيقة والأسطورة/دار الحرية (بغداد) ط/١٩٨٠م.

١١٤

مؤنس [د/حسين] التاريخ والمؤرخون/دار المعارف (القاهرة) ط/١٩٨٤م .

١١٥

الناخبي [عبدالله أحمد] يافع في أدوار التاريخ/شركة دار العلم (جدة)ط١/١٩٩٥م .

١١٦

النعيمي [د/حسام سعيد] الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جني/وزارة الثقافة والإعلام (بغداد) ١٩٨٠م .

١١٧

هارون [عبدالسلام] تهذيب سيرة ابن هشام/مكتبة الرياض الحديثة ط/١٣٨٣هـ .

١١٨

هالسن [توركيل] من كوبنهاجن إلى صنعاء/ترجمة محمد أحمد الرعدي/دار العودة (بيروت) ط/١٩٨٣م .

١١٩

الهلالي [د/هادي عطية] دلالة الألفاظ اليمانية في بعض المعاجم العربية/مركز الدراسات والبحوث اليمني (صنعاء) ط/١٩٨٨م .

١٢٠

الهمداني [أبو محمد الحسن] الأكليل (الجزء الأول)/تحقيق محمد علي الأكوع/منشورات المدينة ط٣/١٩٨٦م.

١٢١

الهمداني [أبو محمد الحسن] الإكليل (الجزء الثاني)/تحقيق محمد علي الأكوع/منشورات المدينة ط٣/١٩٨٦م.

١٢٢

الهمداني [أبو محمد الحسن] الإكليل (الجزء الثامن)/تحقيق محمد علي الأكوع/منشورات المدينة (بيروت) ط٣/١٩٨٦م.

١٢٣

الهمداني [أبو محمد الحسن] الإكليل (الجزء الثامن)/تحقيق نبيه أمين فارس/دار العودة (بيروت) ط٣/١٩٨٦م.

١٢٤

الهمداني [أبو محمد الحسن] صفة جزيرة العرب/تحقيق محمد علي الأكوع/مكتبة الارشاد (صنعاء) ط١/١٩٨٥م.

١٢٥

الهمداني [أبو محمد الحسن] شرح الدامغة/تحقيق محمد علي الأكوع/مطبعة السنة المحمدية (القاهرة) ط/١٩٧٨م.

١٢٦

الهمداني [حسين بن فضل الله] الصليحون والحركة الفاطمية في اليمن /دار التنوير (بيروت) ط ٣/١٩٨٦م.

١٢٧

هوميروس ، الاوذيسة / ترجمة عنبرة سلام الخالدي / دار العلم للملايين (بــيروت) ط / ١٩٨٠م.

١٢٨

الواسعي [عبد الوسع بن يحي] تاريخ اليمــن / مكتبــة اليمــن الكــبرى (صنعــاء) ط٢/١٩٩٠-١٩٩١م

١٢٩

يافع ، مقالات ودراسات عن يافع وتاريخها / مجموعة كتاب / دار الفارابي (بيروت)

١٣٠

يعقوب [هارولدوف / ك س أ ى] ملوك شبة الجزيرة العربية / ترجمة احمد المضواحــي / مركز الدراسات والبحوث اليمني (صنعاء) دار العودة (بيروت) ط /١٩٨٣م

١٣١

اليمني [عبد الوهاب البريهي] طبقات صلحاء اليمن / تحقق عبد الله محمـــد الحبشــي/ مركز الدراسات والبحوث اليمني (صنعاء)

١٣٢

اليمني [نجم الدين عمارة] تاريخ اليمن / تحقيق محمد بن علي الاكوع / مكتبة اليمنيـــة (صنعاء) ط٣/١٩٨٥م.

١٣٣

اليهري [نصر سبعة] من ينابيع تاريخنا اليمني / مطبعة الكاتب العــربي (دمشــق) ط١ /١٩٩٤م.

الدراسات والمقالات

١٣٤

أركون[محمد]إعادة الإعتبار للفكر الديني(حوار)/الكرمل (فصلية ثقافية)نيقوسيا٣٤/١٩٨٩م

١٣٥

الإرياني [صباح] عرض كتاب الصغيري : الهمداني مصادرة وآفاقه العلمية/ دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ١٥/١٩٨٤م .

١٣٦

الإرياني[مطهر]حول الغزو الروماني لليمن/دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ١٥/١٩٨٩م

١٣٧

الإرياني[يحيى علي]التراث العربي والمنهج والمستقبل/دراسات يمنية(فصلية – صنعاء)١٥/١٩٨٩م

١٣٨

الينا [جلو بنسكايا] حول مسألة الفئات الدنيا في الهيكل الاجتماعي للمجتمع اليمني/ترجمة محمد البحر/دراسات يمنية (فصلية – صنعاء) ١٧/١٩٨٤م .

١٣٩

باطايع [د/أحمد بن أحمد] تنقيبات معبد الإله سين ذوميفعن ريبون / دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ١٧/١٩٨٤م .

١٤٠

بافقية[د/محمد عبدالقادر]+باطايع[أحمد] نقوش من الحد (دراسة) ريدان (حولية/عدن) ٥/١٩٨٨م

١٤١

بافقية [د/محمد عبدالقادر] اليزنيون الجدنيون من القيالة إلى الملك/دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ٣١/١٩٨٨م .

١٤٢

بافقية [د/محمد عبدالقادر] الرحبة وصنعاء في استراتيجية الدولة السبئية/دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ٣٣/١٩٨٨م .

١٤٣

بافقية [د/محمد عبدالقادر] مملكة مأذن شواهد وفرضيات(دراسة)/دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ٣٣/١٩٨٨م .

١٤٤

بريتون [جان فرانسوا] تقرير أول عن معبد عثتر (ذو رصف) مدينة السوداء/دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ٣٨/١٩٨٩م .

١٤٥

البكر [د/منذر عبدالكريم] قبيلة جره ودورها السياسي في تاريخ اليمن قبل الإسلام/دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ٢٥ ٢٦/١٩٨٦م .

١٤٦

الجاسر [الشيخ حمد] الرد على نظرية كمال الصليبي/دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ١٩/١٩٨٥م .

١٤٧

جتنية [بول] ملاحظات حول آثار جنوب الجزيرة العربية/دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ٢٧/١٩٨٦م

١٤٨

الجرو [د/اسمهان سعيد] المدافن اليمنية القديمة مصدر هام لدراسة تاريخ اليمن القديم / دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ٣٨/١٩٨٦م .

١٤٩

الجرو [د/اسمهان سعيد] الديانة عند قدماء اليمنيين (دراسة)/دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ٤٨/١٩٩٢م .

١٥٠

جوفكوف [يفغيني] بعض المسائل المنهجية في التاريخ/تعريب حاتم سليمان/دار الفــارابي (بيروت) ط/١٩٧٧م .

١٥١

الحداد [د/محمد يحيى] الآثار اليمنية المشكلة والحل/دراسات يمنية (فصليـــة صنعـــاء) ٢٥-٢٦/١٩٨٦م .

١٥٢

حداد [د/نعيم] الاستشراق والصهيونية والتراث الفلسطيني/الكرمل (فصلية صنعـاء) نيقوسيا - ٣٤/١٩٨٩م .

١٥٣

الحضراني [بلقيس] الآثار اليمنية وحدة المنبع والجذور/دراسات يمنية (فصلية صنعـاء) ٢٥ ٢٦/١٩٨٦م .

١٥٤

الحضراني [بلقيس] بلقيس الملكة في الشعر اليمني قديمه وحديثه/دراسات يمنية (فصليـــة صنعاء) ٣١/١٩٨٨م .

١٥٥

ديب[فرج الله صالح]نماذج من الثقافة الشعبية/الثقافة(مجلة شهرية) (صنعاء) ١/١٩٩٣ .

١٥٦

راوح [د/عبدالوهاب] تأثير اليمنيين في الديانة السامية(دراسة فيلولوجية)/ دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ٢٥ - ٢٦/١٩٨٦م .

١٥٧

روبان [كرستيان] انتشار العرب البداه في اليمن/ترجمة د/علي محمد زيد/دراسات يمنيـــة (فصلية صنعاء) ٢٧/١٩٨٦م .

158

ريكمنس [جاك] حضارة اليمن قبل الإسلام/دراسات يمنية (فصلية صنعاء)1986/28م

159

زايد[د/محمود] الرد على نظرية الصليبي/دراسات يمنية (فصلية صنعاء) 1985/19م

160

زيادة [طارق] إشكالية التراث والمعاصرة/الأزمنة (مجلة ثقافية/كل شهرين) نيقوسيا م2/ع1988/9م.

161

زيادة [د/غادة ماري] دراسة الآثار الحية منهج ضروري لفهم الماضي (دراسة)/ دراسات يمنية (فصلية صنعاء) 1986/27م .

162

السامرائي [د/إبراهيم] دلالة الألفاظ اليمانية في المعاجم العربية/دراسات يمنية (فصلية صنعاء) 1989/37م .

163

سعيد [عبدالغني علي] ملخص رسالة ماجستير عن مدينة السوأ/الإكليل (فصلية صنعاء) عدد3(18)1989م .

شلحد [د/يوسف] الجزيرة العربية كما وصفها الرحالة ماركو بولو (دراسة)/ دراسات يمنية (فصلية صنعاء) 1988/34م .

165

الشيبة [د/عبدالله حسن] دور الهمداني في الجغرافية التاريخية لليمن القديم/دراسات يمنية (فصلية صنعاء) 1988/33م .

١٦٦

الشيبة [د/عبدالله حسن] حركة الكشوف الآثارية في جنوب الجزيرة العربية/دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ١٩٨٩/٣٧م .

١٦٧

الصائدي [د/أحمد قائد] المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن/دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ١٩٨٩/٣٨م .

١٦٨

الصلوي [د/إبراهيم] أعلام يمنية قديمة مركبة/دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ١٩٨٩/٣٨م .

١٦٩

طاهر [عبدالباري] اليمن والحجاز كما رآها أبن المجاور/دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ١٩٨٨/٣١م .

١٧٠

عبدالقادر [نجوى] نشوان الحميري/الإكليل (فصلية صنعاء) ١٩٩٥/٣١م .

١٧١

عبدالقوي [د/علي محمد] الكيان السياسي والديني في اليمن القديم/دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ١٩٨٩/٣٨م .

١٧٢

عبدالله [د/يوسف محمد]مدينة آلسوا في كتاب الطواف حول البحر الارتيري (دراسة دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ١٩٨٨/٣٤م .

١٧٣

علي [د/جواد علي] القصيدة النشوالية/دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ١٩٨٤/١٤م.

١٧٤

علي [هشام علي] الرحلة العربية / الإكليل (فصلية صنعاء) ١٩٩٥/٢٣م .

١٧٥

عمر [محمد عبدالله] شخصيات ومدن يمنية/الثقافة الجديدة (مجلة شهرية/عدن) ١٩٨٧/٣م .

١٧٦

غالب [د/عبده عثمان] عرض موجز لتاريخ الآثار اليمنية/دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ٢٥-١٩٨٦/٢٦م .

١٧٧

غالب [د/عبده عثمان] نتائج المسح الأثري في منطقة حضور همدان / الإكليل (فصلية صنعاء) ٢٥ - ١٩٨٦/٢٦م .

١٧٨

الفرح [محمد حسين] تعقيبات نقدية (وتصويبية) على كتاب في العربية السعيدة/دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ١٩٨٨/٣١م .

١٧٩

الفرح [محمد حسين] اليزنيون بين المصادر الكلاسكية والنقوش/الإكليل (فصلية صنعاء) (٣) ١٩٨٩/١٨م .

١٨٠

الفرح [محمد حسين] نافذة على تاريخ اليمن الحضاري (مقالات)/ الثورة (صحيفة يومية) ٣٠ أكتوبر ١٩٩٣م .

١٨١

قدوح [د/محمد عبدالرضى] أبحاث في اللسانيات وعلم اللغة/الإكليل (فصلية صنعاء) ١٩٨٩/١٨م .

١٨٢

ققشية [د/حمدي احمد] النظام الصوتي في اللهجة الصنعانية/دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ١٩٨٤/١٥م .

١٨٣

قفشية [د/حمدي أحمد] من أسرار اللهجة الصنعانية/دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ١٩٨٨/٣١م .

١٨٤

قمني [د/سيد محمود] مدخل إلى فهم دور الميثولوجيا التوراتية/الكرمل(فصلية ثقافية/نيقوسيا) ١٩٨٨/٣٠م .

١٨٥

لوندين [أ ز ج] دولة مكربي سبأ/ترجمة د/قائد طربوش/الإكليل دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ١٩٩٥/٢٣م .

١٨٦

مجاني [نوبة] رسالة ماجستير عن أثر العرب اليمنية في تاريخ بلاد المغرب/الإكليل (فصلية صنعاء) ١٩٨٩/١٨م .

١٨٧

المروني [أحمد حسين] حول المفردات المبدؤة بحرف الباء في اللهجة الصنعانية/ دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ١٩٩٢/٤٦م .

١٨٨

مظهر [سليمان] آخر أيام البادية(استطلاع) /العربي (مجلة شهرية/الكويت) ١٩٨٩/٣٩٦م

١٨٩

المقالح [د/عبدالعزيز] هل كانت الجزيرة العربية موطن التوراة الموضوعة ؟ /دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ١٩٨٥/١٩م .

١٩٠

المقالح [د/عبدالعزيز] تراث اليمن بين الاهمال والاستشراق /دراسات يمنية (فصلية صنعاء) ١٩٨٧/٢٧م .

١٩١

المقالح [د/عبدالعزيز] جواد علي وصفحات من تاريخ اليمن القديم / دراســـات يمنيـــة (فصلية صنعاء) ١٩٨٧/٢٧م .

١٩٢

مني [د/زياد] عودة التاريخ المخطوف : توراة إسرائيل في جزيرة العرب/النـــاقد (مجلـــة شهرية) لندن نيقوسيا ١٩٩٣/٥٩م .

١٩٣

منصور [عبدالوهاب] دلالة المعمار اليمني على عروبة قبائل بربرية/دراسات يمنية (فصليـة صنعاء) ١٩٨٩/٣٨م .

١٩٤

نور الدين [د/عبدالحليم] نشأة وتطور الدراسات الأثرية في جامعة صنعاء / دراســـات يمنية (فصلية صنعاء) ١٩٨٦/٢٣م .

١٩٥

نور الدين [د/عبدالحليم] مومياء شبام الغراس (محافظة صنعاء)/ الإكليـــل (فصليـــة صنعاء) ١٩٩٠/٢٣م .

١٩٦

هاللو [وليام . و] علم الآشوريات والقانون التوراتي/ترجمة د/جاب الله علي جـــاب الله / الثقافة العالية (دورية كل شهرين) الكويت ١٩٩٠/٢٣م .

مراجع أجنبية

197
Al manac [The 1988], (Boston) 1988 .

198
Carr,E.H, What is history ? apelican Book (london),1964

199
Danto, A.C, Analytical Philosophy of history, Cambridge University press, 1965.

200
Dickens, Charles, Great Works, Chatham River press (Newyork), 1982.

201
Donclan, Michael (EDITOR), The Reason of states, George & Unwin.

202
Lawrence, T.E, Seven Pillars of Wisdom, (Oxford), 1940

203
News Week(International)- No – 15, Sep. 23rd, 1991.

204
The Oxford Dictionary & Thesaurus, Oxford University Press, 1997.

205
Webster's Dictionary of English Usage, (Lebanon), 1989.

206
Yemen Times, 5th Mar., 1991, (Vol. 1L1).

الفهرس

من منشورات دار علاء الدين

في الثقافة السياسية
———————— د. حسن حنفي

الإعلام والتوعية المرورية
———————— د. شاكر مخلف

الأعمال الكاملة
———————— ندرة اليازجي

. التربية السليمة للطفل
———————— موريس لين

. خصيصا للحمير
———————— عزيز نيسن

. الجوانب الجغرافية في حماية الطبيعة
———————— د. أمين طربوش

. سيد درويش حياته ونغمه
———————— أحمد بوبس

. الأقصوصة السوفيتية المعاصرة
———————— د. ماجد علاء الدين

. الرواية التونسية حتى عام ١٩٨٥
———————— ك.ك. لومونوف

. رفيق شكري اللحن الأصيل
———————— أحمد بوبس

. كيف نعتني بالطفل وأدبه
———————— اسماعيل الملحم

. الواقعية في الأدبين العربي والسوفيتي
———————— د. ماجد علاء الدين

. الحسين بن منصور الحلاج
———————— سمير السعيدي

. البيئة وحمايتها
———————— نسيم يازجي

. الكويت في عيون امرأة دمشقية
———————— جهينة الحموي

. المنمنمات الإيرانية
———————— ريما علاء الدين

. تعلم كيف تمارس علم النفس
———————— سمير عبده

. الضابطة العدلية
———————— تركي موالي

. العراق صفحات من التاريخ السياسي
———————— د. كاظم موسوي

. الصحافة السورية بين النظرية والتطبيق
———————— د. عدنان أبو فخر

. ذكراه في القلب
———————— آنا غارغارين

. تعلم الطفل في الأسرة والمدرسة
———————— اسماعيل الملحم

. صفحات من تاريخ فن الرقص
———————— فائق شعبان

. ما الأدب المقارن
———————— د. غسان السيد

. الأمثال الشعبية الفلسطينية
———————— فوزي حمد قديح

. برتراند رسل
———————— سمير عبده

* مغامرة العقل الأولى
.. .. فراس السواح
* لغز عشتار
.... فراس السواح
* الحدث التوراتي
.... فراس السواح
* دين الإنسان
.... فراس السواح
* آرام دمشق واسرائيل
.... فراس السواح
* جلجامش
.... فراس السواح
* بدايات الحضارة
.... عبد الحكيم الذنون
* تشريعات بابلية
.... عبد الحكيم الذنون
* تاريخ القانون في العراق
.... عبد الحكيم الذنون
* الديانة الفرعونية
.... واليس بدج
* سويداء سورية
.... مجموعة مؤلفين
* شريعة حمورابي
.... ت. أسامة سراس

* طقوس الجنس المقدس
.... إنانا ودوموزي
* الشركس في فجر التاريخ
.... برزج سمكوغ
* المراحل التاريخية لتطور النظام الاداري في سورية
.... دنحو داوود
* اليمين واليسار في الفكر الديني
.... د. حسن حنفي
* الاسلام والحروب الدينية
.... د. محمد عمارة
* نظرية الدولة في الفكر العربي المعاصر
.... د. محمد جمعة
* مذكرات عن الانقلاب العسكري
.... ميخائيل غورباتشوف
* الأساطير والحقائق عن عائلة ستالين
.... ت.د.ماجد علاء الدين
* الأخوة كينيدي
.... ت.د. ماجد علاء الدين
* مذكرات امرأة
.... روشن بدرخان
* من الرماد إلى الرماد
.... عائشة أرناؤوط
* ملحمة الزمن
...............ت.د. ماجد علاء الدين

هذا الكتاب

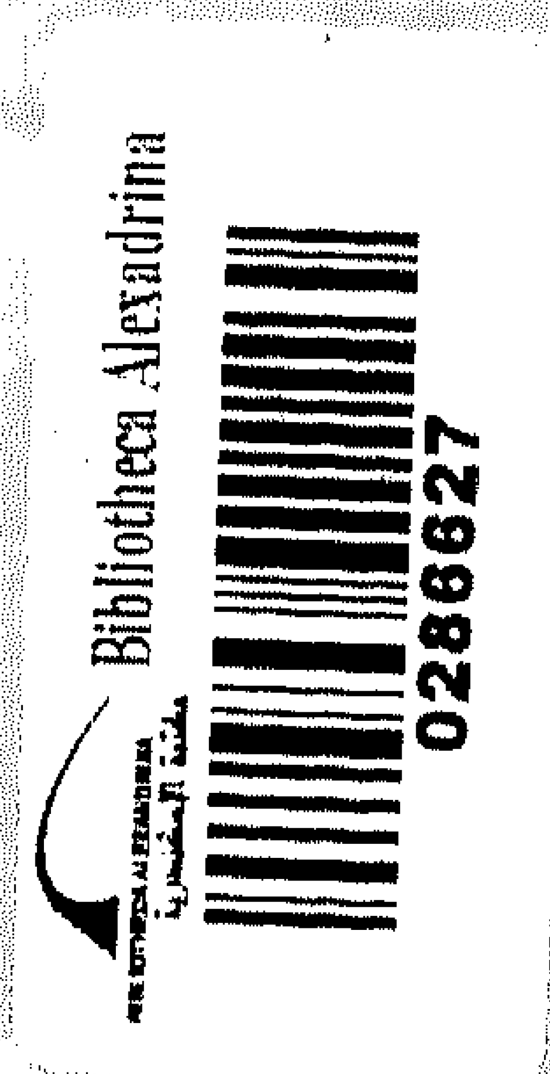
نرحل مع المؤلف فضل الجثام إلى عتيق الحقب من تاريخ الشــرق الأدنى . فنطل على المرابع البكر للأقوام والشعوب التي عرفت بالساميين، وهجراتهم شمالاً من بلاد بونت (اليمن) إلى بلاد الرافدين وســورية القديمة ، فنأتي على دورهم في تشكيل الخارطة الحضارية لأقليم الشرق الأدنى.

عبر فصول هذا الكتاب نقتحم مع المؤلف مســالكاً وعــرة ومحميــات طالما تجنبتها أقدام المؤرخين التقليديين فنكتشف خبايا وأســرار نحو الوقائــع العجيبة لآل بيت ناحور (رهط ابراهيم عليه السلام)على أرض اليمن ، فتحقيق هوية أنبياء نحو : أيوب الصابر، وشعيب الحضوري وأصحاب الكهف وجذور الميثولوجيا الرافدية والسورية في اليمن .. الخ .

للبرهنة على صحة إطروحاته يحيط المؤلف بمصادر غنية تبدأ بنتائج الكشــوف الأثرية في اليمن وبلاد الشام والرافدين، فالكتابات التاريخية اليونانية والرومانية والمرويات الإخبارية العربية ، وتنتهي بالأثار الحيــة والمرويات الشـــفهية في سروحمير/ يافع (اليمن) .

الكتاب مفيد وهام للمؤرخين والمهتمين المختصين بعلم السلالات البشــرية وعلم الأساطير وتاريخ الأديان

الناش



يطلب الكتاب على العنوان التالي:
دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة
دمشق ص.ب ٣٠٥٩٨
هاتف : ٢٣١٧١٥٨ - ٥٦١٧٠٧١
فاكس: ٢٣١٧١٥٩ - ٥٦١٣٢٤١